الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الرابع عشر

سورة الأنعام، الآية:[٨٥-١٥٧]

منشور إلكترونياً

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥)} [الأنعام : ٨٥]

التفسير:

وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين.

قوله تعالى:{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ} [الأنعام : ٨٥]، أي:" وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس" (١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضًا لمثل الذي هدينا له نوحًا من الهدى والرشاد من ذريته: زكريا بن إدُّو بن برخيَّا، ويحيى بن زكريا،وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن حزقيا، وإلياس"(٢).

قال البغوي:" {وزكريا} وهو زكريا بن آذن، {ويحيى} وهو ابنه، {وعيسى} وهو ابن مريم بنت عمران"(٣).

واختلفوا في «إِلْيَاسَ» على ثلاثة اقوال:

أحدها: أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، ابن أخي موسى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. قاله ابن إسحاق(٤).

والثاني: أنه إدريس، كما أن إسرائيل هو يعقوب. وهذا قول عبدالله بن مسعود(٥).

قال البغوي:" والصحيح أنه غيره، لأن الله تعالى ذكره في ولد نوح، وإدريس جد أبي نوح وهو إلياس ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران"(٦).

والثالث: أنه جدّ نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، و«أخنوخ» هو«إدريس بن يرد بن مهلائيل». وهذا قول وهب بن منبه(٧)، وبه قال أهل الأنساب(٨)، وهو اختيار أبي جعفر الطبري(٩).

قال الطبري:" والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أنّ الله تعالى ذكره نسب«إلياس» في هذه الآية إلى«نوح»، وجعله من ذريته، و«نوح» ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جدّ أبيه منسوبًا إلى أنه من ذريته"(١٠).

قوله تعالى:{كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الأنعام : ٨٥]، أي:" وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين" (١١).

قال الطبري:" يقول: من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا {من الصالحين}، يعني: زكريا ويحيى وعيسى وإلياس صلى الله عليهم"(١٢).

قال ابن كثير:" وفي ذكر «عيسى» -عليه السلام- في ذرية «إبراهيم» -أو «نوح»، على القول الآخر- دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال ؛ لأن «عيسى»، عليه السلام، إنما ينسب إلى «إبراهيم»، عليه السلام ، بأمه«مريم» -عليها السلام-، فإنه لا أب له.

---

(١) التفسير الميسر:١٣٨.

(٢) تفسير الطبري:٥٠٨/١١-٥٠٩.

(٣) تفسير البغوي:١٦٥/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١. حكاه عنه دون ذكر السند.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥١٥):ص٥٠٩/١١.

(٦) تفسير البغوي:١٦٥/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١. حكاه دون ذكر السند.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٥١٠/١١.

(١٠)تفسير الطبري:٥١٠/١١

(١١) التفسير الميسر:١٣٨.

(١٢)تفسير الطبري:٥١٠/١١

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : «أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعْمُر فقال : بَلَغَني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، تجده في كتاب الله ، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ } حتى بلغ { وَيَحْيَى وَعِيسَى } ؟ قال : بلى ، قال : أليس عيسى من ذرية إبراهيم ، وليس له أب ؟ قال : صدقت»[1].

فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته ، أو وقف على ذريته أو وهبهم ، دخل أولاد البنات فيهم ، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم ، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه ، واحتجوا بقول الشاعر العربي[2]:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون : ويدخل بنو البنات فيه أيضا ، لما ثبت في صحيح البخاري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحسن بن علي : «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[3] فسماه ابنا ، فدل على دخوله في الأبناء.

وقال آخرون : هذا تجوز"[4].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: الإيمان بالرسل جميعهم من أولهم إلى آخرهم، من سمى الله منهم ومن لم يسم، نؤمن بهم جميعا، وأنهم رسل الله حقا، جاءوا بالرسالة، وبلغوها لأممهم.

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون. ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ - وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ - وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٨٣ - ٨٦] [الأنعام: ٨٣-٨٦] . وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن. قال تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف: ٦٥] [الأعراف: ٦٥] .

وقال: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف: ٧٣] [الأعراف: ٧٣] . وقال: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف: ٨٥] [الأعراف: ٨٥] . وقال: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا} [آل عمران: ٣٣] [آل عمران: ٣٣] . وقال: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الأنبياء: ٨٥] [الأنبياء: ٨٥] . وقال: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] [الفتح: ٢٩] . فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنهم.

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم، خليلين لقوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥] [النساء: ١٢٥] . ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا» أخرجه مسلم [١] . وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] [النساء: ١٦٤] .

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٥٤).:ص٤/١٣٣٥

(٢)البيت للفرزدق في خزانة الأدب ١/ ٤٤٤؛وبلا نسبة في الإنصاف ١/ ٦٦؛وتخليص الشواهد: ص ١٩٨؛والحيوان ١/ ٣٤٦؛والدرر ٢/ ٢٤؛وشرح الأشموني ١/ ٩٩؛وشرحا لتصريح ١/ ١٧٣؛وشرح شواهد المغني ٣/ ٨٤٨؛وشرح ابن عقيل: ص ١١٩؛ومغني اللبيب ٢/ ٤٥٢؛وهمع الهوامع ١/ ١٠٢.

(٣)صحيح البخاري برقم (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة ، رضي الله عنه.

(٤) تفسير ابن كثير:٣/٢٩٨.

وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه، قال تعالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: ٧٩] [الأنبياء: ٧٩] . وإلانة الحديد لداود كما قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ: ١٠]. وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [سبأ: ١٢] [سبأ: ١٢] . وتعليم سليمان منطق الطير، قال تعالى: {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [النمل: ١٦] [النمل: ١٦] .

كما يجب الإيمان على وجه التفصيل بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل مع أقوامهم، وما جرى بينهم من الخصومة، ونصر الله لرسله وأتباعهم. كقصة موسى مع فرعون، وإبراهيم مع قومه، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم. وما قص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر، وقصة يونس مع قومه، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل، وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا بحسب ما جاءت به النصوص.

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل[(١)].

٢- ومن فوائد الآية الكريمة: فضيلة الصلاح، إذ وصف الله تعالى الانبياء بالصلاح، قال سبحانه وتعالى:لقوله:{ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ}.

القرآن

{وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦)} [الأنعام : ٨٦]

التفسير:

وهدينا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطا، وكل هؤلاء الرسل فضَّلناهم على أهل زمانهم.

قوله تعالى:{وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا} [الأنعام : ٨٦]، أي:" وهدينا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطا" [(٢)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضًا من ذرية نوح: إسماعيل، وهو: إسماعيل بن إبراهيم، واليسع: هو اليسع بن أخْطُوب بن العجوز، ويونس، هو: يونس بن متى، ولوطًا، بينا الحق لهم، ووفقناهم له"[(٣)].

قال البغوي:" {وإسماعيل} وهو ولد إبراهيم، {واليسع} وهو ابن أخطوب بن العجوز، {ويونس} وهو يونس بن متى، {ولوطا} وهو لوط بن هاران بن أخي إبراهيم"[(٤)].

وقرأ ذلك حمزة والكسائي:«وَاللَّيْسَعَ» بلامين، وبالتشديد، وقالوا: إذا قرئ كذلك، كان أشبه بأسماء العجم، وأنكروا التخفيف[(٥)].

قال أبو جعفر الطبري:" والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءةُ من قرأه بلام واحدة مخففة، لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه، دون التشديد، مع أنه اسم أعجمي، فينطق به على ما هو به. وإنما يُعْلم دخول «الألف واللام» فيما جاء من أسماء العرب على:يفعل. وأما الاسم الذي يكون أعجميًّا، فإنما ينطق به على ما سَمَّوا به. فإن غُيِّرَ منه شيء إذا تكلمت العرب به، فإنما يغيّر بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان. و"الليسع" إذا شدد، لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد. وأخرى، أنه لم يحفظ عن أحد

---

(١) انظر: **كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نحبة من العلماء:١٦١-١٦٢.**

(٢) التفسير الميسر:١٣٨.

(٣) تفسير الطبري:٥١٠/١١-٥١٢.

(٤) تفسير البغوي:١٦٥/٣.

(٥) انظر: السبعة في القراءات:٥٥٥، وتفسير الطبري:٥١١/١١.

من أهل العلم علمنا أنه قال: اسمه"ليسع". فيكون مشددًا عند دخول«الألف واللام» اللتين تدخلان للتعريف"[١].

قوله تعالى:{وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ٨٦]، أي:" وكل هؤلاء الرسل فضّلناهم على أهل زمانهم" [٢].

قال الطبري والبغوي:" يعني: على عالم أزمانهم"[٣].

قال السعدي:" درجات الفضائل أربع - وهي التي ذكرها الله بقوله: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله [ص:٢٦٤] في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك"[٤].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله بشرائعه ودينه لهداية خلقه.
٢- ومن الفوائد: تزكية الله تعالى لأنبيائه في كتابه.
٣- وقيل يستفاد من الآية: تفضيل البشر على الملائكة، فإنه تعالى ذكر جماعة من الأنبياء في سورة الأنعام فقال فيهم {وكلا فضلنا على العالمين} [الأنعام: ٨٦]، والملائكة من جملة العالمين لأنك إن اشتققت العالم من: «العلم» فالملائكة من العلماء، وإن أخذته من «العلامة» اندرج فيه الملائكة وكل موجود سوى الله تعالى، لأن في كل منهم علامة تدل على قدرة الصانع وإرادته وعلمه وحياته وحكمته[٥].

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنّه: " ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين خير من أبى بكر وعمر "[٦].

ويؤخذ من الحديث أن الأنبياء والمرسلين أفضل الخلق، وأنّ أفضل رجل بعدهم أبو بكر الصديق.

وقريب من هذا الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم في أبي بكر وعمر " هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلاّ النبيين والمرسلين "[٧].

القرآن

{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧)} [الأنعام : ٨٧]

التفسير:

وكذلك وفّقنا للحق من شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَن أرسلناهم إليهم، وأرشدناهم إلى طريق صحيح، لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك.

قوله تعالى:{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ} [الأنعام : ٨٧]، أي:" وكذلك وفّقنا للحق من شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم" [١].

---

(١) تفسير الطبري:١١/٥١١-٥١٢.
(٢) التفسير الميسر:١٣٨.
(٣) تفسير الطبري:١١/٥١٢ وتفسير البغوي:١٦٥/٣
(٤) تفسير السعدي:٢٦٣.
(٥) انظر: لحبائك في أخبار الملائك، السيوطي:٢٣١.
(٦)أخرجه ابن عساكر (٢١٠/٣٠)، وأخرجه بنحوه عبد بن حميد في ((مسنده)) ورقمه: (٢١٢) من حديث أبي الدرداء، وأخرجه أيضاً عبد الله بن أحمد في كتاب ((فضائل الصحابة)) ورقمه: (٥٠٨) .
ولفظه في "مسند عبد بن حميد": عن أبي الدرداء، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل، وأخير، من أبي بكر، إلا أن يكون نبيٌّ ".
(٧)أخرجه الترمذي: (٣٦٦٤) من حديث أنس بن مالك، و (٣٦٦٥) من حديث علي بن أبي طالب، وكلاهما صحيح.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهدينا أيضًا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره آخرين سواهم، لم يسمهم، للحق والدين الخالص الذي لا شرك فيه، فوفقناهم له"[٢].

قال ابن كثير:" ذكر أصولهم وفروعهم. وذوي طبقتهم ، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم"[٣].

قال السعدي:" أي: وهدينا من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم"[٤].

قال البغوي:" {مِنْ} فيه للتبعيض، لأن آباء بعضهم كانوا مشركين، {وذرياتهم} أي: ومن ذرياتهم. وأراد به ذرية بعضهم: لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد، وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا"[٥].

قوله تعالى:{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ} [الأنعام : ٨٧]، أي:" واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَن أرسلناهم إليهم" [٦].

قال مجاهد:" أخلصناهم"[٧].

قال البغوي:أي:" اخترناهم واصطفيناهم"[٨].

قال الطبري:" يقول: واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه، كالذي اخترنا ممن سمَّينا"[٩].

و«الاجتباء» عند أهل اللغة بمعنى: الاختيار، مشتق من :جبيت الماء في الحوض، أي: جمعته. فالاجتباء: ضم الذي تجتبيه إلى خاصتك[١٠].

قال الكسائي:"جبيت الماء في الحوض وجبوته، أي جمعته. والجابية: الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل. قال الأعشى [١١]:

[تَرُوحُ على آلِ المُحَلَّق جَفْنَةٌ]   كجَابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقيِّ تَفْهَقُ"[١٢]

قوله تعالى:{وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام : ٨٧]، أي:" وأرشدناهم إلى طريق صحيح، لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك" [١٣].

قال البغوي:أي:" أرشدناهم، {إلى صراط مستقيم}"[١٤].

قال الطبري:" يقول: وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ، وذلك دين الله الذي لا عِوَج فيه، وهو الإسلام الذي ارتضاه الله ربُّنا لأنبيائه، وأمر به عباده"[١٥].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن هدى من تقدم ما كان إلا اختيارا، قال تعالى: {وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

---

(١) التفسير الميسر:١٣٨.
(٢) تفسير الطبري:٥١٢/١١.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٩٨/٣.
(٤) تفسير السعدي:٢٦٣.
(٥) تفسير البغوي:١٦٥/٣-١٦٦.
(٦) التفسير الميسر:١٣٨.
(٧) اخرجه الطبري(١٣٥١٦):ص٥١٣/١١.
(٨) تفسير البغوي:١٦٦/٣.
(٩) تفسير الطبري:٥١٢/١١.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي:٣٤/٧.
(١١)البيت للأعشى في ديوانه: ٢٥٥،وفي شرح أبيات المغني ٢/ ٢٧٨.
وأصل الفهق: الامتلاء.
(١٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٢٢٩٧/٦.
(١٣) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٤) تفسير البغوي:١٦٦/٣.
(١٥) تفسير الطبري:٥١٣/١١.

٢- ومنها: الثناء في القرآن بالإيمان والأعمال، لا بمجرد النسب، إذ لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه أصلاً لا على ولد نبي ولا على أبي نبي، وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم. وإذا ذكر صنفًا وأثنى عليهم فلما فيهم من الإيمان والعمل لا لمجرد النسب.

ولهذا لما ذكر الأنبياء ذكرهم في الأنعام، وهم ثمانية عشر قال:{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. فبهذا حصلت الفضيلة باجتبائهم سبحانه وتعالى وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم لا بنفس القرابة.

القرآن

{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨)} [الأنعام : ٨٨]

التفسير:

ذلك الهدى هو توفيق الله، الذي يوفق به من يشاء من عباده. ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا بالله -على سبيل الفرض والتقدير- لبطل عملهم; لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملا.

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [الأنعام : ٨٨]، أي:" ذلك الهدى هو توفيق الله، الذي يوفق به من يشاء من عباده" [١].

قال ابن كثير:" أي : إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم "[٢].

قال الطبري:أي:" هذا الهدي الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم، وشرفَ الدنيا، وكرامة الآخرة، هو توفيق الله ولطفه، الذي يوفق به من يشاء، ويلطف به لمن أحب من خلقه، حتى ينيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان والأصنام"[٣].

قال البغوي:" {هدى الله} دين الله، {يهدي به} يرشد به، {من يشاء من عباده}"[٤].

قال السعدي:أي:" فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، وممن شاء هدايته هؤلاء المذكورون"[٥].

قوله تعالى:{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ٨٨]، أي:" ولو أن هؤلاء الأنبياء أشركوا بالله -على سبيل الفرض والتقدير- لبطل عملهم; لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملا" [٦].

قال الطبري:" يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم، بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره، لبطل فذهبَ عنهم أجرُ أعمالهم التي كانوا يعملون، لأن الله لا يقبل مع الشرك به عملا"[٧].

قال القرطبي:" أي: لو عبدوا غيري لحبطت أعمالهم، ولكني عصمتهم. و«الحبوط»: البطلان"[٨].

قال ابن كثير:" { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } تشديد لأمر الشرك ، وتغليظ لشأنه ، وتعظيم لملابسته ، كما قال تعالى: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } الآية [الزمر : ٦٥] ، وهذا شرط ، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع ، كقوله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } [الزخرف : ٨١] ، وكقوله { لَوْ أَرَدْنَا

---

(١) التفسير الميسر:١٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.

(٣) تفسير الطبري:٥١٣/١١-٥١٤.

(٤) تفسير البغوي:١٦٦/٣.

(٥) تفسير السعدي:٢٦٣.

(٦) التفسير الميسر:١٣٨.

(٧) تفسير الطبري:٥١٤/١١.

(٨) تفسير القرطبي:٣٤/٧.

أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء : ١٧] وكقوله { لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [الزمر : ٤]"(١).

قال السعدي" فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا -وحاشاهم- لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى"(٢).

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة إثبات مرتبة المشيئة، قال تعالى: {ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ}، إذ بيّن الله تعالى أن له مشيئة مطلقة لا يخرج عنها شيء في هذا الوجود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- مبيناً مرتبة المشيئة :"وهي الإيمان بأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السموات وما في الأرض من حركة، ولا سكون إلا بمشيئة الله ـ سبحانه ـ ولا يكون في ملكه إلا ما يريد"(٣).

وقال العلامة ابن القيم: "وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن هذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله، ولم يثبت له ـ سبحانه ـ مشيئة واختياراً أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم"(٤).

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في بيان معنى المشيئة هو طبق ما جاء في الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة وذلك أن لله مشيئة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير ولا عين ولا فعل، ولا وصف إلا بمشيئته ـ تعالى ـ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد أكثر القرآن في هذا الشأن.

قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}[البقرة:٢٥٣].

وقال تعالى: {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}[السجدة:١٣].

وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}[هود:١١٨].

وقال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى}[الأنعام:٣٥].

وقال تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [فاطر:١٦].

وقال تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ}[النساء:١٣٣].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إثبات المشيئة، كما تدل على تكذيب نفاتها.

وقد دلت السنة على إثبات مشيئة الرب ـ سبحانه ـ في أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه البخاري بإسناده من حديث أبي موسى قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتاه وربما قال جاءه السائل أو صاحب الحاجة قال: "اشفعوا فلتؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء"(٥).

وفيه من حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال: " ألا تُصلّيان؟ " فقال علي: إنما أنفُسنا بيد الله، إن شاء

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.

(٢) تفسير السعدي:٢٦٣.

(٣) العقيدة الواسطية مع شرحها "لمحمد خليل هراس" ص١٣٣ ـ ١٣٤.

(٤)شفاء العليل :٤٣..

(٥)فتح الباري ٤٤٨/١٣.

يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يرجع إليَّ شيئاً، ثم سمعته وهو منصرفٌ يضرب فخذه ويقول: {وكانَ الإنسان أكثرَ شيءٍ جَدَلاً} [الكهف: ٥٤]"(١).

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء"(٢).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "مثل المؤمن كمثل خامة الزرع يفيء ورقه من حيث أتتها الريح تكفئها فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء، ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء" (٣).

٢- أن الشرك يبطل جميع الطاعات، ويوجب الخلود في النار وعدم دخول الجنة، قال تعالى:{ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وقال أيضا:وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} [المائدة: ٧٢].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)} [الأنعام : ٨٩]

التفسير:

أولئك الأنبياء الذين أنعمنا عليهم بالهداية والنبوة هم الذين آتيناهم الكتاب كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى، وآتيناهم فَهْمَ هذه الكتب، واخترناهم لإبلاغ وحينا، فإن يجحد -أيها الرسول- بآيات هذا القرآن الكفارُ من قومك، فقد وكلنا بها قومًا آخرين -أي: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة- ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بما تدل عليه.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [الأنعام : ٨٩]، أي:" أولئك الذين أنعمنا عليهم بإنزال الكتب السماوية والحكمة الربانية والنبوة والرسالة"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم ، ولطفا منا بالخليقة "(٥).

قال الطبري:يعني:"هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله، نوحًا وذريته الذين هداهم لدين الإسلام، واختارهم لرسالته إلى خلقه، هم{الذين آتيناهم الكتاب}، يعني بذلك: صحفَ إبراهيم وموسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين، {والحكم}، يعني: الفهم بالكتاب، ومعرفة ما فيه من الأحكام"(٦).

قال البغوي:" { الكتاب} أي: الكتب المنزلة عليهم، {والحكم} يعني: العلم والفقه"(٧).

قال مجاهد:" {الحكم}، هو اللبُّ"(٨).

و«اللب»: "هوالعقل، فكأنه أراد: أن الله آتاهم العقل بالكتاب، وهو بمعنى ما قلنا أنه الفهم به"(٩).

---

(١)البخاري (١١٢٧) و (٤٧٢٤) و (٧٣٤٧) و (٧٤٦٥)، ومسلم (٧٧٥)، والنسائي ٣/ ٢٠٥، وصححه ابن حبان (٢٥٦٦)، وانظر تمام تخريجه فيه.

(٢)صحيح مسلم ٢٠٤٥/٤.

(٣)فتح الباري ٤٤٦/١٣.

(٤) صفوة التفاسير:٣٧٤/١.

(٥) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.

(٦) تفسير الطبري:٥١٤/١١.

(٧) تفسير البغوي:١٦٦/٣.

(٨) أخرجه الطبري(١٣٥١٨):ص٥١٤/١١.

(٩) تفسير الطبري:٥١٥/١١.

قوله تعالى:{ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ} [الأنعام : ٨٩]، أي:" فإن يجحد -أيها الرسول- بآيات هذا القرآن الكفارُ من قومك" [١].

قال ابن عباس:" يقول: إن يكفروا بالقرآن"[٢].

قال البغوي:{ هَؤُلَاءِ}، أي:" الكفار، يعني: أهل مكة"[٣].

قال القرطبي:" أي بآياتنا. هؤلاء، أي: كفار عصرك يا محمد"[٤].

قال الطبري: يقول:"فإن كفر قومك من قريش، يا محمد، بآياتنا، وكذبوا وجحدوا حقيقتها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض ، من عرب وعجم ، ومليين وكتابيين،{ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا } أي : بالنبوة. ويحتمل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأشياء الثلاثة : الكتاب ، والحكم ، والنبوة. وقوله : { هَؤُلاءِ } يعني : أهل مكة "[٦].

قوله تعالى:{فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام : ٨٩]، أي:" فقد وكلنا بها قومًا آخرين -أي: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة- ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بما تدل عليه" [٧].

قال الطبري: يقول:" فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رُسلنا وأنبياءنا من قبلك، الذين لا يجحدون حقيقتها، ولا يكذبون بها، ولكنهم يصدقون بها ويؤمنون بصحتها"[٨].

قال ابن كثير: أي:"فقد وكلنا بها قوما { آخَرِينَ } يعني : المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة ، { لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } أي : لا يجحدون شيئا منها ، ولا يردون منها حرفًا واحدًا ، بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها ، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه"[٩].

قال القرطبي:" يريد: الأنصار من أهل المدينة والمهاجرين من أهل مكة"[١٠].

قال الماوردي:" ومعنى قوله: {فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا}، أي: أقمنا بحفظها ونصرتها ، يعني : كتب الله وشريعة دينه"[١١].

قال الزمخشري:" معنى توكيلهم بها: أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه. والباء في {بها} صلة «كافرين». وفي {بكافرين} تأكيد النفي"[١٢].

وقد قال بعضهم: "معنى قوله:{فقد وكّلنا بها قومًا}، رزقناها قومًا"[١٣].

وفي المعنيين بقوله تعالى:{ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام : ٨٩]، سبعة اقوال:

أحدها : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار ، قاله الضحاك[١٤]، وسعيد بن المسيب[١]، والسدي[٢].

---

(١) التفسير الميسر:١٣٨.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٥١٩):ص٥١٥/١١.
(٣) تفسير البغوي:١٦٦/٣.
(٤) تفسير القرطبي:٣٤/٧.
(٥) تفسير الطبري:٥١٨/١١.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.
(٧) التفسير الميسر:١٣٨.
(٨) تفسير الطبري:٥١٨/١١.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.
(١٠) تفسير القرطبي:٣٤/٧-٣٥.
(١١)النكت والعيون:١٤٠/٢.
(١٢) الكشاف:٤٣/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٥١٨/١١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢١):ص٥١٦/١١.

والثاني : فإن يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة ، قاله ابن عباس(٣)، والضحاك(٤)، وابن جريج(٥)، وقتادة-في إحدى الروايات- (٦).
والثالث : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الملائكة ، قاله أبو رجاء(٧).
والرابع : معناه: إن يكفر بها أمتك، فقد وكلنا بها النبيين والصالحين، وهذا قول الحسن(٨)، وقتادة(٩).

روي عن قتادة:"{فإن يكفر بها هؤلاء}، قال: يعني قوم محمد. ثم قال:{فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، يعني: النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم. ثم قال:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}"(١٠).

وفي رواية أخرى عن قتادة ايضا:" عن قتادة قوله:"فإن يكفر بها هؤلاء"، يعني أهل مكة ، {فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}"(١١).

والخامس : يعني قوله: {فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين}: من هاجر من مكة إلى المدينة. قاله عكرمة"(١٢).
والسادس: يعني: قوله: {فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين} : أهل المدينة ولأنصار. قاله ابن عباس في رواية(١٣).
والسابع: أنهم كل المؤمنين ، قاله بعض المتأخرين(١٤).

قال أبو جعفر الطبري:" وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قولُ من قال: عنى بقوله:{فإن يكفر بها هؤلاء}، كفار قريش {فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، يعني به الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية. وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبرًا عنهم، أولى وأحق من أن يكون خبرًا عن غيرهم"(١٥).

الفوائد:
١- فضل الكتاب الكريم والسنة النبوية.
٢- أن الله عز وجل هو الذى تولى تأديب الأنبياء والرسل وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم، حتى كانوا قمما شامخة، وأهلا للاصطفاء والاجتباء.
١- قال القرطبي:" احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص، كما في صحيح مسلم وغيره: أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانا فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله وعليه وسلم:« القصاص القصاص» فقالت أم الربيع: يا رسول الله أيقتص من فلانة؟! والله لا يقتص

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٣٩/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٣):ص٥١٦/١١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٣):ص٥١٦/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٢):ص٥١٦/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٤):ص٥١٦/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٥)، (١٣٥٢٦):ص٥١٦/١١-٥١٧.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٦)، و(١٣٥٢٧):ص٥١٧/١١.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٧٥):ص١٣٣٩/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٩)، (١٣٥٣٠):ص٥١٧/١١.
(١٠) أخرجه الطبري(١٣٥٣٠):ص٥١٧/١١.
(١١) أخرجه الطبري(١٣٥٢٩):ص٥١٧/١١.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٧٨):ص١٣٣٩/٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٧٤):ص١٣٣٩/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون:١٤٠/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٥١٨/١١.

منها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« سبحان الله يا أم الربيع القصاص كتاب الله» قالت: والله لا يقتص منها أبدا. قال: فما زالت حتى قبلوا الدية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»(١). فأحال رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول:{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} [المائدة : ٤٥]" الآية. وليس في كتاب الله تعالى نص على القصاص في السن إلا في هذه الآية، وهي خبر عن شرع التوراة ومع ذلك فحكم بها وأحال عليها. وإلى هذا ذهب معظم أصحاب مالك وأصحاب الشافعي، وأنه يجب العمل بما وجد منها"(٢).

القرآن

{أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)} [الأنعام : ٩٠]

التفسير:

أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فاتبع هداهم -أيها الرسول- واسلك سبيلهم. قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضًا من الدنيا، إنْ أجري إلا على الله، وما الإسلام إلا دعوة جميع الناس إلى الطريق المستقيم وتذكير لكم ولكل مَن كان مثلكم، ممن هو مقيم على باطل، لعلكم تتذكرون به ما ينفعكم.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام : ٩٠]، أي:" أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فاتبع هداهم -أيها الرسول- واسلك سبيلهم"(٣).

قال السعدي:" أي: امش -أيها الرسول الكريم- خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل صلى الله عليه وسلم، فاهتدى بهدي الرسل قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وبهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفضل الرسل كلهم"(٤).

قال البغوي:" أي: هداهم الله، فبسنتهم وسيرتهم، {اقتده}"(٥).

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : { أُولَئِكَ } يعني : الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه { الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ } أي : هم أهل الهداية لا غيرهم ، { فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ } أي : اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرا للرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به"(٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم جل ثناؤه لذلك، فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه احمد(١٤٠٢٨):ص٤٢٥/٢١-٤٢٦، ومسلم (١٦٧٥) ،والنسائي ٢٦/٨-٢٧،وأبو يعلى (٣٥١٩) ،وأبوعوانة في الحدود كما في "إتحاف المهرة" ٤٩٧/١،والبيهقي ٣٩/٨ و٦٤،وابن الأثير في "أسد الغابة" ١٠٩/٧ من طرق عن عفان.

وأخرجه عبد بن حميد (١٣٥٠) ،وأبو عوانة من طريق سليمان بن حرب،وأبو يعلى (٣٣٩٦) ،وعنه ابن حبان (٦٤٩١) من طريق إبراهيم بن الحجاج السامي،كلاهما عن حماد بن سلمة، به.

وعلقه البخاري ٢١٤/١٢ في كتاب الديات: باب القصاص بين الرجال والنساء في الجراحات، قال: وجرحت أخت الربيع إنسانا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "القصاص ".

(٢) تفسير القرطبي:٣٥/٧.

(٣) التفسير الميسر:١٣٨.

(٤) تفسير السعدي:٢٦٣.

(٥) تفسير البغوي:١٦٦/٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.

{اقتده}، يا محمد، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى"[1].

وأما على تأويل من تأول ذلك: أن القوم الذين وكّلوا بها هم أهل المدينة أو: أنهم هم الملائكة فإنهم جعلوا قوله:{فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، اعتراضًا بين الكلامين، ثم ردّوا قوله:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، على قوله:{أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة}[2].

قال ابن عباس:" ثم قال في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية:{فبهداهم اقتده}"[3].

وعن العوام قال: "سمعت مجاهدا، عن السجدة التي في، قال: نعم سألت ابن عباس فقرأ هذه الآية: {من ذريته داود وسليمان} إلى قوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، قال: أمر نبيكم أن يقتدي بداود صلى الله عليه وسلم"[4].

عن ابن جريج قوله:"{ووهبنا له إسحاق ويعقوب}، إلى قوله:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، يا محمد"[5].

عن ابن زيد قوله:"{أولئك الذين هدى الله}، يا محمد،{فبهداهم اقتده}، ولا تقتد بهؤلاء"[6].

قال السدي:" ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}"[7].

قال الزمخشري:" قوله:{فبهداهم اقتده}، أي: فاختص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد إلا بهم. وهذا معنى تقديم المفعول، والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع، فإنها مختلفة وهي هدى، ما لم تنسخ. فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا"[8].

و«الاقتداء» في كلام العرب، بالرجل: اتباع أثره، والأخذ بهديه. يقال:فلان يقدو فلانًا، إذا نحا نحوه، واتبع أثره،قِدَة، وقُدوة وقِدوة وقِدْيَة[9].

والهاء في قوله: {اقتده} هاء الوقف، وحذف حمزة والكسائي الهاء في الوصل، والباقون بإثباتها وصلا ووقفا، وقرأ ابن عامر: «اقتده»، بإشباع الهاء كسرا [10].

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الأنعام : ٩٠]، أي:" قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضًا من الدنيا"[11].

قال ابن عباس:"قل لهم يا محمد: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجرا"[12].

وفي رواية اخرى عنه- أيضا-:" يقول: عرضا من عرض الدنيا"[13].

قال عطاء بن دينار:" يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا"[14].

قال ابن زيد:" يقول: لا أسألكم على القرآن أجرا"[1].

---

(١) تفسير الطبري:٥١٨/١١-٥١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٥١٩/١١.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٥٣٤):ص٥٢٠/١١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٧٩):ص١٣٤٠/٤.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٥٣١):ص٥١٩/١١.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٥٣١):ص٥١٩/١١.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٥٣٣):ص٥١٩/١١.
(٨) الكشاف:٤٣/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٢٠/١١.
(١٠) انظر: تفسير البغوي:١٦٦/٣.
(١١) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٨٢):ص١٣٤٠/٤.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٨٥):ص١٣٤٠/٤.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٨٣):ص١٣٤٠/٤.

قال ابن كثير:" أي : لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن { أَجْرًا } أي : أجرة ، ولا أريد منكم شيئا "[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكّرهم بآياتي، أن تبسَل نفس بما كسبت، من مشركي قومك يا محمد:{لا أسألكم}، على تذكيري إياكم، والهدى الذي أدعوكم إليه، والقرآن الذي جئتكم به، عوضًا أعتاضه منكم عليه، وأجرًا آخذه منكم"[٣].

قال السعدي:" {قُلْ} للذين أعرضوا عن دعوتك: {لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} أي: لا أطلب منكم مغرما ومالا جزاء عن إبلاغي إياكم، ودعوتي لكم فيكون من أسباب امتناعكم، إن أجري إلا على الله"[٤].

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام : ٩٠]، أي:" ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير لجميع الخلق"[٥].

قال البغوي:" أي: تذكرة وعظة{ لِلْعَالَمِينَ}"[٦].

قال ابن كثير:" أي : يتذكرون به فَيُرْشَدُوا من العمى إلى الهدى ، ومن الغي إلى الرشاد ، ومن الكفر إلى الإيمان "[٧].

قال الطبري:أي:" وما ذلك مني إلا تذكير لكم، ولكل من كان مثلكم ممن هو مقيم على باطل، بَأسَ الله أن يَحُلّ بكم، وسَخَطه أن ينزل بكم على شرككم به وكفركم = وإنذارٌ لجميعكم بين يدي عذاب شديد، لتذكروا وتنزجروا"[٨].

قال السعدي:أي:" يتذكرون به ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيذرونه، ويتذكرون به معرفة ربهم بأسمائه وأوصافه. ويتذكرون به الأخلاق الحميدة، والطرق الموصلة إليها، والأخلاق الرذيلة، والطرق المفضية إليها، فإذا كان ذكرى للعالمين، كان أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، فعليهم قبولها والشكر عليها"[٩].

الفوائد:

١- وجوب الاقتداء بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل العلم والصلاح من هذه الأمة.
٢- حرمة أخذ الأجرة على تبليغ الدعوة الإسلامية.
٣- القرآن الكريم ذكرى لكل من يقرأه أو يستمع إليه وهو شهيد حاضر القلب.

القرآن

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)} [الأنعام : ٩١]

التفسير:

وما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه; إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه. قل لهم -أيها الرسول-: إذا كان الأمر كما تزعمون، فمن الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه نورًا للناس وهداية لهم؟ ثم توجه الخطاب إلى اليهود زَجْرًا

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٨٤):ص١٣٤٠/٤.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.
(٣) تفسير الطبري:٥٢٠/١١.
(٤) تفسير السعدي:٢٦٣.
(٥) صفوة التفاسير:٣٧٥/١.
(٦) تفسير البغوي:١٦٦/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٢٩٩/٣.
(٨) تفسير الطبري:٥٢٠/١١.
(٩) تفسير السعدي:٢٦٣.

لهم بقوله: تجعلون هذا الكتاب في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتمون كثيرًا منها، ومما كتموه الإخبار عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وعلَّمكم الله معشر العرب بالقرآن -الذي أنزله عليكم، فيه خبر مَن قبلكم ومَن بعدكم، وما يكون بعد موتكم- ما لم تعلموه أنتم ولا آباؤكم، قل: الله هو الذي أنزله، ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}؛ يعني: من بني إسرائيل، قالت اليهود: يا محمد! أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: "نعم"، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً؟ قال: فأنزل الله: قل يا محمد: {مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} , قال: "الله أنزله" [(١)]. [حسن]

والثاني: قال سعيد بن جبير: "جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف يخاصم النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى: أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين"، وكان حبراً سميناً؛ فغضب، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء؛ فأنزل الله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)}"[(٢)]. [ضعيف]

وفي السياق نفسه قال عكرمة:" نزلت في مالك بن الصيف ، كان من قريظة ، من أحبار يهود :{قل} يا محمد {من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس}، الآية"[(٣)].[ضعيف]

والثالث: وروي عن السدي : "{وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء}، قال : قال فنحاص اليهوديّ : ما أنزل الله على محمد من شيء!"[(٤)].

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٤٠):ص٥٢٣/١١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤١ رقم ٧٥٩١) من طريق المثنى وأبي حاتم الرازي كلاهما عن عبد الله بن صالح كاتب الليث ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قلنا: وهذا سند حسن -إن شاء الله-، وقد أعلّ بالانقطاع بين علي وابن عباس وبضعف عبد الله بن صالح، وليس هذا بشيء؛ كما تقدم بيانه في أكثر من حديث.

وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٣) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٢)أخرجه الطبري في "جامعالبيان" (١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٢ رقم ٧٥٩٧) من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: جعفر بن أبي المغيرة؛ ليس بالقوي في سعيد؛ كما قال ابن منده.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٤) وزاد نسبته لابن المنذر.

(٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٣٦):ص٥٢٢/١١ -: ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٤) أخرجه الطبري(١٣٥٣٧):ص٥٢٢/١١.

قلنا: وهذا -أيضاً- ضعيف؛فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

والرابع: وقال محمد بن كعب القرظي:" جاء ناس من يهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو محتب، فقالوا: يا أبا القاسم! ألا تأتينا بكتاب من السماء؛ كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله؟ فأنزل الله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} [النساء: ١٥٣]؛ فجثا رجل من يهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)}"(١). [ضعيف]

والخامس: وعن محمد بن كعب القرظي -أيضا-؛ قال: "أمر الله محمداً أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسدهم أن يكفروا بكتاب الله ورسله، فقالوا: {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}؛ فأنزل الله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. . .}، ثم قال: يا محمد! هلم لك إلى الخبير، ثم أنزل: {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٩] {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٤]"(٢). [ضعيف]

قوله تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، أي:" وما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وما عظموا الله حق تعظيمه ، إذ كذبوا رسله إليهم"(٤).

قال القرطبي:" أي: فيما وجب له واستحال عليه وجاز"(٥).

قال الزمخشري:أي:" وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحى إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم، ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة. والقائلون هم اليهود"(٦).

قال السعدي:" هذا تشنيع على من نفى الرسالة، من اليهود والمشركين وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه حق عظمته، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملا لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة، امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأي قدح في الله أعظم من هذا؟ "(٧).

وفي قوله تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، أربعة تاويلات:

أحدها : وما عظموه حق عظمته، قاله الحسن(٨)، والسدي(٩)، وميكائيل(١٠)، والفراء(١١)، والزجاج (١).

الثانية: وضعف أسباط.

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٣٨):ص٥٢٢/١١-٥٢٣من طريق أبي معشر المدني عن محمد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر؛ضعيف، وكان أسن واختلط.

(٢)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٥) ونسبه لأبي الشيخ.

(٣) التفسير الميسر:١٣٩.

(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣.

(٥) تفسير القرطبي:٣٧/٧.

(٦) الكشاف:٤٤/٢.

(٧) تفسير السعدي:٢٦٤.

(٨) انظر: النكت والعيون:١٤١/٢.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٩٠):ص١٣٤١/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٨٩):ص١٣٤١/٤.

(١١) انظر: معاني القرآن:٣٤٣/١.

والثاني : وما عرفوه حق معرفته ، قاله أبو عبيدة(٢).
والثالث : وما وصفوه حق صفته ، قاله الخليل(٣).
والرابع : وما آمنوا بأن الله على كل شيء قدير ، قاله ابن عباس(٤).
والخامس. معناه: ما علموا كيف هو حيث كذبوا. قاله محمد بن كعب(٥).
قوله تعالى:{إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٩١]، أي:" إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه"(٦).
وفي هذا الكتاب الذي أنكروا نزوله قولان :
أحدهما : أنه التوراة ، أنكر حبر اليهود فيما أنزل منها ما روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى هذا الحبر اليهودي سميناً ، فقال له :«أَمَا تَقْرَءُونَ فِي التَّوراةِ : أَنَّ اللَّه يَبْغَضُ الحَبْرَ السَّمِينَ» فغضب من ذلك وقال : ما أنزل الله على بشر من شيء ، فتبرأت منه اليهود ولعنته ، حكاه ابن بحر(٧).
والقول الثاني : أنه القرآن أنكروه رداً لأن يكون القرآن مُنَزَّلاً .
وفي قائل ذلك قولان :
أحدهما : أنهم مشركي قريش . قاله ابن عباس(٨)، ومجاهد(٩)، واختاره الطبري(١٠)، وابن كثير(١١).
قال ابن كثير:" هو الأظهر ؛ لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش - والعرب قاطبة - كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر ، كما قال تعالى { أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ [وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [يونس : ٢] ، وقال تعالى : { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا * قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا } [الإسراء : ٩٤ ، ٩٥] ، وقال هاهنا : { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ }"(١٢).
والثاني : اليهود. وهذا قول محمد بن كعب القرظي(١٣)، وهو مروي عن ابن عباس ايضا(١٤).
وقال قتادة:" هم اليهود والنصارى ، قوم آتاهم الله علمًا فلم يقتدوا به، ولم يأخذوا به ، ولم يعملوا به ، فذمهم الله في عملهم ذلك. ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : إن من أكثر ما أنا مخاصَمٌ به غدًا أن يقال : يا أبا الدرداء ، قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت؟"(١٥).
قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : عني بقوله {وما قدروا الله حق قدره}، مشركو قريش. وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولا فأن يكون ذلك أيضًا خبرًا عنهم ، أشبهُ من أن يكون خبرًا عن اليهود ولما يجر لهم ذكرٌ يكون هذا به

---

(١) انظر: معاني القرآن:٢/٢٧١.
(٢) انظر: مجاز القرآن:١/٢٠٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢/١٤١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤٢):ص١١/٥٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٨٨):ص٤/١٣٤١.
(٦) التفسير الميسر:١٣٩.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢/١٤١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤٢):ص١١/٥٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤١)، و(١٣٥٤٣):ص١١/٥٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١١/٥٢٤-٥٢٥.
(١١) انظر: تفسير ابن كثير:٣/٣٠٠.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٣٨):ص١١/٥٢٢-٥٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤٠):ص١١/٥٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري(١٣٥٣٩):ص١١/٥٢٣.

متصلا مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية ، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئًا من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود : الإقرار بصُحُف إبراهيم وموسى ، وزبور داود. وإذا لم يأت بما روي من الخبر ، بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود ، خبرٌ صحيح متصل السند ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعٌ وكان الخبر من أوّل السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان وكان قوله : {وما قدروا الله حق قدره}، موصولا بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندّعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل، ولكني أظن أن الذين تأوّلوا ذلك خبرًا عن اليهود ، وجدوا قوله : " قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم " ، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة ، فقرءوه على وجه الخطاب لهم : {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ}، فجعلوا ابتداء الآية خبرًا عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطابًا لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل ، لما وصفت قبل من أن قوله : {وما قدروا الله حق قدره}، في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبرًا عنهم، والأصوب من القراءة في قوله : (يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) ، أن يكون بالياء لا بالتاء ، على معنى : أنّ اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا ، ويكون الخطاب بقوله : {قل من أنزل الكتاب}، لمشركي قريش. وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ"(١).

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاس} [الأنعام : ٩١]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: إذا كان الأمر كما تزعمون، فمن الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه نورًا للناس وهداية لهم؟"(٢).

قال ابن كثير:" أي : قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله ، في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة : { مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } يعني : التوراة التي قد علمتم - وكل أحد - أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نورًا وهدى للناس ، أي : ليستضاء بها في كشف المشكلات ، ويهتدى بها من ظلم الشبهات"(٣).

قوله تعالى:{تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا} [الأنعام : ٩١]، أي:" تجعلون هذا الكتاب- يا معشر اليهود- في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتمون كثيرًا منها"(٤).

قال ابن كثير:" أي : يجعلها حَمَلَتُهَا قراطيس ، أي : قِطَعًا يكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديهم ويحرفون فيها ما يحرفون ويبدلون ويتأولون ، ويقولون : { هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } [البقرة : ٧٩] ، أي : في كتابه المنزل ، وما هو من عند الله ؛ ولهذا قال : { تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا }"(٥).

قوله تعالى:{وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ} [الأنعام : ٩١]، أي:" أي عُلِّمتم يا معشر اليهود من دين الله وهدايته في هذا القرآن ما لم تعلموا به من قبل لا أنتم ولا آباؤكم"(٦).

قال مجاهد:"{وعلمتم}، معشرَ العرب {ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}"(٧).

وعن عبد الله بن كثير : "إنه سمع مجاهدًا يقول في قوله : {وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}، قال : هذه للمسلمين"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٥٢٤/١١-٥٢٥.
(٢) التفسير الميسر:١٣٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٣٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣.
(٦)صفوة التفاسير:٣٧٥/١.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٥٤٧):ص٥٢٧/١١.

قال ابن كثير:" أي : ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ، ونبأ ما يأتي ما لم تكونوا تعلمون ذلك أنتم ولا آباؤكم"(٢).

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ} [الأنعام : ٩١]، أي:" قل: الله هو الذي أنزله"(٣).

قال ابن عباس:" قال : الله أنزله"(٤).

قال القرطبي:" أي: قل يا محمد: الله الذي أنزل ذلك الكتاب على موسى وهذا الكتاب علي. أو قل الله علمكم الكتاب"(٥).

قال البغوي:" هذا راجع إلى قوله {قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى} فإن أجابوك وإلا فقل أنت: الله، أي: قل أنزله الله"(٦).

قال السعدي:أي:" فإذا سألتهم عمن أنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات، فأجب عن هذا السؤال. و {قل الله} الذي أنزله، فحينئذ يتضح الحق وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة، ثم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام"(٧).

قال الطبري:"قوله :{قل الله}، فإنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يجيبَ استفهامَه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله : {قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا}، بقيل الله ، كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله : {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} ، [سورة الأنعام : ٦٣]. فأمره باستفهام المشركين عن ذلك ، كما أمره باستفهامهم إذ قالوا : {ما أنزل الله على بشر من شيء}، عمن أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس. ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله : { قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ } [سورة الأنعام : ٦٤] ، كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله : الله أنزله على موسى"(٨).

وفي قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ} [الأنعام : ٩١]، وجهان:

احدهما: معناه: قل : الله أنزله. وهذا قول ابن عباس(٩).

والثاني: معناه: لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة ، كلمة : «الله». حكاه ابن كثير عن بعضهم(١٠).

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة ، لا ما قاله بعض المتأخرين ، من أن معنى { قُلِ اللَّهُ } أي : لا يكون خطاب لهم إلا هذه الكلمة ، كلمة : «الله». وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمرًا بكلمة مفردة من غير تركيب ، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها"(١١).

قوله تعالى:{ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام : ٩١]، أي:"ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون"(١٢).

قال قتادة:" فذمهم الله في عملهم ذلك"(١٣).

---

(١) أخرجه الطبري(١٣٥٤٨):ص٥٢٨/١١.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣-٣٠١.
(٣) التفسير الميسر:١٣٩.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٥٤٩):٥٢٨/١١.
(٥) تفسير القرطبي:٣٨/٧.
(٦) تفسير البغوي:١٦٧/٣.
(٧) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٨) تفسير الطبري:٥٢٨/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤٩):٥٢٨/١١.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.
(١٢) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٠٩):ص١٣٤٤/٤.

قال القرطبي:" أي: لاعبين، ولو كان جوابا للأمر لقال: يلعبوا. ومعنى الكلام التهديد. وقيل: هو من المنسوخ بالقتال"(١).

قال ابن كثير:" أي : ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون ، حتى يأتيهم من الله اليقين فسوف يعلمون ألهم العاقبة ، أم لعباد الله المتقين ؟"(٢).

قال السعدي:" أي: اتركهم يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بما لا فائدة فيه، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون"(٣).

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم ذَرْ هؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، بعد احتجاجك عليهم في قيلهم :{ما أنزل الله على بشر من شيء} ، بقولك : {من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس}، وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله : الله الذي أنزل عليك كتابه {في خوضهم}، يعني : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته {يلعبون}، يقول : يستهزئون ويسخرون، وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين وتهدُّد لهم : يقول الله جل ثناؤه : ثم دعهم لاعبين ، يا محمد. فإني من وراء ما هم فيه من استهزائهم بآياتي بالمرصاد ، وأذيقهم بأسي ، وأحلّ بهم إن تمادوا في غَيِّهم سَخَطي"(٤).

الفوائد:

١- كل من كذب الله تعالى أو أشرك به أو وصفه بوصف لا يليق بجلاله فإنه لم يقدر الله حق قدره.
٢- بيان تلاعب اليهود بكتاب الله في إبداء بعض أخباره وأحكامه وإخفاء بعض آخر وهو تصرف ناتج من الهوى واتباع الشهوات وإيثار الدنيا على الآخرة.
٣- بيان فضل الله على العرب بإنزال هذا الكتاب العظيم عليهم بلغتهم لهدايتهم.
٤- تعليم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيفية الحجاج والرد على المجادلين والكاذبين.

القرآن

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)} [الأنعام : ٩٢]

التفسير:

وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك -أيها الرسول- عظيم النفع، يشهد على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله، أنزلناه لنخوِّف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها. والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها.

قوله تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" وهذا القرآن الذي أُنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبارك كثير النفع والفائدة"(٥).

قال قتادة:" هو القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم"(٦).

قال ابن كثير:" قوله : { وَهَذَا كِتَابٌ } يعني : القرآن"(٧).

(١) تفسير القرطبي:٣٨/٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٤) تفسير الطبري:٥٢٩/١١.
(٥) صفوة التفاسير:٣٧٥/١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦١٠):ص١٣٤٤/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.

قال البغوي:" أي: القرآن كتاب مبارك أنزلناه"[١].

قال القرطبي:" يعني: القرآن، بورك فيه، والبركة الزيادة"[٢].

قال السعدي أي:القرآن، وَصفُه البركة، وذلك لكثرة خيراته، وسعة مبراته"[٣].

قوله تعالى:{مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" يشهد على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله"[٤].

عن أبي العالية: {مصدق الذي بين يديه}، يعني: من التوراة والإنجيل"[٥].

عن عباس: قوله: "{مصدق}، قال: شاهد"[٦].

وعن ابن عباس أيضا:"{مصدق}، يقول: مصدق الذي بين يديه يقول: لما قبله من الكتب التي أنزلها الله والآيات والرسل الذين بعثهم الله بالآيات، نحو موسى وعيسى ونوح وهود وشعيب وصالح وأشباههم من المرسلين: مصدق يقول: وأنت تتلو عليهم يا محمد وتخبرهم به غدوة وعشيا وبين ذلك، وأنت عندهم أميا لم تقرأ كتابا ولم تبعث رسولا، وأنت تخبرهم بما في أيديهم على وجهه وصدقه، يقول الله، في ذلك لهم عبرة وبيان عليهم حجة لو كانوا يعقلون"[٧].

قوله تعالى:{وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام : ٩٢]، أي:" أنزلناه لنخوِّف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها"[٨].

قال السعدي " أي: وأنزلناه أيضا لتنذر أم القرى، وهي: مكة المكرمة، ومن حولها، من ديار العرب، بل، ومن سائر البلدان. فتحذر الناس عقوبة الله، وأخذه الأمم، وتحذرهم مما يوجب ذلك"[٩].

قال البغوي:" أراد أهل أم القرى، {ومن حولها} أي: أهل الأرض كلها شرقا وغربا"[١٠].

قال الطبري:" يقول : أنزلنا إليك ، يا محمد ، هذا الكتاب مصدِّقًا ما قبله من الكتب ، ولتنذِر به عذابَ الله وبأسَه مَنْ في أم القرى ، وهي مكة {ومن حولها}، شرقًا وغربًا ، من العادلين بربّهم غيره من الآلهة والأنداد ، والجاحدين برسله ، وغيرهم من أصناف الكفار"[١١].

قال ابن كثير:" {أُمَّ الْقُرَى } يعني : مكة { وَمَنْ حَوْلَهَا } من أحياء العرب ، ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم ، كما قال في الآية الأخرى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف : ١٥٨] ، وقال { لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام : ١٩] ، وقال { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود : ١٧] ، وقال { تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى

---

(١) تفسير البغوي:١٦٨/٣.
(٢) تفسير القرطبي:٣٨/٧.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٤) التفسير الميسر:١٣٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦١٣):ص١٣٤٥/٤.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦١١):ص١٣٤٤/٤.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦١٢):ص١٣٤٤/٤.
(٨) التفسير الميسر:١٣٩.
(٩) تفسير السعدي:٢٦٤.
(١٠) تفسير البغوي:١٦٨/٣.
(١١) تفسير الطبري:٥٣٠/١١-٥٣١.

عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان : ١] ، وقال { وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران : ٢٠] ، وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أعْطِيتُ خمسًا لم يُعْطَهُنّ أحد من الأنبياء قبلي»، وذكر منهن : «وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة»[١]"[٢].

قال ابن عباس:" يعنى بـ{أم القرى}، مكة، {ومن حولها}، من القرى إلى المشرق والمغرب"[٣].

وفي سبب تسمية مكة بـ«أمّ القُرَى» خمسة أقوال:

أحدها : لأنها مجتمع القرى ، كما يجتمع الأولاد إلى الأم [٤].

والثاني : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرى نشأت عنها ، قاله السدي[٥].

والثالث:سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل. وهذا معنى قول قتادة[٦]، وبه قال البغوي[٧].

قال قتادة:" بلغني أن الأرض دُحِيَتْ من مكة"[٨].

والرابع : لأنها معظمة كتعظيم الأم، فكانت أعظم القرى شأنا. قاله الزجاج[٩]، قال الزمخشري[١٠]:

فمن يلق في بعض القريات رحله فأم القرى ملقى رحالي ومنتابى

والخامس : لأن الناس يؤمونها من كل جانب ، أي يقصدونها . قاله الزجاج ايضا[١١].

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «ولينذر»، بالياء، أي: ولينذر الكتاب [١٢].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله"[١٣].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.
(٣) أخرجه الطجبري(١٣٥٥٠):ص٥٣١/١١.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٤٢/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٤):ص٥٣١/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٢):ص٥٣١/١١.
(٧) انظر: تفسير البغوي:١٦٨/٣.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٥٥٢):ص٥٣١/١١.
(٩) انظر: معاني القرآن:٢٧١/٢.
(١٠) الكشاف:٤٥/٢، يفتخر بمكة وسكانها. والقريات- بالتشديد-: للتصغير. ورحل الشخص مسكنه ولو من شعر، أى: فمن يلق رحله في بعض القرى الصغيرة. فلا فخر له على، فان مكة محط رحالي ومنتابى، أى محل انتيابى أى دخولى فيها توبة بعد أخرى، وإلقاء الرحل: كناية عن الاقامة، لأنها تلزمه عرفا. وملقى على زنة اسم المفعول اسم لمكان الإلقاء، كمتاب لمكان الانتياب.
(١١) انظر: معاني القرآن:٣٥٩/٢.
(١٢) انظر: تفسير البغوي:١٦٨/٣.
(١٣) التفسير الميسر:١٣٩.

قال ابن كثير:" أي : كل من آمن بالله واليوم الآخر آمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد ، وهو القرآن"(١).

قال الطبري:يقول:" ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعادِ في الآخرة إلى الله ، ويصدِّق بالثواب والعقاب ، فإنه يؤمن بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك ، يا محمد ، ويصدق به ، ويقرّ بأن الله أنزله.. لأنه منذرُ من بلغه وعيدَ الله على الكفر به وعلى معاصيه ، وإنما يجحد به وبما فيه ويكذِّب ، أهل التكذيب بالمعاد ، والجحود لقيام الساعة ، لأنه لا يرجو من الله إن عمل بما فيه ثوابًا ، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابًا"(٢).

قال السعدي " لأن الخوف إذا كان في القلب عمرت أركانه، وانقاد لمراضي الله"(٣).

وفي رجوع الضمير في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [الأنعام : ٩٢]، ثلاثة اقوال:

أحدها : إلى الكتاب ، وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون بهذا الكتاب ، قاله الكلبي(٤).

والثاني: إلى محمد-صلى الله عليه وسلم-. وتقديره : والذين يؤمنون بالآخرة ، يؤمنون بمحمد -صلى الله عليه وسلم- لِمَا قد أظهر الله تعالى من معجزته وأبَانَه الله من صدقه ، نقله الماوردي عن الفراء(٥).

والثالث : إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- والتنزيل. قاله الفراء(٦).

قال القرطبي:" {يؤمنون به}، يريد: أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، بدليل قوله: {وهم على صلاتهم يحافظون} إيمان من آمن بالآخرة ولم يؤمن بالنبي عليه السلام ولا بكتابه غير معتد به"(٧).

قال الماوردي:"فإن قيل : فيمن يؤمن بالآخرة من أهل الكتاب لا يؤمنون به ؟ قيل : لا اعتبار لإيمانهم بها لتقصيرهم في حقها ، فصاروا بمثابة من لم يؤمن بها"(٨).

قوله تعالى:{وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها"(٩).

قال ابن كثير:" أي : يقومون بما افترض عليهم ، من أداء الصلوات في أوقاتها"(١٠).

قال الطبري:يقول:" ويحافظ على الصلوات المكتوبات التي أمرَه الله بإقامتها"(١١).

قال البغوي:" يعني: الصلوات الخمس، {يحافظون} يداومون، يعني: المؤمنين"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.
(٢) تفسير الطبري:٥٣٢/١١.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٤٣/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٤٣/٢، ولم أجده في معاني القرآن.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣٤٤/١.
(٧) تفسير القرطبي:٣٨/٧.
(٨) النكت والعيون:١٤٣/٢.
(٩) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣.
(١١) تفسير الطبري:٥٣٢/١١.

قال السعدي " أي: يداومون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وشروطها وآدابها، ومكملاتها. جعلنا الله منهم"[٢].

الفوائد:

١- ثناء الله تعالى على القرآن بأنه كتاب مبارك، فقال تعالى:{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}.
٢- بيان علة ونزول الكتاب وهي الإيمان به وإنذار المكذبين والمشركين.
٣- الإيمان بالآخرة سبب لكل خير، والكفر به سبب لكل باطل وشر.

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)} [الأنعام : ٩٣]

التفسير:

ومَن أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلق على الله تعالى قولا كذبًا، فادعى أنه لم يبعث رسولا من البشر، أو ادعى كذبًا أن الله أوحى إليه ولم يُوح إليه شيئًا، أو ادَّعى أنه قادر على أن يُنْزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنك أبصرت -أيها الرسول- هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمرًا هائلا والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أن أولها، إلى قوله: { وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}، نزل في مسيلمة الكذاب. قاله عكرمة[٣]، وابن جريج[٤].

وقوله تعالى: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٥]. وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح[١]، وابن جريج[٢].

---

(١) تفسير البغوي:١٦٨/٣.
(٢) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١-٥٣٤.
(٤) انظر: الدر المنثور:٣١٧/٣.
(٥) قال أبو عمر: "عبد الله بْن السعدي...أسلم قبل الْفَتْح، وهاجر، وكَانَ يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارتد مشركا، وصار إِلَى قريش بمكة، فَقَالَ لهم: إِنِّي كنت أصرف محمدا حيث أريد، كَانَ يملي علي: «عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[البقرة: ٢٠٩] فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب. فلما كَانَ يَوْم الْفَتْح أمر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله، وقتل عَبْد اللَّهِ بْن خطل، ومقيس بْن حبابة، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففر عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي السرح إِلَى عُثْمَان، وكَانَ أخاه من الرضاعة، أرضعت أمه عُثْمَان، فغيبه عُثْمَان حَتَّى أتى بِهِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم بعد ما اطمأن أهل مكة، فاستأمنه لَهُ، فصمت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلا، ثُمَّ قَالَ:نعم. فلما انصرف عُثْمَان قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن حوله: مَا صمت إلا ليقوم إِلَيْهِ بعضكم فيضرب عنقه. وقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يَا رَسُول اللَّهِ؟ فَقَالَ: إن النَّبِيّ لا ينبغي أن يكون لَهُ خائنة الأعين.

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- :"قوله تعالى: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ} أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)} [المؤمنون: ١٢ - ٤٢]؛ عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هكذا أنزلت عليّ"، فشك عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، وذلك قوله: {سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ} وارتد عن الإسلام "[٣].[موضوع]

عن عكرمة قوله: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}؛ نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي بني عامر بن لؤي كان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان فيما يملي: {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فيكتب: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} فيغيره، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل، فيقول: نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وقال لهم: لقد كان ينزل عليه {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فأحوّله، ثم أقول لما أكتب فيقول: نعم سواء، ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي - صلى الله عليه وسلم – بمر"[٤]. [ضعيف جداً]

وأسلم عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي السرح أيام الفَتْح، فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عَلَيْهِ بعد ذَلِكَ، وَهُوَ أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش، ثُمَّ ولاه عُثْمَان بعد ذَلِكَ مصر فِي سنة خمس وعشرين، وفتح على يديه إفريقية .سنة سبع وعشرين، وَكَانَ فارس بني عَامِر بْن لؤي المعدود فيهم، وَكَانَ صاحب ميمنة عَمْرو بْن العَاص فِي افتتاحه وفي حروبه هناك كلها. وولى حرب مصر لعثمان أيضا، فلما ولاه عمان، وعزل عنها عَمْرو بْن العَاص جعل عَمْرو بْن العَاص يطعن على عُثْمَان أيضا، ويؤلب عَلَيْهِ، ويسعى فِي إفساد أمره، فلما بلغه قتل عُثْمَان وَكَانَ معتزلا بفلسطين قَالَ: إِنِّي إذا نكأت قرحة أدميتها، أو نحو هَذَا.

حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا الحسن بن رشيق، حدثنا الدولابي، حدثنا أبو بكر الوجيهي ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ الْوَجِيهِ، قَالَ: فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ انْتُقِضَتِ الإِسْكَنْدَرِيَّةُ، فَافْتَتَحَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَى الذُّرِّيَةَ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِرَدِّ السَّبْيِ الَّذِينَ سُبُوا مِنَ الْقُرَى إِلَى مَوَاضِعِهِمْ لِلْعَهْدِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ، وَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُ نَقْضُهُمْ، وَعَزَلَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَكَانَ ذَلِكَ بَدْءُ الشَّرِّ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

وأما عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أَبِي سرح فافتتح إفريقية من مصر سنة سبع وعشرين، وغزا منها الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وَهُوَ الَّذِي هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم، وغزا الصواري فِي البحر من أرض الروم سنة أربع وثلاثين، ثُمَّ قدم على عُثْمَان. واستخلف على مصر السائب بن هشام ابن عَمْرو العامري، فانتزى عَلَيْهِ مُحَمَّد بْن أَبِي حذيفة بْن عُتْبَة بْن رَبِيعَة، فخلع السائب، وتأمر على مصر، ورجع عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد من وفادته، فمنعه ابْن أَبِي حذيفة من دخول الفسطاط فمضى إِلَى عسقلان، فأقام بها حتى قتلعُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: بل أقام بالرملة حَتَّى مات، فارا من الفتنة، ودعا ربه فَقَالَ: اللَّهمّ اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فتوضأ ثُمَّ صَلَّى الصبح، فقرأ فِي الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، ثُمَّ سلم عَنْ يمينه، وذهب يسلم عَنْ يساره، فقبض الله روحه، ذكر ذَلِكَ كله يَزِيد بْن أَبِي حَبِيب وغيره، ولم يبايع لعلي ولا لمعاوية، وكانت وفاته قبل اجتماع الناس على مُعَاوِيَة، وقيل: إنه توفي بإفريقية، والصحيح أَنَّهُ توفي بعسقلان سنة ست أو سبع وثلاثين".[الاستيعاب في معرفة الأصحاب:٩١٨/٣-٩٢٠].

(١) انظر: أسباب النزول" :٢٢٠.

(٢) انظر: الدر المنثور:٣١٧/٣.

(٣)ذكره الواحدي في "أسباب النزول" :٢٢٠معلقاً وهومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.
قلنا: وهذاحديثموضوع.

(٤)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان (١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١-٥٣٤ -: ثني حجاج عن ابن جريج عنه به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

وعن ابن جريج في قوله: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}؛ قال: نزلت في مسيلمة الكذاب ونحوه ممن دعا إلى مثل ما دعا إليه، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح"[١]. [ضعيف]

والثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد. وهذا قول السدي[٢]، وأبي خلف الأعمى[٣]، وشرحبيل بن سعد[٤].

عن السدي: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}؛ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وكان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فكان إذا أملى عليه: {سَمِيعًا عَلِيمًا} كتب هو: {عَلِيمًا حَكِيمًا} وإذا قال: {عَلِيمًا حَكِيمًا} كتب: {سَمِيعًا عَلِيمًا}؛ فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه؛ فقد أوحي إليّ، وإن كان ينزله؛ فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: {سَمِيعًا عَلِيمًا}؛ فقلت أنا: {عَلِيمًا حَكِيمًا}، فلحق بالمشركين، ووشي بعمار وجبير عند ابن الحضرمي - أو لبني عبد الدار-؛ فأخذوهم، فعُذّبوا؛ حتى كفروا، وجدع أذن عمار يومئذ، فانطلق عمار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بما لقي والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتولاه؛ فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه من كفر بالله من بعد إيمانه: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} فالذي أكره؛ عمار وأصحابه، والذي شرح بالكفر صدراً؛ ابن أبي سرح "[٥]. [ضعيف]

وعن أبي خلف الأعمى؛ قال: "كان ابن أبي سرح يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح! كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت؛ فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)}"[٦]. [ضعيف جداً]

عن شرحبيل بن سعد؛ قال: "نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة؛ أتى به عثمان رسول الله فاستأمن له"[٧]. [ضعيف]

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ
(١)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٧) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٢) انظر: (١٣٥٥٦):ص١١/٥٣٤-٥٣٥.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٧٦٢٤):ص٤/ ١٣٤٦..
(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي:٢٢٠-٢٢١.
(٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٥٦):ص١١/٥٣٤-٥٣٥،وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به.
قلنا: وهذا سند ضعيف ؛فيه علتان:
الأولى: الإعضال.
الثانية: أسباط هذا؛صدوق كثير الخطأ يغرب.
(٦)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٤) من طريق معان بن رفاعة عنه به.
قلنا: إسناده ضعيف جداً.
(٧)أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" :٢٢٠-٢٢١بسند حسن إلى ابن بكير عن ابن إسحاق ثني شرحبيل به.
قلنا: وهذا سند ضعيف ؛ فيه علتان:

والرابع: أنها نزلت في مسيلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة[١].

عن قتادة؛ قال: "ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة، ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب، فكبرا عليّ وأهماني، فأوحي إليّ أن أنفخهما؛ فنفختهما، فطارا، فأولتهما في منامي الكذابين اللذين أنا بينهما: كذاب اليمامة: مسيلمة، وكذاب صنعاء: العنسي، وكان يقال له: الأسود" [٢]. [ضعيف]

قال القرطبي:" {أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء} نزلت في: رحمان اليمامة والأسود العنسي وسجاح زوج مسيلمة، كلهم تنبأ وزعم أن الله قد أوحى إليه"[٣].

والخامس: أن الآية جميعها نزلت في النضر -وهو من بني عبد الدار. قاله عكرمة[٤].

عن عكرمة؛ قال: "لما نزلت: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢)} [المرسلات: ١، ٢]؛ قال النضر -وهو من بني عبد الدار-: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً وقولاً كثيراً؛ فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)} "[٥]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الأنعام : ٩٣]، أي:" ومَن أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلق على الله تعالى قولا كذبًا فجعل له شركاء وأنداداً"[٦].

قال ابن كثير:" أي : لا أحد أظلم ممن كذب على الله ، فجعل له شريكا أو ولدا"[٧].

قال البغوي:" أي: اختلق {على الله كذبا} فزعم أن الله تعالى بعثه نبيا"[٨].

قال الطبري:أي:" ومن أخطأ قولا وأجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبًا ، فادعى عليه أنه بعثه نبيًّا وأرسله نذيرًا ، وهو في دعواه مبطل ، وفي قيله كاذب، وهذا تسفيهٌ من الله لمشركي العرب ، وتجهيلٌ منه لهم ، في معارضة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، والحنفيِّ مسيلمة ، لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أحدهما النبوّة ، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفْيٌ منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاقَ الكذب عليه ودعوى الباطل"[٩].

الأولى: الإرسال.
الثانية: شرحبيل اختلط قبل موته.
(١) انظر: تفسير (١٣٥٥٧):ص٥٣٥/١١.
(٢)أخرجه الطبري (١٣٥٥٧):ص٥٣٥/١١: ثنا بشر بن معاذ العقدي ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة ثنا قتادة به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ وعبد بن حميد
(٣) تفسير القرطبي:٣٩/٧.
(٤) انظر:الدرالمنثور:٣/ ٣١٨.
(٥)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٨) ونسبه لعبد بن حميد.
(٦) انظر: صفوة التفاسير:٣٧٥/١، والتفسير الميسر:١٣٩.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٠١/٣-٣٠٢.
(٨) تفسير البغوي:١٦٨/٣.
(٩) تفسير الطبري:٥٣٢/١١-٥٣٣.

قوله تعالى:{أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" أو ادعى كذبًا أن الله أوحى إليه ولم يُوحِ إليه شيئًا"[١].

قال ابن كثير:أي:" أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس ولم يكن أرسله"[٢].

عن عكرمة قوله : " {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء}، قال : نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به"[٣].

قوله تعالى:{وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" أو ادَّعى أنه قادر على أن يُنْزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟"[٤].

قال ابن عباس:" زعم أنه لو شاء قال مثله يعني الشعر"[٥].

قال ابن كثير:" يعني : ومن ادعى أنه يعارض ما جاء من عند الله من الوحي مما يفتريه من القول ، كما قال تعالى : { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ} [الأنفال : ٣١]"[٦].

قال السعدي " أي: ومن أظلم ممن زعم. أنه يقدر على ما يقدر الله عليه ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله. ويدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته؟"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام : ٩٣]، ثلاثة اقوال:

أحدها : من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة. وهذا قول قتادة [٨].

والثاني : أنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان كتب للنبي صلى الله عليه وسلم. قاله السدي[٩]، وعكرمة[١٠].

والثالث : ما حكاه الحكم عن عكرمة : أنها نزلت في النضر بن الحارث ، لأنه عارض القرآن ، لأنه قال : والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً ، فاللاقمات لقماً[١١].

قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" ولو أنك أبصرت -أيها الرسول- هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمرًا هائلا"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:١٣٩.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١.
(٤) التفسير الميسر:١٣٩.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٥٦٠):ص٥٣٧/١١.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٧) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٥٥٧):٥٣٥/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٦):ص٥٣٤/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري: (١٣٥٧٣):ص٥٤٧/١١.
(١٢) التفسير الميسر:١٣٩.

قال ابن عباس:" هذا عند الموت ، و«البسط»: الضرب ، يضربون وجوههم وأدبارهم"(١).

قال الطبري:أي:" ولو ترى ، يا محمد ، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، والقائلين : {ما أنزل الله على بشر من شيء}، والمفترين على الله كذبًا ، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء ، والقائلين : {سأنزل مثل ما أنزل الله}، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت ، ونزل بهم أمر الله"(٢).

قال السعدي:" لما ذم الظالمين، ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم القيامة فقال: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} أي: شدائده وأهواله الفظيعة، وكُرَبه الشنيعة -لرأيت أمرا هائلا وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها"(٣).

قال القرطبي:" والجواب محذوف لعظم الأمر، أي: ولو رأيت الظالمين في هذه الحال لرأيت عذابا عظيما"(٤).

قال ابن كثير:"{فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ }، أي : في سكراته وغمراته وكُرُباته"(٥).

و«الغمرات»: جمع«غمرة»، وغمرة كل شيء، كثرته ومعظمه ، وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ، ومنه قول بشر بن أبي حازم (٦):

وَهَلْ يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إلا ... بُرَاكَاءُ القِتَالِ أوِ الفِرَارُ(٧)

قوله تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب"(٨).

قال السعدي :يعني:" إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب"(٩).

قال ابن كثير:" أي : بالضرب كما قال : { لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأقْتُلَكَ} الآية [المائدة : ٢٨] ، وقال : { وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ } الآية [الممتحنة : ٢]"(١٠).

قال الطبري:أي:" والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم ، كما قال جل ثناؤه : { فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ } [سورة محمد : ٢٧ ، ٢٨] "(١١).

وفي قوله تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} [الأنعام : ٩٣]، وجوه:

---

(١) أخرجه الطبري(١٣٥٦٣):ص٥٣٨/١١-٥٣٩.
(٢) تفسير الطبري:٥٣٧/١١.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٤) تفسير القرطبي:٤٢/٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٦)شرح المفضليات : ٦٧٧ ، النقائض : ٤٢٣ ، الأغاني ١٣ : ١٣٧ ، ديوان الخنساء : ٢١٦ ، واللسان (برك) ، وغيرها.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٣٨/١١.
(٨) التفسير الميسر:١٣٩.
(٩) تفسير السعدي:٢٦٤.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(١١) تفسير الطبري:٥٣٧/١١.

أحدها : أن بسط الملائكة أيديها، مدّها، ومعناه: ان الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم والظالمون في غمرات الموت ، وملك الموت يتوقاهم. وهذا قول ابن عباس(١)، وروي عن السدي نحو ذلك(٢).

والثاني: باسطوا أيديهم بالعذاب ، قاله الحسن(٣)، والضحاك(٤)، وأبو صالح(٥).

والثالث : باسطو أيديهم بإخراج أنفس الكفار، وهو مثل قوله: {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [الأنفال : ٥٠]، قاله الفراء(٦).

والرابع : باسطوا أيديهم بصحائف الأعمال. أفاده الماوردي(٧).

قوله تعالى:{أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم"(٨).

قال السعدي : "يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيها للخروج من الأبدان: {أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ}"(٩).

قال القرطبي:" أي: خلصوها من العذاب إن أمكنكم، وهو توبيخ. وقيل: أخرجوها كرها، لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه، وروح الكافر تنتزع انتزاعا شديدا، ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله وهو أن، كذا جاء في حديث أبي هريرة(١٠) وغيره، وقيل: هو بمنزلة قول القائل لمن يعذبه: لأذيقنك العذاب ولأخرجن نفسك، وذلك لأنهم لا يخرجون أنفسهم بل يقبضها ملك الموت وأعوانه. وقيل: يقال هذا للكفار وهم في النار"(١١).

قال ابن كثير:" وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنَّكال ، والأغلال والسلاسل ، والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرق روحه في جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم : { أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ"(١٢).

قال الطبري:" فإن قال قائل : ما وجه قوله : {أخرجوا أنفسكم}، ونفوس بني آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها رب العالمين ؟ فكيف خوطب هؤلاء الكفار ، وأمروا في حال الموت بإخراج أنفسهم ؟ فإن كان ذلك كذلك ، فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم!

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٣)، (١٣٥٦٤):ص١١/٥٣٨-٥٣٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٥):ص١١/٥٣٩.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢/١٤٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٦):ص١١/٥٣٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٧):ص١١/٥٣٩.
(٦) انظر: معاني القرآن:١/٣٤٥.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢/١٤٤.
(٨) التفسير الميسر:١٣٩.
(٩) تفسير السعدي:٢٦٤.
(١٠) أخرجه أحمد مطولا(٨٧٦٩)، و(٢٥٠٩٠)، وابن ماجة(٤٢٦٢)، والنسائي في المجتبى:٤/٨-٩.
(١١) تفسير القرطبي:٧/٤٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٢.

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذي إليه ذهبت، وإنما ذلك أمرٌ من الله على ألسن رُسله الذين يقبضون أرواحَ هؤلاء القوم من أجسامهم ، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه ، وتسليمها إلى رسله الذين يتوفَّونها"(١).

وفي قوله تعالى:{أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ} [الأنعام : ٩٣]، وجوه:

أحدها : أي: من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم ، وإن كان إخراجها من فعل غيرهم .
والثاني : معناه: أخرجوا أنفسكم من العذاب إن قدرتم ، تقريعاً لهم وتوبيخاً بظلم أنفسهم ، قاله الحسن.
والثالث : أن يكون معناه خلصوا أنفسكم بالاحتجاج عنها فيما فعلتم. أفاده الماوردي(٢).

قوله تعالى:{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" اليوم تُجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد مع الخزي الأكيد"(٣).

قال ابن كثير:أي:"اليوم تهانون غاية الإهانة"(٤).

قال السعدي : "أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل"(٥).

عن السدي:" أما عذاب الهون: الذي يهينهم"(٦).

قوله تعالى:{بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" بما كنتم تكذبون على الله"(٧).

قال ابن كثير:أي:" كما كنتم تكذبون على الله "(٨).

قال السعدي : أي: "من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل"(٩).

قوله تعالى:{وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" وكنتم تستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله"(١٠).

قال ابن كثير:أي:" وتستكبرون عن اتباع آياته ، والانقياد لرسله"(١١).

قال القرطبي:" أي: تتعظمون وتأنفون عن قبول آياته"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٥٣٩/١١-٥٤٠.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٤٥/٢.
(٣) صفوة التفاسير:٣٧٦/١.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٣٧):ص١٣٤٨/٤.
(٧) التفسير الميسر:١٣٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٩) تفسير السعدي:٢٦٤.
(١٠) التفسير الميسر:١٣٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(١٢) تفسير القرطبي:٤٢/٧.

قال السعدي : " أي: تَرَفَّعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها. وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده"(١).

قال ابن عباس:" آيتان يبشر بهما الكافر عند موته: {ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم} إلى قوله: {بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون}، قال: فهاتان آيتان يبشر بهما الكافر في الدنيا"(٢).

الفوائد:

١- قبح الكذب على الله تعالى في أي شكل، وأن صاحبه لا أظلم منه قط.
٢- تقرير عذاب القبر، وسكرات الموت وشدتها، وفي الحديث: أن للموت سكرات.
٣- قبح الاستكبار وعظم جرمه.
٤- في الآية دليل، على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن الجسد، ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ(٣).

القرآن

{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)} [الأنعام : ٩٤]

التفسير:

ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة، وتركتم وراء ظهوركم ما مكنَّاكم فيه مما تتباهون به من أموال في الدنيا، وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدَّعون أنها شركاء مع الله في العبادة، لقد زال تَواصُلُكم الذي كان بينكم في الدنيا، وذهب عنكم ما كنتم تَدَّعون من أن آلهتكم شركاء لله في العبادة، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.

سبب النزول:

عن عكرمة؛ قال: "قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزى؛ فنزلت هذه الآية: هذه الآية :{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، إلى قوله : { شُرَكَاءُ }" (٤). [ضعيف]

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة"(٥).

---

(١) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٣٨):ص١٣٤٩/٤.
(٣) انظر: تفسير السعدي:٢٦٤.
(٤)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٧٣):ص٥٤٧/١١ -: ثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة.
قلنا: وهذا سند ضعيف، لأن سنيد هذا صاحب "التفسير" ضعيف؛ كما تقدم بيانه مراراً.
(٥) التفسير الميسر:١٣٩.

قال القرطبي:" المعنى: جئتمونا واحدا واحدا، كل واحد منكم منفردا بلا أهل ولا مال ولا ولد ولا ناصر ممن كان يصاحبكم في الغي، ولم ينفعكم ما عبدتم من دون الله"(١).

قال ابن كثير:" أي : يقال لهم يوم معادهم هذا ، كما قال: { وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الكهف : ٤٨] ، أي : كما بدأناكم أعدناكم ، وقد كنتم تنكرون ذلك وتستبعدونه ، فهذا يوم البعث"(٢).

قال البغوي:" هذا خبر من الله أنه يقول للكفار يوم القيامة: ولقد جئتمونا فرادى وحدانا، لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم، {كما خلقناكم أول مرة} عراة حفاة غرلا"(٣).

قال الزمخشري:" {فرادى}، أي: منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه، وآثرتموه من دنياكم، وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله، {كما خلقناكم أول مرة}، على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد"(٤).

قال الماوردي:" فإن قيل : فقوله :{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا} خبر عن ماض ، والمقصود منه الاستقبال ؟ فعن ذلك جوابان:

أحدهما : أنه يقال لهم ذلك في الآخرة فهو على الظاهر إخبار .

والثاني : أنه لتحققه بمنزلة ما كان ، فجاز ، وإن كان مستقبلاً أن يعبر عنه بالماضي"(٥).

قال العلماء: "يحشر العبد غدا وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه. وهذا معنى قوله:" غرلا" أي غير مختونين، أي يرد عليهم ما قطع منه عند الختان"(٦).

روي عن عبد الله بن محمد بن عقيل، أنه سمع جابر بن عبد الله، يقول: "بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيرا، ثم شددت عليه رحلي، فسرت إليه شهرا، حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني، واعتنقته، فقلت: حديثا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص، فخشيت أن تموت، أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يحشر الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلا بهما " قال: قلنا: وما بهما؟ قال: " ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة " قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات"(٧).

---

(١) تفسير القرطبي:٤٢/٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٣) تفسير البغوي:١٦٩/٣.
(٤) الكشاف:٤٧/٢.
(٥) النكت والعيون:١٤٦/٢.
(٦) تفسير القرطبي:٤٣/٧.
(٧) إسناده حسن، أخرجه احمد(١٦٠٤٢):ص٢٥-٤٣١-٤٣٢، وأخرجه الحافظ في "تغليق التعليق" ٣٥٥/٥ من طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد.
وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ١٣٣/١، ونسبه إلى أحمد والطبراني في "الكبير" وضعفه بعبد الله بن محمد بن عقيل.

عن القاسم، قال: قالت عائشة: قلت: يا رسول الله، كيف يحشر الناس يوم القيامة؟ قال: "عراة حفاة". قلت: والنساء؟ قال: "والنساء" قلت:يا رسول الله، فما يستحيا؟ قال: "يا عائشة، الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض"(1).

وقرأ الأعرج «فردى»، مثل: سكرى وكسلى، بغير ألف (2).

قوله تعالى:{وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" وتركتم وراء ظهوركم ما مكَّنَّاكم فيه مما تتباهون به من أموال في الدنيا"(3).

قال الزمخشري:" ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم"(4).

قال البغوي:أي: "خلفتم ما أعطيناكم من الأموال والأولاد والخدم، خلف ظهوركم في الدنيا"(5).

وأخرجه الحارث بن أبي أسامة (٤٥) "زوائد"، والحاكم ٤٣٧/٢، و٥٧٤/٤، والبيهقي مختصرا في "الأسماء والصفات" ص ٧٨ و٢٧٣، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (١٧٤٨) ، وفي "الرحلة" (٣١) ، وابن عبد البر في "بيان العلم" ص ١٢٢ من طريق يزيد بن هارون، بهذا الإسناد. وجاء عند البيهقي والحاكم في الموضع الأول: رحل جابر إلى مصر بدل: الشام. وعند الحاكم في الموضع الثاني: الشك بين مصر أو الشام. زاد الحاكم في الموضع الأول: وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم) [غافر:١٧] .

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وحسن الحافظ في "الفتح" ١٧٤/١ إسناد قسم الارتحال منه.

وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٩٧٠) عن موسى بن إسماعيل التبوذكي، وفي "خلق أفعال العباد" ص ٩٢، وفي "التاريخ" ١٦٩/٧- ١٧٠ (مختصرا) عن داود بن شبيب البصري، والحارث بن أبي أسامة (٤٤) "زوائد"، وابن عبد البر في "بيان العلم" ص ١٢٢ من طريق هدبة بن خالد، وابن أبي عاصم في "السنة" (٥١٤) ، وفي "الآحاد والمثاني" (٢٠٣٤) ، والخطيب في "الرحلة" (٣١) ، وابن عبد البر في "بيان العلم" ص ١٢٣، والمزي في "تهذيب الكمال" في ترجمة القاسم بن عبد الواحد، وابن حجر في "تغليق التعليق" ٣٥٥/٥ من طريق شيبان بن فروخ، أربعتهم عن همام، بهذا الإسناد.

وزادوا فيه: وأومأ بيده إلى الشام، بعد قوله: "يحشر الناس يوم القيامة".

وأخرجه الخطيب في "الرحلة" (٣٢) من طريق عبد الوارث بن سعيد التنوري، والطبراني بنحوه في "الأوسط" (٨٥٨٨) من طريق داود بن وازع، كلاهما عن القاسم بن عبد الواحد، به.

وأخرجه مطولا الطبراني في "مسند الشاميين" (١٥٦) عن الحسن بن جرير الصوري، عن عثمان بن سعيد الصيداوي، عن سليمان بن صالح، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن الحجاج بن دينار، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، به. قال الحافظ في "الفتح" ١٧٤/١: وإسناده صالح.

وأخرجه مطولا الخطيب في "الرحلة" (٣٣) من طريق مقاتل بن حيان، عن أبي جارود العنسي- وهو بالنون الساكنة-، عن جابر، قال: بلغني حديث في القصاص. ولم يسم الصحابي، وسمى المكان: مصر. قال الحافظ في "الفتح" ١٧٤/١: وفي إسناده ضعف.

وعلقه البخاري في "صحيحه" ١٧٣/١ قال: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد. وعلقه أيضا في موضع آخر ٤٥٤/١٣ قال: ويذكر عن جابر، عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان".

(١)أخرجه البخاري (٦٥٢٧)،ومسلم (٢٨٥٩) (٥٦)،وابن ماجة(٤٢٧٦):ص٣٤١/٥-٣٤٢، واللفظ له، وأخرجه النسائي ٤/ ١١٤ - ١١٥ من طريق حاتم بن أبي صغيرة.

(٢) انظر: تفسير القرطبي:٤٢/٧.

(٣) التفسير الميسر:١٣٩.

(٤) الكشاف:٤٧/٢.

(٥) تفسير البغوي:١٧٠/٣.

قال القرطبي:" أي: [ما]أعطيناكم وملكناكم، و«الخول»: ما أعطاه الله للإنسان من العبيد والنعم، {وراء ظهوركم}، أي: خلفكم"(١).

قال ابن كثير:" أي : من النعم والأموال التي اقتنيتموها في الدار الدنيا { وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}"(٢).

وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يقول ابن آدم: مالي مالي (قال): وهل لك يا ابن آم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت"(٣).

وقال الحسن البصري : "يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج فيقول الله ، عَزَّ وجل له: أين ما جمعت ؟ فيقول يا رب ، جمعته وتركته أوفر ما كان ، فيقول : فأين ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئا ، وتلا هذه الآية : { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ }"(٤).

قوله تعالى:{وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدَّعون أنها شركاء مع الله في العبادة"(٥).

قال السدي:" فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدُون الآلهة ، لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله ، وأنّ هذه الآلهة شركاءُ لله"(٦).

قال القرطبي:" أي: الذين عبدتموهم وجعلتموهم شركاء- يريد الأصنام- أي شركائي. وكان المشركون يقولون الأصنام شركاء الله وشفعاؤنا عنده"(٧).

قال ابن كثير:{زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ}" أي : في العبادة ، لهم فيكم قسط في استحقاق العبادة لهم، [وهذا] تقريع لهم وتوبيخ على ما كانوا اتخذوا في الدار الدنيا من الأنداد والأصنام والأوثان ، ظانين أن تلك تنفعهم في معاشهم ومعادهم إن كان ثَمَّ معاد ، فإذا كان يوم القيامة تقطعت الأسباب ، وانزاح الضلال ، وضل عنهم ما كانوا يفترون ، ويناديهم الرب ، عَزَّ وجل ، على رءوس الخلائق : { أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام : ٢٢]"(٨).

وفي قوله تعالى:{وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ} [الأنعام : ٩٤]، وجهان:

أحدهما : آلهتهم التي كانوا يعبدونها ، قاله الكلبي(٩).
والثاني : الملائكة الذين كانوا يعتقدون شفاعتهم عند الله، لقولهم:{هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّ} [يونس : ١٨]، يعني: الملائكة. قاله مقاتل(١).

---

(١) تفسير القرطبي:٤٣/٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٢/٣.
(٣)أخرجه مسلم ٤/ ٢٢٧٣ ح: ٣ كتاب الزهد: باب ٥٣، والترمذي ٤/ ٥٧٢: ح ٢٣٤٢: كتاب الزهد: باب ٣،وقال حديث حسن صحيح،وفي ٥/ ٤٤٧٠: ح ٢٣٥٤: كتاب تفسير القرآن: باب ٨٩،والنسائي ٦/ ٥٤٨ ح ٣٦١٥: كتاب الوصايا: باب ١،وابن المبارك في "الزهد" ١٧٠ ح ٤٩٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٤١):ص١٣٤٩/٤.
(٥) التفسير الميسر:١٣٩.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٥٧٢):ص٥٤٧/١١.
(٧) تفسير القرطبي:٤٣/٧.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٠٣/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٤٥/٢.

وفي قوله تعالى:{الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام : ٩٤]، وجهان:
أحدهما : يعني شفعاء ، قاله الكلبي[٢].
والثاني : أى: متحملين عنكم تحمل الشركاء عن الشركاء[٣].
قال الزمخشري:" {فيكم شركاء}، في استعبادكم، لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها، فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم"[٤].
قوله تعالى:{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" لقد زال تَواصُلُكم الذي كان بينكم في الدنيا"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لقد انقطع ما بينكم من الوُصُلات والأسباب والوسائل"[٦].

قال الطبري:" يعني: تواصلَهم الذي كان بينهم في الدنيا ، ذهب ذلك اليوم ، فلا تواصل بينهم ولا توادّ ولا تناصر ، وقد كانوا في الدنيا يتواصلون ويتناصرون ، فاضمحلّ ذلك كله في الآخرة ، فلا أحدَ منهم ينصر صاحبه ، ولا يواصله"[٧].

قال السعدي : " أي: تقطعت الوصل والأسباب بينكم وبين شركائكم، من الشفاعة وغيرها فلم تنفع ولم تُجْد شيئا"[٨].

وفي قوله تعالى:{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} [الأنعام : ٩٤]، وجوه:

أحدها : تفرق جمعكم في الآخرة[٩].

والثاني : ذهب تواصلكم في الدنيا ، قاله مجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، وأبوبكر العياش[١٢].

والثالث: يعني: الأرحام والمنازل. قاله ابن عباس[١٣].

والرابع: يعني: ما كان بينهم وبين آلهتهم. قاله الضحاك[١٤].

والخامس: يعني بينهم وبين شركائهم من الملائكة من المودة والتواصل. قاله مقاتل[١٥].

وقرئ: « بَيْنُكُمْ» بالرفع، بمعنى: لقد تقطع وصلُكم[١٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/١.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٤٦/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٤٦/٢.
(٤) الكشاف:٤٧/٢.
(٥) التفسير الميسر:١٣٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٠٣/٣.
(٧) تفسير الطبري:٥٤٨/١١.
(٨) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٤٦/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٧٤)، (١٣٥٧٥):ص٥٤٨/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٧٧):٥٤٨/١١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٠):٥٤٩/١١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٧٨):٥٤٨/١١-٥٤٩.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٦٤٩):ص١٣٥٠/٤.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/١.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٥٤٩/١١.

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" وذهب عنكم ما كنتم تَدَّعون من أن آلهتكم شركاء لله في العبادة"(١).

قال مقاتل:أي:" في الدنيا بأن مع الله شريكا"(٢).

قال الطبري:أي:" وحاد عن طريقكم ومنهاجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم ، وأنه لكم شفيع عند ربكم ، فلا يشفع لكم اليوم"(٣).

قال السعدي : {مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}، أي: "من الربح، والأمن والسعادة، والنجاة، التي زينها لكم الشيطان، وحسنها في قلوبكم، فنطقت بها ألسنتكم. واغتررتم بهذا الزعم الباطل، الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : وذهب عنكم { مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } من رجاء الأصنام ، كما قال : { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة : ١٦٦ ، ١٦٧] ، وقال تعالى : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ } [المؤمنون : ١٠١] ، وقال { إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [العنكبوت : ٢٥] ، وقال { وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ } الآية [القصص : ٦٤] ، وقال تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا } إلى قوله : { وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [الأنعام : ٢٢ - ٢٤] ، والآيات في هذا كثيرة جدا."(٥).

الفوائد:

١- تقرير عقيدة البعث الآخر والجزاء على الكسب في الدنيا.
٢- انعدام الشفعاء يوم القيامة إلا ما قضت السنة الصحيحة من شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعلماء والشهداء بشروط هي: أن يأذن الله للشافع أن يشفع وأن يرضى عن المشفوع له.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات:

- أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء: آدم ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم، الشفاعة حتى تنتهي إليه.

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال:" كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في دعوة فرفعت إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: "أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس, فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم, فيأتونه فيقولون: يا آدم, أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه, وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك؟ ألا ترى ما نحن فيه وما

---

(١) التفسير الميسر:١٣٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٩/١.
(٣) تفسير الطبري:٥٥٠/١١.
(٤) تفسير السعدي:٢٦٤.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٣/٣.

بلغنا؟ فيقول: ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت. نفسي نفسي, اذهبوا إلى غيري, اذهبوا إلى نوح, فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح, أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك, فيقول: ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبل مثله ولا يغضب بعده مثله, نفسي نفسي, ائتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد, ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه "(١).

- وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك "(٢).

- وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له وسائر النبيين، والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ويخرج الله تعالى من النار أقواماً بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا، فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة"(٣).

كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد إن شاء الله أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"(٤).

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: "لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّل منك لما رأيت من حرصك على الحديث أن أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: مَن قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه"(٥).

وهذه الشفاعة ينكرها الخوارج والمعتزلة، بناءاً على مذهبهم في إنكار خروج أحد من أهل النار بعد دخولها، وعلى القول بدخول مرتكب الكبيرة النار حتماً وخلوده فيها، على اختلاف بين الفريقين في الحكم الدنيوي.

---

(١)رواه البخاري ٤٣٨/٦ في الأنبياء، باب قول الله عزوجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} رقم ٣٣٦١، وفي تفسير سورة بني إسرائيل، باب {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً} رقم ٤٧١٢، ٢٤٧/٨، -واللفظ له-. ورواه مسلم رقم ١٩٤ في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، والترمذي رقم ٢٤٣٤ في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة.

(٢)رواه مسلم رقم ١٩٧ في الإيمان، باب قول النبي صلي الله عليه وسلم: أنا أول الناس يشفع في الجنة.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤٧/٣-١٤٨..

(٤)رواه البخاري في الدعوات باب لكل نبي دعوة رقم ٦٣٠٤، وفي التوحيد رقم: ٧٤٧٤، ومسلم رقم ١٩٨ في الإيمان، باب اختباء النبي صلي الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته، ورواه مالك في الموطأ ٢١٢/١ في القرآن، باب ما جاء في الدعاء، والترمذي رقم: ٣٦٠٢ في الدعوات، كما رواه البخاري، ومسلم عن أنس، ورواه مسلم أيضاً عن جابر. انظر: جامع الأصول ٤٧٥/١٠.

(٥) رواه البخاري في كتاب العلم ٢٣٣/١ رقم (٩٩)، باب الحرص على الحديث، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار رقم ٦٥٧٠ فتح.

أحاديث الشفاعة ثابتة ومتواترة، رواها البخاري، ومسلم وغيرهم من الأئمة، انظر: جامع الأصول ٤٧٥/١٠ وما بعدها، ومسلم بشرح النووي ٣٥/٣ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ٢١٥/٥ وما بعدها عند قوله تعالى: {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً} ، وقد أوردها في الأحاديث المتواترة كل من مرتضى الزبيدي في لقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة الحديث الثاني والعشرين ص٧٥، والسيوطي في قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة رقم ١١٢ ص ٣٠٣، عن اثنى عشر من الصحابة رضي الله عنهم.

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥)} [الأنعام : ٩٥]

التفسير:

إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع، ويشق النوى، فيخرج منه الشجر، يخرج الحي من الميت كالإنسان والحيوان مثلا من النطفة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان، ذلكم الله أي: فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له المستحق للعبادة، فكيف تُصْرَفون عن الحق إلى الباطل فتعبدون معه غيره؟

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام : ٩٥]، أي:" إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع، ويشق النوى، فيخرج منه الشجر"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى ، أي : يشقه في الثرى فتنبت الزروع على اختلاف أصنافها من الحبوب ، والثمار على اختلاف أشكالها وألوانها وطعومها من النوى"[٢].

قال السعدي : " يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته، وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ} شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل والفواكه، وغير ذلك. فينتفع الخلق، من الآدميين والأنعام، والدواب. ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون، وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في ذلك. ويريهم الله من بره وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريهم من بدائع صنعته، وكمال حكمته، ما به يعرفونه ويوحدونه، ويعلمون أنه هو الحق، وأن عبادة ما سواه باطلة"[٣].

قال البغوي:" {النوى} جمع النواة، وهي كل ما لم يكن حبا، كالتمر والمشمش والخوخ ونحوها"[٤].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام : ٩٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني: فالق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة ، قاله الحسن[٥]، وقتادة[٦]، والسدي[٧]، وابن زيد[٨].

والثاني : أن الفلق الشق الذي فيهما ، قال مجاهد[٩]، وأبو مالك[١٠].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٤/٣.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٤) تفسير البغوي:١٧٠/٣.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٤٦/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٢):ص٥٥١/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨١):ص٥٥١/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٣):ص٥٥١/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٧)، (١٣٥٨٨):ص٥٥١/١١-٥٥٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٩):ص٥٥٢/١١.

والثالث : أنه يعني: خالق الحب والنوى ، قاله ابن عباس[1]، والضحاك[2].

قال الطبري:" : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي ، ما قدّمنا القول به. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراجه الحي من الميت والميت من الحي ، فكان معلومًا بذلك أنه إنَّما عنى بإخباره عن نفسه أنّه فالق الحب عن النبات ، والنوى عن الغُرُوس والأشجار ، كما هو مخرج الحي من الميت ، والميّت من الحي.

وأما القول الذي حكي عن الضحاك في معنى {فالق}، أنه خالق ، فقولٌ إن لم يكن أراد به أنّه خالق منه النبات والغُروس بفلقه إياه لا أعرف له وجهًا ، لأنه لا يعرف في كلام العرب : فلق الله الشيء، بمعنى : خلق"[3].

قوله تعالى:{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} [الأنعام : ٩٥]، أي:" يخرج الحي من الميت كالإنسان والحيوان مثلا من النطفة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : يخرج السنبل الحيّ من الحبّ الميت ، ومخرج الحبِّ الميت من السنبل الحيّ ، والشجرِ الحيّ من النوى الميت ، والنوى الميِّت من الشجر الحيّ"[5].

قال ابن كثير:" أي : يخرج النبات الحي من الحب والنوى ، الذي هو كالجماد الميت ، كما قال : { وَآيَةٌ لَهُمُ الأرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ } [يس : ٣٣ - ٣٦]، وقوله : { وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ } معطوف على { فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى } ثم فسره ثم عطف عليه قوله : { وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ }"[6].

قال السعدي : " {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} كما يخرج من المني حيوانا، ومن البيضة فرخا، ومن الحب والنوى زرعا وشجرا، {وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ} وهو الذي لا نمو فيه، أو لا روح {مِنَ الْحَيِّ} كما يخرج من الأشجار والزروع النوى والحب، ويخرج من الطائر بيضا ونحو ذلك"[7].

وفي قوله تعالى:{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} [الأنعام : ٩٥]، اقوال:

أحدها : يخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، والنخلة الحية من النواة الميتة ، ويعني بإخراج الميت من الحي أن يخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، والنواة الميتة من النخلة الحية ، قاله وأبو مالك[8]، والسدي[9].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٦):ص١١/٥٥١.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٤):ص١١/٥٥١.
(٣) تفسير الطبري:١١/٥٥٢.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(٥) تفسير الطبري:١١/٥٥٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٤.
(٧) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٣):ص١١/٥٥٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٢):ص١١/٥٥٣.

والثاني : معناه: يخرج النطفة الميتة من الحي ، ثم يخرج من النطفة بشرًا حيًّا، أخرجه الطبري عن ابن عباس(1).

وأخرج ابن ابي حاتم: عن ابن عباس في قوله: "{يخرج الحي من الميت} قال: يخرج من النطفة بشرا"(2). قال ابن ابي حاتم:"وروي عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي وقتادة والضحاك نحو ذلك"(3).

والثالث : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، قاله الحسن(4).

وروي عن عمر:" {يخرج الحي من الميت}، يخرج المؤمن من الكافر"(5).

والرابع: أنه يخرج الفَطِن الجَلْد من البليد العاجز ، ويخرج البليد العاجز من الفَطِن الجَلْد. أفاده الماوردي(6).

قال ابن كثير:" وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى ، فمن قائل : يخرج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، من قائل : يخرج الولد الصالح من الكافر ، والكافر من الصالح ، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها"(7).

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [الأنعام : ٩٥]، أي:" ذلكم الله الخالق المدبر فكيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان"(8).

قال ابن كثير:" أي : فاعل هذه الأشياء هو الله وحده لا شريك له { فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } أي : فكيف تصرفون من الحق وتعدلون عنه إلى الباطل فتعبدون مع الله غيره"(9).

قال الطبري:أي:" فإنه يقول : فاعل ذلك كلّه اللهُ جل جلاله، فأيّ وجوه الصدّ عن الحقّ ، أيها الجاهلون ، تصدّون عن الصواب وتصرفون ، أفلا تتدبرون فتعلمون أنّه لا ينبغي أن يُجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى ، فأخرج لكم من يابس الحب والنوى زروعًا وحُروثًا وثمارًا تتغذون ببعضه وتفكّهون ببعضه ، شريكٌ في عبادته ما لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع ولا يبصر؟"(10).

قال السعدي : " {ذَلِكُمْ} الذي فعل ما فعل، وانفرد بخلق هذه الأشياء وتدبيرها {اللَّهُ} رَبُّكُمْ أي: الذي له الألوهية والعبادة على خلقه أجمعين، وهو الذي ربى جميع العالمين بنعمه، وغذاهم بكرمه. {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} أي: فأنى تصرفون، وتصدون عن عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا؟"(11).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٤):ص١١/٥٥٣-٥٥٤.
(٢) تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٥٨):ص٤/١٣٥٢.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم:٤/١٣٥٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:٢/١٤٧.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٥٦):ص٤/١٣٥١.
(٦) انظر: النكت والعيون:٢/١٤٧.
(٧) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٤.
(٨) صفوة التفاسير:١/٣٧٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٤.
(١٠) تفسير الطبري:١١/٥٥٤.
(١١) تفسير السعدي:٢٦٥.

قال القرطبي:" {ذلكم الله} ابتداء وخبر. {فأنى تؤفكون} فمن أين تصرفون عن الحق مع ما ترون من قدرة الله جل وعز"[١].

الفوائد:

١- أن الله خالق كل شيء فهو رب كل شيء ولذا وجب أن يؤله وحده دون ما سواه.
٢- التحدي بأصل الزرع وهي: الحبة، فهو سبحانه خلق الحبة التي هي أصل الزرع.
٣- أنه سبحانه وتعالى وحده الذي يشق الحب والنوى في الثرى, فتنبت منه الزروع والثمار على اختلاف ألوانها وأشكالها وطعومها، ثم قال مشيرًا إلى وحدانيته تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} : أي فاعل ذلك هو الله وحده لا شريك, فكيف تصرفون عن الحق وتعدلون عنه إلى الباطل بعبادتكم غير الله تعالى.
٤- أن من تمام ألوهيته وربوبيته قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال، ولذا فإنه يميت ويُحيي، ويخلق ويفني، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ..}، فمن الحبة الجامدة الصماء يُخرج الله نبتة غضة خضراء تزهر وتثمر، ثم تعطي هذه النبتة الحية حبوباً جامدة ميتة، ومن الطيور الحية يخرج البيض الميت، ومن البيض الميت تخرج الطيور المتحركة المغردة التي تنطلق في أجواز الفضاء..

القرآن

{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)} [الأنعام : ٩٦]

التفسير:

والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء الصباح من ظلام الليل، وجعل الليل مستقرًا، يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نصيبه من الراحة، وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدَّر، لا يتغير ولا يضطرب، ذلك تقدير العزيز الذي عزَّ سلطانه، العليم بمصالح خلقه وتدبير شئونهم.

قوله تعالى:{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام : ٩٦]، أي:" والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء الصباح من ظلام الليل"[٢].

قال البغوي:أي:" شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه ، وهو أول ما يبدو من النهار، يريد مبدئ الصبح وموضحه"[٣].

قال القرطبي:" أي: ذلكم الله ربكم فالق الإصباح. وقيل المعنى أن الله فالق الإصباح. والصبح والصباح أول النهار، وكذلك الإصباح، أي: فالق الصبح كل يوم، يريد الفجر"[٤].

قال ابن كثير:" أي : خالق الضياء والظلام ، كما قال في أول السورة : { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } فهو سبحانه يفلق ظلام الليل عن غرة الصباح ، فيضيء الوجود ، ويستنير

(١) تفسير القرطبي:٧/٤٤.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير البغوي:٣/١٧٠-١٧١.
(٤) تفسير القرطبي:٧/٤٤-٤٥.

الأفق ، ويضمحل الظلام ، ويذهب الليل بدآدئه وظلام رواقه ، ويجيء النهار بضيائه وإشراقه ، كما قال تعالى:{ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } [الأعراف : ٥٤] ، فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه ، فذكر أنه فالق الإصباح"(١).

قال السعدي : " ولما ذكر تعالى مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن، وخلقه كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء والظلمة، وما يترتب على ذلك من أنواع المنافع والمصالح فقال: {فَالِقُ الإصْبَاحِ} أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه الأرض، بضياء الصبح الذي يفلقه شيئا فشيئا، حتى تذهب ظلمة الليل كلها، ويخلفها الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم، ومعايشهم، ومنافع دينهم ودنياهم"(٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام : ٩٦]، وجوه:

أحدها : فالق الصبح ، قاله قتادة(٣).

والثاني : أنه إضاءة الفجر ، قاله مجاهد(٤).

والثالث : أن معناه خالق نور النهار ، وهذا قول الضحاك(٥).

والرابع : أن الإصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل ، قاله ابن عباس(٦).

والخامس: معناه: فلق الإصباح عن الليل. قاله ابن زيد(٧).

والسادس: معناه: خالق الليل والنهار. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا(٨).

وذكر عن الحسن البصري أنّه كان يقرأ : «فَالِقُ الأصْبَاحِ»(٩)، بفتح الألف ، "كأنه تأول ذلك بمعنى جمع «صبح» ، كأنه أراد صبح كل يوم ، فجعله «أصباحًا» "(١٠).

وقرأ النخعي: «فلق الإصباح» (١١).

وقد بيَّن سيد قطب -رحمه الله تعالى- العلاقة بين فلق الله الإصباح وفلقه الحبَّ والنوى, فقال: "وانفلاق الإصباح من الظلام حركة تشبه في شكلها انفلاق الحبّة والنواة, وانبثاق النُّور في تلك الحركة, كانبثاق البرعم في هذه الحركة, وبينهما من مشابه الحركة والحيوية والبهاء والجمال سمات مشتركةٌ, ملحوظةٌ في التعبير عن الحقائق المشتركة في طبيعتهما وحقيقتهما كذلك، وبين انفلاق الحبِّ والنوى وانفلاق الإصباح وسكون الليل صلةٌ أخرى, إنَّ الإصباح

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٠٤/٣.
(٢) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٨)ص:٥٥٥/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٦)ص:٥٥٥/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٣)ص:٥٥٥/١١.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٩):ص٥٥٥/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٢):ص٥٥٥/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٤):ص٥٥٦/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٥٦/١١.
(١٠)تفسير الطبري:٥٥٦/١١.
(١١) انظر: الكشاف:٤٩/٢.

والإمساء, والحركة والسكون في هذا الكون أو في هذه الأرض ذات علاقةٍ مباشرة بالنبات والحياة"[١].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} [الأنعام : ٩٦]، أي:" وجعل الليل مستقرًا، يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نصيبه من الراحة"[٢].

قال البغوي:أي:" يسكن فيه خلقه"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ساجيا مظلما تسكن فيه الأشياء ، كما قال : { وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى } [الضحى : ١ ، ٢] ، وقال { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل : ١ ، ٢] ، وقال { وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا } [الشمس : ٣ ، ٤]"[٤].

قال السعدي : " ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور {جَعَلَ} الله {اللَّيْلَ سَكَنًا} يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يزيل الله ذلك بالضياء، وهكذا أبدا إلى يوم القيامة"[٥].

قال الزمخشري:" «السكن»: ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه، من زوج أو حبيب. ومنه قيل للنار: سكن، لأنه يستأنس بها. ألا تراهم سموها المؤنسة، والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه[٦]. ويجوز أن يراد: وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه"[٧].

روي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: "كان لصهيب امرأة فكان يطيل السهر، قال: فقالت له: يا صهيب، قد أفسدت علي نفسك! فقال صهيب: إن الله جعل الليل سكنا لصهيب، إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} [الأنعام : ٩٦]، وجوه:

أحدهما : أنه سُمِّي سكناً لأن كل متحرك بالنهار يسكن فيه [٩].

والثاني : لأن كل حي يأوي فيه إلى مسكنه [١٠].

والثالث: لأنه يسكن فيه كل طير ودابة. وهذا قول قتادة[١١].

وقرأ أهل الكوفة: «وجعل» على الماضي، «الليل» نصب اتباعا للمصحف [١٢].

---

(١)في ظلال القرآن: ٢/ ١١٥٧.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير البغوي:١٧١/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٤/٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٦)قوله: «وجمامه»، أى: راحته من التعب. وفي الصحاح:«الجمام»،بالفتح-: الراحة.
(٧) الكشاف:٤٩/٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٧٦):ص١٣٥٤/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٢.
(١١) انظر تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٧٥):ص١٣٥٤/٤.
(١٢) انظر: تفسير البغوي:١٧١/٣.

وقرأ النخعي: « وجعل الليل »[1].

قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام : ٩٦]، أي:" وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدَّر، لا يتغير ولا يضطرب"[2].

قال البغوي:" أي: جعل الشمس والقمر بحساب معلوم لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، و«الحسبان» مصدر كالحساب"[3].

قال ابن كثير:" أي : يجريان بحساب مقنن مقدر ، لا يتغير ولا يضطرب ، بل كل منهما له منازل يسلكها في الصيف والشتاء ، فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولا وقصرا ، كما قال تعالى:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ } الآية [يونس : ٥] ، وكما قال : { لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس : ٤٠] ، وقال { وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ } [الأعراف : ٥٤]"[4].

قال السعدي : " {و} جعل تعالى {الشمس وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتنضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما - لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت"[5].

وفي قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام : ٩٦]، وجهان:

أحدهما : وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب. وهذا قول ابن عباس[6]، ومجاهد[7]، والسدي[8]، والربيع[9]، وقتادة في احد قوليه[10].

والثاني: معناه: وجعل الشمس والقمر ضياء، قاله قتادة[11].

قال الماوردي: وكأنه أخذه من قوله تعالى :{وَيُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَآءِ} [الكهف : ٤٠] قال : ناراً"[12].

قال الطبري: " وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب، تأويل من تأوَّله : وجعل الشمس والقمرَ يجريان بحساب وعددٍ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره ذكَر قبلَه أياديه عند خلقه ، وعظم سلطانه ، بفلقه الإصباح لهم ، وإخراج النبات والغِراس من الحب والنوى ،

---

(١) انظر: الكشاف:٤٩/٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير البغوي:١٧١/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٤/٣-٣٠٥.
(٥) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٦) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٥)، (١٣٦٠٦):ص٥٥٨/١١.
(٧) اظر: تفسير الطبري(١٣٦١٠):ص٥٥٨/١١-٥٥٩.
(٨) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٧):ص٥٥٨/١١.
(٩) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٨):ص٥٥٨/١١.
(١٠) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٩):ص٥٥٨/١١.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١١):ص٥٥٩/١١.
(١٢) النكت والعيون:١٤٨/٢.

وعقّب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر. فكان وصفه إجراءه الشمس والقمرَ لمنافعهم ، أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما ، لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله : {فالق الإصباح}، فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى"[١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام : ٩٦]، أي:" ذلك تقدير العزيز الذي عزَّ سلطانه، العليم بمصالح خلقه وتدبير شئونهم"[٢].

قال سعيد بن جبير:" {العليم}، يعني" عالما بها"[٣].

قال ابن كثير:" أي : الجميع جار بتقدير العزيز الذي لا يمانع ولا يخالف العليم بكل شيء ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وكثيرًا ما إذا ذكر الله تعالى خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، يختم الكلام بالعزة والعلم ، كما ذكر في هذه الآية ، وكما في قوله : { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [يس : ٣٧ ، ٣٨]"[٤].

قال السعدي : " {ذَلِكَ} التقدير المذكور {تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، فجرت مذللة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر {الْعَلِيمِ} الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر.

ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير، ونظام بديع، تحيُّرُ العقول في حسنه وكماله، وموافقته للمصالح والحكم"[٥].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة أن الله تعالى جعل الليل لنا سكناً, ننقطع فيه عن الحركة, وتهدأ فيه أفعالنا, وقد جعل الله لنا النهار ننبعث فيه إلى العمل.
٢- ومنها انه تعالى جعل لنا الشمس والقمر حسباناً, فبالشمس نعرف مقدار الليالي والأيام, وبالقمر نعرف مقدار الشهور والأعوام.
٣- من فوائد الىية الكريمة: أن القمر قرين الشمس في الحسبان كما أنه قرينها في الجريان والسبح في الفلك والدؤوب في السير والبزوغ والأفول.
٤- ويتفرغ من الفائدة السابقة: أن الله تعالى غاير بين القمر وبين الكواكب، وعلى هذا فمن جمع بين القمر والكواكب وقال: إنه كوكب من جنسها, فقد جمع بين ما فرق الله بينه وخالف نصوص القرآن.

قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ} الآية وقوله تعالى: {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}[الحج:١٨]، وقوله تعالى: {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}[الأنعام:٩٦-٩٧] الآية. وقوله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا

---

(١) تفسير الطبري:٥٥٩/١١.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٨٠):ص١٣٥٥/٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٦٥.

رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ}[الأنعام:٧٦-٧٨] الآية.

٥- ومن فوائد الآية الكريمة: تقرير قدرة الله على كل شيء وعلمه بكل شيء وحكمته في كل شيء.

٦- ومنها: إثبات اسمين من أسماء الله. وهما «العزيز»«العليم»:وهما من أسماء الله الحسنى يدلان على كمال العزة والعلم.

- فـ«العزيز»:هو المنيع الذي لا يغلب. والعز في كلام العرب على ثلاثة أوجه. أحدها: بمعنى الغلبة، ومنه قولهم: من عز بز، أي: من غلب سلب، يقال منه: عز يعز -بضم العين- من يعز. ومنه قول الله سبحانه: {وعزني في الخطاب} [ص : ٢٣].

والثاني: بمعنى الشدة والقوة. يقال منه: عز يعز -بفتح العين- من "يعز" ، كقول الهذلي -يصف العقاب-[(١)]:

حتى انتهيت إلى فراش عزيزة   سوداء روثة أنفها كالمخصف

جعلها عزيزة، لأنها من أقوى جوارح الطير.

والوجه الثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر. يقال منه: عز الشيء يعز -بكسر العين- من يعز، فيتأول معنى العزيز على هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير"[(٢)].

- و«العليم»: من أسمائه -عزّ وجل-، والعِلْمُ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ، ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[(٣)].

قال الخطابي:" «العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"[(٤)].

القرآن

---

(١)ديوان الهذليين القسم الثاني :١١٠، وشرح أشعارهم للسكري: ١٠٨٩ آخرقصيدة لأبي كبيرالهذلي، أبياتها ٢٣ بيتا، مطلعها:

أزهيرهل عن شيبة من مصرف...أم لا خلود لباذل متكلف

وفي مقاييس اللغة ٢/ ١٨٢ وتهذيب الأزهري ٧/ ١٤٧ برواية: فتخاء، بدل، سوداء، وجاءت روايته: «شعواء» بالعين المهملة في اللسان (عزز) و «سوداء» في اللسان (روث) والتاج (عزز، فرش) و: «فتخاء» في اللسان والتاج (خصف).

والبيت استشهد به الزجاج في تفسيرالأسماء: ص ٣٤ على معنى "العزيز".

(٢) شأن الدعاء:٤٧/١-٤٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.

(٤) شأن الدعاء:٥٧.

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)} [الأنعام : ٩٧]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي جعل لكم أيها الناس النجوم علامات، تعرفون بها الطرق ليلا إذا ضللتم بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر، قد بيَّنَّا البراهين الواضحة; ليتدبرها منكم أولو العلم بالله وشرعه.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام : ٩٧]، أي:" والله سبحانه هو الذي جعل لكم أيها الناس النجوم علامات، تعرفون بها الطرق ليلا إذا ضللتم بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر"(١).

قال الطبري:أي:" والله الذي جعل لكم ، أيها الناس ، النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق ، أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلّون بها على المحجَّة ، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة ، فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك ، كما قال جل ثناؤه : {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [سورة النحل : ١٦] ، أي : من ضلال الطريق في البرّ والبحر وعنى بالظلمات ، ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال ، وظلمة الأرض أو الماء"(٢).

قال ابن كثير:" ولما ذكر خلق السموات والأرض وما فيهن في أول سورة { حم } السجدة ، قال : { وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [فصلت : ١٢]. وقوله : { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ }، قال بعض السلف : من اعتقد في هذه النجوم غير ثلاث فقد أخطأ وكذب على الله : أن الله جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين ، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر"(٣).

قال القرطبي:" بيّن كمال قدرته، وفي النجوم منافع جمة. ذكر في هذه الآية بعض منافعها، وهي التي ندب الشرع إلى معرفتها، وفي التنزيل:{وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ} [الصافات : ٧]، {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك : ٥]. و«جعل» -هنا- بمعنى: خلق"(٤).

قال السعدي:" حين تشتبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السالك، فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم، وتجاراتهم، وأسفارهم. منها: نجوم لا تزال ترى، ولا تسير عن محلها، ومنها: ما هو مستمر السير، يعرف سيرَه أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات" (٥).

قال البغوي:" والله تعالى خلق النجوم لفوائد:

أحدها : وهو أن راكب البحر والسائر في القفار يهتدي بها في الليالي إلى مقاصده.

والثاني: أنها زينة للسماء كما قال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك : ٥].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير الطبري:٥٦١/١١.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٣.
(٤) تفسير القرطبي:٤٦/٧.
(٥) تفسير السعدي:٢٦٥.

ومنها: رمي الشياطين، كما قال: {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك : ٥]"[١].

عن ابن عباس قوله : " {وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر}، قال : يضلّ الرجل وهو في الظلمة والجور عن الطريق"[٢].

قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به "[٣].

قال ابن جبرين:"يرد قتادة على المنجمين الذين يستدلون بطلوع النجوم على الحوادث التي تحدث في الأرض من العاهات والمصائب، ومن الأمطار والخيرات، ومن العقوبات ونحوها، وما ذاك ألا أن النجوم لا تحدث شيئاً بنفسها، بل الله تعالى جعلها مسخرة كما قال الله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ} [النحل:١٢] ، وقال تعالى: {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل:١٦] أي: يقتدون في طرقهم، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام:٩٧] (لتهتدوا) يعني: أنكم تستدلون بها على الجهة التي تريدونها، وتعرفون أي جهة تقصدونها، فجعلها الله علامات ليهتدى بها، كما جعلها زينة في قوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك:٥] أي: بهذه النجوم، وقال تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} [الصافات:٦] والكواكب التي في هذه السماء هي زينة لها، فإذا كنت في ليلة مظلمة ونظرت إلى السماء ترى نجومها تزهر في كل جانب، كالسرج تضيء، فهي زينة للسماء.

كذلك أيضاً أخبر الله تعالى بأنها رجوم ترجم بها الشياطين عن استراق السمع، كما قال تعالى: {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ} [الحجر:١٨] والشهاب: هو هذا الذي يرمى به في الليلة الظلماء، فإذا أبصرته منقضاً فقد رمي به شيطان أو مسترق للسمع، وقال تعالى عن الجن: {فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن:٩] ، وقال تعالى: {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك:٥] أي: يرجمون بها، فهذه هي الحكمة في وجود هذه النجوم، فأما الذين يدعون فيها أنها تدل على وجود خير أو زواله، أو تدل على حدث أو أمر مستقبل أو نحو ذلك، فإن هذا من التكلف.

والتنجيم من الأعمال الشيطانية، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، بمعنى أنه يقول: طلوع النجم الفلاني سبب لحدوث رياح، وسبب لحدوث غرق، أو لجدب أو لخصب، أو لوباء أو مرض، أو إذا غاب النجم الفلاني حدث في البلدة الفلانية فيضان أو غرق أو زلزال أو ما أشبه ذلك، وهذا فعل كثير من المنجمين، ويغلب عليهم أنهم شبه السحرة؛ وذلك لأن النجوم مسخرة مسيرة بأمر الله، ليست دليلاً على شيء مما يقولون.

والنجوم يعرف بها مواقيت الشتاء والصيف، والغراس والزروع ونحو ذلك؛ وذلك لأن الله تعالى قدر لها مواقيت، فهناك نجوم تطلع في الشتاء، فإذا رآها الناس عرفوا أن هذا وقت زراعة البر ونحوه، ونجوم تطلع في الصيف، فإذا رأوها عرفوا أن هذا وقت يبذر فيه كذا وكذا، ويغرس فيه كذا وكذا، أو يعرفون بها دخول الشتاء أو انسلاخه، أو دخول البرد وإقباله أو انتهاءه، أو دخول الحر أو إقباله أو نحو ذلك، فتعلم هذا لا بأس به؛ لأنها مواقيت، كما أن الليل والنهار مواقيت، وكما أن الأشهر والأهلة مواقيت، فكذلك طلوع النجوم والبروج التي جعلها الله في السماء، قال تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج:١] ، وقال: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} [الحجر:١٦] ، وقال: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا} [الفرقان:٦١] ، فهذه البروج

---

(١) تفسير البغوي:١٧١/٣.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٦١٢):ص٥٦٢/١١.
(٣)أورده الإمام السيوطي في كتابه: الدرالمنثور (٣ / ٤٣).

التي هي منازل الشمس، وهذه الأنواء أو النجوم التي هي منازل القمر كما في قول الله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس:٣٩] أي: ينزل في كل ليلة منزلة؛ لا شك أنها خلق الله تعالى، فتعلم منازل القمر وتعلم منازل الشمس ومعرفة أحوال كل منهما لا يدخل في التنجيم المحرم، إنما التنجيم المحرم هو أن يستدل بطلوع النجم الفلاني على أنه سوف يحدث كذا وكذا من الآفات، أو ما أشبه ذلك، فهذا من التدخل في علم الغيب، والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن:٢٦-٢٧] فلا يدخل في ذلك الكهنة ونحوهم"(١).

قوله تعالى:{قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام : ٩٧]، أي:" قد بيَّنَّا البراهين الواضحة; ليتدبرها منكم أولو العلم بالله وشرعه"(٢)..

قال ابن كثير:" أي : قد بيناها ووضحناها { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } أي : يعقلون ويعرفون الحق ويجتنبون الباطل "(٣).

قال القرطبي:" أي: بيناها مفصلة لتكون أبلغ في الاعتبار، {لقوم يعلمون} خصهم لأنهم المنتفعون بها(٤).

قال الطبري:" يقول : قد ميَّزنا الأدلة ، وفرَّقنا الحجج فيكم وبيّناها ، أيها الناس ، ليتدبّرها أولو العلم بالله منكم ، ويفهمها أولو الحجا منكم ، فينيبوا من جهلهم الذي هم مقيمون عليه ، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذي هم عليه ثابتون ، ولا يتمادوا عنادًا لله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون خطأ في غَيِّهم"(٥).

قال السعدي:" أي: بيناها، ووضحناها، وميزنا كل جنس ونوع منها عن الآخر، بحيث صارت آيات الله بادية ظاهرة {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أي: لأهل العلم والمعرفة، فإنهم الذين يوجه إليهم الخطاب، ويطلب منهم الجواب، بخلاف أهل الجهل والجفاء، المعرضين عن آيات الله، وعن العلم الذي جاءت به الرسل، فإن البيان لا يفيدهم شيئا، والتفصيل لا يزيل عنهم ملتبسا، والإيضاح لا يكشف لهم مشكلا"(٦).

الفوائد:

١- فائدة خلق النجوم وهي الاهتداء بها في السير في الليل في البر والبحر. إذ جعل الله تعالى لنا النجوم لنهتدي بها في ظلمات البرِّ والبحر, ونعرف مسارنا فوق ظهر أرضنا في أسفارنا, فكثير من الناس يعرفون طرقاتهم في أسفارهم بالنظر في النجوم الثابتة في ظلمة الليل.
٢- يتم إدراك ظواهر الأمور وبواطنها بالعقل.
٣- الاستدلال- بالكواكب والأفلاك وعظيم خلقها وحركتها العجيبة واتقان صنعها ونظامها العجيب- على وحدانية الله وعظيم قدرته وبيان الحكمة من خلق هذه الأفلاك والكواكب ومنفعتها للخلق، كالاستضاءة والاهتداء بها وحساب الوقت والزمن، وكونها مواقيت للناس في معاملاتهم وعباداتهم كالصوم والحج والفطر ومدة الحمل وغير ذلك.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين:الدرس:٩٥/٣-٤[مرقم آليا].
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٣.
(٤) تفسير القرطبي:٤٦/٧.
(٥) تفسير الطبري:٥٦١/١١.
(٦) تفسير السعدي:٢٦٥.

والآيات القرآنية في ذلك كثيرة لا يمكن إيرادها في هذا المكان منها قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ والحَجِ الآية [البقرة ١٨٩]وقوله تعالى: هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً والقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[يونس: ٥]، وقوله تعالى: {وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بها فِي ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام: ٩٧] وغيرها.

٤- قال السعدي: "دلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالّها الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك"(١).

٥- الرد على المنجمين، قال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} ٣. فإنه ليس المراد: يهتدون بها في علم الغيب ،ولهذا قال بعض السلف(٢): فمن تأول فيها غير ذلك، أي: زعم فيها غير ما ذكر الله تعالى في هذه الثلاث، فادعى بها علم الغيب، فقد أخطأ، أي: حيث تكلم رجمًا بالغيب وأضاع نصيبه، أي: حظه من عمره، لأنه اشتغل بما لا فائدة فيه، بل مضرة محضة، وتكلف ما لا علم له به، أي: تعاطى شيئًا لا يتصور علمه، لأن أخبار السماء، والأمور المغيبة لا تعلم إلا من طريق الكتاب والسنة، وليس فيهما أزيد مما تقدم.

فإن قلت: إن المنجمين قد يصدقون بعض الأحيان؟

قيل: صدقهم كصدق الكهان يصدقون مرة ويكذبون مائة، وليس في صدقهم مرة ما يدل على أن ذلك علم صحيح كالكهان(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(٤).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:«إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وحيف الأئمة»(٥).

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما -في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: " ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق "(٦).

٦- فضيلة اهل العلم والفهم، لقوله تعالى: {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}.

القرآن

---

(١) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٢) حكاه ابن كثير عنهم، انظر: تفسير ابن كثير:٣٠٥/٣.
(٣) انظر: تيسيرالعزيزالحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد:٣٨٠.
(٤)صحيح) رواه أحمد (١ / ٢٢٧، ٣١١) ،وأبوداود (٣٩٠٥) ،وابنماجه (٣٧٢٦) ،والبيهقي (٨ / ١٣٨) وقد سكت عنه الإمام أبوداود وصححه الألباني، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٥)ضعيف قد يحسن) وقد روي بمثله وبنحوه عن عدد من الصحابة، وكلها لا يخلو من ضعف، وقد بين ذلك الشيخ الألباني في الصحيحة (١١٢٧) وسبقه إلى ذلك الحافظ الهيثمي في المجمع (٧ / ٢٠٣) وقال: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان ". رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا اهـ.
وذكر الألباني أن للحديث شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة، اهـ.
(٦)صحيح رواه البيهقي (٨ / ١٣٩) ،وعبد الرزاق (١١ / ١٩٨٠٥) ،وابن أبي شيبة (٨ / ٤١٤) ، والدر المنثور (٣ / ٣٥) وسنده صحيح، رجاله ثقات.

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨)} [الأنعام : ٩٨]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام; إذ خلقه من طين، ثم كنتم سلالة ونسلا منه، فجعل لكم مستقرًا تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ومُستودعًا تُحفَظُون فيه، وهو أصلاب الرجال، قد بينا الحجج وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع الحجج ومواضع العبر.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الأنعام : ٩٨]، أي:" والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام; إذ خلقه من طين، ثم كنتم سلالة ونسلا منه"(١).

قال ابن كثير:" آدم عليه السلام ، كما قال : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً } [النساء : ١]"(٢).

قال البغوي:أي:" خلقكم وابتدأكم، {من نفس واحدة} يعني: آدم عليه السلام"(٣).

قال السعدي:" وهو آدم عليه السلام. أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي؛ الذي قد ملأ الأرض ولم يزل في زيادة ونمو، الذي قد تفاوت في أخلاقه وخلقه، وأوصافه تفاوتا لا يمكن ضبطه، ولا يدرك وصفه"(٤).

قوله تعالى:{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} [الأنعام : ٩٨]، أي:" فجعل لكم مستقرًا تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ومُستودعًا تُحفَظُون فيه، وهو أصلاب الرجال"(٥).

قال السعدي:" وجعل الله لبني آدم «مستقرا»، أي" منتهى ينتهون إليه، وغاية يساقون إليها، وهي دار القرار، التي لا مستقر وراءها، ولا نهاية فوقها، فهذه الدار، هي التي خلق الخلق لسكناها، وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها، التي تنشأ عليها وتعمر بها، وأودعهم الله في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، ثم في دار الدنيا، ثم في البرزخ، كل ذلك، على وجه الوديعة، التي لا تستقر ولا تثبت، بل ينتقل منها حتى يوصل إلى الدار التي هي المستقر، وأما هذه الدار، فإنها «مستودع» وممر"(٦).

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} [الأنعام : ٩٨]، على اقوال:

أحدها : والثالث : «فمستقر»في أرحام النساء و«مستودع» في أصلاب الرجال ، قاله مجاهد(٧)، والضحاك(٨)، وعطاء(٩)، وقتادة(١٠)، وعكرمة(١)، وإبراهيم(٢)، والسدي(٣)، وابن زيد(٤)، وهو مروي عن ابن عباس أيضا(٥).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٣.
(٣) تفسير البغوي:١٧١/٣.
(٤) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٥) التفسير الميسر:١٤٠.
(٦) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٤١)-(١٣٦٤٥):ص٥٦٨/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٦):ص٥٧٠/١١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٣٩):ص٥٦٨/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٥):ص٥٧٠/١١.

والثاني: فمستقر في الأرض، و«مستودع» في الأصلاب ، قاله ابن عباس[٦]، وسعيد بن جبير[٧].

والثالث : «فمستقر» في الرحم، «ومستودع» في القبر ، قاله ابن مسعود[٨]، وإبراهيم[٩]، ومقسم[١٠].
والرابع : «فمستقر»في الدنيا «ومستودع» في الآخرة ، قاله مجاهد[١١].
والخامس : «فمستقر»في الأرض «ومستودع» في القبر ، قاله الحسن[١٢].

والسادس: «فمستقر» في الأرض على ظهورها ، «ومستودع» عند الله. وهذا مروي عن عبدالله بن مسعود[١٣]، وابن عباس[١٤]، ومجاهد[١٥]، وسعيد بن جبير[١٦].

والسابع: أن مستقرها حيث تأوي. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٧].

والثامن: أن «المستقر»، ما فرغ من خلقه. وهذا مروي عن السدي ايضا[١٨].

والتاسع: ان «المستقر»: الذي قد مات فاستقر به عمله. وهذا مروي عن الحسن ايضا[١٩].

والعاشر: «فمستقر» في الدنيا. وهذا مروي عن عبدالله بن مسعود أيضا[٢٠].

والحادي عشر: أن «المستودع»: القبر، و«المستقر»: الجنة والنار، لقوله عز وجل في صفة الجنة والنار: {حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا} [الفرقان : ٧٦]، {سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا} [الفرقان : ٦٦]. حكاه البغوي عن بعضهم[٢١].

قال ابن كثير:" والقول الأول هو الأظهر"[٢٢].

وقال الطبري:" وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : {فمستقر ومستودع}، كلَّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة ، مستقرًّا ومستودعًا ، ولم يخصص

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٨):ص٥٦٥/١١.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٤٦)-(١٣٦٥٠):ص٥٦٩/١١.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٣):ص٥٧٠/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٧):ص٥٧٠/١١.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٧)، و(١٣٦٢٩):ص٥٦٥/١١-٥٦٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٢):ص٥٦٤/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٠)(١٣٦٢١):ص٥٦٣/١١.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٥)-(١٣٦١٧):ص٥٦٢/١١-٥٦٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٨):ص٥٦٣/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٩):ص٥٦٣/١١.
(١١) انظر: النكت والعيون:١٣٥٦/٤، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٩):ص٥٧١/١١.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٥):ص٥٦٥/١١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٣):ص٥٦٤/١١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٤):ص٥٦٥/١١.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٦):ص٥٦٥/١١.
(١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٨٦):ص١٣٥٦/٤.
(١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٨٧):ص١٣٥٦/٤.
(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٨٩):ص١٣٥٦/٤.
(٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٨٤):ص١٣٥٥/٤.
(٢١) انظر: تفسير البغوي:١٧٢/٣.
(٢٢) تفسير ابن كثير:٣٠٥/٣.

من ذلك معنى دون معنى. ولا شك أنّ من بني آدم مستقرًّا في الرحم ، ومستودعًا في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها ، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر في القبر ، مستودع على ظهر الأرض. فكلٌّ «مستقر» أو «مستودع» بمعنى من هذه المعاني ، فداخل في عموم قوله :{فمستقر ومستودع } ومراد به ، إلا أن يأتي خبرٌ يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنى دون معنى ، وخاص دون عام"[١].

قرأ ابن كثير وأهل البصرة «فمستقِر» بكسر القاف، يعني: فمنكم مستقر ومنكم مستودع، وقرأ الآخرون بفتح القاف، أي: فلكم مستقر ومستودع[٢].

قوله تعالى:{قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} [الأنعام : ٩٨]، أي:" قد بينا الحجج وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع الحجج ومواضع العبر"[٣].

قال قتادة:" يقول : قد بينا الآيات لقوم يفقهون"[٤].

قال ابن كثير:"{ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} أي : يفهمون ويَعُون كلام الله ومعناه"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى : قد بيّنا الحجج ، وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها {لقوم يفقهون}، مواقعَ الحجج ومواضع العبر ، ويفهمون الآيات والذكر ، فإنهم إذا اعتبروا بما نبّهتهم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر ، وخلقي ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور ، علموا أنّ ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك فيشركوه في عبادتهم إياه"[٦].

قال السعدي:"{ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} عن الله آياته، ويفهمون عنه حججه، وبيناته"[٧].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم قيل :{يعلمون} مع ذكر النجوم، و{يفقهون}، مع ذكر إنشاء بنى آدم؟

قلت كان إنشاء الإنس من نفسواحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له"[٨].

الفوائد:

١- أن خلق الإنسان وتركيبه من الأدلة القاطعة على وحدانية الله الخالق, وقد أتعب المتكلمون أنفسهم وهم يستدلون بخلق الإنسان على وجود الله وتفرده بالخلق، والمشركون لم يكونوا ينكرون أنهم مخلوقون لخالق ومربوبون لرب، ولكنهم كانوا ينكرون استحقاق هذا الرب الخالق لأن يفرد بالإلهية والعبادة.
والآيات الكثيرة التي نبهت إلى خلق الإنسان لم تأتِ قط لإقناع المشركين بوجود الرب الخالق وتوحيده في ربوبيته، لقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[الزخرف:٨٧]، إنما جاءت الآيات القرآنية المنبهة إلى خلق الإنسان لدعوة

---

(١) تفسير الطبري:٥٧١/١١.
(٢) انظر: تفسير البغوي:١٧١/٣.
(٣) التفسير الميسر:١٤٠.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٦٦٠):ص٥٧٢/١١.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٦/٣.
(٦) تفسير الطبري:٥٧٢/١١.
(٧) تفسير السعدي:٢٦٥.
(٨) الكشاف:٥٠/٢-٥١.

المشركين إلى توحيد الألوهية والعبادة عن طريق إيمانهم بتوحيد الربوبية، وبهذا يظهر خطأ المتكلمين الواضح في استدلالهم بهذه الآيات على أمر يقر به المشركون أنفسهم.

٢- - الله تعالى هو الذي خلقنا بخلق أبينا آدم من نفسٍ واحدةٍ, فقد خلق منه زوجه حوَّاء. وخلق منهما جميع الرجال والنساء، فالله تعالى امتنَّ علينا نحن البشر بخلقنا من نفسٍ واحدةٍ {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الأنعام: ٩٨] والنفس الواحدة التي يعود البشر كلُّهم إليها هي آدم عليه السَّلام, فمنه خلق الله زوجه حواء, وخلق بقية البشر من ذكرٍ وأنثى, إلا عيسى ابن مريم, فإنَّه خلق من أنثى هي أمُّه مريم من غير أبٍ, قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً} [النساء: ١].
٣- أن مقر الأرواح في الصلب والآخر بعد الموت.
٤- أنه يتم إدراك أسرار الأشياء بالفقه، قال تعالى: قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}، فالفقه هنا ضروريٌّ لإدراك صنع الله في هذه النفس الواحدة, التي تنبثق منها النماذج والأنماط, ولإدراك الموافقات العجيبة الكامنة وراء اتخاذ التلاقح وسيلة للإكثار, وتوفير الأعداد المناسبة دائماً من الذكور والإناث - في عالم الإنسان - لتتم عملية التزاوج التي قدَّر الله أن تكون هي وسيلة الإخصاب والإكثار, ووسيلة تنشئة الأطفال في ظروفٍ تحفظ إنسانيتهم وتجعلهم أكفاء للحياة الإنسانية![1].
٥- أنه ليس ثمة عقيدة تقوم على احترام العقل الإنساني وتعتز به وتعتمد عليه في ترسيخها كالعقيدة الإسلامية، وليس ثمة كتاب أطلق سراح العقل وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم كتاب الإسلام بل إن القرآن ليكثر من استثارة العقل ليؤدي دوره الذي خلقه الله له، ولذلك نجد عبارات «لعلكم تعقلون» و«لقومٍ يتفكرون» و «لقومٍ يفقهون» ونحوها تتكرر عشرات المرات في السياق القرآني لتؤكد النهج القرآني الفريد في الدعوة إلى الإيمان وقيامه على احترام العقل.
٦- أن الهدى والصلاح والتقى إلا فرع وأثر لمعرفة الله تعالى بجميع نعوته وصفاته. وهم بذلك عاملون بما أمرهم ربهم تبارك وتعالى من تدبر كتابه، والتفكر فيه، متنكبين طريق الذين ذمهم الله تعالى بعدم فقههم لكلامه، وتَرْك تدبر كتابه، قال تعالى: {قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}، ومنه قوله تعالى: {فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} [النساء ٧٨]، وقوله تعالى: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} [الأنعام ٢٥].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)} [الأنعام : ٩٩]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطرًا فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعًا وشجرًا أخضر، ثم أخرج من الزرع حَبًّا يركب بعضه بعضًا، كسنابل القمح والشعير والأرز، وأخرج من طلع النخل -وهو ما تنشأ فيه عذوق الرطب- عذوقًا قريبة التناول، وأخرج

(١) انظر: في ظلال القرآن: ٢/ ١١٥٩.

سبحانه بساتين من أعناب، وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلا وطعمًا وطبعًا. انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [الأنعام : ٩٩]، أي:" والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطرًا "[١].

قال القرطبي: "أي: المطر"[٢].

قال الطبري:أي: "والله الذي له العبادة خالصة لا شريك فيها لشيء سواه ، هو الإله الذي أنزل من السماء ماء"[٣].

قال ابن كثير:" أي بقدر مباركًا ، رزقًا للعباد وغياثًا للخلائق"[٤].

قوله تعالى:{فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" فأخرج به نبات كل شيء"[٥].

قال القرطبي: " أي :كل صنف من النبات. وقيل: رزق كل حيوان"[٦].

قال الزمخشري:أي:" نبت كل صنف من أصناف النامي، يعنى أن السبب واحد وهو الماء. والمسببات صنوف مفتنة، كما قال :{يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ} [الرعد : ٤]"[٧].

قال الطبري:أي: "فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش وأرزاق بني آدم وأقواتهم ، ما يتغذون به ويأكلونه فينبتُون عليه وينمون. وإنما معنى قوله : {فأخرجنا به نبات كل شيء}، فأخرجنا به ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويصلحُ، ولو قيل : معناه : فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات ، فيكون{كل شيء}، هو أصناف النبات كان مذهبًا ، وإن كان الوجه الصحيح هو القولَ الأول"[٨].

قوله تعالى:{أَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا} [الأنعام : ٩٩]، أي:" فأخرجنا من النبات شيئاً غضّاً أخضر"[٩].

قال الطبري:" يعني :أخرجنا من الماء الذي أنزلناه من السماء رطبًا من الزرع"[١٠].

قال الماوردي:" يعني: زرعاً رطباً بخلاف صفته عند بذره "[١١].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير القرطبي:٤٧/٧.
(٣) تفسير الطبري:٥٧٣/١١.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٦/٣.
(٥) التفسير الميسر:١٤٠.
(٦) تفسير القرطبي:٤٧/٧.
(٧) الكشاف:٥١/٢.
(٨) تفسير الطبري:٥٧٣/١١.
(٩) صفوة التفاسير:٣٧٩/١.
(١٠) تفسير الطبري:٥٧٢/١١.
(١١) النكت والعيون:١٤٩/٢.

قال ابن كثير:" أي : زرعًا وشجرًا أخضر ، ثم بعد ذلك يخلق فيه الحب والثمر"(١).

قال الزمخشري:أي:" شيئا غضا أخضر. يقال أخضر وخضر، كأعور وعور، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة"(٢).

قال السعدي:" ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء، من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع والنخل، لكثرة نفعهما وكونهما قوتا لأكثر الناس فقال: {فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا...} {وَمِنَ النَّخْلِ}"(٣).

قوله تعالى:{نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا} [الأنعام : ٩٩]، أي:" ثم أخرج من الزرع حَبًّا يركب بعضه بعضًا، كسنابل القمح والشعير والأرز"(٤).

قال الطبري:" يقول : نخرج من الخضر حبًّا يعني : ما في السنبل ، سنبل الحنطة والشعير والأرز ، وما أشبه ذلك من السنابل التي حبُّها يركب بعضه بعضًا "(٥).

قال الماوردي:" يعني: السنبل الذي قد تراكب حبه"(٦).

قال ابن كثير: {حبا متراكبا}" أي : يركب بعضه بعضا ، كالسنابل ونحوها "(٧).

قال الزمخشري:" {نخرج منه}، من الخضر، {حبا متراكبا}، وهو السنبل"(٨).

قال السعدي: {حبا متراكبا}"أي: بعضه فوق بعض، من بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك، من أصناف الزروع، وفي وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط، بل هي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلتها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار"(٩).

عن السدي قوله : " {منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكبًا}، فهذا السنبل"(١٠).

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" وأخرج من طلع النخل -وهو ما تنشأ فيه عذوق الرطب- عذوقًا قريبة التناول"(١١).

قال الضحاك:" يعني: النخل القصارَ الملتزقة بالأرض ، و «القنوان»: طلعه"(١٢).

قال السعدي: "{وَمِنَ النَّخْلِ} أخرج الله {مِنْ طَلْعِهَا} وهو الكفرى، والوعاء قبل ظهور القنو منه، فيخرج من ذلك الوعاء {قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ} أي: قريبة سهلة التناول، متدلية على من

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٦.
(٢) الكشاف:٢/٥١.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(٥) تفسير الطبري:١١/٥٧٤.
(٦) النكت والعيون:٢/١٤٩.
(٧) تفسير ابن كثير:٣/٣٠٦.
(٨) الكشاف:٢/٥١.
(٩) تفسير السعدي:٢٦٧.
(١٠) أخرجه الطبري(١٣٦٦١):ص١١/٥٧٤.
(١١) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٢) أخرجه الطبري(١٣٦٦٨):ص١١/٥٧٦.

أرادها، بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كرب ومراقي، يسهل صعودها"[١].

قال ابن كثير:" {قِنْوَانٌ }: جمع «قِنو» وهي عُذُوق الرّطب، { دَانِيَةٌ } أي : قريبة من المتناول "[٢].

قال البغوي:" والطلع أول ما يخرج من ثمر النخل، {قنوان} جمع قنو وهو العذق، مثل صنو وصنوان، ولا نظير لهما في الكلام، {دانية} أي: قريبة المتناول ينالها القائم والقاعد"[٣].

وفي معنى:«القنوان» ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه الطلع ، قاله الضحاك[٤].

والثاني : أنه الجمار. ذكره الماوردي[٥].

والثالث : هي الأعذاق. وهذا قول ابن عباس[٦]، وقتادة[٧].

قال ابن عباس:"يعني: بـ«القنوان الدانية»، قصار النخل، لاصقة عُذُوقها بالأرض"[٨].

عن قتادة قوله : " {من طلعها قنوان دانية}، قال : عذوق متهدلة"[٩].

وأهل الحجاز يقولون : قِنْوان ، وقيس يقولون : قُنْوان ، وتميم تقول : قُنْيان، بالياء، وهي جمع: قنو ، كما أن :صنوان، جمع: صنو[١٠]، قال امرؤ القيس[١١]:

فَأَثَّتْ أَعَالِيهِ ، وَآدَتْ أُصُولُهُ ... وَمَالَ بِقِنْوانٍ مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا

وقال آخر[١٢]:

---

(١) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٦/٣.
(٣) تفسير البغوي:١٧٢/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٨):ص٥٧٦/١١.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٤٩/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٢):ص٥٧٦/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٣):ص٥٧٦/١١.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٦٦٢):ص٥٧٦/١١.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٦٦٣):ص٥٧٦/١١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٧٦/١١-٥٧٦.
(١١)) ديوانه : ٦٧ ، واللسان (قنا) ، وغيرها كثير. من قصيدته المستجادة ، وهو من أولها ، يصف ظعن يشبهها بالنخل ، يقول قبله :
بِعَيْنَيَّ ظُعْنُ الحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى جَانِبِ الأَفْلاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمرَا
فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا ... حَدَائِقَ دَوْمٍ ، أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا
أَوِ المُكْرعَاتِ مِن نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ ... دُوَيْنَ الصَّفَا اللائِي يَلِينَ المُشقرا
سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ ... وَعَالَيْنَ قِنْوَانًا مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا.
قوله : " فأثت أعاليه " : أي : عظمت والتفت من ثقل حملها. وقوله : " آدت " ، أي تثنت ومالت.
(١٢) لم اتعرف على قائله، والبيت من شواهد الطبري في تفسيره:٥٧٥/١١، ورواه أبو زيد في نوادره : ١٨٢ ، بيتًا مفرادًا ، وقال في تفسيره : " التشذر " ، إذا لقحت الناقة عقدت ذنبها ونصبته على عجزها من التخيل ، فذاك التشذر. و " المذل " (بفتحتين) : أن لا تحرك ذنبها. ولم أعرف لقوله " أسحم " في هذا البيت معنى ، ورواية أبي زيد : " وأسمح". و " التخطار " ، مصدر " خطر الفحل بذنبه خطرًا وخطرانًا وخطيرًا " ، رفعه مرة بعد مرة ، وضرب به حاذيه ، وهما ما ظهر من فخذيه حيث يقع شعر الذنب. وهذا المصدر لم يذكر في

لَهَا ذَنَبٌ كَالْقِنْوِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِ ... وَأَسْحَمَ لِلتَّخْطَارِ بَعْدَ التَّشَدُّرِ

وفي قوله تعالى:{ دَانِيَةٌ} [الأنعام : ٩٩]، وجهان:

أحدهما : دانية من المجتني لقصر نخلها وقرب تناولها ، قاله ابن عباس(١).

والثاني : دانية بعضها من بعض لتقاربها، قاله الحسن(٢).

عن البراء في قوله : " {قنوان دانية}، قال : قريبة"(٣).

قوله تعالى:{وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" وأخرج سبحانه بساتين من أعناب"(٤).

قال الماوردي:" يعني: بساتين من أعناب"(٥).

قال الطبري:" : وأخرجنا أيضًا بساتينَ من أعناب"(٦).

قال ابن كثير:" أي : ونخرج منه جنات من أعناب ، وهذان النوعان هما أشرف عند أهل الحجاز ، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا ، كما امتن تعالى بهما على عباده ، في قوله : { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا } [النحل : ٦٧] ، وكان ذلك قبل تحريم الخمر، وقال : { وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ } [يس : ٣٤]"(٧).

وقرأ الأعمش: «وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ» بالرفع(٨)، على إتباعها «القنوان» في الإعراب ، وإن لم تكن من جنسها ، كما قال عبد الله بن الزبعرى(٩):

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الوَغَى ... مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا (١٠)

قال الطبري:" والقراءة التي لا أستجيز أن يقرأ ذلك إلا بها ، النصبُ : {وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ} ، لإجماع الحجة من القرأة على تصويبها والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، وبُعْدِ معنى ذلك من الصواب إذ قرئ رفعًا" (١١).

قوله تعالى:{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلا وطعمًا وطبعًا"(١٢).

شيء من معاجم اللغة. والمعنى : أنها أقرت ذنبها ، ثم أسمح لها بعد نشاطها وتبخترها فاسترخى.[انظر: حاشية تفسير الطبري:٥٧٥/١١]

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٢):ص٥٧٦/١١.
(٢) النكت والعيون: ١٤٩/٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٦٦٥):ص٥٧٦/١١.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(٥) النكت والعيون:١٤٩/٢.
(٦) تفسير الطبري:٥٧٧/١١.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٠٦/٣.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٦٦٩):ص٥٧٧/١١.
(٩)البيت في الكامل : ١٨٣، والشنتمرى: ١/ ٣٠٧،وابن يعيش: ١/ ٢٢٤، وشواهد الكشاف: ٦٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٧٧/١١.
(١١) تفسير الطبري:٥٧٧/١١.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٠.

قال القرطبي:" وخص الرمان والزيتون بالذكر لقربهما منهم ومكانهما عندهم. وهو كقوله:{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية : ١٧]، ردهم إلى الإبل لأنها أغلب ما يعرفونه"(١).

قال السعدي: " فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت"(٢).

وفي قوله تعالى:{ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} [الأنعام : ٩٩]، قولان:

أحدهما : مشتبها ورقه مختلفاً ثمره ، قال قتادة(٣).
قال القرطبي: أي:" ورق الزيتون يشبه ورق الرمان في اشتمال على جميع الغصن وفي حجم الورق، وغير متشابه في الذواق"(٤).

والثاني : مشتبهاً لونه مختلفاً طعمه ، قاله الكلبي(٥)، وأجازه الطبري(٦).

قال الزمخشري:" المعنى: بعضه متشابها وبعضه غير متشابه، في القدر واللون والطعم. وذلك دليل على التعمد دون الإهمال"(٧).

قال السعدي: " وقوله {مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} يحتمل أن يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره.

ويحتمل أن يرجع ذلك، إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه بعضه بعضا، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون"(٨).

قوله تعالى:{انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ"(٩).

قال السعدي:" أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده"(١٠).

قال الزمخشري:" {انظروا إلى ثمره إذا أثمر}، إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به. وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ، نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال"(١١).

---

(١) تفسير القرطبي:٤٩/٧.
(٢) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٠):ص٥٧٨/١١.
(٤) تفسير القرطبي:٤٩/٧.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٥٠/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٥٧٨/١١.
(٧) الكشاف:٥٢/٢.
(٨) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٩) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٠) تفسير السعدي:٢٦٧.
(١١) الكشاف:٥٢/٢.

قال القرطبي:" أي: نظر الاعتبار لا نظر الإبصار المجرد عن التفكر. والثمر في اللغة جنى الشجر"[١].

قال ابن كثير:{ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ}" أي : نضجه، [وقيل]: فكروا في قُدْرة خالقه من العدم إلى الوجود ، بعد أن كان حَطَبًا صار عِنبًا ورطبًا وغير ذلك ، مما خلق تعالى من الألوان والأشكال والطعوم والروائح ، كما قال تعالى : { وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}[الرعد : ٤]"[٢].

قال ابن عباس[٣]، والضحاك[٤]،وعطاء الخراساني[٥]، وقتادة[٦]، والسدي[٧]، وعبدالله بن ابي إسحاق البصري[٨]:"{ينعه}، نضجه".

عن البراء: {انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه}، قال: نضجه حين ينضج"[٩].

قال السمعاني:{ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه}:" أي: في نضجه، ومنه قول الحجاج حيث خطب، وقال: «إني أرى رءوسا قد أينعت، وآن قطافها، وأنا والله صاحبها، ورأى دماء ترقرق بين اللحى والعمائم»[١٠]"[١١].

قرأ حمزة والكسائي"« ثمرِهِ» بالضم ، وقرأ الباقون بالفتح[١٢]، وفي اختلافه بالضم والفتح قولان:

أحدهما : أن «الثُمُر» بالضم جمع ثمار ، وبالفتح جمع ثمرة ، قاله علي بن عيسى[١٣].

والثاني : أن «الثُمُر» بالضم : المال ، وبالفتح : ثمر النخل ، قاله مجاهد[١٤]، وأبو جعفر الطبري[١٥].

وقرئ:«وينعه» بالضم. يقال: ينعت الثمرة ينعا وينعا. وقرأ ابن محيصن: «ويانعه»[١٦].

---

(١) تفسير القرطبي:٤٩/٧.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٦/٣-٣٠٧.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٦٧٤):ص٥٨١/١١.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٨):ص٥٨٢/١١.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤، حكاه دون ذكر السند.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٦):ص٥٨٢/١١.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٧):ص٥٨٢/١١.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤، حكاه دون ذكر السند.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧١٥):ص١٣٦٠/٤.
(١٠) انظر قول الحجاج في العين"قطف"، والبيان والتبيي:٢١١/٢، وغريب الحديث لابن قتيبة:٦٩٣/٣، والكامل في اللغة والادب:٢٩٨/١، والعقد الفريد: ٢٧٨/٥، وتاريخ دمشق:١٣٤/١٢، وغيرها من المصادر باختلاف يسير بين الالفاظ.
(١١) تفسير السمعاني:١٣١/٢.
(١٢) انظر: السبعة غي القراءات:٢٦٣-٢٦٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٥٠/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٢):ص٥٧٩/١١.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٥٧٩/١١.
(١٦) انظر: الكشاف:٥٢/٢.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" إن في ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه"(١).

قال ابن كثير:" أي : دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته { لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } أي : يصدقون به ، ويتبعون رسله"(٢).

قال السعدي:" فإن المؤمنين يحملهم ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكر في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلا وفطرة، وشرعا"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن في إنزال الله من السماء الماءَ الذي أخرج به نباتَ كل شيء ، والخضِرَ الذي أخرج منه الحبَّ المتراكب ، وسائر ما عدَّد في هذه الآية من صنوف خلقه «لآيات»، يقول : في ذلكم ، أيها الناس ، إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره ، وعند ينعه وانتهائه ، فرأيتم اختلاف أحواله وتصرفه في زيادته ونموّه ، علمتم أن له مدبِّرًا ليس كمثله شيء ، ولا تصلح العبادة إلا له دون الآلهة والأنداد ، وكان فيه حجج وبرهان وبيان {لقوم يؤمنون}،يقول : لقوم يصدقون بوحدانية الله وقدرته على ما يشاء. وخصّ بذلك تعالى ذكره القوم الذين يؤمنون ، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله والمعتبرون بها ، دون من قد طَبعَ الله على قلبه ، فلا يعرف حقًّا من باطل ، ولا يتبين هدًى من ضلالة "(٤).

الفوائد:

١- تناولت الآية أعظم مننه العظيمة، التي يضطر إليها الخلق، من الآدميين وغيرهم، وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعا وقت حاجة الناس إليه، فأنبت الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، فرتع الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا بإحسانه، وزال عنهم الجدب واليأس والقحط، ففرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، مما يوجب لهم، أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له(٥).

٢- أن الآية الكريمة تعرفنا بربِّنا - تبارك وتعالى –بأنه سبحانه أنزل من السماء ماءا فأخرج به جميع أنواع النبات, فلو أنك نظرت في القطعة الواحدة من الأرض التي غذاها الغيث, فإنَّك تجد فيها ما لا يحصى من النبات على شتى أنواعه وألوانه, وأخرج سبحانه من ذلك النبات خضراً, عبَّر عن الخضرة التي اتَّصف بها النبات بقوله: {خَضِراً} , وخضراً أرقُّ وألطف من كلمة: أخضر.

وأخبرنا العليم الخبير سبحانه أنَّه أخرج من ذلك النبات الخضر حباً متراكباً, وهذا الحبُّ المتراكب تراه فيما ينبته القمح والشعير والذرة ونحوها من السنابل, ويخرج من النخيل من طلعها قنوان دانيةٌ, والطَّلع أول ما يرى من عذق النخلة, الواحدة طلعةٌ, ويخرج لنا ربُّنا من طلع النخل قنونًا دانيةً, والقنوان العذق الذي يحمل الثَّمر, والعذق في النَّخلة بمثابة القطف من العنب, وهذه القنوان دانيةٌ, أي قريبة المتناول, وعندما نقف ننظر إلى النَّخل وقد تدلَّت قطوفه, وتهدَّلت, نراها كما وصف ربُّنا: {قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ}.

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٣.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٤) تفسير الطبري:٥٨٢/١١-٥٨٣.
(٥) انظر: تفسير السعدي:٢٦٧.

هذا الذي سبق ذكره مشهد وصفه مليكنا سبحانه لأرضٍ أنبتت النبات, ومشهد آخر يريناه في قطعةٍ أخرى يتمثَّل في الجنَّات, وهي {وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} والجنات البساتين, وهي بساتينٌ من أعنابٍ, وقد يكون الشجر زيتوناً أو رماناً, وما أنبته الله من النبات, وما أخرجه من أشجارٍ قد يكون مشتبهاً, وقد يكون غير متشابه, وقد يتشابه النبات, وقد تتشابه الأشجار, وقد يكون التشابه في الشجر, قد يكون التشابه في الثمر, وقد يكون في الطَّعم, وقد يختلف ذلك كله, فلا تشابه فيه.

إنَّ هذا الوصف الرائع المبهج الممتع يأسرك, ويملك عليك نفسك, ولذا دعانا ربُّنا إلى النظر إليه بأبصارنا, ننظر إلى ثماره من النخيل والأعناب والزيتون والرمان, وننظر إلى ينعه, أي إلى نضجه, وكمال النظر وغايته أن يحصل الاعتبار بما نراه ونشاهده, فإذا هو آياتٌ للمؤمنين, تدلُّهم على ربِّهم, وتهديهم إليه سبحانه.

أعد النظر في هذه الآية التي حدَّثتنا عن إنزال الماء من السماء, وفعل المليك سبحانه بالأرض التي ارتوت بالغيث.

٣- أن التفكير في النبات والثمار وكيفية تكونها من البذرة حتى صارت زرعًا أخضرَ وثمرًا طيبًا بعد جفافها, واختلاف ألوان الثمار وطعومها مع كونها متشابهة في الشكل والورق لا شك يؤدي لمعرفة الله ووحدانيته، ولذلك حثنا الله على النظر للثمار فقال: {انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} فهي تدل دلالة واضحة على وحدانية الله، لذلك ذم الله تعالى المشركين بعد هذه الآية مباشرة فقال: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ} إلى قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}[الأنعام:١٠٠-١٠٠٢].

وقد استنكرالهدهد على قوم بلقيس سجودهم للشمس من دون الله، مستدلًا على وحدانية الله ووجوب إفراده بالعبادة بأنه خلق الماء والنبات وأخرجه بعد أن كان مخبوءًا في السماء والأرض وجعل ذلك حجة على المخالفين(١). حيث قال تعالى عنه: {أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ, اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [النكل:٢٥-٢٦].

٤- في هذه الآية الكريمة: التفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم، قال تعالى:{وهو الذى أنزل من السمآء مآء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا}.

وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآية في إنبات النبات، يدل على تعظيم شأن إنبات النبات، لأنه لو لم ينزل الماء ولم ينبت شيئا لهلك الناس جوعا وعطشا. فهو يدل على عظمته جل وعلا، وشدة احتياج الخلق إليه ولزوم طاعتهم له جل وعلا.

٥- في الآية إثبات السبب، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ}.

٦- أنه ليس كل أحد يعتبر ويتفكر وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: {إِنَّ فِي ذَلِكُم لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(٢).

القرآن

---

(١)نظر:تفسيرابن كثير ٣٦١/٣.

(٢) انظر: تفسير السعدي:٢٦٧.

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)} [الأنعام : ١٠٠]

التفسير:

وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة; اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون، وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له. ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات; جهلا منهم بما يجب له من صفات الكمال، تنزّه وعلا عما نسبه إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء.

سبب النزول:

قال الكلبي: "نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله تعالى وإبليس أخوان، والله خالق الناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب، فذلك قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ}"(١).[ضعيف]

قال القرطبي:" ويقرب من هذا قول المجوس، فإنهم قالوا: للعالم صانعان: إله قديم، والثاني شيطان حادث من فكر الإله القديم، وزعموا أن صانع الشر حادث. وكذا الحائطية من المعتزلة من أصحاب أحمد بن حائط، زعموا أن للعالم صانعين: الإله القديم، والآخر محدث، خلقه الله عز وجل أولا ثم فوض إليه تدبير العالم، وهو الذي يحاسب الخلق في الآخرة. تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا"(٢).

وروي عن ابن جريج:" قوله :{وجعلوا لله شركاء الجن}، قال : قول : الزنادقة"(٣).

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة; اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون"(٤).

قال الطبري: يقول : "وجعلوا لله الجنَّ شركاءَ في عبادتهم إياه "(٥).

عن الضحاك في قوله:{وجعلوا لله شركاء}: يقول: هل تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا فيه سواء؟ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟"(٦).

قال القرطبي: " هذا ذكر نوع آخر من جهالاتهم، أي فيهم من اعتقد لله شركاء من الجن"(٧).

قال ابن كثير:" هذا رد على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، وأشركوا في عبادة الله أن عبدوا الجن ، فجعلوهم شركاء الله في العبادة ، تعالى الله عن شركهم وكفرهم.

فإن قيل : فكيف عُبدت الجن وإنما كانوا يعبدون الأصنام ؟

---

(١) اسباب النزول للواحدي:٢٢١. والكلبي ضعيف.
(٢) تفسير القرطبي:٥٣/٧.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٦٨٩):ص٩/١٢.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(٥) تفسير الطبري:١٠/١٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧١٧):ص١٣٦٠/٤.
(٧) تفسير القرطبي:٥٢/٧.

فالجواب : أنهم إنما عبدوا الأصنام عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك ، كما قال تعالى : { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا * لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا * وَلأضِلَّنَّهُمْ وَلأمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا } [النساء : ١١٧ - ١٢٠] ، وقال تعالى : { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا} [الكهف : ٥٠] ، وقال إبراهيم لأبيه : { يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا } [مريم : ٤٤] ، وقال تعالى : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [يس : ٦٠ ، ٦١] ، وتقول الملائكة يوم القيامة : { سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } [سبأ : ٤١] ، ولهذا قال تعالى : { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ }"[١].

وتقدم اسم «الله» على «الشركاء»، لاستعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك[٢].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} [الأنعام : ١٠٠]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن المجوس نسبت الشر إلى إبليس ، وتجعله بذلك شريكاً لله[٣].

والثاني : أن مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله وشركاء له ، قاله قتادة[٤]، والسدي[٥]، وابن زيد[٦]. كقوله تعالى :{وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}، فَسَمَّى الملائكة لاختفائهم عن العيون جنة .

والثالث : أنه أطاعوا الشيطان في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة ، قاله الحسن[٧]، والزجاج[٨]، والزمخشري[٩].

قال السعدي:" يخبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده وتعرفه إليهم، بآياته البينات، وحججه الواضحات -أن المشركين به، من قريش وغيرهم، جعلوا له شركاء، يدعونهم، ويعبدونهم، من الجن والملائكة، الذين هم خلق من خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم"[١٠].

وفي :{ الْجِنَّ} [الأنعام : ١٠٠]، وجهان من النصب[١١]:

أحدهما : أن يكون تفسيرًا «للشركاء».

والآخر : أن يكون معنى الكلام : وجعلوا لله الجن شركاء ، وهو خالقهم .

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٣.
(٢) انظر: الكشاف:٥٢/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٥٠/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٥٠/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٨٧):ص٩/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٨٨):ص٩/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٥٠/٢.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢٧٧/٢.
(٩) انظر: الكشاف:٥٢/٢.
(١٠) تفسير السعدي:٢٦٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٧/١٢.

وقرئ:«الجن» بالرفع، كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الجن. وبالجر على الإضافة التي للتبيين[١].

قوله تعالى:{وَخَلَقَهُمْ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" وقد علموا أنه تعالى هو الذي خلقهم وانفرد بإيجادهم فكيف يجعلونهم شركاء له؟"[٢].

قال ابن عباس:" والله: خلقهم"[٣].

قال الطبري: يقول : " وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير"[٤].

قال ابن كثير:" أي : وقد خلقهم ، فهو الخالق وحده لا شريك له ، فكيف يعبد معه غيره ، كما قال إبراهيم عليه السلام:{ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصافات : ٩٥ ، ٩٦]، ومعنى الآية : أنه سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق وحده ؛ فلهذا يجب أن يُفْرَد بالعبادة وحده لا شريك له "[٥].

قال القرطبي: أي: خلق الجاعلين له شركاء. وقيل: خلق الجن الشركاء"[٦].

قال الزمخشري:أي:" وخلق الجاعلين لله شركاء. ومعناه: وعلموا أن الله خالقهم دون الجن، ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق. وقيل: الضمير للجن"[٧].

و قوله تعالى:{وَخَلَقَهُمْ} [الأنعام : ١٠٠]، يحتمل وجهين[٨]:

أحدهما : أنه خلقهم بلا شريك له، فَلِمَ جعلوا له في العبادة شريكاً ؟ .

والثاني : أنه خلق من جعلوه شريكاً فكيف صار في العبادة شريكاً .

وقرأ يحيى بن يعمر«وَخَلْقَهُمْ» بتسكين اللام . ومعناه: أنهم جعلوا خلقهم الذي صنعوه بأيديهم من الأصنام لله شريكاً[٩].

وقرأ ابن مسعود: «وهو خلقهم» بزيادة «هو»[١٠].

قوله تعالى:{وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات; جهلا منهم بما يجب له من صفات الكمال"[١١].

قال الطبري:" يقول : وتخرَّصوا لله كذبًا ، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون ، ولكن جهلا بالله وبعظمته ، وأنه لا ينبعي لمن كان إلهًا أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ، ولا أن يشركه في خلقه شريك"[١٢].

---

(١) انظر: الكشاف:٥٢/٢.
(٢) صفوة التفاسير:٣٧٩/١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧١٦):ص١٣٦٠/٤.
(٤) تفسير الطبري:١٠/١٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٣.
(٦) تفسير القرطبي:٥٢/٧.
(٧) الكشاف:٥٢/٢-٥٣.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٥٠/٢.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٥١/٢.
(١٠) انظر: تفسير القرطبي:٥٢/٧.
(١١) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٢) تفسير الطبري:١٠/١٢.

قال ابن كثير:" ينبه به تعالى على ضلال من ضل في وصفه تعالى بأن له ولدا ، كما يزعم من قاله من اليهود في العزير ، ومن قال من النصارى في المسيح وكما قال المشركون من العرب في الملائكة : إنها بنات الله ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا "(١).

قال الماوردي:"«البنون»: قول النصارى في المسيح أنه ابن الله ، وقول اليهود أن عزيراً ابن الله، و«البنات»: قول مشركي العرب في الملائكة أنهم بنات الله"(٢).

قال السعدي:" أي: ائتفكوا، وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم، وافترى عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟!!"(٣).

وفي قوله تعالى:{وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٠]، وجوه:

أحدها:أن معنى :{خرقوا}: كذبوا ، قاله مجاهد(٤)، والحسن(٥)، وقتادة(٦)، وابن جريج(٧)، وابن زيد(٨)، وأبو عمرو(٩).

والثاني : معناه: جعلوا له بنين وبنات. وهذا قول ابن عباس(١٠) .

والثالث: معانه: وصفوا له. قاله الضحاك(١١).

والرابع: يعني: قطعوا له. وهذا قول السدي(١٢).

والخامس: يعني :أنهم تخرَّصوا. وهذا مروي عن ابن عباس(١٣)، وقتادة(١٤) –أيضا-.

والسادس: يريد: افتروا، والخلق والخرق واحد، قاله الفراء(١٥).

قال ابن كثير:" معنى قوله تعالى:{ وَخَرَقُوا}، أي : واختلقوا وائتفكوا ، وتخرّصوا وكذبوا ، كما قاله علماء السلف"(١٦).

وقرأ نافع وحده: «وخرقوا» مشددة الراء، للمبالغة والتكثير، لأن المشركين ادعوا الملائكة بنات الله، والنصارى المسيح. واليهود عزيرا(١٧).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٣.
(٢) النكت والعيون:١٥١/٢.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢١):ص١٣٦٠/٤.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤. حكاه دون السند.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢٣):ص١٣٦١/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٨٩):ص٩/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٨٨):ص٩/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩١):ص٩/١٢-١٠.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧١٩):ص١٣٦٠/٤.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢٢):ص١٣٦١/٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢٠):ص١٣٦٠/٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧١٨):ص١٣٦٠/٤.
(١٤) انظر:تفسير الطبري(١٣٦٨٦):ص٨/١٢، و تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤.حكاه دون ذكر السند.
(١٥) انظر: معاني القرآن:٣٤٨/١.
(١٦) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٣.
(١٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، وزاد المسير:٦١/٢

وقرأ ابن عباس، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «وحرفوا» بحاء غير معجمة وبتشديد الراء وبالفاء. وقرأ ابن السميفع، والجحدري:«وخارقوا» بألف وخاء معجمة[١].

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" تنزَّه الله وتقدّس وعلا عما نسبه إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء"[٢].

قال ابن كثير:" أي : تقدس وتنزه وتعاظم عما يصفه هؤلاء الجهلة الضالون من الأولاد والأنداد ، والنظراء والشركاء"[٣].

قال السعدي:"نزه نفسه عما افتراه عليه المشركون فقال: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} فإنه تعالى، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، وآفة وعيب"[٤].

قال الطبري: يقول : " يقول تعالى ذكره : تنزه الله ، وعلا فارتفع عن الذي يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه ، في ادّعائهم له شركاء من الجن ، واختراقهم له بنين وبنات ، وذلك لا ينبغي أن يكون من صفته ، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع الذي يحدث عنه الأولاد ، والذين تضطرّهم لضعفهم الشهواتُ إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذات ، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز فيضطره شيء إلى شيء ، و لا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذة "[٥].

عن ابن عباس: قوله:"«سبحان الله»، قال: تنزيه الله نفسه عن السوء، ثم قال عمر لعلي رضي الله عنهما، وأصحابه عنده: لا إله إلا الله- قد عرفناه، فما سبحان الله؟ فقال له علي رضي الله عنه: كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها، وأحب أن تقال"[٦].

روي عن ميمون بن مهران: عن «سبحان الله»، فقال: "اسم يعظم الله به، ويحاشى به من السوء"[٧].

عن الضحاك في قوله:"{سبحانه} يقول: عجب"[٨].

عن قتادة:" {سبحانه وتعالى عما يصفون }، عما يكذبون"[٩].

قال الطبري" وأحسب أن قتادة عنى بتأويله: أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه به ، من ادعائهم له بنين وبنات لا أنه وجه تأويل «الوصف» إلى «الكذب»"[١٠].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة استخدام القرآن للأدلة العقلية لإبطال طرق المنحرفين عن الفطرة، وعن آثار الرسل ودينهم،، قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ}، أي: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقهم، ومع ذلك جعلوا له هؤلاء الشركاء؛ ولذلك تجد

(١) انظر:زاد المسير:٦١/٢.
(٢) انظر: التفسير الميسر:١٤٠، وصفوة التفاسير:٣٧٩/١.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٣.
(٤) تفسير السعدي:٢٦٧.
(٥) تفسير الطبري:١٠/١٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٢٦):ص١٣٦١/٤.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٢٧):ص١٣٦١/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٢٨):ص١٣٦١/٤.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٦٩٢):ص١٠/١٢-١١.
(١٠) تفسير الطبري:١١/١٢.

في سياق الآيات كقوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} [الأنعام:١٠١] أن هذا المعنى من الإثبات يُقصد به بيان الامتناع، فإذا تأملت هذه الآية في ذكر إبطال ما ذكره المشركون من الشركاء من الجن، أو من الولد، أو غير ذلك مما لا يليق به سبحانه وتعالى، ولا بتوحيده، وربوبيته، وألوهيته، وعبادته، تجد أنه يستعمل في القرآن مبنياً على إثبات حقائق فطرية عقلية تكون مانعةً من هذا الطارئ الذي ادعاه المخالفون.

٢- أن من الإنس من عبد الجن بطاعتهم وقبول ما يأمرونهم به ويزينونه لهم.

٣- تدل الآية على أن المعبودات التي تعبد من دون الله كثيرة من الطواغيت وغيرها،وكلها منتفية بـ "لا إله إلا الله".

٤- تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد، إذ نزه الله -سبحانه وتعالى -نفسه في كتابه عن النقائص، تارة بنفيها، وتارة بإثبات أضدادها.

٥- أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل، قال الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ - اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: ١ - ٢] والأحد الذي لا نظير له، والصمد المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة. وقال الله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} [المؤمنون: ٩١] ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا، وقال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٠].

القرآن

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)} [الأنعام : ١٠١]

التفسير:

والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق. كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ تعالى الله عما يقول المشركون علوًّا كبيرًا، وهو الذي خلق كل شيء من العدم، ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق.

قوله تعالى:{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام : ١٠١]، أي: والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق"(١).

قال القرطبي:" أي: مبدعهما"(٢).

قال البغوي:" أي: مبدعهما لا على مثال سبق"(٣).

قال ابن كثير:" أي : مبدع السموات والآرض وخالقهما ومنشئهما ومحدثها على غير مثال سبق .. ومنه سميت البدعة بدعة ؛ لأنه لا نظير لها فيما سلف"(٤).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير القرطبي:٥٣/٧.
(٣) تفسير البغوي:١٧٣/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الله الذي جعل هؤلاء الكفرة به له الجنَّ شركاءَ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم:{بديع السماوات والأرض}، يعني: مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن"[١].

قال السدي:" يقول: ابتدعهما فخلقهما، ولم يخلق قبلهما شيئا فيتمثل عليه"[٢].

وروي عن مجاهد نحو ذلك[٣].

عن ابن زيد في قوله:"{بديع السماوات والأرض}، قال: هو الذي ابتدع خلقهما جل جلاله، فخلقهما ولم يكونا شيئًا قبله"[٤].

قال أبو العالية:"يعني قوله: {بديع السماوات والأرض}، ابتدع خلقها، ولم يشركه في خلقها أحد"[٥]. وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[٦].

وقرئ:« بديع» بالجر ردا على قوله :{وجعلوا لله}، أو على {سُبْحَانَهُ } [الأنعام : ١٠٠]. وبالنصب على المدح[٧].

قوله تعالى:{أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ} [الأنعام : ١٠١]، أي: "كيف يكون له ولد وليس له زوجة؟ والولد لا يكون إلا من زوجة"[٨].

قال القرطبي:" أي: من أين يكون له ولد. وولد كل شي شبيهه، ولا شبيه له {ولم تكن له صاحبة}، أي: زوجة"[٩].

قال السعدي:" أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد، الذي لا صاحبة له أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : كيف يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ؟ أي : والولد إنما يكون متولدا عن شيئين متناسبين ، والله لا يناسبه ولا يشابهه شيء من خلقه ؛ لأنه خالق كل شيء ، فلا صاحبة له ولا ولد ، كما قال تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا [تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ * هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْض إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } [مريم : ٨٨ - ٩٥]"[١١].

---

(١) تفسير الطبري:١١/١٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣١):ص١٣٦٢/٤.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٦٢/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٦٩٣):ص١١/١٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٠):ص١٣٦٢/٤.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٦٢/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٧) انظر: الكشاف:٥٣/٢.
(٨) صفوة التفاسير:٣٧٩/١.
(٩) تفسير القرطبي:٥٤/٧.
(١٠) تفسير السعدي:٢٦٧.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٣.

قال الطبري:" والولد إنما يكون من الذكر والأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكون له ولد. وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء. يقول: فإذا كان لا شيء إلا اللهُ خلقه، فأنّى يكون لله ولد، ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد؟"[1].

وقرئ: «ولم يكن له صاحبة»، بالياء[2].

قوله تعالى:{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٠١]، أي: "وهو الذي خلق كل شيء من العدم"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والله خلق كل شيء، ولا خالق سواه. وكلُّ ما تدَّعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه، خلقُه وعبيده، مِلكًا، كان الذي تدعونه ربًّا وتزعمون أنه له ولد، أو جنيًّا أو إنسيًّا"[4].

قال القرطبي:قوله: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ}" عموم معناه الخصوص، أي خلق العالم. ولا يدخل في ذلك كلامه وصفات ذاته. ومثله:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٥٦]، ولم تسع إبليس ولا من مات كافرا. ومثله:{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْء} [الأحقاف : ٢٥]، ولم تدمر السماوات والأرض"[5].

قوله تعالى:{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٠١]، أي: ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق"[6].

قال سعيد بن جبير:" يعني: من أعمالكم عليم"[7].

قال الطبري:" يقول: والله الذي خلق كل شيء، لا يخفى عليه ما خلق ولا شيء منه، ولا يعزب عنه مثقالُ ذرة في الأرض ولا في السماء، عالم بعددكم وأعمالكم، وأعمال من دعوتموه ربًّا أو لله ولدًا، وهو محصيها عليكم وعليهم، حتى يجازي كلا بعمله"[8].

قال ابن كثير:" { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }، فبين تعالى أنه الذي خلق كل شيء ، وأنه بكل شيء عليم ، فكيف يكون له صاحبة من خلقه تناسبه ؟ وهو الذي لا نظير له فأنى يكون له ولد ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"[9].

قال السعدي:" وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر، فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمال حكمته، كما قال تعالى: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} وكما قال تعالى: {وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ} ذلكم الذي خلق ما خلق، وقدر ما قدر"[10].

---

(١) تفسير الطبري:١١/١٢.
(٢) انظر: الكشاف:٥٣/٢.
(٣) التفسير الميسر:١٤٠.
(٤) تفسير الطبري:١٢/١٢.
(٥) تفسير القرطبي:٥٤/٧.
(٦) التفسير الميسر:١٤٠.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٢):ص١٣٦٢/٤.
(٨) تفسير الطبري:١٢/١٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٠٨/٣.
(١٠) تفسير السعدي:٢٦٧.

وفي هذه الآية الكريمة، إبطال الولد من ثلاثة أوجه[١]:

أحدها: أن مبتدع السموات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة، لأن الولادة من صفات الأجسام، ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا.

والثاني:أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس، فلم يصح أن تكون له صاحبة، فلم تصح الولادة.

والثالث: أنه ما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به، ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء، والولد إنما يطلبه المحتاج.

الفوائد:

١- تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد.
٢- ومن فوائد الآية الكريمة: توحيد الإلهية والربوبية، وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير، وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله، ومَن له بعضُ تصورٍ يدرك هذا بتوفيق الله، قال تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ}[النور:٤٠].
٣- ومن الفوائد: أن افعال الخلق - جميعها خيرها وشرها، كبيرها وصغيرها مخلوقة ومصنوعة لله تعالى خلقها وأوجدها كما قال الله - تعالى -:{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنعام: ١٠١]، {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [غافر: ٦٢]، {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [الصافات: ٩٦] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ} [الأنعام: ١٠٢] وَ {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} [فاطر: ٣][٢].
قال العلماء: اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع، والأهواء على أن الخالق هو الله لا سواه، وأن الحوادث كلها حادثة بقدرة الله - تعالى - من غير فرق بين ما يتعلق بقدرة العبد، وبين ما لا يتعلق بها، فهي مقدورة بقدرة الله اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر

٤- ومن الفوائد: إثبات اسمين من اسماءه تعالى، وهما: «البديع»، و«العليم»:
- فـ«البديع»: "هو الذي خلق الخلق، وفطره مبدعا له مخترعا، لا على مثال سبق"[٣].
قال الزجاج:" «البديع»، يقال: أبدعت الشيء إبداعا، إذا جئت به فردا لم يشاركك فيه غيرك، وهذا بديع من فعل فلان، أي: مما يتفرد به، وقال تعالى {بديع السماوات والأرض}، أرد به أنه المنفرد بخلق السموات والأرض وهو: فعيل، بمعنى: مفعل"[٤].
- و«العليم»، أي:المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[٥].

القرآن

(١) انظر: الكشاف:٥٣/٢.
(٢) انظر: **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ٢٩١/١**.
(٣) شأن الدعاء:٩٦.
(٤) تفسير اسماء الله الحسنى:٦٤.
(٥) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)} [الأنعام : ١٠٢]

التفسير:

ذلكم -أيها المشركون- هو ربكم جل وعلا لا معبود بحق سواه، خالق كل شيء فانقادوا واخضعوا له بالطاعة والعبادة. وهو سبحانه على كل شيء وكيل وحفيظ، يدبر أمور خلقه.(1).

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:" ذلكم -أيها المشركون- هو ربكم جل وعلا"(2).

قال السعدي:" أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وصرف عنهم صنوف النقم"(3).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الذي خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم، هو الله ربكم، أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان، والجاعلون له الجن شركاء، وآلهتكم التي لا تملك نفعًا ولا ضرًا، ولا تفعل خيرًا ولا شرًا"(4).

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:"لا معبود بحق سواه"(5).

قال محمد ابن إسحاق:" أي: ليس معه غيره شريك في أمره"(6).

قال الطبري:"وهذا تكذيبٌ من الله جل ثناؤه للذين زعموا أن الجن شركاء الله. يقول جل ثناؤه لهم: أيها الجاهلون، إنه لا شيء له الألوهية والعبادة، إلا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادةُ جميع من في السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها"(7).

قوله تعالى:{خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:" خالق كل شيء فانقادوا واخضعوا له بالطاعة والعبادة"(8).

قال الطبري:أي:"فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة، فذلُّوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك"(9).

قال ابن كثير:" فاعبدوه وحده لا شريك له ، وأقروا له بالوحدانية ، وأنه لا إله إلا هو وأنه لا ولد له ولا والد ، ولا صاحبة له ولا نظير ولا عديل"(10).

---

(١) التفسير الميسر:١٤١.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٤) تفسير البري:١٢/١٢.
(٥) التفسير الميسر:١٤٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٣):ص١٣٦٢/٤.
(٧) تفسير البري:١٢/١٢.
(٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(٩) تفسير الطبري:١٢/١٢-١٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٠٩/٣.

قال السعدي:أي:" فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقصدوا بها وجهه. فإن هذا هو المقصود من الخلق، الذي خلقوا لأجله:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : ٥٦]"[١].

عن ابن عباس:"{اعبدوا}، أي: وحدوا"[٢].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:" وهو سبحانه على كل شيء وكيل وحفيظ، يدبر أمور خلقه"[٣].

قال البغوي:أي: "بالحفظ له وبالتدبير فيه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : حفيظ ورقيب يدبر كل ما سواه ، ويرزقهم ويكلؤهم بالليل والنهار"[٥].

قال الطبري:" يقول: والله على كل ما خلق من شيء رقيبٌ وحفيظ، يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره وتصريفه بقدرته"[٦].

قال الزمخشري:" يعنى: وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال، رقيب على الأعمال"[٧].

قال السعدي:" أي: جميع الأشياء، تحت وكالة الله وتدبيره، خلقا، وتدبيرا، وتصريفا، ومن المعلوم، أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته وتمامه، وكمال انتظامه، بحسب حال الوكيل عليه. ووكالته تعالى على الأشياء، ليست من جنس وكالة الخلق، فإن وكالتهم، وكالة نيابة، والوكيل فيها تابع لموكله.

وأما الباري، تبارك وتعالى، فوكالته من نفسه لنفسه، متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه، والعدل، فلا يمكن لأحد أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خللا ولا فطورا، ولا في تدبيره نقصا وعيبا.

ومن وكالته: أنه تعالى، توكل ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم"[٨].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.
- توحيد الربوبية: معناه: أن الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره.
- وتوحيد الالوهية: معناه:أن الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره وأن لا نعبد إلا إياه.

---

(١) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٤):ص١٣٦٢/٤.
(٣) التفسير الميسر:١٤٠.
(٤) تفسير البغوي:١٧٣/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٠٩/٣.
(٦) تفسير الطبري:١٣/١٢.
(٧) الكشاف:٥٤/٢.
(٨) تفسير السعدي:٢٦٨.

ومن أركان الإيمان: "إيماننا بالله": بإلهيته وربوبيته, لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه, ولا إله غيره ولا رب سواه, واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا يشرك في حكمه أحدا, ولا ضد له ولا ند, ولم يكن له كفوا أحدا "ذي الجلال" ذي العظمة والكبرياء الذي هو أهل أن يجل؛ فلا يعصى, ويذكر فلا ينسى, ويشكر فلا يكفر, ويوحد فلا يشرك معه غيره, ولا يوالى إلا هو {قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء} [الأنعام: ١٦٤] {قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض} [الأنعام: ١٤] {أفغير الله أبتغي حكما} [الأنعام: ١١٤] {أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون} [الزمر: ٦٤] {ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} [الأنعام: ١٠٢، ١٠٣] .

و" الإيمان بما له تعالى من صفة الكمال مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- من الأسماء الحسنى والصفات العلا وإمرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل, وأن كل ما سمى الله تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- الكل حق على حقيقته على ما أراد الله وأراد رسوله, وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته {آمنا به كل من عند ربنا} [آل عمران: ٧] (١).

والعلاقة بين توحيد الربوبيّة وتوحيد الإلهيّة هي التلازم، بمعنى: أنّ الإقرار بتوحيد الربوبيّة يوجب الإقرار بتوحيد الإلهيّة، والقيام به ظاهرًا وباطنا. ولهذا كان الرّسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - يطالبون أممهم بذلك، ويحتجّون عليهم بما يعترفون به من توحيد الربوبيّة، كما قال تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الأنعام:١٠٢]، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ}][الزمر:٣٨].

فالإقرار بتوحيد الربوبيّة مركوز في الفطر، لا يكاد ينازع فيه أحد من المشركين، ولم يعرف عن أحد من طوائف العالم إنكار هذا النّوع إلاّ الدهرية الذينيجحدون الخالق، ويزعمون أنّ العالم يسير بنفسه من غير مدبّر له، كما قال الله عنهم: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ} [الجاثية:٢٤]، فردّ الله عليهم بقوله: {وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ}[الجاثية:٢٤].

فهم لم يبنوا إنكارهم هذا على برهان دلهم عليه بل على مجرّد ظن، والظّن لا يغني من الحق شيئا، كما لم يستطيعوا الإجابة عن قوله تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ} [الطور:٣٥-٣٦]، ولا عن قوله تعالى: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [لقمان:١١]، {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ}[الأحقاف:٤].

ومن تظاهر بجحد هذا النّوع من التّوحيد كفرعون فهو مقرٌّ به في الباطن، كما قال الله - تعالى - عنه: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الإسراء : ١٠٢] ، وقال عنه وعن قومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل : ١٤].

وقال تعالى عن الأمم الأولى: {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} [العنكبوت : ٣٨].

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول:٢/٦٥٥-٦٥٦.

وهذا النوع من التّوحيد كما لم يذهب إلى جحده طائفةٌ معروفةٌ من بني آدم، كذلك في الغالب لم يقع فيه شرك، فالكل مقرون بأنّ الله هو المنفرد بالخلق والتّدبير، ولم يثبت عن أحد من طوائف العالم إثبات خالقين متساويين في الصّفات والأفعال، فالثانوية من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين: خالقا للخير وهو النّور،وخالقا للشّر وهو الظلمة، لا يسوون الظلمة بالنّور، فالنّور عندهم هو الأصل، والظلمة حادثة، وهم متفقون على أنّ النّور خيرٌ من الظلمة. وكذلك النّصارى القائلون بالتثليث، لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب منفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أنّ خالق العالم واحد، ويقولون: إنّ الأب هو الإله الأكبر.

والحاصل أنّ إثبات توحيد الربوبيّة محلّ وفاق، والشرك فيه قليل، ولكن الإقرار به وحده لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بدّ مع ذلك أن يأتي بلازمه، وهو: توحيد الإلهيّة، فإنّ الأمم الكفرية كانت تقرّ بتوحيد الربوبيّة، خصوصا مشركي العرب الذين بعث فيهم خاتم الرّسل صلى الله عليه وسلم، ولم يكونوا بهذا مسلمين لمّا لم يأتوا بتوحيد الإلهيّة، والمستقرئ لآيات القرآن الكريم يجد أنّها تطالب بتوحيد الإلهيّة، وتستدل عليه بتوحيد الربوبيّة، فهي تطالب المشركين بما جحدوه وتستدل عليه بما أثبتوه. فهي تأمر بتوحيد العبادة، وتخبر عن إقرارهم بتوحيد الربوبيّة، فتذكر توحيد العبادة في سياق الطلب، وتوحيد الربوبيّة في سياق الخبر.

وأوّل أمرٍ جاء في المصحف هو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١-٢٢].

وكثيرًا ما نجد في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد العبادة، والأمر به، والجواب عن الشّبه الموجّهة إليه، وكلّ سورة في القرآن بل كلّ آية في القرآن فهي داعيةٌ إلى هذا التّوحيد، لأنّ القرآن إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا هو توحيد الربوبيّة. وإمّا دعاء إلى عبادته وحده لا شريك له وترك ما يعبد من دونه، وهذا هو توحيد الإلهيّة. وإمّا خبر عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء توحيده. وإمّا خبر عن أهل الشرك وعن جزائهم في الدنيا والآخرة، وهذا جزاء من خرج عن حكم التّوحيد. وإمّا أحكام وتشريع، وهذا من حقوق التّوحيد، فإنّ التّشريع حق لله وحده.

وهذا التّوحيد بجميع أنواعه وحقوقه تضمّنته كلمةٌ واحدةٌ هي: "لا إله إلاّ الله"، فإنّها تتضمّن نفيا وإثباتا[(١)].

٢- الإقرار بأن الله الخالق، وأن كل ما على الوجود هو مخلوق خلقه الله تعالى وأوجده، قال الله تعالى {ذَلِكُمُ الله رَبُّكم لا إلهَ إلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيء}.

كما أن الأدلة العقلية تثبت بيقين بأن الله تعالى موجود وجودا حقيقيا، وأنه تعالى الذي خلق هذا الكون بكل ما فيه، وأن القول بخلاف ذلك لا يتفق مع العقل ولا مع الفطرة السليمة.

ولا شك أن الاعتراف لله سبحانه وتعالى بأنه الخالق يفيد الإنسان عظمة الله تعالى؛ وذلك إذا اعترف بأن الخلق كله خلق الله، وأن كل ما في الوجود بإيجاده، وأنه ليس فيه ذرة من خلق أحد، وأن الإنسان مهما اخترع وخلق لا يقدر على خلق مثل ما خلق الله، قال الله: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} [لقمان:١١] ، فلو حاول الإنسان -مثلاً- أن يخلق ذباباً أو ذرة يجعلها متحركة بطبعها ويركب فيها عينيها

(١) انظر: بيان حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل ودحض الشبهات التي أثيرت حوله، ابن الفوزان:١١-١٥.

وأذنيها وأقدامها ومفاصلها ونحو ذلك لا يستطيع، ولو اجتمع الخلق على أن يخلقوا ذرة أو بعوضة فيها نفس وروح وحركة طبعية اختيارية لم يقدروا على ذلك.

وكذلك أيضاً إذا عرفنا أن الله تعالى هو الخالق فإننا نؤمن بأنه المعبود، وذلك كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ} [البقرة:٢١] كأنه قال: أذكركم بأني خلقتكم، وإذا كنتم خلقي فأنتم عبيدي وملكي، والعبيد يطيعون خالقهم ومالكهم، ولا يخرجون عن طواعيته، ولا يتعبدون لغيره، بل يعبدونه وحده، فكيف تتعبدون لمن لم يخلقكم وتتركون الذي خلقكم؟ فالكلام الذي يتعلق بالإيمان بالله يدخل فيه جميع ما يأتي من الإيمان بالصفات ونحوها[١].

٣- ومن اسمائه تعالى:«الوكيل»: قال الفراء: الوكيل: الكافي[٢]، ويقال معناه: أنه الكفيل بأرزاق العباد، والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه الذي يستقل بالأمر الموكول إليه ومن هذا قول المسلمين: { حَسْبُنَا اللهَ ونعْمَ الوَكِيلُ} [آل عمران:١٧٣] أي: نعم الكفيل بأمورنا والقائم بها[٣].

القرآن

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام : ١٠٣]

التفسير:

لا ترى اللهَ الأبصارُ في الدنيا، أما في الدار الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم بغير إحاطة، وهو سبحانه يدرك الأبصار ويحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه، وهو اللطيف بأوليائه الذي يعلم دقائق الأشياء، الخبير الذي يعلم بواطنها.

قوله تعالى:{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام : ١٠٣]، أي:" أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به"[٤].

قال القرطبي:" قوله تعالى:{وهو يدرك الأبصار}، أي: لا يخفى عليه شي إلا يراه ويعلمه. إنما خص الأبصار، لتجنيس الكلام"[٥].

قال السعدي: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}" أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة، فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال :«لا تراه الأبصار» ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم. {وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ} أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفية، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها"[٦].

---

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة، ابن جبرين: الدرس٣/ص١١.[مرقم آليا].
(٢) انظر: معاني القرآن:١١٦/٢، ١٩٨.
(٣) انظر: شأن الدعاء:٧٧.
(٤) انظر: التفسير الميسر:١٤٠، وصفوة التفاسير:٣٨٠/١.
(٥) تفسير القرطبي:٥٦/٧.
(٦) تفسير السعدي:٢٦٨.

اختلف في تفسير قوله تعالى:{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام : ١٠٣]، على أقوال:

أحدها : معناه لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بالأبصار. وهذا قول ابن عباس(١)، وقتادة(٢)، وعطية العوفي(٣).

واعتل قائل هذا بقوله :{فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ}، فوصف الله الغرق بأنه أدرك فرعون ، وليس الغرق موصوفاً بالرؤية ، كذلك الإدراك هنا ، وليس ذلك بمانع من الرؤية بالإبصار ، غير أن هذا اللفظ لا يقتضيه وإن دل عليه قوله :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة :٢٢- ٢٣](٤).

قال القرطبي:" قوله تعالى:{لا تدركه الأبصار} بين سبحانه أنه منزه عن سمات الحدوث، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد، كما تدرك سائر المخلوقات، والرؤية ثابتة"(٥).

قال البغوي:"أما قوله: {لا تدركه الأبصار} علم أن الإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو: الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به، والرؤية: المعاينة، وقد تكون الرؤية بلا إدراك، قال الله تعالى في قصة موسى :{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ} [الشعراء : ٦١]، {قَالَ كَلَّا} [الشعراء : ٦٢]، وقال: {لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} [طه : ٧٧] ، فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية، فالله عز وجل يجوز أن يرى من غير إدراك وإحاطة كما يعرف في الدنيا ولا يحاط به، قال الله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه : ١١٠]، فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم"(٦).

والقول الثاني : معناه: لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار. وهذا قول السدي(٧).

واعتل قائلو ذلك بأمرين(٨):

أحدهما : أن الأبصار ترى ما بينها ولا ترى ما لاصقها ، وما بين البصر فلا بد أن يكون بينهما فضاء ، فلو رأته الأبصار لكان محدوداً ولخلا منه مكان ، وهذه صفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان .

والثاني : أن الأبصار تدرك الألوان كما أن السمع يدرك الأصوات ، فلما امتنع أن يكون ذا لون امتنع أن يكون مرئياً ، كما أن ما امتنع أن يكون ذا صوت امتنع أن يكون مسموعاً .

وقد روي عن مسروق، عن عائشة قالت: "من حدَّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه فقد كذب! {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} ، [سورة الشورى: ٥١] ، ولكن قد رأى جبريل في صورته مرتين"(٩).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٤):ص١٣/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٥):ص١٣/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٦):ص١٣/١٢-١٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٣/١٢-١٤.
(٥) تفسير القرطبي:٥٤/٧.
(٦) تفسير البغوي:١٧٤/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٧):ص١٦/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٢-١٨.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٦٩٨):ص١٦/١٢.

قال ابن كثير:" ورواه غير واحد عن مسروق ، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة غير وجه[١]، وقد خالفها ابن عباس ، فعنه إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين"[٢].

والمشهور[٣]عن ابن عباس أنه رآه بعينه، وحجته قوله تعالى:{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ١١] [٤].

وروي ذلك عنه من طرق، وقال: "إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدا بالرؤية"[٥].

وذكر ابن إسحاق: "أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله: هل رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه؟ فقال: نعم"[٦].

وعن عبد الله بن الحارث، قال: "اجتمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم، نزعم أو نقول: «إن محمدا رأى ربه مرتين» ، قال: فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد، وموسى، صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه، وكلمه موسى"[٧].

وروى مالك بن يخامر عن معاذ: أنه - عليه السلام - قال: «رأيت ربي»، قال: وذكر كلمة"[٨].

وحكى عبد الرزاق: أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه[٩].

قال القرطبي:"وحكاه أبو عمر الطلمنكي[١٠] عن عكرمة، وحكاه بعض المتكلمين عن ابن مسعود، والأول عنه أشهر"[١١]. يعني: رؤية جبريل-عليه السلام-

وحكى أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة: أنه رأى ربه -يعني بقلبه[١٢]، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود[١٣].

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: "هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم"[١٤].

وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: "أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه رآه! حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد"[١٥].

---

(١)رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦١٢) ومسلم في صحيحيه برقم (١٧٧) والترمذي في السنن برقم (٣٠٦٨) من طريق الشعبي ، عن مسروق به.

(٢) تفسير ابن كثير:٣٠٩/٣.

(٣)قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٠٩ - ٥١٠: الذي ثبت عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين؛ وعائشة أنكرت الرؤية. فمن الناس من جمع بينهما؛ فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد .. ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما في "صحيح مسلم" عن أبي ذر قال: سألت رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنى أراه .. ". اهـ..[مجموع الفتاوى:٥٠٩/٦].

(٤) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(٥) المعجم الكبير للطبرني(١١٩١٤):ص٣٣٢/١١، والشريعة للآجري(٦٨٧):ص١١١٥/٣، ورؤية الله للدارقطني(٢٦٢):ص٣٤٥، وغيرها. صححه الألباني في ظلال الجنة: ٤٣٦.

(٦)رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" ١/ ١٧٥، ورواه ابن أبي شيبة في "العرش" ص٦٩ (٣٨).

(٧) التوحيد لابن خزيمة:٥٦٠/٢،والرؤية للدارقطني(٢٢٦):ص٣٠٨، وانظر: سنن الترمذي(٣٢٧٨):ص٢٤٧/٥، باختلاف في الالفاظ.

(٨)رواه الترمذي (٣٢٣٥)، بطولة بقصة، وقال: حسن صحيح؛ ثم نقل عن البخاري تصحيحه لهذا الحديث.

(٩)رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤٠٢ (٣٠٣٣).

(١٠)قال العلامة الشمني في "مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء" ١/ ١٩٧: الظاهر أنه الطلمنكي.

(١١) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(١٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

(١٣) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

(١٤) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(١٥) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

وحكى عبد الله بن أحمد، عن أبيه أنه قال: رآه"(١).

وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى الله ببصره وعيني رأسه"(٢).

وروى ابن مردويه في "تفسيره"، عن الضحاك وعكرمة في حديث طويل، وفيه: "فلما أكرمني ربي برؤيته بأن أثبت بصري في قلبي احتد بصري لرؤية نور العرش .. " الحديث، ورواه اللالكائي من حديث حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعا: "رأيت ربي جل وعز" (٣)، ومن حديث أبي هريرة قال: "رأيت ربي جل وعز .. " الحديث(٤).

وقال جماعة منهم أبو العالية والقرظي والربيع بن أنس: "إنه إنما رأى ربه بقلبه وفؤاده"(٥). وحكي عن ابن عباس أيضا وعكرمة(٦).

وروى عطاء، عن ابن عباس: رآه بقلبه(٧)، وكذا رواه عكرمة عند الترمذي محسنا(٨).

وفي "صحيح مسلم" عن أبي العالية عنه: "رآه بفؤاده مرتين"(٩).

وقال أبو عمر: "قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه، وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار"(١٠).

وعن مالك بن أنس قال: "لم ير في الدنيا، لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي"(١١).

قال القاضي عياض: "وهذا كلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه"(١٢).

والقول الثالث : لا تدركه أبصار الخلق في الدنيا بدليل قوله : {لاَ تَدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} وتدركه في الآخرة بدليل قوله :{إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[القيامة : ٢٣] وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة.

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا:"الإدراك"، وإن كان قد يكون في بعض الأحوال بغير معنى الرؤية، فإن الرؤية من أحد معانيه. وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصرُه شيئًا فيراه، وهو لما أبصره وعاينه غير مدرك، وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية. قالوا: فرؤية ما عاينه الرائي إدراك له، دون ما لم يره. قالوا: وقد أخبر الله أن وجوهًا يوم القيامة إليه ناظرة. قالوا، فمحالٌ أن تكون إليه ناظرة وهي له غير مدركة رؤيةً. قالوا: وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون في أخبار الله تضادٌّ وتعارض، وجب وصحّ أن قوله:{لا تدركه الأبصار}، على الخصوص لا على العموم، وأن معناه: لا تدركه الأبصار في الدنيا، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}(١٣).

---

(١) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.
(٢) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.
(٣) شرح أصول الاعتقاد: ٣/ ٥٦٧ (٨٩٧).
(٤)السابق ٣/ ٥٧٥ (٩١٩)، ولفظه: رأيت ربي في منامي في أحسن صورة.
(٥) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.
(٦) انظر: الشفا:٣٧٨/١، وتفسير القرطبي:٥٦/٧.
(٧)"صحيح مسلم" (١٧٦) في الإيمان, باب معنى قول الله -عز وجل- {ولقد رآه نزلة أخرى}.
(٨)"سنن الترمذي" (٣٢٨١)، وانظر: "صحيح الترمذي" (٢٦١٥).
(٩)"صحيح مسلم" (١٧٦/ ٢٨٥).
(١٠) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.
(١١) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.
(١٢) انظر: الشفا:٣٨٤/١، ونقله القرطبي في تفسيره:٥٦/٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٢-١٩.

والرابع : لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة ، وتدركه أبصار المؤمنين ، وهو يدرك الأبصار في الدنيا والآخرة ، لأن الإدراك له كرامة تنتفي عن أهل المعاصي(١).
والقول الخامس : أن الأبصار لا تدركه في الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس يرونه بها ، اعتِلالاً بأن الله أخبر برؤيته ، فلو جاز أن يُرَى في الآخرة بهذه الأبصار وإن زِيْدَ في قواها جاز أن يرى بها في الدنيا وإن ضعفت قواها بأضعف من رؤية الآخرة ، لأن ما خُلِقَ لإدراك شيء لا يُعْدَمُ إدراكه ، وإنما يختلف الإدراك بحسب اختلاف القوة والضعف ، فلما كان هذا مانعاً من الإدراك - وقد أخبر الله تعالى بإدراكه - اقتضى أن يكون ما أخبر به حقاً لا يدفع بالشبه ، وذلك بخلق حاسة أخرى يقع بها الإدراك(٢).
القول السادس: أن المراد بقوله:{ لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ }، أي: العقول. وهذا قول أبي الحصين يحيى بن الحصين قارئ أهل مكة(٣).
قال ابن كثير:" هذا غريب جدًا ، وخلاف ظاهر الآية ، وكأنه اعتقد أن الإدراك في معنى الرؤية"(٤).
القول السابع: إنه تعالى لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. وهذا قول المعتزلة(٥).
قال ابن كثير:" وقال آخرون ، من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية : إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة. فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك ، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. أما الكتاب ، فقوله تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ، وقال تعالى عن الكافرين : { كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين : ١٥].
قال الإمام الشافعي : «فدل هذا على أن المؤمنين لا يُحْجَبُون عنه تبارك وتعالى»(٦).
وأما السنة ، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، وأنس ، وجرير ، وصُهَيْب ، وبلال ، وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم : أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات ، وفي روضات الجنات ، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين"(٧).
قال البغوي:" يتمسك أهل الاعتزال بظاهر هذه الآية في نفي رؤية الله عز وجل عيانا.

ومذهب أهل السنة: إثبات رؤية الله عز وجل عيانا جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : ٢٢ ، ٢٣]، وقال: { كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين : ١٥]، قال مالك رضي الله عنه:«لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب»(٨).

وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]»(٩) ، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل"(١)(٢).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٢-٢٠.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٣٩):ص١٣٦٣/٤، وتفسير ابن كثير:٣١٠/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٠/٣.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير:٣٠٩/٣.
(٦) قال إبراهيم المزني، -صاحب الشافعي-: "سمعت الشافعي، يقول في قوله: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} [المطففين: ١٥]، قال: «فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة». [شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي(٨٠٩):ص٥١٨/٣]. ونقله ابن كثير في تفسيره:٣٠٩/٣، باختلاف يسير في الالفاظ.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٠٩/٣.
(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٨٠٨):ص٥١٨/٣، وتفسير البغوي:١٧٤/٣.
(٩) الحديث: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة، إن لكم موعدا عند الله موعدا (١) لم تروه، فقالوا: وما هو؟ ألم تبيض

وأخرج الآجري بسنده إلى عبد الله بن وهب قال: "قال مالك - رحمه الله تعالى - "الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم"[٣].

وممن صرح بأن الله عز وجل يرى يوم القيامة بالأبصار وأنكر على من أنكر ذلك. إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله -[١].

وجوهنا وتزحزحنا (٢) عن النار، وتدخلنا الجنة؟ " قال: " فيكشف (٣) الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم منه " ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} (٤) [يونس: ٢٦].[إسناده صحيح]

اخرجه احمد(١٨٩٣٥):ص٢٦٥/٣١، مسلم (١٨١) (٢٩٨) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١٨١، والشاشي (٩٨٨) و (٩٨٩) ، والآجري في "الشريعة" ص٢٦١، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٨٣٣) ، والبيهقي في "الاعتقاد" ص٧٩ من طريق يزيد ابن هارون.

وأخرجه الطيالسي (١٣١٥) ، وهناد في "الزهد" (١٧١) ، والدارمي في "الرد على الجهمية" ص ٤٦، وابن ماجه (١٨٧) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٤٧٢) ، والبزار في "مسنده" (٢٠٨٧) ، والطبري في "تفسيره" (١٧٦٢٦) ، وأبو عوانة ١٥٦/١، والشاشي (٩٩٠) ، والطبراني في "الكبير" (٧٣١٤) و (٧٣١٥) ، وفي "الأوسط" (٧٦٠) ، وابن عدي في "الكامل" ٦٧٦/٢، وابن منده في "السنة" (٧٨٤) و (٧٨٥) و (٧٨٦) ، واللالكائي (٨٧٨) ، وأبو نعيم في "الحلية" ١٥٥/١، والبيهقي في "البعث والنشور" (٤٩١) ، والبغوي في "شرح

السنة" (٤٣٩٣) من طرق عن حماد بن سلمة.

وخالف حماد بن سلمة في رفعه حماد بن زيد فيما أخرجه الطبري في "تفسيره" (١٧٦١٩) و (١٧٦٢٢) ، والدارقطني في "الرؤية" (٢٠٨) و (٢٠٩) و (٢١٠) ، وسليمان بن المغيرة فيما أخرجه الطبري (١٧٦٢٠) و (١٧٦٢١) ، والدارقطني (٢١١) ، ومعمر فيما أخرجه الطبري (١٧٦٢٣) ، والدارقطني (٢١٢) و (٢١٣) ثلاثتهم عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله.

وقد أشار إلى إرساله الترمذي عقب الرواية رقم (٢٥٥٢) ، فقال: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وروى سليمان بن المغيرة وحماد بن زيد هذا الحديث عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله. يعني لم يذكر فيه: عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم كما وضح ذلك عقب الرواية (٣١٠٥).

ولا يضر إرساله، لأن حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت البناني، والقول قوله فيما خولف فيه. فقد قال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت فالقول قول حماد، قيل: فسليمان بن المغيرة، عن ثابت؟ قال: سليمان ثبت وحماد أعلم الناس بثابت. وقد أخرجه مسلم مرفوعا كما رأيت.

وسيأتي بالأرقام (١٨٩٣٦) و (١٨٩٤١) و١٥/٦.

قال السندي: قوله: "لم تروه"، أي: ما رأيتموه إلى الآن.

"ألم تبيض"، بالخطاب مع الله تعالى.

"وتزحزحنا" بإعجام زاي وإهمال حاء مكررتين، أي: تبعدنا.

"ثم تلا": لبيان أن المراد بالزيادة النظر إلى وجهه الكريم جل وعلا.

(١) تفسير البغوي:١٧٣/٣-١٧٤.

(٢) وروي عن عن عبد الرحمن بن سابط ، قال: "الزيادة: النظر إلى وجه ربهم عز وجل".

ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٣٥٩) وعزاه لابن جرير والدارقطني.

وقد أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٣ / ٤٢٩ / رقم ١٦٨١٥) .وسعيد بن منصور في سننه(١٠٥٩):ص٣١١/٥.

وابن جرير في "تفسيره" (١٥ / ٦٩ / رقم ١٧٦٣٢) .

وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤ / ل ١٢٤ / ب) .

والدارقطني في "الرؤية" (ص ٣٠٥ / رقم ٢٢١ و ٢٢٢) .

واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣ / ٥١٢ / رقم ٧٩٥) .

جميعهم من طريق جرير بن عبد الحميد، به.

وروي عن عن حذيفة: " {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: ٢٦] "، قال: «النظر إلى وجه الله». [مصنف ابن أبي شيبة(٣٤٨٠٦):ص١٤٠/٧].

وروي عن أبي بكر الصديق، في قوله: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: ٢٦] قال: " الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل ". [مسند إسحاق بن راهويه(١٤٢٤):ص٧٩٣/٣]

(٣)الشريعة : ٢٥٤.

قال ابن عطية:" أجمع أهل السنة على أن الله تعالى يرى يوم القيامة، يراه المؤمنون وقاله ابن وهب عن مالك بن أنس، والوجه أن يبين جواز ذلك عقلا ثم يستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز، واختصار تبيين ذلك يعتبر بعلمنا بالله عز وجل، فمن حيث جاز أن نعلمه لا في مكان ولا متحيز ولا مقابل ولم يتعلق علمنا بأكثر من الوجود، جاز أن نراه غير مقابل ولا محاذى ولا مكيفا ولا محدودا، وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول: مسألة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك وهو قوله عز وجل: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : ٢٢ ، ٢٣]، وتعدية النظر يأتي إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة"[٢].

قال الإمام الطبري:"والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:«إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر»[٣]، «وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب»[٤]، فالمؤمنون يرونه، والكافرون عنه يومئذ محجوبون، كما قال جل ثناؤه: (كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) [سورة المطففين: ١٥]"[٥].

روي عن عِكْرِمة قال: "سمعت ابن عباس يقول : رأى محمد ربه تبارك وتعالى. فقلت : أليس الله يقول : { لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ } الآية ؟ فقال : لي "لا أم لك. ذلك نوره ، الذي هو نوره ، إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء". وفي رواية : "لا يقوم له شيء"[٦].

وفي معنى هذا الأثر ما ثبت في الصحيحين ، عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور - أو : النار - لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٧].

قال ابن كثير:"وفي الكتب المتقدمة : إن الله تعالى قال لموسى لما سأل الرؤية : يا موسى ، إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده. أي : تدعثر. وقال تعالى : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف : ١٤٣] ونفي هذا الأثر الإدراك الخاص لا ينفي الرؤية يوم القيامة [٨] يتجلى لعباده

---

(١)انظر: "الرد على الجهمية والزنادقة له ص ١٢٦ وما بعدها" وانظر: "الشريعة ص ٢٥٤ و٢٥٥" والإمام الشافعي - رحمه الله -. انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص ٢/ ٤٦٨/ ٨٠٩" وهو مروي عن عدد من الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح. انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٧٠ وما بعدها.

(٢) المحرر الوجيز:٣٣٠/٢.

(٣) أخرجه أحمد(٩٠٥٨):ص١٥/٢٤-٢٥، و أخرجه البخاري: مواقيت ١٦ - ٢٦، أذان ١٢٩، رقاق ٥٣، توحيد؛ ٢٤، وذلك بلفظ: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر"، وأبو داود (٤٧٣٠)، وابن ماجه (١٧٨) ، والترمذي (٢٥٥٤)، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى بلفظ: "إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: "فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ". [إسناده قوي]

(٤)البخاري كما في الفتح (١١/ ٤٥٣: ٦٥٧٣)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٦٣: ١٦٦)، كتاب الإيمان، ورواه أبو داود رقم (٤٧٣٠) في السنة، باب في الرؤية، والترمذي رقم (٢٥٥٧) في صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، وهو حديث صحيح..

(٥) تفسير الطبري:٢٠/١٢.

(٦)سنن الترمذي برقم (٣٢٧٩) والسنة لابن أبي عاصم برقم (٤٣٧) والمستدرك (٣٠٦/٢) وقال الترمذي : "حسن غريب". وقال ابن أبي عاصم : "فيه كلام".

(٧)رواه مسلم في صحيحه برقم (١٧٩) ولم أجده بعد البحث في صحيح البخاري حتى الحافظ المزى لم يذكره في تحفة الأشراف من رواية البخاري.

(٨)انظر : شرح العقيدة الطحاوية (٢١٤/١) لابن أبي العز الحنفي للتوسع في بحث الرؤية.

المؤمنين كما يشاء. فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه - تعالى وتقدس وتنزه - فلا تدركه الأبصار ؛ ولهذا كانت أم المؤمنين عائشة ، رضي الله عنها ، تثبت الرؤية في الدار الآخرة وتنفيها في الدنيا ، وتحتج بهذه الآية : { لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ } فالذي نفته الإدراك الذي هو بمعنى رؤية العظمة والجلال على ما هو عليه ، فإن ذلك غير ممكن للبشر ، ولا للملائكة ولا لشيء، وقوله : { وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ }، أي : يحيط بها ويعلمها على ما هي عليه ؛ لأنه خلقها كما قال تعالى : { أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الملك : ١٤]"[١].

قال ابن القيم رحمه الله: "فقوله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية[٢].

قوله تعالى:{وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : ١٠٣]، أي:" وهو سبحانه يدرك الأبصار ويحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه"[٣].

قال الطبري:" يقول: والله تعالى ذكره المتيسر له من إدراك الأبصار، والمتأتِّي له من الإحاطة بها رؤيةُ ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه وإحاطتها به ويتعذر عليها، {الخبير}، يقول: العليم بخلقه وأبصارهم، والسبب الذي له تعذر عليها إدراكه، فلطف بقدرته فهيأ أبصار خلقه هيئة لا تدركه، وخبرَ بعلمه كيف تدبيرها وشؤونها وما هو أصلح بخلقه"[٤].

قال الزمخشري:" {وهو اللطيف}: يلطف عن أن تدركه الأبصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الأبصار، لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف"[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣١١.

(٢) حادي الارواح:٤١٢، ثم قال:

قال ابن عباس: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} لا تحيط به الأبصار. قال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار، وقال عطية: ينظرون إلى الله، ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم، فذلك قوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} فالمؤمنون يرون ربهم -تبارك وتعالى- بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله -عز وجل- بأن شيئًا يحيط به وهو بكل شيء محيط، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه. مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثيل له، وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل إنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه. فقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته، وقوله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك. وقوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الحديد: ٤] من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته، بل خلقهم خارجًا عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه، فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا. وتأمل حسن هذه المقابلة لفظًا ومعنى بين قوله: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ} فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه، فهو العظيم في لطفه اللطيف في عظمته، العالي في قربه القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير".[انظر: حادي الأرواح : ٤١٢-٤١٤].

(٣) التفسير الميسر:١٤٠.

(٤) تفسير الطبري:١٢/٢٢-٢٣.

(٥) الكشاف:٢/٥٤.

قال السعدي: الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن. ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين"[١].

قال القرطبي:"{ اللَّطِيفُ} أي: الرفيق بعباده، يقال: لطف فلان بفلان يلطف، أي رفق به. واللطف في الفعل الرفق فيه. واللطف من الله تعالى التوفيق والعصمة. وألطفه بكذا، أي بره به"[٢].

وعن أبي العالية:"{اللطيف} باستخراجها،{الخبير}، بمكانها"[٣].

قال ابن كثير:" وهذا كما قال تعالى إخبارا عن لقمان فيما وعظ به ابنه : { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } [لقمان : ١٦]"[٤].

وقال الجنيد: "«اللطيف»: مَنْ نوّر قلبك بالهدى، وربّى جسمك بالغذاء، وجعل لك الولاية في البلوى، ويحرسك وأنت في لظى، ويدخلك جنة المأوى"[٥].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: استحالة رؤية الرب في الدنيا، وجوازها في الآخرة لأوليائه في دار كرامته.
٢- ومنها: إثبات اسمين من أسماء الله. وهما {اللطيف}، و{الخبير}:
- اللطيف: "هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله -سبحانه-: {الله لَطِيْفٌ بِعِبَاده يَرْزقُ مَنْ يَشَاءُ وهُوَ القوي العَزيز} [الشورى:١٩]"[٦].

وحكى أبو عمر عن أبي العباس عن ابن الأعرابي قال: "«اللطيف»، الذي يوصل إليك أربك في رفق"[٧].

قال الخطابي:" ومن هذا قولهم: لطف الله لك، أي: أوصل إليك ما تحب في رفق، ويقال: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية. وقد يكون اللطف بمعنى الرقة، والغموض، ويكون بمعنى الصغر في نعوت الأجسام، وذلك مما لا يليق بصفات الباري -سبحانه"[٨].

قال ابن الاثير:"وقيل: [اللطيف]: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية"[٩].

---

(١) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٢) تفسير القرطبي:٥٧/٧.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٧٠٢):ص٢٣/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(٥) تفسير القرطبي:٥٧/٧.
(٦) شأن الدعاء:٦٢.
(٧) انظر: اللسان"لطف":ص٤٠٣٦/٧، وتهذيب اللغة "لطف":ص٢٣٥/١٣، وشأن الدعاء:٦٢، والأسماء والصفات للبيهقي:١٦٤/١، .
(٨) شأن الدعاء:٦٢.
(٩) جامع الأصول:١٧٣/٤.

قال قتادة: في قوله: "{إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ}[1] ، لطف بيوسف وصنع له حتى أخرجه من السجن، وجاء بأهله من البدو، ونزع من قلبه نزغ الشيطان، وتحريشه على إخوته"[2].

- و«الخبير»: أي:" العالم العارف بما كان وما يكون"[3].

قال الخطابي:"هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، كقوله تعالى: { فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيْرَاً } [الفرقان:٥٩]. يقال فلان بهذا الأمر خبير؛ وله به خبر، وهو أخبر به من فلان؛ أي: أعلم. إلا أن الخبر في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع العلم الذي يدخلة الاختبار، ويتوصل إليه بالامتحان، والاجتهاد، دون النوع المعلوم ببدائه العقول.

وعلم الله -سبحانه- سواء فيما غمض من الأشياء و فيما لطف، وفيما تجلى به منه وظهر. وإنما تختلف مدارك علوم الآدميين الذين يتوصلون إليها بمقدمات من حس، وبمعاناة من نظر، وفكر؛ ولذلك قيل لهم: ليس الخبر كالمعاينة، وتعالى الله عن هذه الصفات علوا كبيرا"[4].

والفرق بين «العلم»، و«الخبر»: "أن الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها؛ ففيه معنى زائد على العلم"[5].

القرآن

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)} [الأنعام : ١٠٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: قد جاءتكم براهين ظاهرة تبصرون بها الهدى من الضلال، مما اشتمل عليها القرآن، وجاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام، فمَن تبيَّن هذه البراهين وآمن بمدلولها فنَفْعُ ذلك لنفسه، ومَن لم يبصر الهدى بعد ظهور الحجة عليه فعلى نفسه جنى، وما أنا عليكم بحافظ أحصي أعمالكم، وإنما أنا مبلغ، والله يهدي مَن يشاء ويضل مَن يشاء وَفْق علمه وحكمته.

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأنعام : ١٠٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: قد جاءتكم براهين ظاهرة تبصرون بها الهدى من الضلال، مما اشتمل عليها القرآن، وجاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام"[6].

قال الزجاج:" أي: قد جاءكم القرآن الذي فيه البيان والبصائر"[7].

قال البغوي:"يعني: الحجج البينة التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل"[8].

---

(١) [يوسف:١٠٠].
(٢) أخرجه الطبري(١٩٩٣٩):ص٢٧٧/١٦، وابن أبي حاتم(١٢٠٠٦):ص٢٢٠٣/٧.
(٣) جامع الأصول:١٧٣/٤.
(٤) شأن الدعاء:٦٣.
(٥) الفروق، ابو هلال العسكري:٧٤.
(٦) التفسير الميسر:١٤٠.
(٧) معاني القرآن:٢٧٩/٢.
(٨) تفسير البغوي:١٧٤/٣-١٧٥.

قال السعدي:"أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربى خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات"(١).

قال القرطبي:" { بَصَائِرُ}، أي: آيات وبراهين يبصر بها ويستدل، جمع بصيرة وهي الدلالة"(٢).

قال الطبري:" وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبَّههم بهذه الآيات من قوله: {إن الله فالق الحب والنوى} إلى قوله:{وهو اللطيف الخبير}، على حججه عليهم، وعلى سائر خلقه معهم، العادلين به الأوثان والأنداد، والمكذبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله، قل لهم يا محمد:{قد جاءكم}، أيها العادلون بالله،والمكذبون رسوله، {بصائر من ربكم}، أي: ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر"(٣).

قال ابن كثير:" البصائر : هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن ، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم"(٤).

قال الزمخشري:" «البصيرة»: نور القلب الذي به يستبصر، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر، أى: جاءكم من الوحى، والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر"(٥).

عن ابن زيد:" «البصائر»: الهدى، بصائر في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرؤوس. وقرأ: {فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [سورة الحج: ٤٦]، وقال: إنما الدين بصره وسمعه في هذا القلب"(٦).

وعن قتادة:"{قد جاءكم بصائر من ربكم}، أي: بينة"(٧).

و«البصائر»: جمع«بصيرة»، ومنه قول لأسعر الجعفي (٨):

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ... وَبَصِيرَتِي يَعْدُو بِهَا عَتَدٌ وَأَى(٩)

---

(١) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٢) تفسير القرطبي:٥٧/٧.
(٣) تفسير الطبري:٢٣/١٢-٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(٥) الكشاف:٥٥/٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٧٠٣):ص٢٤/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٧٠٤):ص٢٤/١٢.
(٨)الأصمعيات: ٢٣ -طبعة المعارف-: ١٥٧، والوحشيات رقم: ٥٨، المخصص ١: ١٦٠، اللسان "بصر" "عتد" "وأي" . وغيرها كثير. وهي من قصيدة عير فيها إخوته لأبيه، وذلك أن أباه قتل وهو غلام، فأخذ إخوته لأبيه الدية فأكلوها، فلما شب الأسعر، أدرك بثأر أبيه، وقال قبله:
ولقد عَلِمْتُ، عَلَى تَجَشُّمِيَ الرَّدَى ... أنَّ الحُصُونَ الخَيْلُ لا مَدَرُ القُرَى
وفسر أصحاب اللغة "البصيرة" هنا بأنها الدم ما لم يسل، يعني: دماءهم في أبدانهم، يعير أخوته. وقال غيرهم: "البصائر" دم أبيهم، يقول: تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا به، وطلبته أنا. و "عتد" -بفتح العين، وفتح التاء أو كسرها-: الفرس الشديد التام الخلق، السريع الوثبة، المعد للجري، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. و "الوأي"، الفرس السريع الطويل المقتدر الخلق.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٤/١٢.

قوله تعالى:{فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ} [الأنعام : ١٠٤]، أي:" فمَن تبيَّن هذه البراهين وآمن بمدلولها فنَفْعُ ذلك لنفسه"[١].

قال الزجاج:" المعنى: فلنفسه نفع ذلك"[٢].

قال البغوي:" أي: فمن عرفها وآمن بها فلنفسه عمل، ونفعه له"[٣].

قال الزمخشري:أي:"فمن أبصر الحق وآمن فلنفسه أبصر وإياها نفع"[٤].

قال الطبري:أي:" فمن تبين حجج الله وعرَفها وأقرَّ بها، وآمن بما دلّته عليه من توحيد الله وتصديق رسوله وما جاء به، فإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بَغَى الخير"[٥].

قال ابن كثير:" { فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ } مثل قوله : { مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } [الإسراء : ١٥]"[٦].

قال القرطبي:" «الإبصار»: هو الإدراك بحاسة البصر، أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع"[٧].

قال السعدي:" {فَمَنْ أَبْصَرَ} بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها {فَلِنَفْسِهِ} فإن الله هو الغني الحميد"[٨].

قوله تعالى:{وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا} [الأنعام : ١٠٤]، أي:" ومَن لم يبصر الهدى بعد ظهور الحجة عليه فعلى نفسه جنى"[٩].

قال الزجاج:" أي: فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله جل ثناؤه غني عن خلقه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : فإنما يعود وبال ذلك عليه ، كقوله : { فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج : ٤٦]"[١١].

قال البغوي:" أي: من عمي عنها فلم يعرفها ولم يصدقها فعليها، أي: فبنفسه ضر، ووبال العمى عليه"[١٢].

قال الزمخشري:أي:"ومن عمي عنه فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى"[١٣].

قال القرطبي:أي:" لم يستدل، فصار بمنزلة الأعمى، فعلى نفسه يعود عماه"[١].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) معاني القرآن:٢٧٩/٢.
(٣) تفسير البغوي:١٧٥/٣.
(٤) الكشاف:٥٥/٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٥/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(٧) تفسير القرطبي:٥٧/٧.
(٨) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٩) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٠) معاني القرآن:٢٧٩/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(١٢) تفسير البغوي:١٧٥/٣.
(١٣) الكشاف:٥٥/٢.

قال الطبري: "يقول: ومن لم يستدلّ بها، ولم يصدق بما دلّته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي تدل عليها، يقول: فنفسَه ضر، وإليها أساء لا إلى غيرها"[٢].

قال السعدي:" {وَمَنْ عَمِيَ} بأن بُصِّر فلم يتبصر، وزُجِر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام : ١٠٤]، أي:" وما أنا عليكم بحافظ أحصي أعمالكم، وإنما أنا مبلغ، والله يهدي مَن يشاء ويضل مَن يشاء وَفْق علمه وحكمته"[٤].

قال ابن كثير:" أي : بحافظ ولا رقيب ، بل أنا مبلغ والله يهدي من يشاء ويضل من يشاء"[٥].

قال البغوي:أي:"برقيب أحصي عليكم أعمالكم، إنما أنا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربي وهو الحفيظ عليكم الذي لا يخفى عليه شيء من أفعالكم"[٦].

قال الزمخشري:{وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}، "أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها، إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم"[٧].

قال الزجاج:" أي: فعلى نفسه ضرر ذلك، لأن الله جل ثناؤه غني عن خلقه"[٨].

قال الطبري:" يقول: وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والله الحفيظ عليكم، الذي لا يخفى عليه شيء من أعمالكم"[٩].

قال القرطبي:" أي: لم أومر بحفظكم على أن تهلكوا أنفسكم"[١٠].

وفي نسخ قوله تعالى:{فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} [الأنعام : ١٠٤]، قولان[١١]:

أحدهما: أن هذه الآية تتضمن ترك قتال الكفار ثم نسخت بآية السيف. ذكره ابن حزم[١٢]، وابن سلامة[١٣].

قال الزجاج:" قوله: {وما أنا عليكم بحفيظ}، أي: لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى"[١].

---

(١) تفسير القرطبي:٥٧/٧-٥٨.
(٢) تفسير الطبري:٢٥/١٢.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(٥) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(٦) تفسير البغوي:١٧٥/٣.
(٧) الكشاف:٥٥/٢.
(٨) معاني القرآن:٢٧٩/٢.
(٩) تفسير الطبري:٢٥/١٢.
(١٠) تفسير القرطبي:٥٨/٧.
(١١) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢٧/٢.
(١٢)في ناسخه ص: ٣٣٧.
(١٣)في ناسخه :٤٦.

والثاني: أن المعنى: لست رقيبا عليكم أحصي أعمالكم، فهي على هذا محكمة. فسره بذلك الطبري[٢]، وهو اختيار مكي بن أبي طالب[٣].

الفوائد:

١- أن آيات القرآن بصائر من يأخذ بها يبصر طريق الرشاد وينجو ويسعد.
٢- أن الله تعالى أكمل الحجة على المكلفين بخلق العقول، وبعث الرُّسل مبشرين ومنذرين، فتمَّت حُجَّته سبحانه عقلاً وسمعاً، قال الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ..}، وقال: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥]، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} [محمد: ٣٢]. فأخبر عن الكافرين بأنه قد تبين لهم الهدى، وما كفرُوا إلاَّ بعد ذلك.
٣- أن نفع العمل وضرره عائد إلى عامله لا إلى غيره.

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)} [الأنعام : ١٠٥]

التفسير:

وكما بيَّنَّا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد نبيِّن لهم البراهين في كل ما جهلوه فيقولون عند ذلك كذبًا: تعلمت من أهل الكتاب، ولنبين -بتصريفنا الآيات- الحقَّ لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه، وهم المؤمنون برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} [الأنعام : ١٠٥]، أي:" وكما بيَّنَّا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد نبيِّن لهم البراهين في كل ما جهلوه"[٤].

قال القرطبي:" أي: نصرف الآيات مثل ما تلونا عليك. أي: كما صرفنا الآيات في الوعد والوعيد والوعظ والتنبيه في هذه السورة نصرف في غيرها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : وكما فصلنا الآيات في هذه السورة ، من بيان التوحيد وأنه لا إله إلا هو ، هكذا نوضح الآيات ونفسرها ونبينها في كل موطن لجهالة الجاهلين"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما صرفت لكم، أيها الناس، الآيات والحجج في هذه السورة، وبينتها، فعرفتكموها، في توحيدي وتصديق رسولي وكتابي ووقَّفتكم عليها، فكذلك أبيِّن لكم آياتي وحججي في كل ما جهلتموه فلم تعرفوه من أمري ونهيي"[٧].

قال البغوي:{ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ}، أي:" نفصلها ونبينها في كل وجه"[١].

---

(١) معاني القرآن:٣٧٩/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٥/١٢.
(٣) انظر: الإيضاح :٢٤٢.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(٥) تفسير القرطبي:٥٨/٧.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(٧) تفسير الطبري:٢٥/١٢.

عن السدي:"{وكذلك نصرف الآيات}، لهؤلاء العادلين بربهم، كما صرفتها في هذه السورة، ولئلا يقولوا: {درسْتَ}"[٢].

قوله تعالى:{وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} [الأنعام : ١٠٥]، أي:" أي وليقول المشركون درست يا محمد في الكتب وقرأت فيها وجئتَ بهذا القرآن"[٣].

قال السدي:" يعني: دراسة القرآن"[٤].

قال ابن كثير:أي:" وليقول المشركون والكافرون المكذبون : دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم وتعلمت منهم"[٥].

قال القرطبي:" أي نصرف الآيات لتقوم الحجة وليقولوا درست"[٦].

وفي قوله تعالى:{ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} [الأنعام : ١٠٥]، خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها:

إحداهن : «دَرَسْتَ»، بمعنى: قرأت وتعلمت من أهل الكتاب، تقول ذلك قريش للنبي -صلى الله عليه وسلم- ، قاله ابن عباس[٧]، والضحاك[٨]، وهي قراءة حمزة[٩]، والكسائي[١٠]، وأبي بن كعب[١١].

والثانية : «دَارَسْتَ»، بجزم السين ، ونصب التاء، بمعنى: ذاكرت وقارأت ، قاله مجاهد[١٢]، وسعيد بن جبير[١٣]، ومروي عن ابن عباس[١٤]، وهي قراءة ابن كثير[١٥]، وأبي عمرو[١٦].

وفيها على هذه القراءة تأويل ثانٍ ، أنها بمعنى خاصمت وجادلت. وهو قول ابن عباس[١٧].

والثالثة :«دَرَسَتْ»، بتسكين التاء، بمعنى: انمحت وتقادمت ، قاله ابن الزبير[١٨]، والحسن[١]، وهي قراءة ابن عامر[٢]، وابن مسعود[٣].

---

(١) تفسير البغوي:١٧٥/٣.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٧٠٥):ص٢٥-٢٦.
(٣) صفوة التفاسير:٣٨٠/١.
(٤) أخرجه الطبري(٧٧٥٤):ص١٣٦٥/٤.
(٥) تفسير ابن كثير:٣١٢/٣.
(٦) تفسير القرطبي:٥٨/٧.
(٧) انظر:تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٤٨)، و(٧٧٤٩):ص١٣٦٥/٤، وتفسير الطبري(١٣٧٠٦)-(١٣٧٠٩)، (١٣٧١١):ص٢٧/١٢.
(٨) انظر:تفسير الطبري(١٣٧١٠):ص٢٧/١٢.
(٩) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.
(١٠) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.
(١١) رواه عنه ابن مردويه، كما في تفسير ابن كثير:٣١٣/٣-٣١٤، والحاكم في المستدرك (٢٣٨/٢)، وقال:" صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥٢):ص١٣٦٥/٤. بمعنى:" فاقهت وقرأت على يهود وقرءوا عليك".
(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥٠):ص١٣٦٥/٤.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥١):ص١٣٦٥/٤. بمعنى:" تلوت وخاصمت وجادلت".
(١٥) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.
(١٦) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.
(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥١):ص١٣٦٥/٤. بمعنى:" تلوت وخاصمت وجادلت".
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٣٣):ص٣٠/١٢.

والرابعة : «دُرِسَتْ»، بضم الدال، لما لم يسم فاعله تليت وقرئت ، قاله قتادة(٤).

والخامسة : «دَرَسَ»، بمعنى: قرأ النبي -صلى الله عليه وسلم- وتلا ، وهذا حرف أبي بن كعب(٥)، وابن مسعود(٦).

قال ابن كثير:" وهذا غريب ، فقد روي عن أبي بن كعب خلاف هذا"(٧).

قال الطبري:"وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه: {وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ}، بتأويل: قرأتَ وتعلمت; لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} [سورة النحل: ١٠٣] . فهذا خبرٌ من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون: إنما يتعلم محمد ما يأتيكم به من غيره. فإذ كان ذلك كذلك، فقراءة: {وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} ، يا محمد، بمعنى: تعلمت من أهل الكتاب، أشبهُبالحق، وأولى بالصواب من قراءة من قرأه:«دارسْتَ»، بمعنى: قارأتهم وخاصمتهم، وغير ذلك من القراءات"(٨).

قوله تعالى:{وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام : ١٠٥]، أي:" ولنبين -بتصريفنا الآيات- الحقَّ لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه"(٩).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما صرفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد، كذلك نصرف لهم الآيات في غيرها، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم::إنما تعلمت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب، فينزجروا عن تكذيبهم إياه، وتقوُّلهم عليه الإفك والزور، ولنبين بتصريفنا الآيات الحقَّ، لقوم يعلمون الحق إذا تبيَّن لهم فيتبعوه ويقبلوه، وليسوا كمن إذا بُيِّن لهم عَمُوا عنه فلم يعقلوه، وازدادوا من الفهم به بعدًا"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : ولنوضحه لقوم يعلمون الحق فيتبعونه ، والباطل فيجتنبونه. فلله تعالى الحكمة البالغة في إضلال أولئك ، وبيان الحق لهؤلاء. كما قال تعالى : { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ } [البقرة : ٢٦] ، وقال تعالى : { لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [الحج : ٥٣] وقال تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ } [المدثر : ٣١]. وقال تعالى:{ وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا } [الإسراء : ٨٢] وقال تعالى : { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت : ٤٤] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه تعالى أنزل القرآن هدى

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥٣):ص١٣٦٥/٤، وتفسير الطبري(١٣٧٣١):ص٣٠/١٢.
(٢) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٣٢):ص٣٠/١٢.
(٤) انظر: (١٣٧٢٩)، و(١٣٧٣٠):ص٣٠/١٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٣٥):ص٣١/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٣٥):ص٣١/١٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٣١٣/٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٦/١٢-٢٧.
(٩) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٠) تفسير الطبري:٣١/١٢.

للمتقين ، وأنه يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء : ولهذا قال هاهنا : { وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }"(١).

روي عن ابن عباس:"{يعلمون}، يقول: يعقلون"(٢).

الفوائد:

١- بيان افتراء المشركين وزعمهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن عن بشر، فمن مفتريات المشركين على القرآن وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً، زعمهم بأنّ القرآن الكريم إنّما هو من تعليم بشر، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ}، أي: دارست يا محمد من قبلك من أهل الكتاب وقارأتهم، وتعلمت منهم.
والحق أنه لا يوجد أحد من أهل الكتاب على هذا المستوى الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه كتب أهل الكتاب التي كانت بين أيديهم يومذاك، ما تزال بين أيدينا، والمسافة شاسعة بين هذا الذي في أيديهم وبين القرآن الكريم.

إنَّ ما بين أيديهم إنْ هو إلا روايات لا ضابط لها عن تاريخ الأنبياء والملوك، مشوبة بأساطير وخرافات من صنع أشخاص مجهولين -هذا فيما يختص بالعهد القديم.

أما العهد الجديد -وهو الأناجيل- فما يزيد كذلك على أن يكون روايات رواها تلاميذ المسيح عليه السلام بعد عشرات السنين، وتداولتها المجامع بالتحريف والتبديل والتعديل على مر السنين، وحتى المواعظ الخلقية والتوجيهات الروحية لم تسلم من التحريف والإضافة والنسيان.

وهذا هو الذي كان بين أيدي أهل الكتاب حينذاك، وما يزال ... فأين هذا كله من القرآن الكريم؟(٣).

٢- أنه ينتفع بتصريف الآيات وما تحمله من هدايات العالمون لا الجاهلون، وذلك لقوله تعالى:{ولنبينه لقوم يعلمون}.
٣- بيان الحكمة في تصريف الآيات وهي هداية من شاء الله هدايته.

القرآن

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦)} [الأنعام : ١٠٦]

التفسير:

اتبع -أيها الرسول- ما أوحيناه إليك من الأوامر والنواهي التي أعظمُها توحيد الله سبحانه والدعوة إليه، ولا تُبال بعناد المشركين، وادعائهم الباطل.

قوله تعالى:{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [الأنعام : ١٠٦]، أي:" اتبع -أيها الرسول- ما أوحيناه إليك من الأوامر والنواهي"(٤).

قال البغوي:" يعني: القرآن اعمل به"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣١٢-٣١٣.
(٢) أخرجه الطبري(٧٧٥٦):ص٤/١٣٦٥.
(٣)انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٣/٣٣٤-٣٣٥.
(٤) التفسير الميسر:١٤٠.

قال القرطبي:" يعني: القرآن، أي: لا تشغل قلبك وخاطرك بهم، بل اشتغل بعبادة الله"[٢].

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن اتَّبع طريقته : { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ }، أي : اقتد به ، واقتف أثره ، واعمل به ؛ فإن ما أوحي إليك من ربك هو الحق الذي لا مِرْية فيه"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: اتبع، يا محمد، ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك، فاعمل به، وانزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام"[٤].

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٠٦]، أي:" أي لا معبود بحقٍ إلا هو"[٥].

عن ابن عباس، "قوله: {لا إله إلا هو: توحيد}"[٦].

قال الطبري:أي: " فإنه لا إله إلا هو. يقول: لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، وجاعلُ الليل سكنًا، والشمسَ والقمر حسبانًا"[٧].

قوله تعالى:{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام : ١٠٦]، أي:" ولا تُبال بعناد المشركين، وادعائهم الباطل"[٨].

قال البغوي:يعني: "فلا تجادلهم"[٩].

قال الطبري:" يقول: ودع عنك جدالهم وخصومتهم. ثم نسخ ذلك جل ثناؤه بقوله في براءة: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} ، الآية [سورة التوبة: ٥] "[١٠].

قال ابن كثير:" أي : اعف عنهم واصفح ، واحتمل أذاهم ، حتى يفتح الله لك وينصرك ويظفرك عليهم. واعلم أن لله حكمة في إضلالهم ، فإنه لو شاء لهدى الناس كلهم جميعا ولو شاء الله لجمعهم على الهدى"[١١].

عن ابن عباس: "أما قوله: {وأعرض عن المشركين} ونحوه، مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين، فإنه نسخ ذلك قوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}"[١٢].

---

(١) تفسير البغوي:١٧٥/٣.
(٢) تفسير القرطبي:٦٠/٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١٤/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٢/١٢.
(٥) صفوة التفاسير:٣٨٠/١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٥٧):ص١٣٦٦/٤.
(٧) تفسير الطبري:٣٢/١٢.
(٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(٩) تفسير البغوي:١٧٥/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٣٢/١٢. وانظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢٨/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٣١٤/٣.
(١٢) أخرجه الطبري(١٣٧٣٦):ص٣٢/١٢.

قال ابن عطية في تفسير هذه الآية :" هذان أمران للنبي صلى الله عليه وسلم مضمنهما الاقتصار على اتباع الوحي وموادعة الكفار. وذلك كان في أول الإسلام ثم نسخ الإعراض عنهم بالقتال والسوق إلى الدين طوعا أو كرها"[(١)].

وقال مكي بن أبي طالب -بعد عزوه دعوى النسخ إلى ابن عباس بدون إسناد-: "وأكثر الناس على أنها محكمة وأن المعنى لا ينبسط إلى المشركين، من قولهم: أوليته عرض وجهي، وهذا المعنى لا يجوز أن ينسخ. لأنه لو نسخ لصار المعنى: أبسط إليهم وخالطهم، وهذا لا يؤثر به ولا يجوز"[(٢)].

الفوائد:

١- من الفوائد: وجوب اتباع الوحي المتمثل في الكتاب والسنة النبوية.
٢- أن الرسول صلى الله عليه وسلم دأبه وشأنه الدعوة إلى الله على بصيرة ما أنزل عليه قال تعالى: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} . [الأنعام: ١٠٦] .
وقد بين الله تعالى منطوقاً في قوله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} . [يوسف: ١٠٨] . لأن البصيرة شرط في الدعوة إلى الله فمن لم يكن بصيراً بالسياسات الشرعية لا تتم له الدعوة التي أمر الله بها وحري أن لا يستنفع بها.
٣- مدح الله المعرضين عن الجاهلين، وأمر بذلك، وذكر في غير آية أعظم الزجر عن الطمع في هدايتهم، فمن ذلك قوله سبحانه:

- {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} [الأعراف: ١٤٦].
- وقال: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٠٩]. وأمثالها.
- وقال: {مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء: ٦].
- وقال تعالى في ذلك: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} [النساء: ١٤٠].
- وقال: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ (٢) وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨].
- وقال: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: ١٠٦].
- وقال: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [النمل: ٩١ - ٩٢].
- وقال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].
- وقال: {وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الحج: ٦٨ - ٦٩].
- وقال: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ

---

(١) المحرر الوجيز:٣٣٢/٢.
(٢)الإيضاح: ٢٤٧.

الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} [البقرة: ١١٣] {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [البقرة: ١٤٧].

- وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِيالْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأحقاف: ٨ - ١٠].
- وقال تعالى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} إلى قوله: {وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٥ - ١٤٦] وأمثالها.

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧)} [الأنعام : ١٠٧]

التفسير:

ولو شاء الله تعالى أن لا يشرك هؤلاء المشركون لما أشركوا، لكنه تعالى عليم بما سيكون من سوء اختيارهم واتباعهم أهواءهم المنحرفة. وما جعلناك -أيها الرسول- عليهم رقيبًا تحفظ عليهم أعمالهم، وما أنت بقَيِّمٍ عليهم تدبر مصالحهم.

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} [الأنعام : ١٠٧]، أي:" ولو شاء الله تعالى أن لا يشرك هؤلاء المشركون لما أشركوا، لكنه تعالى عليم بما سيكون من سوء اختيارهم واتباعهم أهواءهم المنحرفة"(١).

قال ابن عباس:" يقول الله تبارك وتعالى: لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين"(٢).

قال البغوي:" أي: لو شاء لجعلهم مؤمنين"(٣).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أعرض عن هؤلاء المشركين بالله، ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابَّتهم { ولو شاء الله ما أشركوا} ، يقول: لو أراد ربُّك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم، للطف لهم بتوفيقه إياهم فلم يشركوا به شيئًا، ولآمنوا بك فاتبعوك وصدَّقوا ما جئتهم به من الحق من عند ربك"(٤).

قال ابن كثير:" أي : بل له المشيئة والحكمة فيما يشاؤه ويختاره ، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"(٥).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٥٨):ص١٣٦٦/٤.
(٣) تفسير البغوي:١٧٦/٣.
(٤) تفسير الطبري:٣٢/١٢-٣٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٣١٤/٣.

قال ابن عثيمين:"أن الله تعالى أخبر أن شركهم واقع بمشيئته تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم لا دفاعاً عنهم، وإقامة للعذر لهم، بخلاف احتجاج المشركين على شركهم بمشيئة الله، فإنما قصدوا به دفع اللوم عنهم وإقامة العذر على استمرارهم على الشرك؛ ولهذا أبطل الله احتجاجهم ولم يبطل أن شركهم واقع بمشيئته"(١).

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [الأنعام : ١٠٧]، أي:" وما جعلناك -أيها الرسول- عليهم رقيبًا تحفظ عليهم أعمالهم"(٢).

قال البغوي:أي: "رقيبا"(٣).

قال ابن كثير:" أي : حافظا تحفظ أعمالهم وأقوالهم"(٤).

قال القرطبي:"أي: لا يمكنك حفظهم من عذاب الله"(٥).

قال الطبري:" يقولُ جل ثناؤه: وإنما بعثتك إليهم رسولا مبلّغًا، ولم نبعثك حافظًا عليهم ما هم عاملوه، تحصي ذلك عليهم، فإن ذلك إلينا دونك"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام : ١٠٧]، أي:" وما أنت بقَيِّمٍ عليهم تدبر مصالحهم"(٧).

قال قتادة:" أي: بحفيظ"(٨).

قال القرطبي:"أي: قيم بأمورهم في مصالحهم لدينهم أو دنياهم، حتى تلطف لهم في تناول ما يجب لهم، فلست بحفيظ في ذلك ولا وكيل في هذا، إنما أنت مبلغ. وهذا قبل أن يؤمر بالقتال"(٩).

قال ابن كثير:" أي : موكل على أرزاقهم وأمورهم { إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ } كما قال تعالى : { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ } [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] ، وقال { فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } [الرعد : ٤٠]"(١٠).

قال الطبري:" يقول: ولست عليهم بقيِّم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ولا بحفظهم، فما لم يُجْعل إليك حفظه من أمرهم"(١١).

قال ابن الجوزي:" قال ابن عباس رضي الله عنهما نسخ:[{وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}] بآية السيف، وعلى ما ذكرنا في نظائرها تكون محكمة"(١٢).

---

(١) تقريب التدمرية:١٠١.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير البغوي:١٧٦/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٤/٣.
(٥) تفسير القرطبي:٦٠/٧.
(٦) تفسير الطبري:٣٢/١٢-٣٣.
(٧) التفسير الميسر:١٤٠.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٥٩):ص١٣٦٦/٤.
(٩) تفسير القرطبي:٦٠/٧.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣١٤/٣.
(١١) تفسير الطبري:٣٢/١٢-٣٣.
(١٢) نواسخ القرآن:٤٢٨/١. وانظر: فيما سبق: الآية (١٠٤) من سورة «الأنعام».

قال ابن عطية:"قوله تعالى: {وما جعلناك عليهم حفيظا } كان في أول الإسلام، وكذلك {وما أنت عليهم بوكيل}"[(١)].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن الله خلق في المشركين الكفر والزيغ بأمر من الأمور التي استحقوا بها ذلك.
٢- أخبر سبحانه وتعالى أن شركهم واقع بمشيئته تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم لا دفاعاً عنهم، وإقامة للعذر لهم، بخلاف احتجاج المشركين على شركهم بمشيئة الله، فإنما قصدوا به دفع اللوم عنهم وإقامة العذر على استمرارهم على الشرك؛ ولهذا أبطل الله احتجاجهم ولم يبطل أن شركهم واقع بمشيئته[(٢)].
٣- في قوله تعالى: {ولو شاء الله ما أشركوا} نص على أن الشرك بمشيئته، وهو إبطال لمذهب القدرية[(٣)].
٤- أن في ظاهر قوله تعالى:{ولو شاء الله ما أشركوا} الرد على المعتزلة القائلين إنه ليس عند الله لطف يؤمن به الكافر وإن الكافر والإنسان في الجملة يخلق أفعاله، وهي متضمنة أن إشراكهم وغيره وقف على مشيئة الله عز وجل[(٤)].
٥- أن الرسول مبلغ فمعناه ما عليه إلا البلاغ وليس عليه أن يلزم المرسل إليهم الإيمان بما أرسل به وقد قال الله تعالى:{ وما أنت عليهم بوكيل}، وقال سبحانه:{وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين} [النور : ٥٤]، وقال عز وجل:{إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ} [هود : ١٢]وغير ذلك مما يطول ذكره من قوله تعالى في محكم الآيات الكريمات في هذا المعنى.
٦- ومن فوائد الآية الكريمة: حرية الاعتقادات، إذ أسسها الإسلام بإبطال المعتقدات الضالة التي أكره دعاة الضلالة أتباعهم ومريديهم على إعتقادها بدون فهم ولا هدى، ولا كتاب منير، وبالدعاء إلى إقامة البراهين على العقيدة الحقة، ثم بالأمر بحسن مجادلة المخالفين وردهم إلى الحق بالكلمة والموعظة وأحسن الجدل، ثم بنفي الإكراه في الدين[(٥)].
قال تعالى:{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦].

ولو أراد الخالق جلت قدرته لدخل جميع من على الأرض من الناس دين الإسلام، ولكن له حكمة في إعطاء الناس الحرية فيما يختارون وما يسلكون من طريق، حيث قال: {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}[يونس: ٩٩].

ولا شك أن الإنسان بما وهبه الله من عقل وسمع وبصر قادر على التمييز بين الحق والباطل حتى يستطيع اختيار الطريق الصحيح، قال تعالى: " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}[الإنسان، آية: ٢ ـ ٣].

وتتكرر الآيات القرآنية في أكثر من سورة حول حرية الاعتقاد وعدم إجبار من لم يقتنع بالإسلام على اعتناقه، فيخاطب الله تبارك وتعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً:{ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}[الكهف: ٢٩].

---

(١) المحرر الوجيز:٣٣٢/٢.
(٢) انظر: **تقريب التدمرية:**١٠١.
(٣) انظر: تفسير القرطبي:٦٠/٧.
(٤) انظر: المحرر الوجيز:٣٣٢/٢.
(٥) انظر: مقاصد الشريعة محمد الطاهر بن عاشور :٣٩٦.

- وقال تعالى: { وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}[الأنعام: ١٠٧].
- وقال تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ}[الشورى: ٤٨].
- وقال تعالى: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ}[الغاشية: ٢١ - ٢٢].
- وقال تعالى: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا" [النساء: ٨٠].

والدين الإسلامي الحنيف ليس دين قمع وإكراه، بل دين يسر يقوم على مبدأ وسائل الإقناع والتزام جادة العقل من خلال منهج الحوار البناء والتعبير الحر والجدال الموضوعي المنطقي في النقاش البعيد عن المهاترات وإثارة الفتن، والشريعة الإسلامية تشدد وتؤكد على قدسية هذا المنهج، لذا نجد أن الخالق يأمر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يدعو الناس إلى دين الإسلام بالحكمة ويخاطبه قائلاً: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل، آية: ١٢٥].

- وفي مجادلة أهل الكتاب يقول مخاطباً المؤمنين، قال تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (العنكبوت، آية: ٤٦][1].

القرآن

{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)} [الأنعام : ١٠٨]

التفسير:

ولا تسبوا -أيها المسلمون- الأوثان التي يعبدها المشركون -سدًّا للذريعة- حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلا واعتداءً: بغير علم. وكما حسَّنَّا لهؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم على سوء اختيارهم، حسَّنَّا لكل أمة أعمالها، ثم إلى ربهم معادهم جميعًا فيخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم يجازيهم بها.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة:"كان المسلمون يسبون أصنام الكفار؛ فيسب الكفارُ الله عدواً بغير علم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"[2]. [ضعيف]

والثاني: قال السدي:" لما حضر أبا طالب الموت؛ قالت قريش: انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه؛ فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه، فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبيّ ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البختري، وبعثوا رجلًا منهم يقال له:

(١) انظر: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية د. صالح عبد الله الراجحي:١١١.
(٢)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢١٥)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٧٣٩):ص٣٤/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٦٦/ ٧٧٦١) عن معمر عن قتادة به.
قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

المطلب، قالوا: استأذن على أبي طالب، فأتى أبا طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك، فأذن لهم فدخلوا عليه، فقالوا: يا أبا طالب! أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا؛ فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تريدون"؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطيّ كلمة إن تكلمتم بها؛ ملكتم العرب، ودانت لكم بها المعجم بالخراج"؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي؟ قال: "قولوا: لا إله إلا الله"، فأبوا واشمأزوا، قال أبو طالب: يا ابن أخي! قل غيرها؛ فإن قومك قد فزعوا منها، قال: "يا عم! ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها يزيدي ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها؛ إرادة أن يؤيسهم"، فغضبوا وقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا؛ أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك؛ فذلك قوله: {فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}"[^١]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" ولا تسبوا -أيها المسلمون- الأوثان التي يعبدها المشركون -سدًّا للذريعة-"[^٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به: ولا تسبُّوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد"[^٣].

قال القرطبي:"نهى سبحانه لمؤمنين أن يسبوا أوثانهم، لأنه علم إذا سبوها نفر الكفار وازدادوا كفرا"[^٤].

قوله تعالى:{فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلا واعتداءً: بغير علم"[^٥].

قال الطبري:" فيسبَّ المشركون اللهَ جهلا منهم بربهم، واعتداءً بغير علم"[^٦].

قال ابن عباس:" قالوا: يا محمد، لتنتهين عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجوَنَّ ربك! فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عدوًا بغير علم"[^٧].

قال قتادة:" كان المسلمون يسبون أوثان المشركين، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بربهم"[^٨].

وفي قوله تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٨]، قولان:

---

[^١]: (١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٧٤٠):ص١٢/٣٤-٣٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٦٧ رقم ٧٧٦٢) كلاهما من طريق أسباط بن نصر ثنا السدي به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:
الأولى: الإعضال.
الثانية: أسباط هذا؛ صدوق كثير الخطأ ويغرب.
[^٢]: (٢) التفسير الميسر:١٤٠.
[^٣]: (٣) تفسير الطبري:٣٣/١٢.
[^٤]: (٤) تفسير القرطبي:٦١/٧.
[^٥]: (٥) التفسير الميسر:١٤٠.
[^٦]: (٦) تفسير الطبري:٣٣/١٢.
[^٧]: (٧) أخرجه الطبري(١٣٧٣٨):ص٣٤/١٢.
[^٨]: (٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٦٣):ص١٣٦٧/٤.

أحدهما : لا تسبوا الأصنام فتسب عبدة الأصنام من يسبها ، قاله السدي[١].

والثاني : لا تسبوها فيحملهم الغيظ والجهل على أن يسبوا من تعبدون كما سَبَبْتم ما يعبدون. وهذا معنى قول ابن زيد[٢].

قال ابن زيد:"إذا سببت إلهه سبَّ إلهك، فلا تسبوا آلهتهم"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى ناهيا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين ، وإن كان فيه مصلحة ، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين ، وهو الله لا إله إلا هو... ومن هذا القبيل - وهو ترك المصلحة لمفسدة أرجح منها - ما جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ملعون من سب والديه. قالوا يا رسول الله ، وكيف يسب الرجل والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه»[٤]. أو كما قال ، عليه السلام"[٥].

قال السعدي:"ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزا، بل مشروعا في الأصل، وهو سب آلهة المشركين، التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح -نهى الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له"[٦].

وقرأ أهل مكة :«عَدُوّاً»، بالتشديد، بمعنى: أنهم اتخذوه عدوّاً[٧].

وقرآ الحسن البصري وعثمان بن سعدي:«عُدُوًّا» مضمومة العين مشددة الواو[٨].

قوله تعالى:{كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" وكما حسَّنَّا لهؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم على سوء اختيارهم، حسَّنَّا لكل أمة أعمالها"[٩].

قال البغوي:" أي: كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان، كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية"[١٠].

قال القرطبي:"أي كما زينا لهؤلاء أعمالهم كذلك زينا لكل أمة عملهم"[١١].

قال الطبري:أي:" كما زيّنا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثانَ والأصنام، عبادةَ الأوثان وطاعة الشيطان بخذلاننا إيّاهم عن طاعة الرحمن، كذلك زيَّنا لكل جماعةٍ اجتمعت على عملٍ من الأعمال من طاعة الله ومعصيته، عملَهم الذي هم عليه مجتمعون"[١٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٠):ص١٢/٣٤-٣٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٢):ص١٢/٣٥.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٧٤٢):ص١٢/٣٥.
(٤)رواه مسلم في صحيحه برقم (٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنه.
(٥) تفسير ابن كثير:٣/٣١٤-٣١٥.
(٦) تفسير السعدي:٢٦٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٣):ص١٢٣٦.
(٩) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٠) تفسير البغوي:٣/١٧٧.
(١١) تفسير القرطبي:٧/٦١.
(١٢) تفسير الطبري:١٢/٣٧.

قال ابن كثير:" أي : وكما زينا لهؤلاء القوم حبّ أصنامهم والمحاماة لها والانتصار ، كذلك زينا لكل أمة من الأمم الخالية على الضلال عملهم الذي كانوا فيه ، ولله الحجة البالغة ، والحكمة التامة فيما يشاؤه ويختاره"(١).

وفي قوله تعالى:{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} [الأنعام : ١٠٨]، ثلاثة اقوال:

أحدها : كما زينا لكم فعل ما أمرناكم به من الطاعات كذلك زينا لمن تقدم من المؤمنين فعل ما أمرناهم به من الطاعات ، قاله الحسن(٢).

والثاني : كذلك شبهنا لكل أهل دين عملهم بالشبهات ابتلاء لهم حتى قادهم الهوى إليها وعَمُوا عن الرشد فيها(٣).

والثالث : كما أوضحنا لكم الحِجج الدالة على الحق كذلك أوضحنا لمن قبلكم من حِجج الحق مثل ما أوضحنا لكم(٤).

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" ثم إلى ربهم معادهم جميعًا

قال أبو العالية:" يرجعون إليه بعد الحياة"(٥).

قال الطبري:أي:" ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم"(٦).

قال ابن كثير:" أي : معادهم ومصيرهم"(٧).

قوله تعالى:{فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" فيخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم يجازيهم بها"(٨).

قال ابن كثير:" أي : يجازيهم بأعمالهم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر"(٩).

قال الطبري:" يقول: فيُوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملون بها في الدنيا، ثم يجازيهم بها، إن كان خيرًا فخيرًا، وإن كان شرًّا فشرًّا، أو يعفو بفضله، ما لم يكن شركًا أو كفرًا"(١٠).

وفي حكم قوله نعالى: {وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٨]، قولان:

أحدهما: أنها نسخت بتنبيه الخطاب في آية السيف، لأنها تضمنت الأمر بقتلهم، والقتل أشنع من السب. ذكره ابن حزم(١١)، وهبة الله(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣١٥.
(٢) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٥.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٥.
(٤) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٦٤)ص٤/١٣٦٨.
(٦) تفسير الطبري:١٢/٣٧.
(٧) تفسير ابن كثير:٣/٣١٥.
(٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(٩) تفسير ابن كثير:٣/٣١٥.
(١٠) تفسير الطبري:١٢/٣٧.
(١١)في ناسخه ص: ٣٣٧.

والثاني: أنهما محكمة. وهذا قول بعض المفسرين(٢).

قال ابن الجوزي:"ولا أرى هذه الآية منسوخة، بل يكره للإنسان أن يتعرض بما يوجب ذكر معبوده بسوء أو بنبيه صلى الله عليه وسلم"(٣).

قلت: ودعوى النسخ ضعيف لعدم الدليل، ولأن وجوب القتال لا يتنافى مع حكم هذه الآية والله أعلم.

الفوائد:

١- حرمة قول أو فعل ما يتسبب عنه يسب الله ورسوله.
٢- بيان سنة الله في تزيين الأعمال لأصحابها خيراً كانت أو شراً.
٣- في قوله تعالى: {كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}، الرد على القدرية، فإن إجماع الأمة بأن أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وإرادته.
٤- وفي هذه الآية الكريمة، دليل للقاعدة الشرعية وهو: أن الوسائل تعتبر بالأمور التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر(٤).

القرآن

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)} [الأنعام : ١٠٩]

التفسير:

وأقسم هؤلاء المشركون بأيمان مؤكَّدة: لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقنَّ بما جاء به، قل -أيها الرسول-: إنما مجيء المعجزات الخارقة من عند الله تعالى، هو القادر على المجيء بها إذا شاء، وما يدريكم أيها المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدِّق بها هؤلاء المشركون.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قال محمد بن كعب القرظي: "كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريش، فقالوا: يا محمدا! تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة؛ فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أيّ شيء تحبون أن آتيكم به"، قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: "فإن فعلت؛ تصدقوني؟ "، قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو، فجاءه جبريل -عليه السلام-، فقال له: "لك ما شئت: إن شئت أصبح ذهبًا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك؛ لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم"، فقال: "بل يتوب تائبهم"؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ

(١)في ناسخه ص: ٤٥ - ٤٦.
(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢٩/٢.
(٣) نواسخ القرآن:٤٢٩/٢.
(٤) انظر: تفسير السعدي:٢٦٨.

أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} "(١). [ضعيف]

والثاني: عن ابن جريج: "{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} في المستهزئين، هم الذين سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الآية، فنزل فيهم: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} "(٢). [ضعيف]

قوله تعالى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" حلف كفار مكة بأغلظ الأيمان وأشدها"(٣).

قال الزجاج:" أي: اجتهدوا في المبالغة فى اليمين"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وحلف بالله هؤلاء العادلون بالله جَهْد حَلِفهم، وذلك أوكدُ ما قدروا عليه من الأيمان وأصعبُها وأشدُّها "(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى إخبارًا عن المشركين : إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ، أي : حلفوا أيمانًا مؤكدة "(٦).

قال السعدي:"أي: وأقسم المشركون المكذبون للرسول محمد صلى الله عليه وسلم قسما اجتهدوا فيه وأكدوه"(٧).

قال القرطبي:" أي: حلفوا. وجهد اليمين أشدها، وهو بالله فقوله:{جهد أيمانهم} أي: غاية أيمانهم التي بلغها علمهم، وانتهت إليها قدرتهم. وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الإله الأعظم، وأن هذه الآلهة إنما يعبدونها ظنا منهم أنها تقربهم إلى الله زلفى، كما أخبر عنهم بقوله تعالى:{نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر : ٣]. وكانوا يحلفون بآبائهم وبالأصنام وبغير ذلك، وكانوا يحلفون بالله تعالى وكانوا يسمونه جهد اليمين إذا كانت اليمين بالله"(٨).

عن مجاهد في قول الله:" {وأقسموا بالله جهد أيمانهم}، قال: هي يمين"(٩).

قال الكلبي ومقاتل: "إذا حلف الرجل بالله، فهو جهد يمينه"(١٠).

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٧٤٦):ص١٢/٣٨-٣٩، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٢٢-٢٢٣) من طريق أبي معشر المدني عنه.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:
الأولى: الإرسال.
الثانية: أبو معشر المدني نجيح؛ ضعيف، أسن واختلط.
(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٠) ونسبه لأبي الشيخ.
(٣) صفوة التفاسير:٣٨١/١.
(٤) معاني القرآن:٢٨١/٢.
(٥) تفسير الطبري:٣٧/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١٦/٣.
(٧) تفسير السعدي:٢٦٩.
(٨) تفسير القرطبي:٦٢/٧.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٦٥):ص١٣٦٨/٤.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٣/١، وعزاه البغوي في تفسيره:١٧٧/٣ إلى الكلبي.

قوله تعالى:{لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقنَّ بما جاء به"(١).

قال الطبري:" يقول: قالوا: نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدِّق ما تقول، يا محمد، مثلُ الذي جاء مَنْ قبلنا من الأمم ، لنصدقن بمجيئها بك، وأنك لله رسولٌ مرسل، وأنّ ما جئتنا به حقٌّ من عند الله"(٢).

قال ابن كثير:" {آيَةٌ } أي : معجزة وخارق ، { لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا } أي : ليصدقنها "(٣).

قال مجاهد:" سألت قريش محمدًا أن يأتيهم بآية، واستحلفهم: ليؤمننّ بها"(٤).

واختلف في الآية التي اقترحوها على ثلاثة أقوال(٥):

أحدها : أن تجعل لنا الصفا ذهباً. وهذا قول محمد بن كعب القرظي(٦).

والثاني : ما ذكره الله في آخر:{لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠)أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً(٩١) أَوْ تُسقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفَاً أَوْ **تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قبيل**(٩٢)} إلى قوله:{ كِتَابًا نَقْرَؤُهُ} [الإسراء : ٩٠-٩٣](٧). فأمر الله نبيه حين أقسموا له أن يقول لهم:{قُلْ إِنَّمَا الأَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ}(٨). وهذا قول الزجاج(٩).

والثالث : أنه لما نزل قوله تعالى في «الشعراء» :{إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ}، قال المشركون : أنزلها علينا حتى نؤمن بها إن كنت من الصادقين ، فقال المؤمنون : يا رسول الله أنزلها عليهم ليؤمنوا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قاله الكلبي(١٠).

قال السعدي:" وهذا الكلام الذي صدر منهم، لم يكن قصدهم فيه الرشاد، وإنما قصدهم دفع الاعتراض عليهم، ورد ما جاء به الرسول قطعا، فإن الله أيد رسوله صلى الله عليه وسلم، بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي -عند الالتفات لها- لا تبقي أدنى شبهة ولا إشكال في صحة ما جاء به، فطلبهم -بعد ذلك- للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم، فإن الله جرت سنته في عباده، أن المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها -أنه يعاجلهم بالعقوبة"(١١).

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" قل -أيها الرسول-: إنما مجيء المعجزات الخارقة من عند الله تعالى، هو القادر على المجيء بها إذا شاء"(١٢).

قال مقاتل:" إن شاء أرسلها وليست بيدي"(١).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير الطبري:٣٨/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١٦/٣.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٧٤٤):ص٣٨/١٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٥٦/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٦):ص٣٨/١٢-٣٩.
(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون:١٥٦/٢.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٥٦/٢.
(٩) انظر: معاني القرآن:٢٨٢/٢ ، قال إلى قوله: {وَالْمَلَائِكَةِ قبيل}[الإسراء:٩٢].
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٥٦/٢.
(١١) تفسير السعدي:٢٦٩.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٠.

قال البغوي:أي:" والله قادر على إنزالها"[٢].

قال الطبري:" يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قل إنما الآيات عند الله} ، وهو القادر على إتيانكم بها دون كل أحد من خلقه "[٣].

قال ابن كثير:" أي : قل يا محمد لهؤلاء الذين يسألونك الآيات تعنتًا وكفرًا وعنادًا ، لا على سبيل الهدى والاسترشاد : إنما مرجع هذه الآيات إلى الله ، إن شاء أجابكم ، وإن شاء تركَكم "[٤].

قال السعدي:" أي: هو الذي يرسلها إذا شاء، ويمنعها إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء، فطلبكم مني الآيات ظلم، وطلب لما لا أملك، وإنما توجهون إلى توضيح ما جئتكم به، وتصديقه"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" وما يدريكم أيها المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدِّق بها هؤلاء المشركون"[٦].

قال الزمخشري:أي:"وما يدريكم أنها أن الآية التي تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون يعنى أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك. وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها. فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون، على معنى أنكم لا تدرون ما سبق على به من أنهم لا يؤمنون به. ألا ترى إلى قوله: {كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام : ١١٠]"[٧].

قال الطبري:أي:" وما يدريكم، أيها المؤمنون، لعل الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون، فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك، ولا يؤخَّروا به"[٨].

وروي عن مجاهد قوله: "{إنما الآيات عند الله وما يشعركم} ، وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت. ثم استقبل يخبر عنهم فقال: {إذا جاءت لا يؤمنون}"[٩]. وروي عن اين زيد نجو هذا المعنى[١٠].

وعلى هذا القول فإن قوله :{وما يشعركم}، خوطب به المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمنن، وانتهى الخبر عند قوله: {وما يشعركم} ، ثم استُؤنف الحكم عليهم بأنهم لا يؤمنون عند مجيئها استئنافًا مبتدأ[١١].

وقرئ: « إنَّها»بكسر ألف، على أن قوله:{إِنَّهَا إِذَا جَاءَتَ لا يُؤْمِنُون}، خبر مبتدأ منقطعٌ عن الأول[١٢].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٣/١.
(٢) تفسير البغوي:١٧٧/٣.
(٣) تفسير الطبري:٣٨/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٦/٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٦٩.
(٦) التفسير الميسر:١٤٠.
(٧) الكشاف:٥٧/٢.
(٨) تفسير الطبري:٤٣/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٧٥٠):ص٤٠/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٩):ص٤٠/١٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٢-٤٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٠/١٢.

وقد تأوَّل قوم قرؤوا، ذلك بفتح«الألف» من «أنها» بمعنى: «لعلها». وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبيّ بن كعب(١).

وقد ذكر عن العرب سماعًا منها: اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئًا، بمعنى: لعلك تشتري(٢)،وقال امرؤ القيس(٣):

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيل لأننا		نبكي الديارَ كما بكى ابنُ حِذَامِ

قال الزمخشري:" وتقويها قراءة أبى: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون"(٤).

وقد قيل: إن قول عدي بن زيد العِبَاديّ(٥):

أَعَاذِلَ، مَا يُدْرِيكِ أَنَّ مَنِيَّتِي		إِلَى سَاعَةٍ فِي الْيَوم أَوْ فِي ضُحَى الغَدِ

بمعنى: لعل منيَّتي; وقد أنشدوا في بيت لحطائط بن يعفر(٦):

أرينى جوادا مات هزلا لأننى		أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلا مُخَلَّدَا

بمعنى: لعلني(٧).

ومنه بيتُ توبة بن الحميِّر(٨):

لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نزا في مَريرَةٍ		مُعَذِّبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَزُورُهَا

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٤١/١٢-٤٢.

(٢)انظر في هذا معاني القرآن للفراء ١ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٢٠٤ ، وتفسير الطبري: ٤١/١٢-٤٢.

(٣)ديوان امرئ القيس ص١٥٦، الكشاف (٢/ ٥٧)، البحر المحيط (٤/ ٢٠٢)، مشاهد الإنصاف ص١١٣، (ملحق بالكشاف ج٤)، والعوج: عطف رأس البعير بالزمام. والمحيل: الذي حال وتغير عن صفة الجدة إلى صفة البلى، وابن خذام يقال إنه أول من بكى الديار من شعراء العرب.

ويقال له: ابن خدام، وابن خذام، وابن حذام.

(٤) الكشاف:٥٧/٢.

(٥)جمهرة أشعار العرب ١٠٣ ، اللسان (أنن) ، وغيرهما . من قصيدة له حكيمة ، يقول قبله :

وعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قُلْتُ لها : اقْصِدِي

أعَاذِلَ ، إن اللَّوْمَ في غير كُنْهِهِ ... عَلَيَّ ثُنًى ، مِنْ غَيِّكِ المُتَرَدِّدِ

أعَاذِلَ ، إنَّ الجهْلَ مِنْ لَذَّةِ الفَتَى ... وَإنَّ المَنَايَا لِلرِّجَال بمَرْصَدِ

أعَاذِلَ ، مَا أَدْنَى الرشادَ مِنَ الفَتَى ... وأَبْعَدَهُ مِنْهُ إذا لَمْ يُسَدَّدِ

أعَاذِلَ ، من تُكْتَبْ لَهُ النَّارُ يَلْقَهَا ... كِفاحًا ، وَمَنْ يُكْتَبْ لَهُ الفَوْزُ يُسْعَدِ

أعَاذِلَ ، قد لاقيتُ ما يَزَعُ الفتى ... وَطَابَقْتُ في الحِجْلَيْن مَشْيَ المُقَيَّدِ.

(٦)البيت من الأبيات التي اختلف اختلافا قديما فى عزوها، نسبه إلى حطائط أبو تمام (الحماسة ٤/ ٢٥٤) وابن قتيبة فى العيون ٣/ ١٨١، ونسبه فى الشعراء، (١٣٩) مرة له ومرة (١٢٩) إلى حاتم الطائي، ونسبه ابن السكيت فى القلب والإبدال ٢٣ والأصفهانى فى الأغانى ١١/ ١٣٣ إلى حطائط. وقال الجوهري (أنن) : أنشده أبو زيد لحاتم، قال: وهو الصحيح وقد وجدته فى شعر معن بن أوس المزني. وقال العيني (١/ ٣٢٩) : أقول قائله هو حاتم بن عدى الطائي، كذا قالت جماعة من النحاة ... نعم البيت ثابت فى قصيدة لحاتم فى ديوانه صنع ابن الكلبي ٢٦، من الممكن أن بعضهم أخذ هذا البيت القوى المعنى من بعض. والبيت فى الطبري ١/ ٤١٣، والأمالي للقالى ٢/ ٩٢، والسمط ٧١٤ والقرطبي ٢/ ١٢٧، واللسان والتاج (انن) والخزانة ١/ ١٩٥.

(٧) انظر: مجاز القرآن:٥٥/١.

(٨) انظر: الكتاب لسيبويه ١/ ٣١٢، وتفسير الطبري:٤٢/١٢، يقول ذلك لزوج ليلى الأخيلية صاحبته، يتوعده لمنعه من زيارتها، وتعذيبه في سببه، ويجعله كالتيس ينزو في حبله. وقوله ((في مريرة)) ، ((المريرة)) الحبل المفتول المحكم الفتل.

قوله:« لَعَلَّك يا تيسًا»، بمعنى: «لأنك» التي في معنى«لعلك»، وأنشد بيت أبي النجم العجليّ[1]:

قُلْتُ لِشَيْبَانَ ادْنُ مِنْ لِقَائِهِ أَنَّا نُغَدِّي القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ

بمعنى: لعلنا نغدّي القوم[2].

وقرئ: «وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون». قال الزمخشري:"أى: يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها. وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها"[3].

الفوائد

١- بيان أن الهداية بيد الله تعالى وأن المعجزات قد لا يؤمن عليها من شاهدها.
٢- بيان ان طلب الكفار الىيات كان على وجه العناد، لا على وجه طلب الهداية والرشاد، فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما طلبوا.
٣- ومن الفوائد: أنه ليس حتمًا على الأنبياء أن يظهروا معجزة كلما طلبها المنكرون!! بل -على العكس- فهم لا يظهرون المعجزة إذا كان طلبها منطويًا على العناد والامتحان والاستهزاء.
١- أنه قد تقتضي الحكمة ألا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال، كما ذكره في كتابه العزيز، وكان الكفار يقترحون، فتارة يجيبهم، لما فيه من الحكمة، وتارة لا يجيبهم، لما فيه من المضرة.
وربما طلب الرسول تلك الآيات رغبة في إيمانهم، فيجاب بأنها لا تسلتزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحجة، وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها، وقد بين الله - تعالى - أنه لا يظهرها لانتفاء المصلحة أو لوجود المفسدة.

القرآن

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)} [الأنعام : ١١٠]

التفسير:

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، فنحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة، ونتركهم في تمرُّدهم على الله متحيِّرين، لا يهتدون إلى الحق والصواب.

قوله تعالى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام : ١١٠]، أي:" ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، فنحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة"[1].

---

(١) انظر: المعاني الكبير لابن قتيبة: ٣٩٣، الخزانة ٣: ٥٩١، وروايتها "كما نغدي" قال ابن قتيبه: "قال أبو المجم وذكر ظليما ... "شيبان"ابنه، قلت له: اركب في طلبه. "كما" بمعنى: "كيما"، يقول: كيما نصيده فنغدي القوم به مشويًا".
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٢/٤٢-٤٣.
(٣) الكشاف:٢/٥٨.

قال ابن كثير:" في هذه الآية : لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ورُدَّت عن كل أمر"[٢].

قال السعدي:" أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتيهم فيها الداعي، وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام : ١١٠]، وجهان:

أحدهما: معناه: لو أنَّا جئناهم بآية كما سألوا، ما آمنوا، كما لم يؤمنوا بما قبلها أول مرة، لأن الله حال بينهم وبين ذلك. وهذا قول ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وابن زيد[٦].

قال مجاهد:" نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة"[٧].

عن ابن زيد قوله: "{ونقلب أفئدتهم وأبصارهم}، نمنعهم من ذلك، كما فعلنا بهم أول مرة. وقرأ: {كما لم يؤمنوا به أول مرة}"[٨].

قال ابن عباس:" لما جحد المشركون ما أنزل الله، لم تثبت قلوبهم على شيء، ورُدَّتْ عن كل أمر"[٩].

والثاني: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو رُدُّوا من الآخرة إلى الدنيا فلا يؤمنون، كما فعلنا بهم ذلك، فلم يؤمنوا في الدنيا. قالوا: وذلك نظير قوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) ، [سورة الأنعام: ٢٨]. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٠].

قال الطبري:" وأولى التأويلات في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه، أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهدَ أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها: أنَّه يقلب أفئدتهم وأبصارهم ويصرِّفها كيف شاء، وأنّ ذلك بيده يقيمه إذا شاء، ويزيغه إذا أراد وأنّ قوله: {كما لم يؤمنوا به أول مرة} ، دليل على محذوف من الكلام= وأنّ قوله:"كما" تشبيه ما بعده بشيء قبله.

وإذْ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يكون معنى الكلام: ونقلب أفئدتَهم، فنزيغها عن الإيمان، وأبصارَهم عن رؤية الحق ومعرفة موضع الحجة، وإن جاءتهم الآية التي سألوها، فلا يؤمنوا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله، كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبلَ مجيئها مرَّة قبل ذلك"[١١].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير:٣١٧/٣.
(٣) تفسير السعدي:٢٦٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥١):ص٤٤/١٢.
(٥)انظر:تفسير الطبري(١٣٧٥٣):ص٤٤/١٢.
(٦)انظر:تفسير الطبري(١٣٧٥٢):ص٤٤/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٧٥٣):ص٤٤/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٧٥٢):ص٤٤/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٧٥١):ص٤٤/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥٤):ص٤٤/١٢-٤٥.
(١١) تفسير الطبري:٤٥/١٢.

وقرئ:«ويقلب» بالياء، أى: الله عز وجل. وقرأ الأعمش: «وتقلب أفئدتهم وأبصارهم»، على البناء للمفعول(١).

قوله تعالى:{وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام : ١١٠]، أي:" ونتركهم في تمرُّدهم على الله متحيِّرين، لا يهتدون إلى الحق والصواب"(٢).

قال الطبري:" ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم: لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها عند مجيئها في تمرُّدهم على الله واعتدائهم في حدوده، يتردَّدون، لا يهتدون لحق، ولا يبصرون صوابًا، قد غلب عليهم الخِذْلان، واستحوذ عليهم الشيطانُ"(٣).

قال الزمخشري:" أى: نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا(٤) فيه"(٥).

قال أبو مالك:" {ونذرهم}، يعني: نتخلى عنهم"(٦).

أخرج ابن ابي حاتم عن أبي العالية، في قوله:"{في طغيانهم}، يعني: في ضلالتهم"(٧).

وقال ابن عباس:" {في طغيانهم}، في كفرهم"(٨).

قال ابن ابي حاتم:"وروي عن السدي نحو قول ابن عباس وقتادة والربيع نحو قول أبي العالية"(٩).

قال السعدي:" وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسبا لأحوالهم"(١٠).

وفي تفسير قوله تعالى:{ يَعْمَهُونَ} [الأنعام : ١١٠]، وجوه:

أحدها: يتمادون. وهذا قول ابن عباس(١١)، والسدي(١٢).

والثاني: يترددون في كفرهم. وهذا قول أبي العالية(١٣)، ومجاهد(١٤)، وأبي مالك(١٥)، والربيع بن أنس(١٦)، وهو مروي عن ابن عباس أيضا(١٧).

---

(١) انظر: الكشاف:٥٨/٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٣) تفسير الطبري:٤٦/١٢.
(٤)أي:"يتحيروا".
(٥) الكشاف:٥٨/٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٧٦):ص١٣٦٩/٤.
(٧) تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٧٨):ص١٣٧٠/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٧٧):ص١٣٦٩/٤.
(٩) تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤.
(١٠) تفسير السعدي:٢٦٩.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٧٩):ص١٣٧٠/٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٨٠):ص١٣٧٠/٤.

والثالث: يلعبون. وهذا قول الأعمش(١).

والرابع: يتحيرون. أفاده القرطبي(٢).

قال ابن عطية:" «الطغيان»: التخبط في الشر والإفراط فيما يتناوله المرء، و«العمى»: التردد والحيرة"(٣).

وقرأ الأعمش والهمداني:«ويذرهم» بالياء، وجزم الراء على وجه التخفيف، أى: الله عز وجل(٤).

الفوائد:

١- الهداية أعظم النعم وأول الحجج على العبد.
٢- أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر.
٣- أنه من أولياء الشيطان الذين لم ينقادوا لإتباع ما جاءت به الرسل فقلب قلبه عن الحق بعدم الانقياد كما قال تعالى {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وكقوله: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} فجعل علة التقليب والطبع عدم الانقياد لاتباع ما جاءت به الرسل، وذلك أنه تعالى قد فطر عباده على الهدى فمن بقي على الفطرة وقبل ما جاءت به الرسل زاده هدى ولطفاً وتوفيقاً، وأن من غير الفطرة وعاند ما جاءت به الرسل ولاه الله ما تولى.
٤- ومن فوائد الآية الكريمة: ان جميع الأسباب تنتظم في قضاء الله وقدره، وهي من القضاء والقدر، ولهذا لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله: أرأيت أدوية نتداوى بها ورقي نسترقيها، وتقاة نتقيها؛ هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: " هي من قدر الله"(٥).

وثبت في الصحيحين: أن الصحابة رضي الله عنهم حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، القدر السابق قالوا: " يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا الأول وندع العمل؟

فقال: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة " ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}"(٦)[الليل:٥-١٠].

فبين صلى الله عليه وسلم أن السعادة والشقاوة وإن كانت مقدرة مفروغا منها.

فإن الله قدرها بأسبابها، وهو أن الله ييسر أهل السعادة لليسرى، بما فعلوه من الأسباب الثلاثة: وهي قوله: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٨١):ص١٣٧٠/٤.
(٢) انظر: تفسير القرطبي:٦٦/٧.
(٣) المحرر الوجيز:٣٣٤/٢.
(٤) انظر: الكشاف:٥٨/٢، والمحرر الوجيز:٣٣٤/٢
(٥)حديث صحيح: رواه أحمد (٤٢١/٣) والترمذي (٢٠٦٥) وابن ماجه (٣٤٣٧) من حديث أبي خزيمة رضي الله عنه وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".
(٦)البخاري (١٣٦٢) ، (٤٩٤٦) (٤٩٤٩) ومسلم (٢٦٤٧) (٦)، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأنه ييسر أهل الشقاوة للعسرى، بما فعلوه من الأسباب الثلاثة وهي: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} .

- مشيئته تعالى لا تنافي ما جعله من الأسباب الدنيوية والأخروية
- ومشيئته تعالى لا تنافي ما جعله من الأسباب الدنيوية والأخروية.

فقد أخبر في عدة آيات: أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وفي آيات أخر أخبر بالأسباب التي تنال بها هداية الله، ويستحق بها العبد أن يبقى على ضلاله:

- كقوله: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ} [المائدة: ١٦] .
- وكقوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩] .
- وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً} [لأنفال:٢٩]
- وقوله: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١]
- وقوله: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]
- وقوله: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً} [البقرة: ١٠]
- وقوله: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ١١٠]
- وقوله: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف:٣٦]

وهذه الآيات فيها من أسرار القدر في هداية من يهديه وإضلال من يضله ما شهد لله بكمال الحكمة والحمد.

وكذلك أخبر في عدة آيات أنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي آيات أخر أخبر عن الأسباب التي تنال بها مغفرة الله مثل قوله: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى} [طه:٨٢]

والأسباب التي يستحق بها العذاب مثل قوله: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [طه:٤٨]

وكذلك أخبر في آيات كثيرة: أنه يرزق لمن يشاء، ويوسع الرزق على من يشاء ويقبضه على من يشاء، وفي آيات أخر ذكر الأسباب التي ينال بها رزقه؛ مثل قوله: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣].

وقوله: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً} [الطلاق: ٤] .

كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له أجله فليصل رحمه "(١).

وكذلك الأسباب المادية، مثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} [الملك:١٥].

جميع المطالب الدنيوية والأخروية جعل لها أسبابا متى سلكها الإنسان حصل له مطلوبه، وجميع المطالب الدنيوية والأخروية، جعل لها أسبابا متى سلكها الإنسان

---

(١)البخاري (٥٩٨٦) ومسلم (٥٥٧) (٢١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وراجع شرح المصنف للحديث في بهجة قلوب الأبرار ص (٣١٦-٣١٨).

حصل له مطلوبه؛ وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، في كلمة واحدة فقال: " احرص على ما ينفعك واستعن بالله "[١].

فقوله: "احرص على ما ينفعك" أي: في دينك ودنياك، واسلك كل طريق يوصلك إلى هذه المنفعة. ولكن لا تتكل على حولك وقوتك بل توكل على الله، واستعن به. فمن فعل ذلك: فهو عنوان سعادته ونجاحه؛ وإلا فلا يلم العبد إلا نفسه[٢].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} [الأنعام : ١١١]

التفسير:

ولو أننا أجبنا طلب هؤلاء، فنزَّلنا إليهم الملائكة من السماء، وأحيينا لهم الموتى، فكلموهم، وجمعنا لهم كل شيء طلبوه فعاينوه مواجهة، لم يصدِّقوا بما دعوتهم إليه -أيها الرسول- ولم يعملوا به، إلا من شاء الله له الهداية، ولكن أكثر هؤلاء الكفار يجهلون الحق الذي جئت به من عند الله تعالى.

سبب النزول:

قال ابن جريج:"نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم الآية، فقال:"قل"، يا محمد،"إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون"، ونزل فيهم: { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا}"[٣] .

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ} [الأنعام : ١١١]، أي:" ولو أننا أجبنا طلب هؤلاء، فنزَّلنا إليهم الملائكة من السماء"[٤].

قال الطبري:أي:" فإننا لو نزلنا إليهم الملائكة حتى يروها عيانًا"[٥].

قال ابن كثير:"يقول تعالى : ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم { لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا } فنزلنا عليهم الملائكة ، أي : تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل ، كما سألوا فقالوا : { أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا } [الإسراء : ٩٢]{ قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله } [الأنعام : ١٢٤] ، { وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } [الفرقان : ٢١]"[٦].

---

(١)جزء من حديث رواه مسلم (٢٦٦٤) (٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) انظر: الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ):ص٤٢-٤٥.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٧٥٥):ص٤٧/١٢.
(٤) التفسير الميسر:١٤٢.
(٥) تفسير الطبري:٤٦/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١٨/٣.

قوله تعالى:{وَكَلَّمَهُمُ المَوْتَى} [الأنعام : ١١١]، أي:" وأحيينا لهم الموتى فكلموهم وأخبروهم بصدق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[١].

قال البغوي:يعني:"بإحيائنا إياهم فشهدوا لك بالنبوة كما سألوا"[٢].

قال الطبري:أي:" وكلمهم الموتى بإحيائنا إياهم حُجَّةً لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقٌّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقٌّ من عند الله"[٣].

قال ابن كثير:" أي : فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل"[٤].

قوله تعالى:{وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا} [الأنعام : ١١١]، أي:" وجمعنا لهم كل شيء طلبوه فعاينوه مواجهة"[٥].

قال الطبري:أي:" وحشرنا عليهم كل شيء فجعلناهُم لك قبلا"[٦].

وفي قوله تعالى:{ قُبُلًا} [الأنعام : ١١١]، قراءتان[٧]:

إحداهما :«قِبَلا»، بكسر القاف وفتح الباء ، قرأ بها نافع، وابن عامر[٨]، ومعنى ذلك: معاينة ومجاهرة ، قاله ابن عباس[٩]، وقتادة[١٠].

والقراءة الثانية :«قُبُلًا»، بضم القاف والباء، وهي قراءة الباقين[١١]، وفي تأويلها ثلاثة أقاويل:

أحدها : أن «القُبُل» جمع: قبيل وهو: الكفيل ، فيكون معنى«قُبُلاً» أي: كُفَلاء[١٢].

والثاني : أن معنى ذلك: قبيلة قبيلة وصفاً صفاً ، قاله مجاهد[١٣]، وعبدالله بن زيد[١٤].

قال ابن كثير:" أي: تعرض عليهم كل أمة بعد أمة، فتخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به"[١٥].

والثالث : معناه مقابلة ، قاله ابن عباس[١٦]، وابن زيد[١٧]، وابن إسحاق[١٨].

---

(١) صفوة التفاسير:٣٨٣/١.
(٢) تفسير البغوي:١٧٩/٣.
(٣) تفسير الطبري:٤٦/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٨/٣.
(٥) التفسير الميسر:١٤٢.
(٦) تفسير الطبري:٤٦/١٢.
(٧) انظر: السبعة في القراءات:١٦٥-٢٦٦، وتفسير الطبري:١٢/٤٨-٤٩، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(٨) انظر: السبعة في القراءات:١٦٥-٢٦٦، وتفسير الطبري:١٢/٤٨-٤٩، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥٧):ص٤٩/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥٨):ص٤٩/١٢.
(١١) انظر: السبعة في القراءات:١٦٥-٢٦٦، وتفسير الطبري:٤٨/١٢، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٨/١٢، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٠)، و(١٣٦١):ص٤٩/١٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥٩):ص٤٩/١٢.
(١٥) تفسير ابن كثير:٣١٨/٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٢):ص٤٩/١٢-٥٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٣):ص٥٠/١٢.
(١٨) انظر: النكت والعيون:١٥٧/٢.

قال الطبري:"وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا، قراءةُ من قرأ: {وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا} ، بضم«القاف والباء»، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجهَ التي بينّا من المعاني، وأن معنى«القِبَل» داخلٌ فيه، وغير داخل في القبل معاني:«القِبَل»"(١).

قوله تعالى:{مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الأنعام : ١١١]، أي:" لم يصدّقوا بما دعوتهم إليه -أيها الرسول- ولم يعملوا به، إلا من شاء الله له الهداية"(٢).

قال الطبري:أي:" ما آمنوا ولا صدّقوك ولا اتبعوك إلا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم"(٣).

قال ابن كثير:" أي : إن الهداية إليه ، لا إليهم. بل يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وهو الفعال لما يريد ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، لعلمه وحكمته ، وسلطانه وقهره وغلبته. وهذه الآية كقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ } [يونس : ٩٦ ، ٩٧]"(٤).

عن ابن عباس قوله: "{ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا} ، وهم أهل الشقاء، ثم قال: {إلا أن يشاء الله} ، وهم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان"(٥).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام : ١١١]، أي:" ولكنَّ أكثر هؤلاء المشركين يجهلون ذلك"(٦).

قال الطبري:" يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفرَ بأيديهم، متى شاؤوا آمنوا، ومتى شاؤوا كفروا. وليس ذلك كذلك، ذلك بيدي، لا يؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته"(٧).

الفوائد:

١- الإيمان بمشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أبداً، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد، وبهذا تقررت ربوبيته وألوهيته للأولين والآخرين.
قال الشيخ الطحاوي:" وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن"(٨).

١- أن طلب الكَفَرَة رؤية الملائكة، ومجيء رسول من الملائكة، إنما هو تعنت، وليس طلباً للهداية، وعلى احتمال حدوثه فإنهم لن يؤمنوا.
٢- تسلية الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وفي الأنبياء الذين هم أشرف الخلق عليهم أفضل الصلاة والسلام مسلاة لأتباعهم، واعتبار بأحوالهم، واعتصام.

---

(١) تفسير الطبري:٥٠/١٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٢.
(٣) تفسير الطبري:٤٧/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١٨/٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٧٥٦):ص٤٧/١٢.
(٦) صفوة التفاسير:٣٨٣/١.
(٧) تفسير الطبري:٤٧/١٢.
(٨) شرح الطحاوية، ابن ابي العز:١٠٣.

القرآن

{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)} [الأنعام : ١١٢]

التفسير:

وكما ابتليناك -أيها الرسول- بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء -عليهم السلام- بأعداء مِن مردة قومهم وأعداء من مردة الجن، يُلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زيَّنوه بالباطل; ليغتر به سامعه، فيضل عن سبيل الله. ولو أراد ربك -جلَّ وعلا- لحال بينهم وبين تلك العداوة، ولكنه الابتلاء من الله، فدعهم وما يختلقون مِن كذب وزور.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام : ١١٢]، أي:" وكما ابتليناك -أيها الرسول- بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء -عليهم السلام- بأعداء مِن مردة قومهم وأعداء من مردة الجن"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مسلِّيَه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله، وحاثًّا له على الصبر على ما نال فيه: {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا} ، يقول: وكما ابتليناك، يا محمد، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطينَ... فهذا الذي امتحنتك به، لم تخصص به من بينهم وحدك، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم، مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم. يقول: فاصبر أنتَ كما صبر أولو العزم من الرسل"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وكما جعلنا لك - يا محمد - أعداءً يخالفونك ، ويعادونك جعلنا لكل نبي من قبلك أيضا أعداء فلا يَهيدنَّك ذلك ، كما قال تعالى : { فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ } [آل عمران : ١٨٤] ، وقال تعالى:{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا [حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام : ٣٤] ، وقال تعالى : { مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ } [فصلت : ٤٣] ، وقال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان : ٤٣]، وقال ورقة بن نوفل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي»(٣)"(٤).

قال البغوي:"{وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا}، أي: أعداء فيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم، يعني كما ابتليناك بهؤلاء القوم، فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك أعداء"(٥).

قال القرطبي:" يعزي نبيه ويسليه، أي كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك {عدوا}، أي: أعداء"(٦).

عن أبي مالك: "قوله: {شياطين}، يعني: إبليس وذريته"(٧).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢) تفسير الطبري:١٢/٥٠-٥١.
(٣)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣) ومسلم في صحيحه برقم (١٦٠) من حديث عائشة ، رضي الله عنها.
(٤) تفسير ابن كثير:٣/٣١٨-٣١٩.
(٥) تفسير البغوي:٣/١٧٩.
(٦) تفسير القرطبي:٧/٦٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٧):ص٤/١٣٧١.

عن قتادة في قوله: "{شياطين الإنس والجن}، قال: من الإنس شياطين، ومن الجن شياطين، يوحي بعضهم إلى بعض"[١].

عن أبي يزيد المدني عن عكرمة قال:" قدمت على المختار، فأكرمني وأنزلني عليه حتى كان يتعاهد مبيتي بالليل، قال فقال: لي: اخرج فحدث الناس. قال: فخرجت، فجاء رجل فقال ما تقول في الوحي؟ قلت: الوحي وحيان. قال الله عز وجل: {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}[٢]، وقال الله: {شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [٣]، قال: فهموا بي أن يأخذوني، فقلت: ما لكم ذاك، إني مفتيكم وضيفكم فتركوني"[٤].

قال ابن كثير:" وإنما عَرَضَ عِكْرِمة بالمختار - وهو ابن أبي عبيد - قبحه الله ، وكان يزعم أنه يأتيه الوحي ، وقد كانت أخته صفية تحت عبد الله بن عمر وكانت من الصالحات ، ولما أخبر عبد الله بن عمر أن المختار يزعم أنه يوحى إليه قال : صدق ، قال الله تعالى : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } [الأنعام : ١٢١]"[٥].

وفي قوله تعالى:{ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام : ١١٢]، وجوه:

أحدها : معناه: شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن. قاله عكرمة[٦].

قال البغوي:"معناه: شياطين الإنس التي مع الإنس، وشياطين الجن التي مع الجن، وليس للإنس شياطين، وذلك أن إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم إلى الإنس وفريقا منهم إلى الجن، وكلا الفريقين أعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ولأوليائه، وهم الذين يلتقون في كل حين، فيقول شيطان الإنس لشيطان الجن: أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثله، وتقول شياطين الجن لشياطين الإنس كذلك، فذلك وحي بعضهم إلى بعض"[٧].

والثاني: أن للإنسان شيطان ، وللجنّي شيطان. وهذا قول ابن عباس[٨]، والسدي[٩]، وعزاه البغوي إلى قتادة ومجاهد والحسن[١٠].

قال البغوي:"الشيطان: العاتي المتمرد من كل شيء، قالوا: إن الشيطان إذا أعياه المؤمن وعجز من إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس وهو شيطان الإنس فأغراه بالمؤمن ليفتنه، يدل عليه ما روي عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تعوذت بالله من شياطين الجن والإنس"؟ فقلت: يا رسول الله وهل للإنس من شياطين؟ قال: "نعم، هم شر من شياطين الجن»[١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٨):ص١٣٧١/٤.
(٢)[يوسف : ٣].
(٣)[الأنعام : ١١٢].
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٩):ص١٣٧١/٤.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٢١/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٦):ص٥٢/١٢.
(٧) تفسير البغوي:١٧٩/٣.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٩١):ص١٣٧٢/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٥)، و(١٣٧٦٧):ص٥١/١٢-٥٢.
(١٠) انظر: تفسير البغوي:١٧٩/٣، والصحيح ان قول مجاهد مستقل، وسوف يأتي بيانه في القول الثالث. والله أعلم.
(١١)أخرجه النسائي في الاستعاذة، باب الاستعاذة من شر شياطين الإنس: ٨ / ٢٧٥، دون قوله "هم شر من شياطين الجن"، والإمام أحمد في المسند: ١ / ٢٦٥.

وقال مالك بن دينار: «إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا»"[١].

والثالث : شياطين الإنس كفارهم ، وشياطين الجن كفارهم ، قاله مجاهد[٢].

والرابع : أن شياطين الإنس والجن مردتهم ، قاله الحسن[٣]، واختاره الطبري[٤].

قال الطبري:" جعل عكرمة والسدي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما ، عدوّ الأنبياء الذين ذكرهم الله في قوله : {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا} ، أولادَ إبليس ، دون أولاد آدم ، ودون الجن وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحي إلى بعض زخرف القول غرورًا ، ولدَ إبليس ، وأن مَنْ مع ابن آدم من ولد إبليس يوحي إلى مَنْ مع الجن من ولده زخرفَ القول غرورًا،وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداءَ ابن آدم، فكل ولده لكل ولده عدوّ. وقد خصّ الله في هذه الآية الخبر عن الأنبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداءً. فلو كان معنيًّا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدي، الذين هم ولد إبليس، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبرِ عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداءً، وجهٌ. وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه، مثل الذي جعللهم. ولكن ذلك كالذي قلنا، من أنه معنيٌّ به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبي عدوًّا يوحي بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به"[٥].

عن أبي ذر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا أبا ذر، هل تعوَّذت بالله من شر شياطين الإنس والجنّ؟ قال: قلت: يا رسول الله، هل للإنس من شياطين؟ قال: نعم!"[٦].

وفي رواية اخرى:" قال: نعم شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"[٧].

عن قتادة قال: "بلغني أن أبا ذر قام يومًا يُصلّي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: تعوَّذ يا أبا ذر، من شياطين الإنس والجن. فقال: يا رسول الله، أوَ إنّ من الإنس شياطين؟ قال: نعم! "[٨].

قال ابن كثير:" فهم ابن جرير من هذا ؛ أن المراد بشياطين الإنس عند عِكْرمة والسُّدِّي : الشياطين من الجن الذين يضلون الناس ، لا أن المراد منه شياطين الإنس منهم. ولا شك أن هذا ظاهر من كلام عِكْرمة ، وأما كلام السُّدِّي فليس مثله في هذا المعنى ، وهو محتمل، وقد روى ابن أبي حاتم نحو هذا ، عن ابن عباس من رواية الضحاك ، عنه ، قال : إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم ، قال : فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن ، فيقول هذا لهذا : أضلله بكذا ، أضلله بكذا. فهو قوله : { يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا }

---

(١) تفسير البغوي:١٧٩/٣-١٨٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٧٣):ص٥٥/١٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٥٨/٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٥١/١٢.
(٥) تفسير الطبري:٥٢/١٢-٥٣.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٧٦٨):ص٥٣/١٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٦):ص١٣٧١/٤.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٧٧٠):ص٥٤/١٢.

وعلى كل حال فالصحيح ما تقدم من حديث أبي ذر : إن للإنس شياطين منهم ، وشيطان كل شيء ما رده ، ولهذا جاء في صحيح مسلم ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الكلب الأسود شيطان»[1]. ومعناه - والله أعلم - : شيطان في الكلاب"[2].

قوله تعالى:{يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} [الأنعام : ١١٢]، أي:" يوسوس بعضهم إلى بعض بالضلال والشر"[3].

قال البغوي:" أي: يلقي"[4].

قال الطبري:" يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض"[5].

قال ابن كثير:" أي : يلقي بعضهم إلى بعض"[6].

قال ابن عباس:" شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس. قال: فإن الله يقول:{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِم}[7]"[8].

عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: "{وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا}، قال: إن للجن شياطين يضلونهم مثل شياطين الإنس يضلونهم، قال: فيلقى شيطان الإنس وشيطان الجن، فيقول هذا لهذا: أضلله بكذا، وأضلله بكذا، قال: فهو قوله: {يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا}"[9].

وفي قوله تعالى:{يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ} [الأنعام : ١١٢]، ثلاثة أوجه[10]:

أحدها : يعني يوسوس بعضهم بعضاً .

والثاني : يشير بعضهم إلى بعض ، فعبر عن الإشارة بالوحي كقوله :{ فَأَوْحَى إِلَيهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً } [مريم : ١١]، و{زُخْرُفَ الْقَوْلِ} ما زينوه لهم من الشبه في الكفر وارتكاب المعاصي.

والثالث : يأمر بعضهم بعضاً كقوله :{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا } [فصلت : ١٢]، أي: أمر.

قال القرطبي:" {يوحي بعضهم إلى بعض ..}: عبارة عما يوسوس به شياطين الجن إلى شياطين الإنس. وسمي وحيا، لأنه إنما يكون خفية"[11].

قوله تعالى:{زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام : ١١٢]، أي:" يوسوسون بالكلام المزيّن والأباطيل المموّهة ليغروا الناس ويخدعوهم"[1].

---

(١)صحيح مسلم برقم (٥١٠).
(٢) تفسير ابن كثير:٣/٣٢٠-٣٢١.
(٣) صفوة التفاسير:١/٣٨٣.
(٤) تفسير البغوي:٣/١٨٠.
(٥) تفسير الطبري١٢/٥٧.
(٦) تفسير ابن كثير:٣/٣٢١.
(٧)[الأنعام : ١٢١].
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٩٠):ص٤/١٣٧٢.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٩١):ص٤/١٣٧٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٨.
(١١) تفسير القرطبي:٧/٦٧.

قال ابن كثير: أي : " القول المزين المزخرف ، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره"[٢].

قال الطبري:يعني: "المزيَّن من القول بالباطل، ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء فيفتنوهم عن دينهم.. وأما«الغرور»: فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصدَّه عن الصواب إلى الخطأ وعن الحق إلى الباطل"[٣].

قال البغوي:" {زخرف القول}، وهو قول مموه مزين بالباطل لا معنى تحته، {غرورا} يعني: لهؤلاء الشياطين يزينون الأعمال القبيحة لبني آدم، يغرونهم غرورا، والغرور: القول الباطل"[٤].

قال ابن عباس:" يقول: حسَّن بعضهم لبعضٍ القول ليتّبعوهم في فتنتهم"[٥].

عن عكرمة[٦] ومجاهد[٧] قوله:"{زخرف القول غرورًا}، قالا: تزيين الباطل بالألسنة".

قال ابن زيد:" «الزخرف»، المزيَّن، حيث زيَّن لهم هذا الغرور، كما زيَّن إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه له لمن الناصحين. وقرأ: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ}، [سورة فصلت: ٢٥] . قال: ذلك الزخرف"[٨].

عن السدي: "أما«الزخرف»، فزخرفوه، زيَّنوه"[٩]. "{غرورًا}، قال: يغرّون به الناسَ والجنّ"[١٠].

قال القرطبي:" جعل تمويههم زخرفا لتزيينهم إياه، ومنه سمي الذهب زخرفا. وكل شي حسن مموه فهو زخرف. والمزخرف المزين. وزخارف الماء طرائقه"[١١].

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} [الأنعام : ١١٢]، أي:" ولو أراد ربك -جلَّ وعلا- لحال بينهم وبين تلك العداوة، ولكنه الابتلاء من الله"[١٢].

قال البغوي:" أي: ما ألقاه الشيطان من الوسوسة في القلوب"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولو شئت، يا محمد، أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداءً من شياطين الإنس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم، فعلتُ ذلك، ولكني لم أشأ ذلك، لأبتلي بعضهم ببعض، فيستحق كل فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق"[١٤].

---

(١) صفوة التفاسير:٣٨٣/١.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٢١/٣.
(٣) تفسير الطبري:٥٦/١٢-٥٨.
(٤) تفسير البغوي:١٨٠/٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٧٧٨):ص٥٦/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٧٧٤):ص٥٥/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٧٧٦):ص٥٦/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٧٧٩):ص٥٦/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٧٧٥):ص٥٦/١٢.
(١٠) أخرجه الطبري(١٣٧٨٠):ص٥٦/١٢.
(١١) تفسير القرطبي:٦٧/٧.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٢.
(١٣) تفسير البغوي:١٨٠/٣.
(١٤) تفسير الطبري:٥٧/١٢.

قال ابن كثير: " أي : وذلك كله بقدر الله وقضائه وإرادته ومشيئته أن يكون لكل نَبيّ عدوّ من هؤلاء"(١).

قوله تعالى:{فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١١٢]، أي:" فدعهم وما يختلقون مِن كذب وزور"(٢).

قال الطبري:" يقول: فدعهم -يعني الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجن-{وما يفترون}، يعني: وما يختلقون من إفك وزور. يقول له صلى الله عليه وسلم: اصبر عليهم، فإني من وراء عقابهم على افترائهم على الله، واختلاقهم عليه الكذبَ والزور"(٣).

قال ابن كثير: " أي : فدعهم ، { وَمَا يَفْتَرُونَ } أي : يكذبون ، أي : دع أذاهم وتوكل على الله في عداوتهم ، فإن الله كافيك وناصرك عليهم"(٤).

قال ابن الجوزي:" قوله تعالى: {فذرهم وما يفترون} إن قلنا إن هذا تهديد كما سبق في الآية السادسة فهو محكم، وإن قلنا إنه أمر بترك قتالهم فهو منسوخ بآية السيف"(٥).

الفوائد:

١- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل داع إلى الله تعالى بإعلامه أنه ما من نبي ولا داع إلا وله أعداء من الجن والإنس يحاربونه حتى ينصره الله عليهم.
٢- التحذير من التمويه والتغرير فإن أمضى سلاح للشياطين هو التزيين والتغرير.
٣- ويستفاد من الآية الكريمة ان كل إنسان معه شيطان: وكما أمد الله الإنسان بملك يهديه، ويؤيده .. فإنه كذلك يمده بشيطان يوسوس له، ويزين له السوء، ويغريه بالمنكر، ويدعوه إلى الفتنة، يستوى فى ذلك الأنبياء وغيرهم.
عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: "خرج النبى صلى الله عليه وسلم من عندى ليلاً، فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «مَا لَكِ يَا عَائِشَةُ، أَغِرْتِ؟»، قلت: وما لى لا يغار مثلى على مثلك؟ فقال: «أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ؟»، قلت: يا رسول الله، أومعى شيطان؟ قال: «نَعَمْ»، قلت: ومع كل إنسان شيطان؟ قال: «نَعَمْ»، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّى أَعَانَنِى عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»"(٦).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِيَّاىَ، إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلاَ يَأْمُرُنِى إِلاَّ بِخَيْرٍ»(٧).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣٢١.
(٢) التفسير الميسر:١٤٢.
(٣) تفسير الطبري:١٢/٥٧.
(٤) تفسير ابن كثير:٣/٣٢١.
(٥) نواسخ القرآن:٢/٤٢٩.
(٦) رواه مسلم(٢٨١٥):ص٤/٢١٦٨.
(٧) رواه مسلم(٢٨١٤):ص٤/٢١٦٧ في صفات المنافقين: باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، والبغوي (٤٢١١) ، والمزي في "تهذيب الكمال" ٩/٣٩ من طريقين عن جرير، بهذا الاسناد.
وأخرجه أحمد ١/٣٨٥ و ٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٦٠، والدارمي ٢/٣٠٦، ومسلم، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (١٠٩) ، والبيهقي في " الدلائل " ٧/١٠٠ و ١٠١، والطبراني (١٠٥٢٢) و (١٠٥٢٣) و (١٠٥٢٤) من طرق عن منصور، به.

القرآن

{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣)} [الأنعام : ١١٣]

التفسير:

ولِتميل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، ولتحبَّه أنفسهم، وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون.

قوله تعالى:{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الأنعام : ١١٣]، أي:" ولِتميل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها"[١].

قال ابن عباس:" يقول: تزيغ إليه أفئدة"[٢]. وفي رواية اخرى عنه:" لتميل إليه"[٣].

قال السدي:" يقول: تميل إليه قلوبُ الكفار، ويحبونه، ويرضون به"[٤].

قال ابن زيد:" {ولتصغى}، وليهووا ذلك وليرضوه. يقول الرجل للمرأة:صَغَيْت إليها، هويتها"[٥].

قال الطبري:" يقول: ولتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة"[٦].

قال ابن كثير: " أي : ولتميل إليه - قاله ابن عباس[٧] - { أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ}، أي : قلوبهم وعقولهم وأسماعهم"[٨].

قال البغوي:" أي: تميل إليه، والصغو: الميل، يقال: صغو فلان معك، أي: ميله، والفعل منه: صغى يصغي، صغا، وصغى يصغى، ويصغو صغوا، والهاء في "إليه" راجعة إلى زخرف القول"[٩].

يقال: صغيت، بالياء، حكي عن بعض بني أسد: صَغيت إلى حديثه، فأنا أصغَى صُغُيًّا، بالياء، وذلك إذا ملت. ويقال:صَغْوِي معك، إذا كان هواك معه وميلك، مثل قولهم:ضِلَعِي معك، ويقال:أصغيت الإناء، إذا أملته ليجتمع ما فيه، ومنه قول الشاعر[١٠]:

تَرَى السَّفِيَهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ، وفيهِ إلَى التَّشْبِيهِ إصْغَاءُ

ويقال للقمر إذا مال للغيوب:"صغا" و"أصغى"[١].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٧٨١):ص٥٨/١٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٩٦):ص١٣٧٣/٤.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٧٨٣):ص٥٨/١٢-٥٩.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٧٨٤):ص٥٨/١٢-٥٩.
(٦) تفسير الطبري:٥٨/١٢.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٩٦):ص١٣٧٣/٤.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٢١/٣.
(٩) تفسير البغوي:١٨٠/٣.
(١٠) لم أتعرف على قائله، والبيت في اللسان (صغا) ، وأيضًا في تفسير أبي حيان ٤: ٢٠٥، والقرطبي ٧: ٦٩، وفي اللسان والقرطبي: ((عن كل مكرمة)) ، وكأن الصواب ما تفسير ابن جرير، وأبي حيان، وكأن الشاعر يريد الذين يتبعون ما تشابه من آيات كتاب الله، ويعرضون عن المحكم من آياته.

قوله تعالى:{وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام : ١١٣]، أي:" ولتحبَّه أنفسهم، وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون"[٣].

قال ابن كثير: " { وَلِيَرْضَوْهُ } أي : يحبوه ويريدوه. وإنما يستجيب لذلك من لا يؤمن بالآخرة ، كما قال تعالى : { فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ. مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ. إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ } [الصافات : ١٦١ - ١٦٣] ، وقال تعالى : { إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ. يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ } [الذاريات : ٨ ، ٩]"[٤].

عن السدي:" {ليرضوه}، قال: يحبونه ويرضونه"[٥].

وفي قوله تعالى:{ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام : ١١٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها: معناه:ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون. وهذا قول السدي[٦]، وابن زيد[٧]، والزجاج[٨].

والثاني: وليكتسبوا من الشرك والمعاصي ما هم مكتسبون ، قاله جويبر[٩]، وبه قال الطبري[١٠]، والبغوي[١١]. وهو قريب من المعنى الأول.

حكي عن العرب سماعًا:خرج يقترف لأهله، بمعنى يكسب لهم. ومنه قيل:قارف فلان هذا الأمر، إذا واقعه وعمله، وكان بعضهم يقول: هو التهمة والادعاء. يقال للرجل:أنت قَرَفْتَنِي، أي اتهمتني. ويقال:بئسما اقترفتَ لنفسك[١٢]، وقال رؤبة[١٣]:

أَعْيَا اقْتِرَافُ الكَذِبِ المَقْرُوفِ تَقْوَى التَّقِي وعِفَّة العَفِيفِ

ومنه قوله تعالى:{وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً} [الشورى : ٢٣].

والثالث: وليكذبوا على الله ورسوله ما هم كاذبون ،ذكره الزجاج[١٤]، والماوردي[١٥].

قال الزجاج:"أي: ليختلقوا وليكذبوا، وهذه «لام أن»، المعنى"« ولأن يرضوه وليقترفوا»، على أن «اللام» «لام أمر»، ومعناه معنى التهدد والوعيد، كما تقول: افعل ما شئت، فلفظه لفظ الأمر ومعناه معنى التهدد"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:٥٨/١٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٢.
(٣) تفسير الطبري:٥٩/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٢١/٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٠٠):ص١٣٧٣/٤.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٧٨٦):ص٦٠/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٧٨٧):ص٦٠/١٢.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢٨٥/٢.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٥٩/١٢.
(١١) انظر: تفسير البغوي:١٨٠/٣.
(١٢) انظر: مجاز القرآن ١/ ٢٠٥، وتفسير الطبري:٥٩/١٢،
(١٣)البيت من شواهد، مجاز القرآن ١/ ٢٠٥، وتفسير الطبري:٥٩/١٢، ولم أجده في الديوان.
(١٤) انظر: معاني القرآن:٢٨٥/٢.
(١٥) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٢.
(١٦)معاني القرآن:٢٨٥/٢.

الفوائد:

١- أن القلوب الفارغة من الإيمان بالله ووعده وعيده في الدار الآخرة أكثر القلوب ميلاً إلى الباطل والشر والفساد، وأن الباطل والجهل والضلال والمعاصي لا ينقاد لها إلا شرار الناس كما قال بعض الشعراء(١):

إنْ هو مستوليًا على أحدٍ إلا على أضْعَفِ المجانين

٢- أن أعداء الله لهم اعتراضات وشُبَه كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس، والجواب عن هذه المطاعن كلها أن نقول:{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦].

٣- تسلية النبي-صلى الله عليه وسلم- بأن هؤلاء المجادلين المستمعين إلى الإيحاء هم من الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإنما يحصرون همهم كله في الدنيا.

القرآن

{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)} [الأنعام : ١١٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أغير الله إلهي وإلهكم أطلب حَكَمًا بيني وبينكم، وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟ وبنو إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علمًا يقينًا أن هذا القرآن منزل عليك -أيها الرسول- من ربك بالحق، فلا تكونن من الشاكّين في شيء مما أوحينا إليك.

قوله تعالى:{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا} [الأنعام : ١١٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أغير الله إلهي وإلهكم أطلب حَكَمًا بيني وبينكم"(٢).

قال الطبري:" قل لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام، القائلين لك: كفَّ عن آلهتنا، ونكف عن إلهك: إن الله قد حكم عليّ بذكر آلهتكم بما يكون صدًّا عن عبادتها، فليس لي أن أتعدَّى حكمه وأتجاوزه، لأنه لا حَكَم أعدل منه، ولا قائل أصدق منه"(٣).

قال ابن كثير:" يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين بالله الذين يعبدون غيره : { أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا }، أي : بيني وبينكم"(٤).

قال البغوي:"أي: قل لهم يا محمد أفغير الله، أطلب قاضيا بيني وبينكم، وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل بيننا وبينك حكما فأجابهم به"(١).

---

(١) لم أتعرف على قائله، وروى عجزه بصور مختلفة، والبيت غير منسوب في : الدر المصون :١/ ٤٤٨، والكتاب :٢/ ٣٠٦، و التصريح: ١/ ٢٠١، والأشموني: "٢٢٦/ ١/ ١٢٦"، وابن عقيل: "٨١/ ١/ ٣١٧" ، والمقرب :١/ ١٠٥، والعيني: ٢/ ١١٣، وعمدة الحفاظ:٢٨، وشرح التسهيل: ٦١/١، وهمع الهوامع: ١/ ١٢٥، والدرر اللوامع: ١/ ٩٦، وشذور الذهب: "١٣٦/ ٣٦٣، وشرح الكافية٤٤٧/١، وفيه:"إلا على حزبه الملاعين، والخزانة:١٤٢/٢، وروايته فيه:"إلا على حزبه المناحيس".

مستوليا: اسم فاعل من استولى على الشيء: أي تولاه وملك زمام التصرف فيه. المجانين: جمع مجنون، وهو الذي ذهب عقله.

(٢) التفسير الميسر:١٤٢.

(٣) تفسير الطبري:٦٠/١٢.

(٤) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.

قال القرطبي:" المعنى: أفغير الله أطلب لكم حاكما وهو كفاكم مئونة المسألة في الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل، أي المبين. ثم قيل: الحكم أبلغ من الحاكم، إذ لا يستحق التسمية بحكم إلا من يحكم بالحق، لأنها صفة تعظيم في مدح. والحاكم صفة جارية على الفعل، فقد يسمى بها من يحكم بغير الحق"(٢).

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} [الأنعام : ١١٤]، أي:" وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟"(٣).

قال الطبري:" يعني القرآن{مفصَّلا}، يعني: مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم"(٤).

قال قتادة(٥)، وابن كثير(٦):" { مُفَصَّلا }، أي : مبينا".

قال البغوي:"{ مُفَصَّلا}، مبينا فيه أمره ونهيه، يعني: القرآن، وقيل: مفصلا أي خمسا خمسا وعشرا وعشرا، كما قال: {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ} [الفرقان : ٣٢] "(٧).

وفي قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} [الأنعام : ١١٤ وجوه(٨):

أحدها : تفصيل آياته لتبيان معانيه فلا تُشْكِل .

والثاني : تفصيل الصادق من الكاذب .

والثالث : تفصيل الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، قاله الحسن(٩).

والرابع : تفصيل الأمر من النهي ، والمستحب من المحظور ، والحلال من الحرام .

قال ربيعة:" إن الله تبارك وتعالى أنزل الكتاب وترك فيه موضعا للسنة، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك فيها موضعا للرأي"(١٠).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [الأنعام : ١١٤]، أي:" وبنو إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علمًا يقينًا أن هذا القرآن منزل عليك -أيها الرسول- من ربك بالحق"(١١).

قال السمرقندي:" يعني: مؤمني أهل الكتاب، {يعلمون أنه منزل من ربك بالحق}، يعني: القرآن منزل من الله بالعدل"(١٢).

---

(١) تفسير البغوي:١٨٠/٣.
(٢) تفسير القرطبي:٧٠/٧.
(٣) التفسير الميسر:١٤٢.
(٤) تفسير الطبري:٦٠/١٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٤):ص١٣٧٤/٤.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٧) تفسير البغوي:١٨٠/٣.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٢.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٣):ص١٣٧٤/٤.
(١١) التفسير الميسر:١٤٢.
(١٢) بحر العلوم:٤٧٧/١.

قال ابن كثير:" أي : من اليهود والنصارى ، { يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنزلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } ، أي : بما عندهم من البشارات بك من الأنبياء المتقدمين "[١].

قال البغوي:"يعني: علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، وقيل: هم مؤمنو أهل الكتاب، وقال عطاء: هم رءوس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد بـ«الكتاب»: هو القرآن، {يعلمون أنه منزل} يعني: القرآن"[٢].

قال القرطبي:" {والذين آتيناهم الكتاب}، يريد اليهود والنصارى. وقيل: من أسلم منهم كسلمان وصهيب وعبد الله بن سلا. {يعلمون أنه}، أي: القرآن. {منزل من ربك بالحق}، أي: أن كل ما فيه من الوعد والوعيد لحق... وقال عطاء: {الذين آتينا الكتاب} وهم رؤساء أصحاب محمد عليه السلام: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم"[٣].

قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص «منزل»، بتشديد الزاي، وقرأ الباقون بالتخفيف[٤].

قوله تعالى:{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [الأنعام : ١١٤]، أي:" فلا تكونن من الشاكِّين في شيء مما أوحينا إليك"[٥].

قال الربيع:" يقول: لا تكونن في شك مما قصَصنا عليك"[٦].

قال الحسن: "يقول: يا محمد، لا تكن في شك"[٧].

قال السرمقندي:" يعني: الشاكين في أنه الحق وأنه من الله تعالى، خاطبه بذلك وأراد به غيره من المؤمنين لكي لا يشكوا فيه"[٨].

قال الطبري:" يقول: فلا تكونن، يا محمد، من الشاكين في حقيقة الأنباء التي جاءتك من الله في هذا الكتاب، وغير ذلك مما تضمنه، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنَّه منزل من ربك بالحق"[٩].

قال ابن كثير: قوله:" { فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } كقوله { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنزلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [يونس : ٩٤] ، وهذا شرط ، والشرط لا يقتضي وقوعه ؛ ولهذا جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لا أشك ولا أسأل»[١٠]"[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٢) تفسير البغوي:١٨١/٣.
(٣) تفسير القرطبي:٧٠/٧.
(٤) انظر: بحر العلوم:٤٧٧/١.
(٥) التفسير الميسر:١٤٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٧٨٨):ص٦١/١٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٦):ص١٣٧٤/٤.
(٨) بحر العلوم:٤٧٧/١.
(٩) تفسير الطبري:٦١/١٢.
(١٠)إسناده ضعيف ، رواه: عبد الرزاق، وابن جرير؛ من مرسل قتادة.
وورد من مرسل سعيد بن جبير نحوه.
انظر: مصنف عبد الرزاق: (١٢٥/٦/ رقم ١٠٢١١) ، وتخريج الكشاف:١٨٥/٨٦، والفتح السماوي:٧١٦/٢، وتفسير الطبري:٢٠٢/١٥ - شاكر، ودفاع عن الحديث للألباني :ص١٥.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.

الفوائد:

١- حرمة وبطلان التحاكم إلى غير الوحي الإلهي، وأن الحكم لله وحده لا شريك له فيه.
٢- ومن فوائد الآية: الرضا بالله حكما لا شريك له في التشريع والطاعة.
٣- أن اللَّه سبحانه هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، فلا يظلم مثقال ذرة، ولا يحمّل أحداً وزر أحد، ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه، ويؤدي الحقوق إلى أهلها. فلا يدع صاحب حق إلا وصَّل إليه حقه. وهو العدل في تدبيره وتقديره، وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، وأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة.
٤- مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وربًّا، فقال تعالى: {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً}، وقال أيضا: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} [الأنعام : ١٤]، وقال: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا} [الأنعام : ١٦٤] ، فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله.
٥- تقرير صحة الدعوة الإسلامية بأمرين الأول: القرآن الكريم، الثاني: شهادة أهل الكتاب ممن أسلموا كعبد الله بن سلام القرظي وأصحمة النجاشي وغيرهم.

القرآن

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)} [الأنعام : ١١٥]

التفسير:

وتمت كلمة ربك -وهي القرآن- صدقًا في الأخبار والأقوال، وعدلا في الأحكام، فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة. والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، الحليم بظواهر أمورهم وبواطنها.

قوله تعالى:{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام : ١١٥]، أي:" وتمت كلمة ربك -وهي القرآن- صدقًا في الأخبار والأقوال، وعدلا في الأحكام"[١].

قال قتادة:" يقول: صدقًا وعدلا فيما حكَم"[٢]. وفي رواية اخرى عنه:" يقول: فيما وعد"[٣].

قال الطبري:" يقول: كملت كلمة ربك من الصدق والعدل"[٤].

قال السرمقندي:" يقول: وجب قول ربك بأنه ناصر محمد صلى الله عليه وسلم وأن عاقبة الأمر به صدقا وعدلا يعني: صدقا فيما وعد الله له من النصرة وعدلا فيما حكم به"[٥].

قال ابن كثير:" يقول : صدقا في الأخبار وعدلا في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل ، فإنه لا ينهى إلا عن مَفْسَدة ، كما قال : { يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ [وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} إلى آخر الآية [الأعراف : ١٥٧]"[٦].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٧٨٩):ص٦٣/١٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٧):ص١٣٧٤/٤.
(٤) تفسير الطبري:٦٢/١٢.
(٥) بحر العلوم:٤٧٧/١.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.

وفي قوله تعالى:{ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام : ١١٥]، وجهان:

أحدهما : صدقاً في وعده ووعهده ، وعدلاً في أمره ونهيه ، قاله ابن بحر[١]، وروي عن قتادة نحو ذلك[٢].

والثاني : صدقاً فيما حكاه ، عدلاً فيما قضاه ، وهو معنى قول قتادة في إحدى الروايات[٣].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو:«وتمت كلمت ربك»، جماعا[٤].

قوله تعالى:{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الأنعام : ١١٥]، أي:" فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة"[٥].

قال محمد بن كعب القرظي:" لا تبديل لشيء قاله في الدنيا والآخرة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : ليس أحد يُعقِّبُ حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة "[٧].

قال السرمقندي:" يقول: لا مغير لوعده كقوله:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا} [غافر : ٥١]، ويقال: لا مبدل لكلماته يعني: لا ينقض بعضها بعضا ولا يشبه كلام البشر"[٨].

قال البغوي:" قيل: أراد بـ«الكلمات»: القرآن لا مبدل له، لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون"[٩].

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام : ١١٥]، أي:" والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، الحليم بظواهر أمورهم وبواطنها"[١٠].

قال الطبري:" معناه: والله{السميع}، لما يقول هؤلاء العادلون بالله، المقسمون بالله جهد أيمانهم: لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، وغير ذلك من كلام خلقه، {العليم}، بما تؤول إليه أيمانهم من برٍّ وصدق وكذب وحِنْثٍ، وغير ذلك من أمور عباده"[١١].

قال ابن كثير:" { وَهُوَ السَّمِيعُ } لأقوال عباده ، { الْعَلِيمُ } بحركاتهم وسكناتهم ، الذي يجازي كل عامل بعمله"[١٢].

الفوائد:

١- ميزة القرآن الكريم: أن أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.
٢- وعود الله تعالى لا تتخلف أبداً، ولا تتبدل بتقديم ولا تأخير.
٣- ومن الفوائد: اثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«السميع»، و«العليم»:

---

(١) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٢.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٠٧):ص١٣٧٤/٤.
(٣) انظر: الطبري(١٣٧٨٩):ص٦٣/١٢.
(٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٦.
(٥) التفسير الميسر:١٤٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٩):ص١٣٧٤/٤-١٣٧٥.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٨) بحر العلوم:٤٧٧/١.
(٩) تفسير البغوي:١٨١/٣.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٢.
(١١) تفسير الطبري:٦٣/١٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.

- فـ«السَّمِيعُ»: هو الذي يسمع السر والنجوى. سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة.

كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم إني أعوذ بك من قول لا يسمع"[(١)]، أي: من دعاء لا يستجاب.

ومن هذا قول المصلي: "سمع الله لمن حمده"[(٢)]، معناه: قبل الله حمد من حمده.

وأنشد أبو زيد لشتير بن الحارث الضبي[(٣)]:

دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما أقول

أي: لا يجيب، ولا يقبل[(٤)].

و{السَّمِيعُ} له معنيان:

أحدهما: بمعنى المجيب. ومثاله قوله تعالى عن إبراهيم: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} [إبراهيم: ٣٩]، أي: لمجيب الدعاء.

والثاني: بمعنى السامع للصو، وهوينقسم إلى عدة أقسام:

الأول: سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله عز وجل،وأنه ما من صوت إلا ويسمعه الله، وهو من الصفات الذاتية، وإن كان المسموع قد يكون حادثاً، ومثاله: قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: ١]، فهذا فيه بيان إحاطة سمع الله تعالى بكل مسموع، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، والله إني لفي الحجرة، وإن حديثها ليخفى على بعضه"[(٥)].

---

(١) . هذا طرف حديث رواه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٤٤٠ موارد، والنسائي ٨/ ٢٦٤، والإمام أحمد ٣/ ١٩٢، ٢٥٥، ٣٨٣، والخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٢ من حديث أنس وانظر الكنز ٢/ ٢٠١.

(٢)أخرجه البخاري بشرح الفتح برقم ٦٩٠، ٧٢٢، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٨٨، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٩، وفيه: "ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" وبرقم ٣٢٠٣، ٣٢٢٨، ٤٠٦٩، ٤٥٦٠، ٤٥٩٨.

ومسلم صلاة برقم (٢٥)، (٢٨)، (٥٤)، (٦٢)، (٦٣)، (٧١)، (٧٧)، (٨٦)، (٨٨)، (٨٩)، (١٩٦)، (١٩٨)، (١٩٩)، (٢٠٢)، وفيه: "اللهم ربنا لك الحمد، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعده". وكذلك روايته برقم (٢٠٣) وكتاب صلاة المسافرين برقم (٢٠٢)، (٢٠٣)، والنسائي (افتتاح) ٢/ ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢١١. وابن ماجه برقم ٨٦٢، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ١٠٦١، ١٢٣٨، ١٢٣٩. وغيرهم.

(٣)أنشده الطبري في تفسيره، ٥/ ٦ - ٥٢٨، وابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٤٤، والقرطبي ٢/ ٣١، وفي الخزانة ٢/ ٣٦٣، مطلع قصيدة من سبعة أبيات في الشاهد السادس والستين بعد الثلاثمائة منسوبا إلى شمير بن الحارث الضبي. وقال: شمير، بضم الشين المعجمة وفتح الميم وآخره راء مهملة، هكذا ضبطه أبو زيد. وقال الأخفش -فيما كتبه عليه- الذي في حفظي سمير -بالسين المهملة وكذا ضبطه الصاغاني في العباب بالمهملة- وقال: هو شاعر جاهلي والله أعلم. اهـ وفي نوادر أبي زيد ص ١٢٤ مع ستة أبيات أخرى. وفي أمالي المرتضى ١/ ٦٠٣، وفي اللسان (سمع) ولم ينسبه. وأنشده الخطابي في غريب الحديث ١/ ٣٤٢، والزمخشري في الفائق ١/ ٦١٢ كما هنا، إلى شتير. وانظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٢.

(٤) انظر: شأن الدعاء للخطابي:٥٩-٦٠.

(٥)رواه البخاري معلقاً"الفتح" (١٣١/ ٣٧٢) في كتاب التوحيد/ باب {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً}. وقد وصله الإمام أحمد في "المسند" (٦/ ٤٦)، وابن كثير ٤/ ٢٨٦ , وابن ماجة بهذا اللفظ, ورواه ايضاً لفظ "تبارك" (٢٠٦٣).

الثاني: سمع يراد به النصر والتأييد، وهو من الصفات الفعلية، لأنه مقرون بسبب، ومثاله: قوله تعالى لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦].

الثالث: سمع يراد به الوعيد والتهديد، ومثاله: قوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} [الزخرف: ٨٠]، فإن هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم، حيث كانوا يسرون ما لا يرضى من القول(١).

- ومن أسمائه «العليم»: والعِلْمُ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ، ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء(٢).

قال الخطابي:" «العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"(٣).

القرآن

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)} [الأنعام : ١١٦]

التفسير:

ولو فُرض -أيها الرسول- أنك أطعت أكثر أهل الأرض لأضلُّوك عن دين الله، ما يسيرون إلا على ما ظنوه حقًّا بتقليدهم أسلافهم، وما هم إلا يظنون ويكذبون.

قوله تعالى:{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنعام : ١١٦]، أي:" ولو فُرض -أيها الرسول- أنك أطعت أكثر أهل الأرض لأضلُّوك عن دين الله"(٤).

قال السرمقندي:" يعني: أهل أرض مكة فيما يدعونه إلى ملة آبائه. ويقال: {وإن تطع أكثر من في الأرض}، يعني: الكفار، لأن أكثر من في الأرض كانوا الكفار. يضلوك عن سبيل الله يعني: يصرفوك عن دين الإسلام"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد، يا محمد، فيما دعوك إليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم، وأهلُّوا به لغير ربهم، وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال، فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن دين الله، ومحجة الحق والصواب، فيصدُّوك عن ذلك، وإنما قال الله لنبيه: {وإن تطع أكثر من في الأرض}، من بني

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين:١/٢٠٦-٢٠٧.
(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١/١٨٨.
(٣) شأن الدعاء:٥٧.
(٤) التفسير الميسر:١٤٢.
(٥) بحر العلوم:١/٤٧٧.

آدم، لأنهم كانوا حينئذ كفارًا ضلالا فقال له جل ثناؤه: لا تطعهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم، وكنتَ مثلهم، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال ، كما قال تعالى : { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأوَّلِينَ } [الصافات : ٧١] ، وقال تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاس وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣]"[٢].

قال البغوي:" وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا على الضلالة، وقيل: أراد أنهم جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما تقتلون ولا تأكلون ما قتله الله عز وجل؟ فقال: {وإن تطع أكثر من في الأرض} أي: وإن تطعهم في أكل الميتة يضلوك عن سبيل الله"[٣].

عن ابن عباس: قوله: "{عن سبيل الله}، قال: عن دين الله"[٤].

قوله تعالى:{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} [الأنعام : ١١٦]، أي:" ما يتبعون في أمر الدين إلا الظنون والأوهام يقلّدون آباءهم ظناً منهم أنهم كانوا على الحق"[٥].

قال البغوي:" يريد: أن دينهم الذي هم عليه ظن وهوى لم يأخذوه عن بصيرة"[٦].

قال الطبري:" أخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم، وحسبان على صحة عزمٍ عليه وإن كان خطأ في الحقيقة"[٧].

قال ابن كثير:أي:"وهم في ضلالهم ليسوا على يقين من أمرهم ، وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل"[٨].

قال السرمقندي:" يعني: أن أكثرهم يتبعون أكابرهم بالظن، ويتبعونهم فيما لا يعلمون أنهم على الحق فإن قيل: كيف يعذبون وهم ظانون على غير يقين؟

قيل لهم: لأنهم اقتصروا على الظن والجهل، لأنهم اتبعوا أهواءهم ولم يتفكروا في طلب الحق. ويقال: {إن يتبعون إلا الظن}، يعني: في أكل الميتة واستحلالها"[٩].

قال مجاهد:" ما كان من ظن في القرآن فهو يقين"[١٠].

قوله تعالى:{وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} [الأنعام : ١١٦]، أي:" وما هم إلا قومٌ يكذبون"[١١].

قال البغوي:يعني:"يكذبون"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري:٦٤/١٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٠):ص١٣٧٥/٤.
(٣) تفسير البغوي:١٨١/٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨١٢):ص١٣٧٥/٤.
(٥) صفوة التفاسير:٣٨٤/١.
(٦) تفسير البغوي:١٨١/٣.
(٧) تفسير الطبري:٦٤/١٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٩) بحر العلوم:٤٧٧/١.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١١):ص١٣٧٤/٤-١٣٧٥.
(١١) صفوة التفاسير:٣٨٤/١.
(١٢) تفسير البغوي:١٨١/٣.

قال الطبري:" يقول: ما هم إلا متخرِّصون، يظنون ويوقعون حَزْرًا، لا يقينَ علمٍ"(١).

قال ابن كثير:" الخرص: هو الحزر ، ومنه خرص النخل ، وهو حَزْرُ ما عليها من التمر وكذلك كله قدر الله ومشيئته"(٢).

قال السمرقندي:" يعني: ما هم إلا كاذبون باستحلالهم الميتة، لأنهم كانوا يقولون: ما قتل الله فهو أولى بالحل وبأكله مما نذبحه بأيدينا"(٣).

الفوائد:

١- أن اتباع أكثر الناس يؤدي إلى الضلال فلذا لا يتبع إلا أهل العلم الراسخون فيه لقوله تعالى: { وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس : ٨٩].
٢- أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر، ويحتجون به على صحة الشيء، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته وقلة أهله، فأتاهم بضد ذلك وأوضحه في غير موضع من القرآن.
٣- أن الكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب، فالحق أحق بالاتباع وإن قل أنصاره، قال تعالى: {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ} [ص: ٢٤]، فأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليل، غير أن القلة لا تضرهم، قال (٤):

تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا   فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ

فالمقصود أن من له بصيرة ينظر إلى الدليل، ويأخذ ما يستنتجه البرهان وإن قل العارفون به، المنقادون له، ومن أخذ ما عليه الأكثر، وما أَلِفَتْهُ العامة من غير نظر الدليل فهو مخطئ، سالك سبيل الجاهلية، مقدوح عند أهل البصائر.

ألا فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة وقد اغتر بهم كثيرون حتى بعض من يدعي العلم. والله المستعان.

٤- إن كون أهل الحق والإيمان أقل من أهل الباطل والكفر عدداً معلوم من الشرع والواقع، قال الله عزوجل: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}، وقال تعالى:{وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} [الروم: ٨]، وقال تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً} [الإسراء :٦٢].

فهذه الآيات وغيرها كثير يدل على أن أهل الباطل والكفر أكثر بكثير من أهل الحق والإيمان. وهذه الأمة لا شك أن أهل الخير والصلاح والإيمان فيها كثير، إلا أن أهل الباطل والفسق فيها أكثر ولو غلب أهل الخير والصلاح أهل الفسق عدداً لتغير حال الأمة، وقول الله جل وعلا: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} دليل على هذا فإن هذا وصف أهل الصلاح والخير ومقام الشكر من أعلى المقامات، ولا شك أن القرون المفضلة الثلاثة هي أفضل القرون ولم تفضل إلا لأن أهل الخير والصلاح والإيمان

---

(١) تفسير الطبري:٦٥/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٣) بحر العلوم:٤٧٧/١.
(٤) البيت لللجلاج الحارثي كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي :١/ ٥٦، وهو للسموءل في ديوانه ص٦٧.
تعيرنا أنا قليل عدادنا: أي تجعل من قلة عددنا عارًا علينا.
المعنى: يقول: إن صاحبته قد عيرته بقلة عدد قومه، ظأنة أن كثرة العدد هو سبب للافتخار، فأجابها بفخر: إن سبب هذه القلة هو أننا كرام، والكرام دائمًا قليلو العدد بين الناس.

غالبون وظاهرون عدداً ثم بدأ الأمر في النقصان حتى أصبح أهل الخير والتقى قلة في الأمة في هذه الأزمان المتأخرة بالنسبة لأهل الفساد والباطل.

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)} [الأنعام : ١١٧]

التفسير:

إن ربك هو أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد، وهو أعلم منكم ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام : ١١٧]، أي:" إن ربك هو أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد"(١).

قال الزجاج:" المعنى: إن ربك هو أعلم أيّ الناس يضل عن سبيله، وهذا مثل قوله:{لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا} [الكهف : ١٢]"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ، لئلا يُضِلوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أيُّ خلقه يَضلّ عن سبيله بزخرف القول الذي يوحِي الشياطين بعضُهم إلى بعض، فيصدُّوا عن طاعته واتباع ما أمر به"(٣).

قال ابن كثير:" و{ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ } فييسره لذلك"(٤).

قوله تعالى:{وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [الأنعام : ١١٧]، أي:وهو أعلم" بمن اهتدى إلى طريق الهدى والسداد"(٥).

قال الطبري:" يقول: وهو أعلم أيضًا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسدادٍ، لا يخفى عليه منهم أحد. يقول: واتبع، يا محمد، ما أمرتك به، وانته عما نهيتك عنه من طاعة مَنْ نهيتك عن طاعته، فإني أعلم بالهادي والمضلِّ من خلقي، منك"(٦).

قال ابن كثير:" { وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } فييسرهم لذلك ، وكل ميسر لما خلق له"(٧).

قال البغوي:" أخبر أنه أعلم بالفريقين الضالين والمعتدين فيجازي كلا بما يستحقه"(٨).

وقيل: {أعلم} ، في هذا الموضع بمعنى«يعلم»، ومن ذلك قول حاتم الطائي(٩):

---

(١) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢) معاني القرآن:٢٨٦/٢.
(٣) تفسير الطبري:٦٥/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٥)صفوة التفاسير:٣٨٤/١.
(٦) تفسير الطبري:٦٥/١٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.
(٨) تفسير البغوي:١٨١/٣.
(٩) البيت له في تفسير الطبري:٦١/١٢، وتفسير القرطبي:٧٢/٧، ولم أجده في الديوان.

فَحَالَفَتْ طَيِّئٌ مِنْ دُونِنَا حِلِفًا   وَاللهُ أَعْلَمُ ما كُنَّا لَهُمْ خُذُلا

ومنه قول الخنساء(١):

القَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّ جَفْنَتَهُ   تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تَسري

واعترض الإمام الطبري على قائل هذا القول، وذلك "أنه عطف عليه بقوله: {وهو أعلم بالمهتدين} ، فأبان بدخول«الباء» في{المهتدين} أن{أعلم} ليس بمعنى«يعلم»، لأن ذلك إذ كان بمعنى«يفعل»، لم يوصل بالباء، كما لا يقال:هو يعلم بزيد، بمعنى: يعلم زيدًا"(٢).

وكذلك ضعّفه القطربي قائلا:" وهذا لا حجة فيه، لأنه لا يطابق{هو أعلم بالمهتدين}، ولأنه يحتمل أن يكون على أصله"(٣).

الفوائد:

١- أن الهداية والإضلال بيد الله سبحانه وتعالى.
٢- ومن فوائد الآية: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه تعالى قد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم وجميع حركاتهم وسكناتهم وأسرارهم وعلانيتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار.
قال الله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الحشر: ٢٢] وقال تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ} [سبأ: ٣] وقال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} [الأنعام: ٥٩] الآيات، وقال تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤] وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} [الأنعام: ٥٣] وقال تعالى: {أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: ١٠] وقال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٣٠] وقال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦].

- وفي الصحيح قال رجل: «يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: " نعم ". قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: " كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له» (٤).
- وفيه: «سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين؟ فقال: " الله أعلم بما كانوا عاملين»(٥).
- وفي مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم» (٦).

---

(١)ديوانها: ١٠٤، في رثاء أخيها صخر، وبعده: فَإِذَا أَضَاءَ وَجَاشَ مِرْجَلُهُ ... فَلَنِعْمَ رَبُّ النَّارِ وَالقِدْرِ
وقولها: ((تغدو)) ، أي تغدو على قومه وضيوفه. و ((غداة الريح)) ، أي غدوة في زمن الشتاء، في زمان القحط وقلة الألبان، ((وتسرى)) . يعني في الليل. وقولها: ((أضاء)) ، أي أوقد ناره لتوضع عليها القدور، ويراها الضيفان..
(٢) تفسير الطبري:٦٧/١٢.
(٣) تفسير القرطبي:٧٢/٧.
(٤)رواه البخاري (٦٥٩٦، ٧٥٥١) ، ومسلم (القدر / ٩).
(٥)رواه البخاري (١٣٨٣) ، ومسلم (القدر / ٢٧، ٢٨).
(٦)رواه مسلم (القدر / ٣١).

- وفيه: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»[١].
- وفيه: وقال صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من نفس إلا وقد علم الله منزلها من الجنة والنار» قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل أفلا نتكل، قال: «لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[٢] ثم قرأ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى - وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} [الليل: ٥ - ٦]- إلى قوله - {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ١٠] وغير ذلك من الأحاديث.

القرآن

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)} [الأنعام : ١١٨]

التفسير:

فكلوا من الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها، إن كنتم ببراهين الله تعالى الواضحة مصدقين.

تعددت الروايات في سبب نزول الآيات[١١٨-١٢١]، على النحو الآتي:

- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "جاءت اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله؛ فأنزل الله: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[٣]. [صحيح لغيره]

---

(١)رواه البخاري (٢٨٩٨، ٤٢٠٢، ٤٢٠٧) ، ومسلم (الإيمان / ١٧٩).
(٢)رواه البخاري (١٣٦٢، ٤٩٤٥، ٤٩٤٦) ، ومسلم (القدر / ٦، ٧).
(٣)أخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٠١ رقم ٢٨١٩)، والترمذي في "سننه" (٥/ ٢٦٣ رقم ٣٠٦٩)، والبزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٧٧)، والطبري في "جامع البيان" (٨/ ١٥)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ٣٦١، ٣٦٢ رقم ١٢٢٩٥) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٢٦٩) -، والبيهقي (٩/ ٢٤٠)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٦) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٧٠، ٢٧١) من طريق عمران بن عيينة وزياد بن عبد الله البكائي كلاهما قال: ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ عطاء كان قد اختلط، ولم يذكروا عمران أو زياداً ممن روى عنه قبل الاختلاط.
قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن عباس -أيضاً-، ورواه بعضهم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلاً".
قلنا: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٧٨ رقم ٧٨٣٢): ثنا أبو سعيد الأشج ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير به مرسلاً.
قلنا: وهو مرسل حسن، والموصول أصح لكنه ضعيف.
لكن يشهد له في الجملة الطريق الآتية عن ابن عباس؛ فيرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن لغيره، لكن ذكر اليهود فيه منكر، والصواب: المشركون.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٦) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.
وأخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٠١ رقم ٢٨١٨)، وابن ماجه في "سننه" (٢/ ١٠٥٩ رقم ٣١٧٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٢):ص٧٩/١٢-٨٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٤٥)، والحاكم (٤/ ١١٣، ٢٣١)، والبيهقي في "الكبرى" (٩/ ٢٤١) من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن

عباس بلفظ: "يقولون: ما ذبح الله؛ فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم؛ فكلوه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}".

قلنا: سماك؛ صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وكان ربما يلقن، لكن يرتقي بسابقه لدرجة الصحيح لغيره -إن شاء الله- مع ما سيأتي.

قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٧٧): "وهذا إسناد صحيح!!

ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود؛ فهذا هو المحفوظ، لأن الآية مكية واليهود يحبون الميتة".

قلنا: وذكر اليهود إما من أوهام ابن السائب؛ فإنه اختلط، وإما من سماك؛ لأنه كان يلقن.

وأخرجه النسائي في "المجتبى" (٧/ ٢٣٧)، و"الكبرى" (٣/ ٧١ رقم ٤٥٢٦، ٦/ ٣٤٢ رقم ١١١٧١) -ومن طريقه النحاس في "ناسخه" (ص ١٣٩) -، والحاكم (٤/ ٢٣٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٨١١):ص٧٩/١٢ من طريق الثوري عن هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس؛ قال: "جادل المشركون المسلمين، فقالوا: ما بال ما قتل الله لا تأكلونه، وما قتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله؟ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}".

وفي رواية: خاصمهم المشركون فقالوا: ما نذبح لا تأكلونه، وما ذبحتم أكلتموه (فذكره). . .

قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

وقال النحاس عقبه: "فهذا من أصح ما مر وهو داخل في المسند".

قلنا: وهو كما قال، وهو يشهد لسابقه ويؤكد أن الصواب هو سؤال المشركين لا اليهود.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) وزاد نسبته للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه، ولم ينسبه للنسائي؛ فليستدرك عليه.

وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ١٩٢ رقم ١١٦١٤) من طريق زيد بن المبارك ثنا موسى عن عبد العزيز ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة؛ قال: أوحت فارس إلى أوليائهم من قريش أن خاصموا محمداً، وكانت أولياءهم في الجاهلية، وقولوا له: إن ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله -قال ابن عباس-: بشمشير من ذهب؛ فهو حرام؛ فأنزل الله هذه الآية: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ} قال: الشياطين فارس، وأولياؤهم قريش".

قلنا: وسنده ضعيف؛ موسى هذا صدوق سيئ الحفظ.

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٠٥):ص٧٧/١٢ من طريق موسى به.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

وأخرج الطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٥):ص٧٧/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٤٨)، وابن المنذر وأبي الشيخ؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٩) من طريق عبد الله بن صالح ثنا معاوية بن صالح ثنا علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "قالوا: يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم؛ فتأكلونه، وأما ما قتل ربكم؛ فتحرمونه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه: إنكم إذاً لمشركون".

قلنا: وهذا إسناد حسن، وقد أُعِلّ بضعف عبد الله بن صالح؛ لكن الراوي عنه عند ابن أبي حاتم هو أبو حاتم الرازي، فهو من صحيح حديثه، ورواية علي عن ابن عباس محمولة على الاتصال كما تقدم في أكثر من موضع.

وقال ابن كثير: "وقوله تعالى: { لِيُجَادِلُوكُمْ } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر قال : خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ، ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ }". هكذا رواه مرسلا ...وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :

أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.

الثاني : أن الآية من الأنعام ، وهي مكية.

الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي ، عن محمد بن موسى الحَرَشِي ، عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس. ورواه الترمذي بلفظ : أتى

ناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال : حسن غريب ، رُوي عن سعيد بن جبير مرسلا".[سنن الترمذي برقم (٣٠٦٩)].

وقال الطبراني : حدثنا علي بن المبارك ، حدثنا زيد بن المبارك ، حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن

- عن عكرمة؛ قال: "إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم، وكاتبتهم فارس، وكتبت فارس إلى مشركي قريش: أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب؛ فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة، وأما ما ذبحوا هم؛ يأكلون، وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد -عليه السلام-، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء؛ فنزلت: {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}"(١). [ضعيف]
- وروي عن عكرمة -أيضا-: "أن المشركين دخلوا على نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ، قالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال: الله قتلها، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}"(٢). [ضعيف]
- وروي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "لما حرم الله الميتة، أمر الشيطان أولياءه، فقال لهم: ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم؛ فقال الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"(٣). [ضعيف]
- وروي عن الضحاك في قوله: "{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}: هذا شأن الذبيحة، قال المشركون للمسلمين: تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة، وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم، وحرم عليكم ما ذبح هو لكم، وكيف هذا وأنتم تعبدونه؟ فأنزل الله هذه الآية: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} إلي قوله: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا

أبان ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } أرسلت فارس إلى قريش : أن خاصموا محمدًا وقولوا له : كَمَا تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله ، عَزَّ وجل ، بشمشير من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام. فنزلت هذه الآية : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } قال : الشياطين من فارس ، وأولياؤهم من قريش".[(المعجم الكبير للطبراني (٢٤١/١١)].

وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، حدثنا سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس في قوله : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه. وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ }.

ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم ، عن عمرو بن عبد الله ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، به. [(سنن أبي داود برقم (٢٨١٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٧٣)].

وهذا إسناد صحيح.

ورواه ابن جرير من طرق متعددة ، عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ ، والله أعلم".[تفسير ابن كثير:٣٢٨/٣-٣٢٩].

(١)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٠٦):ص٧٨/١٢ -: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: قال عمرو بن دينار عن عكرمة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج مدلس.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) ونسبه لأبي داود في "ناسخه".

ثم رأينا الطبري أخرجه في "جامع البيان" (١٣٨٣٥):ص٨٧/١٢: ثنا ابن حميد ثنا يحيى بن واضح ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة به.

قلنا: وهذا مرسل ضعيف جداً؛ للكلام المعروف في ابن حميد؛ بل إن بعضهم اتهمه، فإن توبع عليه عند أبي داود في "ناسخه"؛ فيكون مرسلاً حسناً، والله أعلم.

(٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٠):ص٧٩/١٢ من طريق العوفي عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء..

يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"(١). [ضعيف]

- وقال السدي:"إن المشركين قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟! فقال الله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} فأكلتم الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}"(٢). [ضعيف جداً]
- وعن الشعبي :"أنه سئل عن قوله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}؛ فقيل: تزعم الخوارج أنها في الأمراء؟ قال: كذبوا؛ إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون: أما ما قتل الله؛ فلا تأكلوا منه؛ يعني: الميتة، وأما ما قتلتم أنتم؛ فتأكلون منه؛ فأنزل الله: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} إلي قوله {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}، قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون "(٣). [ضعيف]

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١١٨]، أي:" فكلوا من الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها"(٤).

قال البغوي:" أي: كلوا مما ذبح على اسم الله، وذلك أنهم كانوا يحرمون أصنافا من النعم ويحلون الأموات، فقيل لهم: أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله"(٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته:{فكلوا}، أيها المؤمنون، مما ذكَّيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذي بينت لكم أنه تحلّ به

---

(١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٢٤):ص٨٢/١٢: حدثت عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ نا عبيد بن سليمان عن الضحاك.

قلنا: وسنده ضعيف جداً، واه بمرة؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أبو معاذ سليمان بن أرقم؛ متروك.

الثالثة: الانقطاع بين الطبري والحسين بن الفرج.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ، وفاته أنه عند الطبري؛ فليستدرك عليه.

وأخرجه الطبري -أيضاً- (١٣٨١٦):ص٨٠/١٢ من طريق جويبر عن الضحاك قال: قال المشركون: ما قتلتم فتأكلونه، وما قتل ربكم لا تأكلونه؟! فنزلت: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}.

قلنا: وسنده تالف، واه بمرة؛ جويبر؛ ضعيف جداً، وقد اتهمه بعضهم ثم هو معضل.

(٢)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٢١):ص٨١/١٢: ثنا محمد بن الحسن ثنا أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر عن السدي به، قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط؛ صدوق كثير الخطأ يغرب.

الثالثة: لم نجد ترجمة لمحمد هذا.

(٣)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٥٠): ثنا علي بن الحسين ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا مالك بن إسماعيل ثنا عيسى بن عبد الرحمن عنه به.

قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد.

(٤) التفسير الميسر:١٤٢.

(٥) تفسير البغوي:١٨١/٣-١٨٢.

الذبيحة لكم، وذلك ما ذبحه المؤمنون بي من أهل دينكم دين الحق، أو ذبحه مَنْ دان بتوحيدي من أهل الكتاب، دون ما ذبحه أهل الأوثان ومَنْ لا كتاب له من المجوس"[١].

قال الزجاج:" معناه كلوا مما أخلصتم ذبحه لله، والمنع من الميتة داخل في هذا. وليس بين الناس اختلاف في أن المشركين ناظروا المسلمين، فقالوا لهم: تتركون ما سبقكم الله إلى إماتته وتأكلون ما أمتم أنتم فأعلم جل وعز أن الميتة حرام وأن ما قصد بتزكيته اتباع أمر الله عز وجل فذلك الحلال"[٢].

قال ابن كثير:" هذا إباحة من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه ، ومفهومه : أنه لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه ، كما كان يستبيحه كفار المشركين من أكل الميتات ، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها"[٣].

عن ابن جريج قال:"قلت لعطاء قوله: {فكلوا مما ذكر اسم الله عليه}، قال: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح. وكل شيء يدلّ على ذكره يأمر به"[٤].

وعن عطاء عن سعيد في قوله: "{فكلوا مما ذكر اسم الله عليه}، وكلوه فإنه حلال"[٥].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ} [الأنعام : ١١٨]، أي:" إن كنتم ببراهين الله تعالى الواضحة مصدقين"[٦].

قال الطبري:" يقول: إن كنتم بحجج الله التي أتتكم وأعلامه، بإحلال ما أحللت لكم، وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل، مصدّقين، ودَعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم، وتلبيس دينكم عليكم غرورًا"[٧].

عن ابن جبير: قوله: "{إن كنتم بآياته}، يعني: القرآن"[٨]، "{مؤمنين}، قال: مصدقين"[٩].

قال البيضاوي:" فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحله الله سبحانه وتعالى واجتناب ما حرمه"[١٠].

الفوائد:

١- حِلُّ أكل من ذبائح المسلمين.

٢- وجوب ذكر اسم الله على بهيمة الأنعام عند تذكيتها.

---

(١) تفسير الطبري:٦٧/١٢.
(٢) معاني القرآن:٢٨٦/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٧٩٠):ص٦٧/١٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٣):ص١٣٧٥/٤.
(٦) التفسير الميسر:١٤٢.
(٧) تفسير الطبري:٦٧/١٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٤):ص١٣٧٥/٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٥):ص١٣٧٥/٤.
(١٠) تفسير البيضاوي:١٨٠/٢.

القرآن

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)} [الأنعام : ١١٩]

التفسير:

وأيُّ شيء يمنعكم أيها المسلمون من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد بيَّن الله سبحانه لكم جميع ما حرَّم عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالميتة، فإنه مباح لكم. وإنَّ كثيرًا من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلا منهم. إن ربك -أيها الرسول- هو أعلم بمن تجاوز حده في ذلك، وهو الذي يتولى حسابه وجزاءه.

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" وأيُّ شيء يمنعكم أيها المسلمون من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه"(١).

قال الزجاج:" المعنى: أي شيء يقع لكم في أن لا تأكلوا"(٢).

قال سعيد:" يعني: الذبائح"(٣).

قال الطبري:يقول:" وأيُّ شيء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه؟"(٤).

قوله تعالى:{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" وقد بيَّن الله سبحانه لكم جميع ما حرَّم عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالميتة، فإنه مباح لكم"(٥).

قال ابن كثير:" أي : قد بَيَّن لكم ما حَرم عليكم ووضحه، إلا في حال الاضطرار ، فإنه يباح لكم ما وجدتم"(٦).

قال الزجاج:" أي: فصل لكم الحلال من الحرام، وأحل لكم في الاضطرار ما حرم عليكم"(٧)

عن قتادة: "{وقد فصل لكم ما حرم عليكم}، يقول: قد بين لكم ما حرم عليكم"(٨). وروي عن ابن زيد مثله(٩).

وعن قتادة –أيضا-: "{إلا ما اضطررتم إليه}، من الميتة"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢) معاني القرآن:٢٨٦/٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٦):ص١٣٧٥/٤.
(٤) تفسير الطبري:٦٨/١٢.
(٥) التفسير الميسر:١٤٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣
(٧) معاني القرآن:٢٨٦/٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٧٩١):ص٦٩/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٢):ص٦٩/١٢.
(١٠) أخرجه الطبري(١٣٧٩٣):ص٧١/١٢.

وعن عن سعيد قوله: "{إلا ما اضطررتم إليه}، يعني: ما حرم عليكم من الميتة، فهو الاضطرار كله"[1].

قال الطبري:" قوله: {إلا ما اضطررتم إليه}، فإنه يعني تعالى ذكره: أن ما أضطررنا إليه من المطاعم المحرّمة التي بيَّن تحريمها لنا في غير حال الضرورة، لنا حلال ما كنا إليه مضطرين، حتى تزول الضرورة"[2].

وقرئ:«وَقَدْ فُصِّلَ لَكَمْ»، بضم فائه وتشديد صاده،«مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»، بضم حائه وتشديد رائه، على وجه ما لم يسمَّ فاعله في الحرفين كليهما[3].

وروي عن عطية العوفي أنه كان يقرأ ذلك:«وَقَدْ فَصَلَ»، بتخفيف الصاد وفتح الفاء، بمعنى: وقد أتاكم حكم الله فيما حَرَّم عليكم[4].

قوله تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" وإنَّ كثيرًا من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلا منهم"[5].

قال الزجاج:" أي: إن الذين يحلون الميتة ويناظرونكم في إحلالها، وكذلك كل مايضلون فيه، إنما يتبعون فيه الهوى والشهوة ولا بصيرة ولا علم عندهم"[6]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإن كثيرًا من الناس الذين يجادلونكم في أكل ما حرم الله عليكم، أيها المؤمنون بالله، من الميتة، ليُضلون أتباعهم بأهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون، إلا ركوبًا منهم لأهوائهم، واتباعًا منهم لدواعي نفوسهم، اعتداءً وخلافًا لأمر الله ونهيه، وطاعة للشياطين"[7].

قال ابن كثير:" ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة ، من استحلالهم الميتات ، وما ذكر عليه غير اسم الله تعالى : فقال { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } أي : هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم"[8].

عن سعيد بن جبير: قوله: "{وإن كثيرا}، يعني: من مشركي العرب"[9]، " {ليضلون بأهوائهم بغير علم}، يعني: في أمر الذبائح وغيره"[10].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر :«ليضلون» بفتح الياء[11].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" إن ربك -أيها الرسول- هو أعلم بمن تجاوز حده في ذلك، وهو الذي يتولى حسابه وجزاءه"[1].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٨):ص١٣٧٦/٤.
(٢) تفسير الطبري:٧٠/١٢.
(٣) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٦-٢٦٧، تفسير الطبري:٧٠/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٧٠/١٢.
(٥) التفسير الميسر:١٤٣.
(٦) معاني القرآن:٢٨٦/٢.
(٧) تفسير الطبري:٧١/١٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٩):ص١٣٧٦/٤.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٢٠):ص١٣٧٦/٤.
(١١) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٧.

قال البغوي:أي:" الذين يجاوزون الحلال إلى الحرام"[٢].

قال الطبري:" يقول: إن ربك، يا محمد، الذي أحلَّ لك ما أحلَّ وحرَّم عليك ما حرم، هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها إلى خلافها، وهو لهم بالمرصاد"[٣].

الفوائد:

١- أن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وليس لأحد أن يشارك الله في التحليل والتحريم.
٢- حرمة إتباع الأهواء لأنه من اسباب الضلال، ووجوب إتباع العلماء.
٣- التحذير من الائمة المضلين، قال تعالى: {وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ}.
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين "[٤]. أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم.
وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: "هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين" [٥].

القرآن

{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)} [الأنعام : ١٢٠]

التفسير:

واتركوا -أيها الناس- جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سرًّا. إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم; بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات.

قوله تعالى:{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} [الأنعام : ١٢٠]، أي:" واتركوا -أيها الناس- جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سرًّا"[٦].

قال الربيع:" نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه أن يعمل به"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} [الأنعام : ١٢٠]، وجوه من التأويل:

أحدها : سره وعلانيته ، قاله مجاهد[٨]، وقتادة[٩]، والربيع بن انس[١]، واختاره الزجاج[٢].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢) تفسير البغوي:١٨٢/٣.
(٣) تفسير الطبري:٧١/١٢.
(٤) أخرجه الترمذي: الفتن (٢٢٢٩) , وأحمد (٢٧٨/٥, ٢٨٤/٥) , والدارمي: المقدمة (٢٠٩).
(٥) رواه الدارمي رقم (٢٢٠) في المقدمة: باب في كراهية أخذ الرأي، وإسناده ضعيف. قال الهيثمي في " المجمع" ٧ / ٣٣٢: رواه أحمد (٥ / ٣٩٦) والطبراني في "الكبير" و " الأوسط " والبزار , ورجال البزار رجال الصحيح.
(٦) التفسير الميسر:١٤٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٢١):ص١٣٧٦/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٨):ص٧٣/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٤):ص٧٢/١٢.

قال الزجاج:"والذي يدل عليه الكلام أن المعنى - والله أعلم - اتركوا الإثم - ظهرا، أو بطنا، أي لا تقربوا ما حرم الله عليكم جهرا ولا سرا"(٣).

والثاني : ظاهر الإثم : ما حرم من نكاح ذوات المحارم بقوله تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . .}[النساء:٢٣] الآية، وباطنه: الزّنى ، وهذا قول ابن عباس(٤)، وسعيد بن جبير(٥).

وروي عن مجاهد، قال"{ما ظهر منها}، الجمع بين الأختين، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، {وما بطن}، الزنى" (٦).

والثالث : أن ظاهر الإثم أُوْلاَت الرايات من الزواني ، والباطن ذوات الأخدان ، لأنهن كُنَّ يستحللنه سراً ، قاله السدي(٧)، والضحاك(٨).

والرابع : أن ظاهر الإثم العِرية التي كانو يعملون بها حين يطوفون بالبيت عراة ، وباطنه الزّنى ، قاله ابن زيد (٩).

والخامس : أن ظاهر الإثم ما يفعله بالجوارح ، وباطنه ما يعتقده بالقلب. أفاده الماوردي(١٠).

قال الإمام ابن كثير:" والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله ، وهي كقوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا} الآية [الأعراف : ٣٣]"(١١).

قال البغوي:" {ظاهر الإثم وباطنه}، يعني: الذنوب كلها لأنها لا تخلو من هذين الوجهين... وأكثر المفسرين على أن ظاهر الإثم الإعلان بالزنا، وهم أصحاب الروايات، وباطنه الاستسرار به، وذلك أن العرب كانوا يحبون الزنا فكان الشريف منهم يتشرف، فيسر به، وغير الشريف لا يبالي به فيظهره، فحرمهما الله عز وجل"(١٢).

قال الإمام الطبري:"والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره تقدم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه، وذلك سره وعلانيته. و«الإثم» كل ما عُصِيَ الله به من محارمه، وقد يدخل في ذلك سرُّ الزنى وعلانيته، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن، ونكاحُ حلائل الآباء والأمهات والبنات، والطواف بالبيت عريانًا، وكل معصية لله ظهرت أو بطنت. وإذ كان ذلك كذلك، وكان جميعُ ذلك«إثمًا»، وكان الله عمّ بقوله: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه}، جميع ما ظهر من الإثم وجميع ما بطن لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئًا دون شيء، إلا بحجة للعذر قاطعة.

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٦):ص٧٢/١٢.
(٢) انظر: معاني القرآن:٢٨٧/٢.
(٣)معاني القرآن:٢٨٧/٢.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٢٢):ص١٣٧٦/٤، و(٧٨٢٦):ص١٣٧٧/٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٠):ص٧٣/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٨٠٣):ص٧٤/١٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠١):ص٧٤/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٢):ص٧٤/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٤):ص٧٤/١٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٦١/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣
(١٢) تفسير البغوي:١٨٢/٣.

غير أنه لو جاز أن يوجَّه ذلك إلى الخصوص بغير برهان، كان توجيهه إلى أنه عنى بظاهر الإثم وباطنه في هذا الموضع، ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم، وما بيَّن الله تحريمه في قوله: {حرمت عليكم الميتة} إلى آخر الآية، أولى، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى، وهذه في سياقها. ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك، وأدخل فيها الأمر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله، فخرج الأمر عامًا بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الإثم"[١].

وقال القرطبي:" قوله تعالى: {وذروا ظاهر الإثم وباطنه} للعلماء فيه أقوال كثيرة وحاصلها راجع إلى أن الظاهر ما كان عملا بالبدن مما نهى الله عنه، وباطنه ما عقد بالقلب من مخالفة أمر الله فيما أمر ونهى، وهذه المرتبة لا يبلغها إلا من اتقى وأحسن، كما قال:{ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا} [المائدة : ٩٣]"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} [الأنعام : ١٢٠]، أي:" إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم; بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين يعملون بما نَهاهم الله عنه،ويركبون معاصيَ الله ويأتون ما حرَّم الله، سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه"[٤].

قال السدي:" {الإثم}، المعصية"[٥].

قال البغوي:{ يَقْتَرِفُونَ}، أي:" يكتسبون في الدنيا"[٦].

عن النواس بن سمعان قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإثم، فقال: الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"[٧].

الفوائد:

١- وجوب ترك الإثم ظاهراً كان أو باطناً وسواء كان من أعمال القلوب أو أعمال الجوارح.
٢- ومن الفوائد: أن الأعمال منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، فلا شك أن هذا صحيح، وقد قال الله تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} [الأنعام:١٢٠]، فالذنوب منها ما هو باطن ومنها ما هو ظاهر، والأعمال الصالحة كذلك، فمنها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، وأما جَعْلُ الدين شريعة ظاهرة، وحقيقة باطنة، ثم التفريق بينهما فهذا شيء محدث لم يقل به أهل العلم.
٣- أن لفظ «الظاهر» لم يأت ذكره في القرآن على معنى الكلام، إنما جاء في مثل قوله تعالى: {وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} [الأنعام:١٢٠] وهذا باب آخر وهو باب العمل، ومع ذلك فلما اشتغل بعض الناس بلفظ «الظاهر» وغلوا في ذلك، قال أهل السنة: إن كلام

---

(١) تفسير الطبري:٧٥/١٢.
(٢) تفسير القرطبي:٧٤/٧.
(٣) التفسير الميسر:١٤٣.
(٤) تفسير الطبري:٧٥/١٢-٧٦.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٣٠):ص١٣٧٧/٤.
(٦) تفسير البغوي:١٨٣/٣.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٣١):ص١٣٧٨/٤، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٥٣) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به.

الله وكلام رسوله قد يكون أحياناً على غير ظاهره، فمن قال هذا من هذا الباب فلا بأس بذلك[1].

القرآن

{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} [الأنعام : ١٢١]

التفسير:

ولا تأكلوا -أيها المسلمون- من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح، كالميتة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك، وإن الأكل من تلك الذبائح لخروج عن طاعة الله تعالى. وإن مردة الجن لَيُلْقون إلى أوليائهم من شياطين الإنس بالشبهات حول تحريم أكل الميتة، فيأمرونهم أن يقولوا للمسلمين في جدالهم معهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتله الله، بينما تأكلون مما تذبحونه، وإن أطعتموهم -أيها المسلمون في تحليل الميتة- فأنتم وهم في الشرك سواء.

قوله تعالى:{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" ولا تأكلوا -أيها المسلمون- من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح، كالميتة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك"[2].

قال الطبري:يعني:"لا تأكلوا، أيها المؤمنون، مما مات فلم تذبحوه أنتم، أو يذبحه موحِّدٌ يدين لله بشرائع شَرَعها له في كتاب منزل، فإنه حرام عليكم ولا ما أهلَّ به لغير الله مما ذَبَحه المشركون لأوثانهم"[3].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، أربعة تأويلات:

أحدها : المراد بها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها ، قاله عطاء[4].

والثاني : أنها الميتة ، قاله ابن عباس[5]، وسعيد بن جبير[6].

والثالث : أنه صيد المشركين الذين لا يذكرون اسم الله ، ولا هم من أهل التسمية ، يَحْرُمُ على المسلمين أن يأكلوه حتى يكونوا هم الذين صادوه ، حكاه ابن بحر[7].

والرابع : عنى بذلك كلَّ ذبيحة لم يذكر اسمُ الله عليها.وهذا قول الحسن[8].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عنى بذلك ما ذُبح للأصنام والآلهة، وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته"[1].

---

(١) انظر: شرح لمعة الاعتقاد، يوسف الغفيص:٩/٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٣.
(٣) تفسير الطبري:٧٦/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٦):ص٨٣/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٦):ص١٣٧٨/٤.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٣):ص١٣٧٨/٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٤):ص١٣٧٨/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٦١/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٨):ص٨٤/١٢.

وفي تحريم أكل الذبيحة التي لم يذكر اسمُ الله عليها، ثلاثة أقوال:

أحدها : لا يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً ، قاله الحسن[٢]، والشافعي وجميع أصحابه[٣]، ورواية عن الإمام أحمد. نقلهاعنه حنبل[٤]. وهو رواية عن الإمام مالك[٥]، ونص على ذلك أشهب بن عبد العزيز من أصحابه[٦]، وحكي عن ابن عباس[٧]، وأبي هريرة[٨]، وعطاء بن أبي رباح[٩].

وحمل الشافعي الآية الكريمة : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ } على ما ذبح لغير الله ، كقوله تعالى { أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } [الأنعام : ١٤٥][١٠].

قال ابن كثير:" وهذا المسلك الذي طرقه الإمام الشافعي -رحمه الله- قوي ، وقد حاول بعض المتأخرين أن يقويه بأن جعل «الواو» في قوله : { وإِنَّهُ لَفِسْقٌ } حالية ، أي : لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه في حال كونه فسقًا ، ولا يكون فسقا حتى يكون قد أهل به لغير الله. ثم ادعى أن هذا متعين ، ولا يجوز أن تكون «الواو» عاطفة، لأنه يلزم منه عطف جملة إسمية خبرية على جمله فعلية طلبية. وهذا ينتقض عليه بقوله : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } فإنها عاطفة لا محاولة ، فإن كانت «الواو» التي ادعى أنها حالية صحيحة على ما قال ؛ امتنع عطف هذه عليها ، فإن عطفت على الطلبية ورد عليه ما أورد على غيره ، وإن لم تكن «الواو» حالية ، بطل ما قال من أصله"[١١].

والثاني : يحرم إن تركها عامداً ، ولا يحرم إن تركها ناسياً ، وهذا هو المشهور من مذهب الإمام مالك[١٢]، وأحمد بن حنبل[١٣]، وبه يقول أبو حنيفة وأصحابه[١٤]، وإسحاق بن راهويه [١٥] [١٥] [١٦].

قال ابن كثير:" وهو محكي عن علي ، وابن عباس ، وسعيد بن المُسَيَّب ، وعَطَاء ، وطاوس ، والحسن البصري ، وأبي مالك ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، ونقل الإمام أبو الحسن المرغيناني في كتابه "الهداية" الإجماع - قبل الشافعي على تحريم متروك التسمية عمدا ، فلهذا قال أبو يوسف والمشايخ : لو حكم حاكم بجواز بيعه لم ينفذ لمخالفة الإجماع. وهذا الذي قاله غريب جدًا ، وقد تقدم نقل الخلاف عمن قبل الشافعي .

---

(١) تفسير الطبري:٨٥/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٨):ص٨٤/١٢.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣، والنكت والعيون:١٦٢/٢.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير:٣٢٥/٣.
(٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٥/٣.
(٦) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٥/٣.
(٧) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٥/٣.
(٨) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٥/٣.
(٩) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٥/٣.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٢٥/٣.
(١٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٦/٣.
(١٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٦/٣.
(١٤) عزاه إليهم ابن كثير في تفسيره:٣٢٦/٣، والماوردي في: النكت والعيون:١٦٢/٢.
(١٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٦/٣.
(١٦) انظر: النكت والعيون:١٦٢/٢.

وقد نقل ابن جرير وغيره. عن الشعبي ، ومحمد بن سيرين ، أنهما كرها متروك التسمية نسيانا ، والسلف يطلقون الكراهية على التحريم كثيرا ، والله أعلم. إلا أن من قاعدة ابن جرير أنه لا يعتبر قول الواحد ولا الاثنين مخالفا لقول الجمهور ، فيعده إجماعا ، فليعلم هذا"[١].

واحتج لهذا المذهب بالحديث المروي من طرق عند ابن ماجه ، عن ابن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي ذر وعقبة بن عامر ، وعبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه"[٢]. وفيه نظر ، والله أعلم.

وقد روى الحافظ أبو أحمد بن عدي ، من حديث مروان بن سالم القرقساني ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "اسم الله على كل مسلم"[٣].

ولكن هذا إسناده ضعيف ، فإن مروان بن سالم القرقساني أبا عبد الله الشامي ، ضعيف ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة"[٤].

واعترض الطبري لهذا المذهب، فقال:"وأما من قال : عنى بذلك : ما ذبحه المسلم فنسي ذكر اسم الله، فقول بعيد من الصواب ، لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله، وكفى بذلك شاهدًا على فساده"[٥].

وقد روي عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "المسلم يكفيه اسمه ، إن نسي أن يسمي حين يذبح ، فليذكر اسم الله وليأكله"[٦].

والثالث : يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً ، قاله ابن عمر[٧]، ونافع مولى ابن عمر[٨]، وعامر الشعبي[٩]، وابن سيرين[١٠]، وعبد الله بن يزيد الخطمي[١١]، وهو رواية عن الإمام مالك[١٢] ، ورواية عن أحمد بن حنبل[١٣]، نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين ، وهو اختيار

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢)رواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٠٤٥) من طريق الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٠٤٤) من طريق قتادة ، عن زرارة بن أبي أوفى ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٠٤٣) من طريق أبي بكر الهذلي ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه. قال البوصيري في الزوائد (١٣٠/٢) : "إسناده ضعيف". ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٣٥٦/٧) من طريق ابن لهيعة ، عن موسى بن وردان ، عن عقبة بن عامر ، رضي الله عنه ، أما من حديث عبد الله بن عمرو فلم أجده ، وقد جاء من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رواه أبو نعيم في الحلية (٣٥٢/٦).
(٣)الكامل لابن عدي (٣٨٥/٦).
(٤) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣-٣٢٧.
(٥) تفسير الطبري:٨٥/١٢.
(٦)السنن الكبرى (٢٤٠/٩).
(٧) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٨) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٩) عزاه إليه البغوي في تفسيره:١٨٣/٣، وابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٨):ص٨٤/١٢، وتفسير البغوي:١٨٣/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٩)، (١٣٨٣٠):ص٨٤/١٢-٨٥.
(١٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(١٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.

أبي ثور[١]، وداود الظاهري[٢]، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية[٣].

واحتجوا لمذهبهم هذا بظاهر هذه الآية ، وبقوله في آية الصيد :{ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } [المائدة : ٤]. ثم قد أكد في هذه الآية بقوله : { وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ } والضمير قيل : عائد على الأكل ، وقيل : عائد على الذبح لغير الله - .

وكذلك احتجوا بالأحاديث الواردة في الأمر بالتسمية عند الذبيحة والصيد ، كحديثي عدي بن حاتم وأبي ثعلبة : "إذا أرسلت كلبك المعلم، وذكرت اسم الله عليه فكل"[٤].

وحديث رافع بن خُدَيْج. "ما أنهر الدم وذكر اسم الله فكل"[٥].

وحديث ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للجن : "لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه"[٦].

وحديث جُنْدَب بن سفيان البَجَلي قال : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من ذبح قبل أن يصلي فليذبح مكانها أخرى ، ومن لم يكن ذبح حتى صلينا فليذبح باسم الله"[٧].

وعن عائشة ، رضي الله عنها:" أن قوما قالوا: يا رسول الله إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سموا الله عليه وكلوه»"[٨].

قال ابن كثير:"ووجه الدلالة أنهم فهموا أن التسمية لا بد منها ، وأنهم خشوا ألا تكون وجدت من أولئك ، لحداثة إسلامهم ، فأمرهم بالاحتياط بالتسمية عند الأكل ، لتكون كالعوض عن المتروكة عند الذبح إن لم تكن وجدت ، وأمرهم بإجراء أحكام المسلمين على السداد"[٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" وإن الأكل من تلك الذبائح لخروج عن طاعة الله تعالى"[١٠].

قال سعيد بن جبير:"يعني: أكل الميتة لمعصيته"[١١].

قال الطبري:"يعني: معصية كفر"[١٢].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام : ١٢١]، قولان:

أحدهما : أن المراد به: «المعصية»، قاله ابن عباس[١].

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٤) صحيح البخاري(١٧٥):ص٤٦/١، وصحيح مسلم(١٩٢٩):ص١٥٢٩/٣.
(٥) صحيح البخاري(٥٥٠٩):ص٩٣/٧، وصحيح مسلم(١٩٦٨):ص١٥٥٨/٣
(٦)صحيح مسلم برقم (٤٥٠).
(٧)صحيح البخاري برقم (٩٨٥) وصحيح مسلم برقم (١٩٦٠).
(٨) صحيح البخاري(٢٠٥٧):ص٥٤/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٣.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٣٩):ص١٣٧٩/٤.
(١٢) تفسير الطبري:٧٦/١٢.

والثاني : المراد به: «الإثم»[٢].

والثالث: المراد به: «الكفر». حكاه الطبري عن آخرين[٣].

قوله تعالى:{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" وإن الشياطين ليوسوسون إلى المشركين أوليائهم في الضلال لمجادلة المؤمنين بالباطل في قولهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتله الله، بينما تأكلون مما تذبحونه"[٤].

قال الزجاج:"أي: يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل، وهو ما وصفنا من أن المشركين جادلوا المسلمين في الميتة"[٥].

قال البغوي:"أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا: أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} [الأنعام : ١٢١]، ثلاثة تأويلات:

أحدها : أنه عنى بالشياطين قوماً من أهل فارس كتبوا إلى أوليائهم من قريش أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، ولا يأكلون ما ذبح الله يعني الميتة ، ويأكلون ما ذبحوه لأنفسهم ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، قاله عكرمة[٧].

والثاني : أن الشياطين قالوا ذلك لأوليائهم من قريش ، قاله ابن عباس[٨]، وقتادة[٩].

والثالث : أن قوماً من اليهود قالوا ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- ، وهذا مروي عن ابن عباس[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين في تحريمهم أكل الميتة، بما ذكرنا من جدالهم إياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم، وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك، كما أخبر الله عنهما في الآيةالأخرى التي يقول فيها: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}[سورة الأنعام: ١١٢] . بل ذلك الأغلب من تأويله عندي، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجن والإنس، كما جعل لأنبيائه من قبله، يوحي بعضهم إلى بعض المزيَّنَ من الأقوال الباطلة، ثم أعلمه أن أولئك

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٨):ص١٣٧٩/٤.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٦٢/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٨٥/١٢.
(٤) التفسير الميسر:١٤٣، صفوة التفاسير:٣٨٥/١.
(٥) معاني القرآن:٢٨٧/٢.
(٦) تفسير البغوي:١٨٤/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٥):ص٧٧/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٨):ص٧٧/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٠):ص٨١/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٥):ص٨٢/١٢.

الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرمَ الله من الميتة عليهم"[١].

وفي وحي الشياطين إلى أوليائهم وجهان[٢]:

أحدهما : أنها إشارتهم .

والثاني : رسالتهم .

قال الطبري:"أما إيحاؤهم إلى أوليائهم، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه: إما بقول، وإما برسالة، وإما بكتاب.. وأما الأولياء: فهم النصراء والظهراء، في هذا الموضع"[٣].

عن أبي زُمَيل قال: كنت قاعدًا عند ابن عباس، فجاءه رجل من أصحابه، فقال: يا ابن عباس، زعم أبو إسحاق أنه أوحي إليه الليلة! -يعني المختار بن أبي عبيد- فقال ابن عباس: صدق! فنفرت فقلت: يقول ابن عباس«صدق»! فقال ابن عباس: هما وحيان، وحي الله، ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد، ووحي الشياطين إلى أوليائهم. ثم قرأ: (وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم}"[٤].

وفي نسخ قوله تعالى: {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}[الأنعام : ١٢١]، على قولين:

أحدهما: انها محكمة، وممن اختار إحكام الآية الطبري[٥]، النحاس[٦]، ومكي بن أبي طالب[٧]، وهذا قول عامة أهل العلم[٨].

والثاني:أنها منسوخة، واستثنى من ذلك فقال: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} [المائدة: ٥]، وهذا قول عكرمة[٩]، والحسن[١٠]، ومكحول[١١].

قال مكحول :" أنزل الله تعالى في القرآن: {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}، ثم نسخها الرب عز وجل ورحم المسلمين فقال: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُم}[١٢]، فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب"[١٣].

قال ابن الجوزي:"روي عن جماعة منهم الحسن، وعكرمة، أنهم قالوا: نسخت بقوله: {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُم} [المائدة : ٥]، وهذا غلط؛ لأنهم إن أرادوا النسخ حقيقة وليس هذا بنسخ، وإن أرادوا التخصيص وأنه خص بآية «المائدة» طعام أهل الكتاب فليس بصحيح، لأن أهل الكتاب يذكرون الله على الذبيحة فيحمل أمرهم على ذلك فإن تيقنا أنهم تركوا

(١) تفسير الطبري:١٢/٨٢-٨٣.
(٢) انظر: النكت والعيون:٢/١٦٢.
(٣) تفسير الطبري:١٢/٨٦.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٨٣٢):ص١٢/٨٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٢/٨٧.
(٦) انظر: الناسخ والمنسوخ:١١٤.
(٧) انظر: الإيضاح:٢٤٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٢/٨٧.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٥):ص١٢/٨٧.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٥):ص١٢/٨٧.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٣٧):ص٤/١٣٧٩.
(١٢)[المائدة : ٥].
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٣٧):ص٤/١٣٧٩.

ذكره جاز أن يكون عن نسيان، والنسيان لا يمنع الحل، فإن تركوا لا عن نسيان، لم يجز الأكل فلا وجه للنسخ أصلا، ومن قال من المفسرين إن المراد بها لم يذكر اسم الله عليه البتة فقد خص عاما، والقول بالعموم أصح وعلى قول الشافعي هذه الآية محكمة. لأنه إما أن يراد بها عنده الميتة أو يكون نهي كراهة"[(١)].

قال الطبري:"والصواب من القول في ذلك عندنا، أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت، لم ينسخ منها شيء، وأن طعام أهل الكتاب حلال، وذبائحهم ذكيّة. وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله: {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه} ، بمعزل. لأن الله إنما حرم علينا بهذه الآية الميْتة، وما أهلّ به للطواغيت، وذبائحُ أهل الكتاب ذكية سمُّوا عليها أو لم يسمُّوا، لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله، يدينون بأحكامها، يذبحون الذبائح بأديانهم، كما يذبح المسلم بدينه، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمِّه، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل، أو بعبادة شيء سوى الله، فيحرم حينئذ أكل ذبيحته، سمى الله عليها أو لم يسم"[(٢)].

قال ابن كثير:" وهذا الذي قاله صحيح ، ومن أطلق من السلف النسخ هاهنا فإنما أراد التخصيص"[(٣)].

قوله تعالى:{وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" وإن أطعتموهم -أيها المسلمون في تحليل الميتة- فأنتم وهم في الشرك سواء"[(٤)].

قال ابن عباس:"يقول: وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه"[(٥)].

عن السدي: "{وإن أطعتموهم}، فأكلتم الميتة"[(٦)].

قال الطبري:"يعني: وإن أطعتموهم في أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم، إنكم إذًا مثلهم، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا. فإذا أنتم أكلتموها كذلك، فقد صرتم مثلهم مشركين"[(٧)].

قال ابن كثير:" أي : حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره ، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك ، كما قال تعالى : {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة : ٣١]، وقد روى الترمذي في تفسيرها ، عن عدي بن حاتم أنه قال : يا رسول الله ، ما عبدوهم ، فقال : «بل إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم»[(٨)]"[(٩)].

قال الزجاج:"هذه الآية فيها دليل أن كل من أحل شيئا مما حرم الله عليه أوحرم شيئا

---

(١) نواسخ القرآن:٢/٤٣٠.
(٢) تفسير الطبري:٨٨/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٢٧/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٤٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٨٣٣):ص٨٧/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٨٣٤):ص٨٧/١٢.
(٧) تفسير الطبري:٨٧/١٢.
(٨)سنن الترمذي برقم (٣٠٩٥) من طريق عبد السلام بن حرب ، عن غطيف بن أعين ، عن مصعب بن سعد ، عن عدي بن حاتم ، رضي الله عنه ، قال الترمذي : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث".
(٩) تفسير ابن كثير:٣٢٩/٣-٣٣٠.

مما أحل الله له فهو مشرك. لو أحل محل الميتة في غير اضطرار، أو أحل الزنا لكان مشركا بإجماع الأمة، وإن أطاع الله في جميع ما أمر به، وإنما سمي مشركا لأنه اتبع غير الله، فأشرك بالله غيره"(١).

الفوائد:

١- حرمة الأكل من ذبائح المشركين والمجوس والملاحدة البلاشفة الشيوعيين.
٢- أنّ الآية الكريمة قد بينت أنه لا يجوز للمسلمين أن يأكلوا مما أهل لغير الله به، وهو ما ذبحه المشركون لأوثانهم، وإن أكل شيء من ذلك فسق ومعصية لله تعالى، كما جاء في الآية الأخرى: {أَوْ فِسقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ..}[الأنعام:١٤٥].
٣- أن من بركة أسمائه سبحانه وتعالى أنه لا تستباح الذبائح ولا تحل إلا بذكر اسمه، {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام:١٢١] .
٤- أن سبحانه وتعالى جعل سبحانه الشياطين وأوليائهم في تحليل ما حرّم الله شركًا به سبحانه، فيستفاد من ذلك عدم جواز إطاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله.

وفي الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١] على عَديّ بن حاتم الطائي - رضي الله عنه - فقال: «يا رسول الله، لسنا نعبُدُهم، قال - صلى الله عليه وسلم -: أليسَ يُحلّون لكم ما حرَّم الله فتُحلّونه، ويحرمون ما أحلّ الله فتحرمونه؟ ! قال: بلى، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: فتلكَ عبادتُهم»(٢).

ووجه كونها عبادة: أن من معنى العبادة الطاعة، وطاعة غير الله عبادة للمطاع، ولكن بشرط إن تكون في غير طاعة الله، أما إذا كانت في طاعة الله; فهي عبادة لله; لأنك أطعت غير الله في طاعة الله، كما لو أمرك أبوك بالصلاة فصليت; فلا تكون قد عبدت أباك بطاعتك له، ولكن عبدت الله; لأنك أطعت غير الله في طاعة الله; ولأن أمر غير الله بطاعة الله وامتثال أمره؛ هو امتثال لأمر الله.

ويستفاد من الحديث:

١- أن الطاعة بمعنى العبادة عبودية مقيدة.

٢- أن الطاعة في مخالفة شرع الله من عبادة المطاع، أما في عبادة الله، فهي عبادة لله.

٣- أنه لا يجوز اتباع العلماء والعباد في مخالفة شرع الله.

واعلم أن اتباع العلماء أو الأمراء، في تحليل ما حرم الله أو العكس، ينقسم إلى ثلاثة أقسام(٣):

الأول: أن يتابعهم في ذلك راضيا بقولهم، مقدما له، ساخطا لحكم الله.

---

(١) معاني القرآن:٢٨٧/٢.
(٢)رواه الترمذي (٣٠٥٩) والبخاري في التاريخ الكبير (١٠٦/٧)، والبيهقي(١١٦/١٠)، والمزي في تهذيب الكمال (١١٧/٢٣). وقال الترمذي: "حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب, وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. وضعفه الدارقطني أيضا، وله شواهد.
(٣) انظر: القول المفيد في كتاب التوحيد لابن عثيمين:١٥٧/٢-١٥٨.[بتصرف بسيط].

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيا بحكم الله وعالما بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره، كأنه يريد مثلا وظيفة; فهذا عاص ربه.

الثالث: أن يتابعهم جاهلا، فيظن أن ذلك حكم الله; فينقسم إلى قسمين:

أ- أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه; فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم; لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب- أن لا يكون عالما ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدا ويظن أن هذا هو الحق; فهذا لا شيء عليه، لأنه فعل ما أمر به وكان معذورا بذلك، ولذلك ورد عن رسول الله أنه قال: «من أفتى بغيرِ علمٍ كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيهِ بأمرٍ يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه»[١].

القرآن

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)} [الأنعام : ١٢٢]

التفسير:

أوَ من كان ميتًا في الضلالة هالكا حائرا، فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووفقناه لاتباع رسله، فأصبح يعيش في أنوار الهداية، كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص له مما هو فيه؟ لا يستويان، وكما خذلتُ هذا الكافر الذي يجادلكم -أيها المؤمنون- فزيَّنْتُ له سوء عمله، فرآه حسنًا، زيَّنْتُ للجاحدين أعمالهم السيئة; ليستوجبوا بذلك العذاب.

قوله تعالى:{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" أوَ من كان ميتًا في الضلالة هالكا حائرا"[٢].

قال السدي:" يقول: من كان كافرًا فجعلناه مسلمًا"[٣].

قال قتادة:" هذا المؤمن معه من الله نور وبيِّنة يعمل بها ويأخذ، وإليها ينتهي، كتابَ الله"[٤].

قال الفراء:" أي: كان ضالا فهديناه"[٥].

قال الواحدي:أي:" ضالاً كافراً فهديناه"[٦].

قال الزمخشري:أي:" مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدى والضال، بمن كان ميتا فأحياه الله"[١].

---

(١)حسن - رواه البخاري في "الأدب المفرد" (١٠١) (رقم: ٢٥٩).
(٢) التفسير الميسر:١٤٣.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٨٤٥):ص٩١/١٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٨٤٤):ص٩١/١٢.
(٥) معاني القرآن:٣٥٣/١.
(٦) الوجيز:٣٧٣.

قال ابن كثير:" هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا ، أي : في الضلالة ، هالكًا حائرًا ، فأحياه الله ، أي : أحيا قلبه بالإيمان ، وهداه له ووفقه لاتباع رسله"[٢].

قال الطبري:"وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم في أكل الميتة، بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرًا، فهداه جلّ ثناؤه لرشده، ووفقه للإيمان. فقال لهم: أطاعة من كان ميتًا، يقول: من كان كافرًا؟ فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته، وجهله بتوحيده وشرائع دينه، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته، بمنزلة«الميت» الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة، {أحييناه}، يقول: فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سَخَط الله وعقابه في معاده"[٣].

وفي قوله تعالى:{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام : ١٢٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها : كان ميتاً حين كان نطفة فأحييناه بنفخ الروح [فيه] ، حكاه ابن بحر[٤].

والثاني : كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالهداية إلى الإيمان ، وهذا معنى قول ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، والسدي[٧].

والثالث : كان ميتاً بالجهل فأحييناه بالعمل ، ذكره الماوردي[٨]، أنشد بعض أهل العلم ما يدل على صحة هذا التأويل لبعض شعراء البصرة[٩]:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لأَهْلِهِ   وَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُوْرِ قُبُوْرُ

وإنَّ أمْرَأً لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ   وَلَيْسَ لَهُ حِيْنَ النُّشُوْرِ نُشُوْرُ

قال الشوكاني:"فكثيرا ما تستعار الحياة للهداية وللعلم"[١٠].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووفقناه لاتباع رسله، فأصبح يعيش في أنوار الهداية"[١١].

قال ابن كثير:" أي : يهتدي به كيف يسلك ، وكيف يتصرف به"[١٢].

---

(١) الكشاف:٦٢/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.
(٣) تفسير الطبري:٨٩/١٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٢)ص٩١/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٩)ص٩٠/١٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٥):ص٩١/١٢.
(٨) انظر: النكت والعيون:١٦٢/٢.
(٩) لم اتعرف على قائله، والبيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:١٦٢/٢، والسمعاني في تفسيره:١٤١/٢، والرازي في مفاتيح الغيب:٤١١/٢، والقرطبي في تفسيره:٧٨/٧، وغيرها.
(١٠) فتح القدير:١٨١/٢.
(١١) التفسير الميسر:١٤٣.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.

قال الطبري:"فجعل إبصاره الحق تعالى ذكره بعد عَمَاه عنه، ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك، حياة وضياء يستضيء به فيمشي على قصد السبيل، ومنهج الطريق في الناس"(١).

قال البيضاوي:" مثل به من هداه الله سبحانه وتعالى وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء، فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل"(٢).

قال ابن عباس:" يعني بالنور، القرآنَ، من صدَّق به وعمل به"(٣)،"{يمشي به في الناس}، يقول: فهو الكافر يهديه الله للإسلام. يقول: كان مشركًا فهديناه"(٤).

عن أبي سنان الشيباني في قوله: "{وجعلنا له نورا يمشي به في الناس}، قال: يعمل به في الناس: قال: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه"(٥).

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام : ١٢٢]، وجوه:

أحدها: انه القرآن. قاله ابن عباس(٦)، والحسن(٧)، وقتادة(٨).

والثاني: أنه الإسلام. قاله السدي(٩)، وابن زيد(١٠).

والثالث: انه الهدى يمشي به في الناس. وهذا قول ابن عباس أيضا(١١)، ومجاهد(١٢).

والرابع: يعني: إيمانه: قاله الفراء (١٣).

والخامس: انه العلم الذي يهدي إلى الرشد(١٤).

قال ابن كثير:" والنور هو : القرآن ، كما رواه العَوْفي وابن أبي طلحة ، عن ابن عباس. وقال السُّدِّي : الإسلام. والكل صحيح"(١٥).

قوله تعالى:{كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص له مما هو فيه؟"(١٦).

قال مجاهد:"في الضلالة أبدًا"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٨٩/١٢.
(٢) تفسير البيضاوي:١٨٠/٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٨٤٢)ص٩١/١٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٨٤٣):ص٩١/١٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٦٠):ص١٣٨٢/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٢):ص٩١/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٤):ص٩١/١٢، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٨٥٩):ص١٣٨٢/٤.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٨٤٥):ص٩١/١٢.
(١٠) أخرجه الطبري(١٣٨٤٦):ص٩٢/١٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٣):ص٩١/١٢، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٨٥٧):ص١٣٨٢/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٩)ص٩٠/١٢.
(١٣) انظر: معاني القرآن:٣٥٣/١.
(١٤) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢.
(١٥) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.
(١٦) التفسير الميسر:١٤٣.

قال ابن عباس:" يعني: بالظلمات، الكفرَ والضلالة"[2].

عن قتادة:"{ كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}، وهذا مثل الكافر في الضلالة، متحير فيها متسكع، لا يجد مخرجًا ولا منفذًا"[3].

قال الطبري:"يقول:لا يدري كيف يتوجه، وأي طريق يأخذ، لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق. فكذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر، لا يبصر رشدًا ولا يعرف حقًّا، يعني: في ظلمات الكفر. يقول: أفَطاعة هذا الذي هديناه للحق وبصَّرناه الرشاد، كطاعة من مثله مثل من هو في الظلمات متردّد، لا يعرف المخرج منها، في دعاء هذا إلى تحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل، وتحليل هذا ما حرم الله، وتحريمه ما أحلّ؟"[4].

قال ابن كثير:" {الظُّلُمَاتِ}، أي : الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، { لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } أي : لا يهتدي إلى منفذ ، ولا مخلص مما هو فيه ، وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل»[5]، كما قال تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : ٢٥٧]. وكما قال تعالى : { أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الملك : ٢٢] ، وقال تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأعْمَى وَالأصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا أَفَلا تَذَكَّرُونَ } [هود : ٢٤] ، وقال تعالى : { وَمَا يَسْتَوِي الأعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ * وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأحْيَاءُ وَلا الأمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلا نَذِيرٌ } [فاطر : ١٩ - ٢٣]. والآيات في هذا كثيرة ، ووجه المناسبة في ضرب المثلين هاهنا بالنور والظلمات ، ما تقدم في أول السورة : { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } [الأنعام : ١]"[6].

---

(١) أخرجه الطبري(١٣٨٣٩)ص٩٠/١٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٨٤٢)ص٩١/١٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٨٤٤):ص٩١/١٢.
(٤) تفسير الطبري:٨٩/١٢.
(٥)رواه أحمد (١٩٧/٢ رقم ٦٨٥٤م) ، وأبو بكر الفريابي في "القدر" (٧١) ، والدنيوري في "المجالسة" (٢٢٢٠) ، والمصنف في "مسند الشاميين" (٥٣٢) ، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٢٥/٣٨) ؛ من طريق عروة بن رويم، وابن أبي عاصم في "السنة" (٢٥٣) من طريق محمد بن يزيد البصري، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٢٧٢/٦٤) من طريق أبي سلام الحبشي؛ جميعهم (عروة بن رويم، ومحمد بن يزيد، وأبو سلام) عن عبد الله بن الديلمي، به.
ورواه الترمذي (٢٦٤٢) ، وابن بطة في "الإبانة" (١٤٠٨) ؛ من طريق الحسن بن عرفة، والآجري في "الشريعة" (٣٣٨) من طريق عثمان بن أبي شيبة، وأبو إسماعيل الهروي في "الأربعين في دلائل التوحيد" (٣٧) من طريق داود بن رشيد، وابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٤٠٣/٣١) من طريق داود بن رشيد والهيثم بن خارجة؛ جميعهم (الحسن بن عرفة، وعثمان، وداود، والهيثم) عن إسماعيل بن عياش، به.
ورواه ابن أبي عاصم في "السنة" (٢٤٢) من طريق ضمرة بن ربيعة، وأبو بكر الفريابي في "القدر" (٦٨) ، وابن أبي حاتم في "تفسيره" كما في "تفسير ابن كثير (٣٠٨/١١) ، والحاكم في "المستدرك" (٣٠/١-٣١) ، والبيهقي (٤/٩) ؛ من طريق الأوزاعي، وأبو بكر الفريابي (٦٦) ، وأبو إسماعيل الهروي في "الأربعين في دلائل التوحيد" (٣٧) ؛ من طريق أيوب بن سويد؛ جميعهم (ضمرة، والأوزاعي، وأيوب) عن يحيى بن أبي عمرو السَّيباني، به. [ص:٦٣٣].
وزيادة في آخره في بعض الروايات: :" فلذلك أقول: جف القلم على علم الله".
وهذه الزيادة من قول ابن عمرو؛ كما نُص عليه في "القدر" للفريابي: [١٤٥٥٦] رواه ابن أبي عاصم في "السنة" (٢٤١) عن أبي الربيع الزهراني، به.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.

وفي قوله تعالى:{كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام : ١٢٢]، وجهان:

أحدهما : يعني: بـ{الظلمات}: الكفر والظلالة. قاله ابن عباس[١]، وهو معنى قول عمر بن عبدالعزيز[٢]، ومجاهد[٣]، قتادة[٤]، والسدي[٥].

والثاني : الجهل ، وشبهه بالظلمة لأن صاحبه في حيرة تفضي به إلى الهلكة كحيرة الماشي في الظلمة. ذكره الماوردي[٦].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" وكما خذلتُ هذا الكافر الذي يجادلكم -أيها المؤمنون- فزيَّنْتُ له سوء عمله، فرآه حسنًا، زيَّنْتُ للجاحدين أعمالهم السيئة; ليستوجبوا بذلك العذاب"[٧].

قال الزجاج:"المعنى: مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم"[٨].

قال ابن كثير:" أي : حسّنا لهم ما هم فيه من الجهالة والضلالة ، قدرا من الله وحكمة بالغة ، لا إله إلا هو ولا رب سواه"[٩].

قال ابن الجوزي:"أي: كما بقي هذا في ظلماته لا يتخلص منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون من الشرك والمعاصي"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما خذلت هذا الكافر الذي يجادلكم = أيها المؤمنون بالله ورسوله، في أكل ما حرّمت عليكم من المطاعم عن الحق، فزينت له سوءَ عمله فرآه حسنًا، ليستحق به ما أعددت له من أليم العقاب، كذلك زيَّنت لغيره ممن كان على مثل ما هو عليه من الكفر بالله وآياته، ما كانوا يعملون من معاصي الله، ليستوجبوا بذلك من فعلهم، ما لهم عند ربهم من النَّكال، وفي هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوَّض الأمور إلى خلقه في أعمالهم، فلا صنع له في أفعالهم، وأنه قد سوَّى بين جميعهم في الأسباب التي بها يصلون إلى الطاعة والمعصية. لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان قد زَيَّن لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر، نظيرَ ما زيَّن من ذلك لأعدائه وأهل الكفر به، وزيّن لأهل الكفر به من الإيمان به، نظيرَ الذي زيّن منه لأنبيائه وأوليائه. وفي إخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان، وخصّ أعداءه وأهل الكفر، بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة"[١١].

واختلفوا في هذه الآية على قولين:

أحدهما : أنها على العموم في كل مؤمن وكافر ، قاله الحسن[١٢]، وغيره من أهل العلم[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٢):ص٩١/١٢.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٨٢/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٦٢):١٣٨٢/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٤):ص٩١/١٢.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٨٤٥):ص٩١/١٢.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢.
(٧) التفسير الميسر:١٤٣.
(٨) معاني القرآن:٢٨٨/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.
(١٠) زاد المسير:٧٤/٢.
(١١) تفسير الطبري:٩٢/١٢-٩٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢

قال الزجاج:"ويجوز أن تكون هذه الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله. فأعلم الله جل وعز أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجعل مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات لا يتخلص منها"[٢].

والثاني : أنها على الخصوص في مُعَيَّن .

وفيمن تعين نزول ذلك فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن المؤمن عمر بن الخطاب ، والكافر أبو جهل ، قاله الضحاك[٣]، وزيد بن أسلم[٤]، وأبو سنان الشيباني[٥].

والثاني : أن المؤمن عمار بن ياسر ، والكافر أبو جهل ، قاله عكرمة[٦]، والكلبي[٧].

والثالث:ان المؤمن هو النبي- صلى الله عليه وسلم-، والمشرك هو أبو جهل . وهذا قول مقاتل[٨].

قال الزجاج:"جاء في التفسير أنه يعني به النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو جهل بن هشام فالنبي - صلى الله عليه وسلم - هدي وأعطي نور الإسلام والنبوة والحكمة، وأبو جهل في ظلمات الكفر"[٩].

قال ابن كثير:" وزعم بعضهم أن المراد بهذا المثل رجلان معينان ، فقيل : عمر بن الخطاب هو الذي كان ميتًا فأحياه الله ، وجعل له نورًا يمشي به في الناس. وقيل : عمار بن ياسر. وأما الذي في الظلمات ليس بخارج منها : أبو جهل عمرو بن هشام ، لعنه الله. والصحيح أن الآية عامة ، يدخل فيها كل مؤمن وكافر"[١٠].

قال الزجاج:"ويجوز أن تكون هذه الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله. فأعلم الله جل وعز أن مثل المهتدي مثل الميت الذي أحيي وجعل مستضيئا يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات لا يتخلص منها"[١١].

الفوائد:

١- أن القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبائح نفر منه بطبعه وأبغضها ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر"[١٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢، وتفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.
(٢) معاني القرآن:٢٨٨/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٦):ص٨٩/١٢.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٥٣):ص١٣٨١/٤.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٦٠):ص١٣٨٢/٤، و١٣٨٣/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٧):ص٩٠/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٦٤/٢.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٨٧/١.
(٩) معاني القرآن:٢٨٨/٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.
(١١) معاني القرآن:٢٨٨/٢.
(١٢) انظر: شرح الطحاوية:٢٥١، ولم اقف عليه.

وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك، بحسب قوة المرض وضعفه[١].

٢- أن الإيمان حياة، والكفر موت، المؤمن يعيش في نور والكافر في ظلمات.

فأن الرسالة ضرورية للعباد لا غنى لهم عنها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، فإن الرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة كلها إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وتناله حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات، قال الله تعالى {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها} [الأنعام: ١٢٢] فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة وبنور الإيمان، وجعل له نورا يمشي به في الناس.

وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمى الله تعالى رسالته روحا، والروح إذا عدم فارقت الحياة، قال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا} [الشورى: ٥٢] الآية، فالروح الحياة، والنور الإضاءة المزيلة للظلمة، فالكافر في ظلمات الكفر والشرك وهو ميت غير حي، وإن كان فيه حياة بهيمية لكنه عادم الحياة الروحانية العلوية الناشئة عن الإيمان، وبها يحصل للعبد الفوز والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة[٢].

٣- بيان سنة الله تعالى في تزيين الأعمال القبيحة.

القرآن

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)} [الأنعام : ١٢٣]

التفسير:

ومثل هذا الذي حصل مِن زعماء الكفار في «مكة» من الصدِّ عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يتزعمهم أكابرهم; ليمكروا فيها بالصد عن دين الله، وما يكيدون إلا أنفسهم، وما يُحِسُّون بذلك.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا} [الأنعام : ١٢٣]، أي:" ومثل هذا الذي حصل مِن زعماء الكفار في «مكة» من الصدِّ عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يتزعمهم أكابرهم; ليمكروا فيها بالصد عن دين الله"[٣] .

قال الزجاج:"أي: ومثل ذلك (جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها)، لأن الأكابر ما هم فيه من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر، والدليل على ذلك قوله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٢٧]، وقوله:{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ} [الزخرف : ٣٣]"[٤].

---

(١) انظر: رشح الطحاوية:٢٥١.
(٢) انظر: لوامع الانوار البهية:٢/٢٥٩-٢٦٠.
(٣) التفسير الميسر:١٤٣.
(٤) معاني القرآن:٢/٢٨٨.

قال الطبري:" وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون ، كذلك جعلنا بكل قرية عظماءَها مجرميها، يعني: أهل الشرك بالله والمعصية له{ليمكروا فيها}، بغرور من القول أو بباطل من الفعل ، بدين الله وأنبيائه"(١).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وكما جعلنا في قريتك - يا محمد - أكابر من المجرمين ، ورؤساء ودعاة إلى الكفر والصد عن سبيل الله ، وإلى مخالفتك وعداوتك ، كذلك كانت الرسل من قبلك يُبْتَلون بذلك ، ثم تكون لهم العاقبة ، كما قال تعالى : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } [الفرقان : ٣١] ، وقال تعالى : { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا [فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء : ١٦] ، قيل : معناه : أمرناهم بالطاعات ، فخالفوا ، فدمرناهم. وقيل : أمرناهم أمرا قدريا ، كما قال هاهنا : { لِيَمْكُرُوا فِيهَا }"(٢).

قال ابن الجوزي:" أي: وكما زينا للكافرين عملهم، فكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها، وقيل معناه: وكما جعلنا فساق مكة أكابرها، فكذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها، وإنما جعل الأكابر فساق كل قرية، لأنهم أقرب إلى الكفر بما أعطوا من الرياسة والسعة"(٣).

قال سفيان:" كل «مكر» في القرآن فهو عمل"(٤).

و«الأكابر»: جمع «أكبر»، كما «الأفاضل» جمع «أفضل»، وحكي عن العرب سماعًا :الأكابرة، و الأصاغرة، والأكابر، والأصاغر، بغير «الهاء»، على نية النعت ، كما يقال : هو أفضل منك، وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على وزن «أفعل»، إذا أخرجوها إلى الأسماء ، مثل جمعهم: الأحمر، والأسود : الأحامر والأحامرة، والأساود والأساودة، ومنه قول الأعشى(٥):

إنَّ الأحَامِرَةَ الثَّلاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِي ، وكُنْتُ بِهِنَّ قِدْمًا مُولَعًا

الخَمْرُ واللَّحْمُ السَّمِينُ إدَامُهُ والزَّعْفَرَانُ ، فَلَنْ أرُوحَ مُبَقَّعَا

وأما «المكر»: فإنه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ، ليورِّطه الماكر به مكروهًا من الأمر(٦).

وفي قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا} [الأنعام : ١٢٣]، وجوه:

أحدها: معناه: سَلَّطنا شرارها فعصوا فيها ، فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب. وهذا قول ابن عباس(٧).

والثاني: أن { أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا } عظماؤها. قاله مجاهد(٨)، وقتادة(١).

(١) تفسير الطبري:٩٣/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٣٠/٣.
(٣) زاد المسير:٧٤/٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٦٨):ص١٣٨٣/٤.
(٥)ديوانه: ٢٤٧ ، ٢٤٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٩٥/١٢.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٦٦):ص١٣٨٣/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٧)، و(١٣٨٤٨):ص٩٤/١٢، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٨٦٧):ص١٣٨٣/٤.

قال ابن كثير:" وهذا كقوله تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } [سبأ : ٣٤ ، ٣٥] ، وقال تعالى : { وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ } [الزخرف : ٢٣]، والمراد بالمكر هاهنا دعاؤهم إلى الضلالة بزخرف من المقال والفعال ، كما قال تعالى إخبارًا عن قوم نوح : { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا } [نوح : ٢٢] ، وقال تعالى : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا [وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سبأ : ٣١ - ٣٣]"(٢).

قوله تعالى:{وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} [الأنعام : ١٢٣]، أي:" وما يكيدون إلا أنفسهم، وما يُحِسُّون بذلك"(٣).

قال الطبري:" أي: ما يحيق مكرهم ذلك ، إلا بأنفسهم ، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدّهم عن سبيله، {وهم لا يشعرون}، يقول : لا يدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه ، فهم في غيِّهم وعتوِّهم على الله يتمادَوْن"(٤).

قال البيضاوي:" لأن وباله: يحيق بهم، وما يشعرون ذلك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : وما يعود وبال مكرهم ذلك وإضلالهم من أضلوه إلا على أنفسهم ، كم قال تعالى : { وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ } [العنكبوت : ١٣] ، وقال { وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ } [النحل : ٢٥]"(٦).

قال الزجاج:"أي: ذلك المكر يحيق بهم، لأنهم بمكرهم يعذبون"(٧).

الفوائد:

١- قل ما تخلو مدينة من مجرمين يمكرون فيها.
٢- أن عاقبة المكر عائدة على الماكر نفسه.

القرآن

{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)} [الأنعام : ١٢٤]

التفسير:

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٩):ص٩٤/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٣١/٣.
(٣) التفسير الميسر:١٤٣.
(٤) تفسير الطبري:٩٣/١٢.
(٥) تفسير البيضاوي:١٨١/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٣.
(٧) معاني القرآن:٢٨٨/٢.

وإذا جاءت هؤلاء المشركين من أهل «مكة» حجة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعض كبرائهم: لن نصدِّق بنبوته حتى يعطينا الله من النبوة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين. فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته أي: بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس. سينال هؤلاء الطغاة الذل، ولهم عذاب موجع في نار جهنم; بسبب كيدهم للإسلام وأهله.

قوله تعالى:{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} [الأنعام : ١٢٤]، أي:" وإذا جاءت هؤلاء المشركين من أهل «مكة» حجة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعض كبرائهم: لن نصدِّق بنبوته حتى يعطينا الله من النبوة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين"[١].

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره: وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم، ليصدّوا عن سبيل الله حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد من عند الله وحقيقته ، قالوا لنبي الله وأصحابه: لن نصدق بما دعانا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان به، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أنّ الله حرّمه علينا حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر، وعيسى من إحياء الموتى،وإبراء الأكمه والأبرص"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة ، قالوا : { لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ }، أي : حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة ، كما تأتي إلى الرسل ، كقوله ، جل وعلا { وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } [الفرقان : ٢١]"[٣].

قال الزمخشري:"وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم. روى أن الوليد بن المغيرة قال: «لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك، لأنى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا»[٤].

وروى أن أبا جهل قال:« زاحمنا بنى عبد مناف في الشرف، حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبى يوحى إليه، والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، فنزلت»[٥]. ونحوها قوله تعالى: {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً} [المدثر : ٥٢] "[٦].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢) تفسير الطبري:١٢/٩٥-٩٦.
(٣) تفسير ابن كثير:٣/٣٣٢.
(٤)ذكره أكثر المفسرين. انظر: "تفسير مقاتل" ١/ ٥٨٨، وفيه:" لنزل على الوليد بن المغيرة أو على أبي مسعود الثقفي، وذلك قولهم:{لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}[الزخرف:٣١]".
وانظر: تفسير السمرقندي ١/ ٥١١ , والثعلبى ١٨٣ ب، والبغوي ٣/ ١٨٥، والرازي ١٣/ ١٧٥، والقرطبي ٧/ ٨٠.
(٥) ذكره مقاتل في تفسيره:١/٥٨٧، ونصه:" هكذا {زين للكافرين}، يعني: للمشركين، {ما كانوا يعملون}، يعني: أبا جهل، وذلك أنه قال: زحمتنا بنو عبد مناف في الشرف حتى «إذا» «٢» صرنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي «٣» يوحى إليه فمن يدرك هذا والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا أو يأتينا وحي كما يأتيه فأنزل الله- عز وجل- :{وإذا جاءتهم آية قالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ...}، إلى آخر الآية ". وانظر: البحر المحيط:٤/٦٣٧.
(٦) الكشاف:٢/٦٢.

قوله تعالى:{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام : ١٢٤]، أي:"اللله أعلم بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس"(١).

قال الزمخشري:"الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم، وأن لا يصطفى للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم"(٢).

قال الطبري:"يعني بذلك جل ثناؤه: أن آيات الأنبياء والرسل لن يُعطاها من البشر إلا رسول مرسل، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها. يقول جل ثناؤه: فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيَّروا ذلك عليّ أنتم، لأن تخيُّر الرسول إلى المرسِل دون المرسَل إليه، والله أعلم إذا أرسل رسالةً بموضع رسالاته"(٣).

قال الزجاج: "أي: هو أعلم بمن يختص للرسالة. وقال بعضهم: لا يبلغ في تصديق الرسل إلا أن يكونوا قبل مبعثهم مطاعين في قومهم، لأن الطعن كان يتسع عليهم، ويقال إنما كانوا أكابر ورؤساء فاتبعوا"(٤).

قال ابن كثير:" أي : هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه ، كما قال تعالى : { وَقَالُوا لَوْلا نزلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ } الآية [الزخرف : ٣١ ، ٣٢] يعنون : لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير مبجل في أعينهم { مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ } أي : مكة والطائف. وذلك لأنهم - قبحهم الله - كانوا يزدرون بالرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، بغيًا وحسدًا ، وعنادًا واستكبارًا ، كما قال تعالى مخبرًا عنهم : { وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ } [الأنبياء : ٣٦] ، وقال تعالى : { وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا } [الفرقان : ٤١] ، وقال تعالى : { وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأنعام : ١٠]. هذا وهم يعترفون بفضله وشرفه ونسبه. وطهارة بيته ومرباه ومنشئه ، حتى أنهم كانوا يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه : "الأمين" ، وقد اعترف بذلك رئيس الكفار "أبو سفيان" حين سأله "هرقل" ملك الروم : كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب. قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا الحديث بطوله الذي استدل به ملك الروم بطهارة صفاته ، عليه السلام ، على صدقه ونبوته وصحة ما جاء به"(٥).

عن واثلة بن الأسقع ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم"(٦).

وفي صحيح البخاري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بُعِثت من خير قُرون بني آدم قَرْنًا فقرنًا ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه"(٧).

عن المطلب بن أبي وداعة قال : قال العباس : بلغه صلى الله عليه وسلم بعضُ ما يقول الناس ، فصعد المنبر فقال : "من أنا ؟". قالوا : أنت رسول الله. قال : "أنا محمد بن عبد الله بن

(١) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢) الكشاف:٦٣/٢.
(٣) تفسير الطبري:٩٦/١٢.
(٤) معاني القرآن:٢٨٩/٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٣٢/٣.
(٦)) المسند (١٠٧/٤) وصحيح مسلم برقم (٢٢٧٦).
(٧)) صحيح البخاري برقم (٣٥٥٧).

عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة. وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتًا ، فأنا خيركم بيتًا وخيركم نفسا" (١).

قال ابن كثير:"صدق صلوات الله وسلامه عليه"(٢).

وفي الحديث أيضا المروي عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم"(٣).

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : "إن الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه ، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن ، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ"(٤).

وعن سلمان قال : "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان ، لا تبغضني فتفارق دينك". قلت : يا رسول الله ، كيف أبْغِضُكَ وبك هدانا الله ؟ قال : "تبغض العرب فتبغضني"(٥).

وعن ابن أبي حسين قال : "أبصر رجل ابن عباس وهو يدخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }"(٦).

قرأ ابن كثير وحفص «رسالته»، على التوحيد، وقرأ الآخرون :«رسالاته» بالجمع(٧).

قوله تعالى:{سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ} [الأنعام : ١٢٤]، أي:" سينال هؤلاء الطغاة الذل"(٨).

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، معلّمَه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه:{سيصيب}، يا محمد، الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره، ذلة وهوان"(٩).

---

(١)المسند (٢١٠/١).
(٢) تفسير ابن كثير:٣٣٣/٣.
(٣)دلائل النبوة للبيهقي (١٧٦/١) من طريق موسى بن عبيدة ، عن عمرو بن عبد الله ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن عائشة به ، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٥١١) "مجمع البحرين" من طريق موسى بن عبيدة الربذي به. قال الهيثمي في المجمع (٢١٧/٨) : "فيه موسى بن عبيدة االربذي وهو ضعيف".
(٤)المسند (٣٧٩/١).
(٥)المسند (٤٤٠/٥) ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٩٢٧) والحاكم في المستدرك (٨٦/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٢٣٨/٦) من طريق شجاع بن الوليد عن قابوس به. قال الترمذي : "حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد ، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول : أبو ظبيان لم يدرك سلمان ، مات سلمان قبل علي".
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٣٣/٣-٣٣٤.
(٧) انظر: تفسير البغوي:١٨٦/٣.
(٨) التفسير الميسر:١٤٣.
(٩) تفسير الطبري:٩٦/١٢.

قال الزجاج:"أي: هم وإن كانوا أكابر في الدنيا {سيصيبهم صغار عند الله}، أي: مذلة"[١].

قال السدي:"«الصغار»: الذلة"[٢].

قال ابن كثير:" هذا وعيد شديد من الله وتهديد أكيد ، لمن تكبر عن اتباع رسله والانقياد لهم فيما جاؤوا به ، فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يدي الله { صَغَارٌ } وهو الذلة الدائمة ، لما أنهم استكبروا أعقبهم ذلك ذُلا كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر : ٦٠]، أي : صاغرين ذليلين حقيرين"[٣].

وفي قوله تعالى:{ عِنْدَ اللَّهِ} [الأنعام : ١٢٤]، ثلاثة أوجه :
أحدها : من عند الله ، فحذف «من» إيجازاً. وهذا قول الطبري[٤]، وذكره الماوردي[٥].
والثاني : أن أنفتهم من اتباع الحق صَغَار عند الله وذل إن كان عندهم تكبراً وعزاً ، قاله الفراء[٦].
والثالث : صَغَار في الآخرة ، قاله الزجاج[٧].
قال الطبري:"قوله: {صغار عند الله}، فإن معناه: سيصيبهم صغارٌ من عند الله، كقول القائل:سيأتيني رزقي عند الله، بمعنى: من عند الله، يراد بذلك: سيأتيني الذي لي عند الله. وغير جائز لمن قال:{سيصيبهم صغار عند الله}، أن يقول:{جئت عند عبد الله}، بمعنى: جئت من عند عبد الله، لأن معنى: {سيصيبهم صغارٌ عند الله}، سيصيبهم الذي عند الله من الذل، بتكذيبهم رسوله. فليس ذلك بنظير: جئت من عند عبد الله"[٨].
قوله تعالى:{ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} [الأنعام : ١٢٤]، أي:" ولهم عذاب موجع في نار جهنم بسبب كيدهم للإسلام وأهله"[٩].

قال الطبري:"يقول: يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله، المستحلين ما حرَّم الله عليهم من الميتة، مع الصغار عذابٌ شديد، بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل، والزخرف من القول، غرورًا لأهل دين الله وطاعته"[١٠].

عن ابن عباس، قوله: "{عذاب}، قال: نكال"[١١].

قال ابن كثير:" لما كان المكر غالبا إنما يكون خفيا ، وهو التلطف في التحيل والخديعة ، قوبلوا بالعذاب الشديد جزاء وفاقا ، { وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف : ٤٩] ، كما قال تعالى : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ } [الطارق : ٩] أي : تظهر المستترات والمكنونات والضمائر.

وجاء في الصحيحين ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يُنْصَب لكل غادر لواء عند استِه يوم القيامة ، فيقال : هذه غَدْرة فلان ابن فلان»[١].

---

(١) معاني القرآن:٢٨٩/٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٨٥١):ص٩٦/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٦٤/٢.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣٥٣/١.
(٧) انظر: معاني القرآن:٢٨٩/٢.
(٨) تفسير الطبري:٩٧/١٢.
(٩) التفسير الميسر:١٤٣.
(١٠) تفسير الطبري:٩٧/١٢.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٧١):ص١٣٨٤/٤.

والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خَفِيًّا لا يطلع عليه الناس ، فيوم القيامة يصير عَلَمًا منشورًا على صاحبه بما فعل"[٢].

الفوائد:

١- بيان تعنت المشركين في مكة على عهد نزول القرآن.

٢- أن أئمة الكفر، وزعماء الضلالة كانوا يوقنون بإمكان أن يرسل الله رسولا من البشر غير أنهم جحدوا ذلك بألسنتهم حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، وتمويهًا على الطغام من الناس، وخداعًا لضعفاء العقول، وتلبيسًا عليهم خشية أن يسارعوا إلى مقتضى الفطرة، ويستجيبوا لداعي الدين، ومتابعة المرسلين، لو قال قائل ذلك ما كان بعيدًا عن الحقيقة، ولا مجافيًا للصواب! بل بدت منهم البوادر التي تؤيد ذلك، وتصدقه وسبق إلى لسانهم ما يرشد البصير إلى ما انطوت عليه نفوسهم من الحسد والاستكبار أن يؤتَى الرسل ما أوتوا دونهم، وينالوا من الفضيلة، وقيادة الأمم إلى الإصلاح ما لم ينل هؤلاء.

قال الله- تعالى-: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}.

٣- أن الرسالة توهب لا تكتسب، فالنبوة والرسالة محض فضل من الله يختص به من شاء من عباده، وهو سبحانه أعلم بمواقع فضله، ومحال رضاه، وأعلم بمن يصلح لهذا الشأن، فهو سبحانه صاحب الخلق والتدبير، والاختيار والاصطفاء.

ومع كون النبوة منحة إلهية. إلا أن الله لا يختار لها إلا أناسا خصهم وميزهم بخصائص ومميزات ليست موجودة في سائر البشر. فالرسل أكمل البشر خلقا وخلقا، وأرجحهم عقلا، وأوفرهم ذكاء، والله رهم قلبا. وهذا هو شأن الرسل أجمعين. والرسول صلى الله عليه وسلم حينما اصطفاه الله لمهمة الرسالة الخاتمة، خصه بخصائص ليست موجودة في غيره، وهيأه تهيأة خاصة تتناصب مع هذه المهمة الجليلة.

وظهرت آثار اصطفاء الله له في جوانب كثيرة منها:

أولا:- طهارة نسبه: فلم ينل نسبه الطاهر شيء من سفاح الجاهلية. فكان من سلالة آباء كرام ليس فيهم ما يشينهم أو يعيبهم. بل كانوا سادات قومهم في النسب والشرف والمكانة.

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده عن واثلة بن الأسقع ما يؤكد ذلك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بنى هاشم»[٣] .

ثانيا:- تعهد الله برعايته وحفظه: وذلك أنه نشأ على الفطرة الزكية فلم يتدنس بشيء من أدران الجاهلية لأن الله حفظه منذ صغره، فحفظ قلبه من تغيير الفطرة ووصول الشيطان إليه أخرج الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن

---

(١)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧١١١) ومسلم في صحيحه برقم (١٧٣٥) من حديث عبد الله بن عمر ، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير:٣/٣٣٤.

(٣)صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، ٤ / ١٧٨٢.

قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده مكانه»[١].

فهذا الحديث يبين أن الله طهر قلبه صلى الله عليه وسلم منذ صغره وحفظه من وصول الشيطان إليه وذلك ليعده فيما بعد لمهمة النبوة والرسالة. فنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأخلاق الزاكية والخصال الحميدة، والفطرة النقية السليمة، فبغضت إليه الأوثان فلم يسجد لصنم قط، وحبب إليه الخير ومكارم الأخلاق، فكان في ذلك مضرب الأمثال، وكيف لا؟ وهو الملقب من قبل قومه بالصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

ثالثا:-عصمته من تسلط أعدائه عليه بالقتل أو منعه من تبليغ رسالة ربه، قال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠] . وقال تعالى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧] ، وأخرج البخاري بسنده «عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: " إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، فقال من يمنعك مني فقلت الله (ثلاثا) ولم يعاقبه وجلس»[٢].

عصمته صلى الله عليه وسلم من كل ما يقدح في نبوته، أو ينفر الناس عن دعوته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس عن الآثم، متنزها من كل ما يعيب أو يشين البشر في سلوكهم، بعيدا عن سفاسف الجاهلية. كما عصمه الله عن وقوع الخطأ والنسيان أو الكذب والكتمان فيما يبلغه عن ربه فقال تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى - مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى - وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ١ - ٤] . وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧] .

رابعا:- تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الناس خلقا من حيث جمال صورته، وتناسب أعضائه، وطيب ريحه وعرقه، ونظافة جسمه، واكتمال قواه البدنية والعقلية، كما كان أكمل الناس خلقا إذ جمع محاسن الأخلاق وكريم الشمائل، وجميل السجايا والطباع. قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤] (١) وقد وعت كتب الشمائل والسير شمائله وأخلاقه، وصفاته صلى الله عليه وسلم.

خامسا:- تشريفه بنزول الوحي عليه: قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢] ، وقال تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣].

سادسا:- كونه خاتم النبيين: قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: ٤٠] .

---

(١)صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، ١ / ١٤٧.
(٢)صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر ٤ / ٤٧ - ٤٨.

وأخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»(١).

ومظاهر اصطفاء الله لنبيه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تعد ولا تحصى لكثرة فضائله وما خصه الله به من صنوف الخير والفضل ويكفيه شرفا أنه سيد ولد آدم، وأنه صاحب المقام المحمود والحوض المورود ولواء المعقود فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. واصطفاء الله للنبي صلى الله عليه وسلم دليل على حب الله كما أنه يوجب محبة العباد لهذا النبي العظيم(٢).

٤- ومن فوائد الآية الكريمة: بيان عقوبة أهل الإجرام في الأرض.

القرآن

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)} [الأنعام : ١٢٥]

التفسير:

فمن يشأ الله أن يوفقه لقبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان، ومن يشأ أن يضله يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قبول الهدى، كحال مَن يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في التنفس. وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

قوله تعالى:{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" فمن يشأ الله أن يوفقه لقبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان"(٣).

قال الطبري:" فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له، {يشرح صدره للإسلام}، يقول: فسح صدره لذلك وهوَّنه عليه، وسهَّله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول، كالذي جاء الأثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : ييسره له وينشطه ويسهله لذلك ، فهذه علامة على الخير ، كقوله تعالى : { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الزمر : ٢٢] ، وقال تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } [الحجرات : ٧]"(٥).

---

(١)صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ٤ / ٢٢٦، ومسلم، كتاب الفضائل باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ٤ / ١٧٩١.
(٢) انظر: محبة الرسول بين الاتباع والابتداع:٢٢-٢٦.
(٣) التفسير الميسر:١٤٤.
(٤) تفسير الطبري:٩٨/١٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٣٥/٣.

قال أبو السعود:"أي: يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان ،{يشرح صدره للإسلام} فيتسع له وينفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه"[١].

قال السدي:" أما{يشرح صدره للإسلام}، فيوسع صدره للإسلام"[٢].

عن ابن جريج قوله: "{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، بـ«لا إله إلا الله»"[٣]. وفي رواية أخرى:" يجعل لها في صدره متَّسعًا"[٤].

عن عبد الله بن مرة، عن أبي جعفر[٥] قال: "لما نزلت هذه الآية: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، قالوا: كيف يشرح الصدر؟ قال: إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح. قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الفوت"[٦].

عن عبد الله بن مسعود قال: "قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، قال: إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح. قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتنحِّي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت"[٧].

وقال ابن عباس : "{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ } يقول : يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به"[٨]. وروي عن أبي مالك نحو ذلك[٩].

قال ابن كثير:"وكذا قال أبو مالك ، وغير واحد. وهو ظاهر"[١٠].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" ومن يشأ أن يضله يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قبول الهدى"[١١].

قال الطبري: يقول:" ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى، يَشغله بكفره وصدِّه عن سبيله، ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه، حرجًا"[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقًا، والإسلام واسع. وذلك حين يقول: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [سورة الحج:٧٨] ، يقول: ما جعلعليكم في الإسلام من ضيق"[١].

---

(١) تفسير أبي السعود:١٨٣/٣.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٨٥٩):ص١٠٢/١٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٨٦٠):ص١٠٢/١٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٨٦١):ص١٠٢/١٢.
(٥) هو :عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب، "أبو جعفر الهاشمي المدائني". روى عنه عمرو بن مرة، وخالد بن أبي كريمة. مترجم في ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ١٦٩، وتاريخ بغداد ١٠: ١٧، وميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٧٨، ولسان الميزان ٣: ٣٦٠. قال الخطيب. ((سكن المدائن، وحدث بها عن محمد بن الحنفية)) ، وذكر في بعض ما ساقه من أسانيد أخباره: عن خالد بن أبي كريمة.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٨٥٢):ص٩٨/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٨٥٥):ص١٠٠/١٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٧٤):ص١٣٨٤/٤.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٨٥/٤، حكاه دون ذكر السند.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٣٤/٣.
(١١) التفسير الميسر:١٤٤.
(١٢) تفسير الطبري:١٠٢/١٢.

و«الحرج»:" أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذه، من شدة ضيقه، وهو ههنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان، لريْن الشرك عليه. وأصله من: الحرج، والحرج جمع«حَرَجة»، وهي: الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها"(٢).

قال الخليل:"و«الحَرَجَةُ»من الشَجَر: الملتَفّ قَدْر رَمْية حَجَر، وجَمْعُها حِراج، قال(٣):

ظلَّ وظلّتْ كالحِراج قُبْلا وظلَّ راعيها بأخرى مبتلى "(٤)

عن أبي الصلت الثقفي: "أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} بنصب «الراء». قال: وقرأ بعض مَنْ عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:{ضَيِّقًا حَرِجًا}. قال صفوان: فقال عمر: ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيًا، وليكن مُدْلجيًّا(٥).قال: فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرجة؟ قال:«الحرجة» فينا، الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشيَّة ولا شيء. قال: فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق لا يصل إليه شيء من الخير"(٦).

قال ابن قتيبة:" «الحرج»: أصله: «الضيق»، ومن «الضيق»: الشك، كقول الله تعالى: {فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الأعراف: ٢] ، أي: شك، لأنّ الشّاكّ في الشيء يضيق صدرا به.

ومن «الحرج»: الإثم، قال تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ} [النور: ٦١]، أي: إثم، {وَلا عَلَى الْمَرْضى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ} [التوبة: ٩١] ، أي: إثم.

وأما «الضيق» بعينه، فقوله: {وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]، أي: ضيق. {ويَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً} [الأنعام: ١٢٥] و«حرجا». ومنه :«الحرجة»، وهي: الشجر الملتفّ"(٧).

واختلف في تفسير قوله تعالى:{حَرَجًا} [الأنعام : ١٢٥]، على أقوال:

أحدها: معناه شاكًا. قاله مجاهد(٨)، والسدي(٩).

قال أبو عُبيد القاسم بن سلاّم البغدادي:" يعني: شاكا بلغة قريش"(١٠).

والثاني: معناه: ملتبسًا. قاله قتادة(١١).

---

(١) أخرجه الطبري(١٣٨٦٣):ص١٢/١٠٤-١٠٥.
(٢) تفسير الطبري:١٢/١٠٢-١٠٣.
(٣)لم نهتد إلى هذا الرجز.
(٤) العين:"حرج":ص٣/٧٦.
(٥)مدلج)) قبيلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة، وهم القافة المشهورون، ويدل هذا الخبر على أن أرض مرعاهم كانت كثيرة الشجر.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٨٦٢):ص١٢/١٠٤.
(٧) تأويل مشكل القرآن:٢٦٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٤):ص١٢/١٠٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٥):ص١٢/١٠٥.
(١٠) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٥.[كتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٦):ص١٢/١٠٥.

والثالث: معناه: أنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان. وهذا معنى قول سعيد بن جبير[١]، وعطاء الخراساني[٢]، وابن جريج[٣].

قرأ ابن كثير وحده :«ضيقا»خفيفا، وقرأ الباقون:«ضيقا»بتشديد الياء[٤]، وقرأ بعض المكيين «ضَيْقًا»، بفتح الضاد وتسكين الياء، وتخفيفه[٥].

وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان[٦]:

أحدهما: أن يكون سكنه وهو ينوي معنى التحريك والتشديد، كما قيل:«هَيْنٌ لَيْنٌ»، بمعنى: هيِّنٌ ليِّنٌ.

والثاني: أن يكون سكنه بنية المصدر، من قولهم:«ضاق هذا الأمر يضيق ضَيْقًا»، ومنه قول الله تعالى:{وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ} النحل: ١٢٧]، بمعنى: ضيّق.

ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج[٧]:

قَدْ عَلِمْنَا عِنْدَ كُلِّ مَأْزِقِ   ضَيْقٍ بِوَجْهِ الأمْرِ أَوْ مُضَيِّقِ

وقال رؤبة أيضًا[٨]:

وأهيج الخلصاء من ذَات البَرْق   وَشَفَّها اللَّوحُ بِمَأْزُولٍ ضَيَقْ

يريد: ضَيْقاَ، فحرّك[٩].

وحكي عن الكسائي أنه كان يقول:"«الضيِّقُ»، بالكسر: في المعاش والموضع، وفي الأمر«الضَّيْق»"[١٠].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى:«حرجا» مفتوحة الراء، وقرأ نافع وعاصم فى رواية أبى بكر:«حرجا» مكسورة الراء، وروى حفص عن عاصم:«حرجا» مثل أبى عمرو[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٨):ص١٢/١٠٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٩):ص١٢/١٠٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٧١):ص١٢/١٠٦.
(٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٢/١٠٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٢/١٠٧-١٠٨.
(٧) نسبه الطبري إليخ في تفسيره:١٢/١٠٧، وليس في ديوانه، ولم أجد البيت في مكان آخر، ومنها أبيات في الزيادات: ١٧٩، ١٨٠، ولم يذكر معها.
(٨)ديوانه: ١٠٥، والوساطة: ١٤. ((مأزول)) من ((الأزل)) (بسكون الزاي) ، وهو الضيق والجدب وشدة الزمان، وفي حديث الدجال: ((أنه يحضر الناس ببيت المقدس، فيؤزلون أزلا)) ، أي: يقحطون ويضيق عليهم. ومعنى: ((مأزول)) ، أصابه القحط، يعني مرعى، ومثله قول الراجز:
إنَّ لَهَا لرَاعِيًا جَرِيًّا ... أَبْلا بمَا يَنْفَعُها قَوِيًّا
لَمْ يَرْعَ مَأْزُولا وَلا مَرْعِيًّا ... حَتَّى علاَ سَنَامُهَا عُلِيًّا
و ((شفها)) أنحل جسمها، وأذهب شحمها. و ((اللوح)) (بضم اللام) وهو أعلى اللغتين، و ((اللوح)) (بفتح فسكون) : وهو العطش الذي يلوح الجسم، أي يغيره. وقوله: ((ضيق)) حرك ((الياء)) بالفتح. وعده القاضي الجرجاني في أخطاء رؤبة.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٢/١٠٧-١٠٨، وما يجوز للشاعر في الضرورة: أبو عبدالله التميمي:٢٠٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٢/١٠٨.

و«الحرج» بفتح الراء وكسرها، بمعنى واحد، وقيل: بالكسر معناه: «الإثم»، يقال: فلان آثِمٌ حَرِجٌ، وذكر عن العرب سماعًا منها:حَرِجٌ عليك ظُلمي، بمعنى: ضِيقٌ وإثم[٢].

قال الخليل:" الحَرَجُ: المَأْثم. والحارِجُ: الآثِم، قال[٣]:

يا ليتَني قد زُرْتُ غيرَ حارج

ورجُلٌ حَرِج وحَرَج، كما تقول: دَنِف ودَنَف: في معنى: الضَيِّق الصَدْر، قال الراجز[٤]:

لا حَرِجُ الصَدّر، ولا عنيفُ

ويقرأ :«يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً» و«حَرِجاً». وقد حَرِجَ صدرهُ: أيْ: ضاق ولا ينشَرِحُ لخَير، ورجلٌ مُتَحَرِّج: كافٌّ عن الإثم، وتقول: أحرَجَني إلى كذا: أيْ: ألجَأني فخرجْتُ إليه، أي: انضَمَمْتُ إليه، قال الشاعر[٥]:

تَزدادُ للعَيْن إبهاجاً إذا سَفَرتْ وتَحْرَجُ العَيْن فيها حين تَنْتَقِبُ"[٦]

قال الطبري:" والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ، لاتفاق معنييهما"[٧].

قوله تعالى:{كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" كحال مَن يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في التنفس"[٨].

قال الطبري:" وهذا مثل من الله تعالى ذكره، ضربه لقلب هذا الكافر في شدة تضييقه إياه عن وصوله إليه، مثل امتناعه من الصُّعود إلى السماء وعجزه عنه، لأن ذلك ليس في وسعه"[٩].

قال ابن عباس:"يقول: فكما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء، فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه"[١٠].

قال عطاء:" يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء"[١١].

عن السدي: "{كأنما يصعد في السماء}، من ضيق صدره"[١٢].

عن الأوزاعي: "{ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء}، كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما؟"[١].

---

(١) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٨.
(٢)انظر معاني القرآن للفراء ١: ٣٥٣، ٣٥٤، وتفسير الطبري:١٠٦/١٢.
(٣)لم نهتد إلى الرجز ولا إلى قائله.
(٤)الرجز في التهذيب واللسان"حرج".
(٥)البيت (لذي الرمة) انظر الديوان ١/ ٣١.
(٦) العين، "حرج":ص٧٦/٣.
(٧) تفسير الطبري:١٠٧/١٢.
(٨) التفسير الميسر:١٤٤.
(٩) تفسير الطبري:١٠٩/١٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٨١):ص١٣٨٦/٤.
(١١) أخرجه الطبري(١٣٨٧٣):ص١٠٩/١٢.
(١٢) أخرجه الطبري(١٣٨٧٧):ص١٠٩/١٢.

وعن ابن عباس أيضا: "قوله: {ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا}، ونحو هذا من القرآن، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص أن يؤمن جميع الناس، ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له في الذكر الأول. يقول: ليس لك من الأمر شيء"(٢).

وفي قوله تعالى:{كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام : ١٢٥]، أربعة وجوه:

أحدها : كأنه كُلِّف الصعود إلى السماء في امتناعه عليه وبعده منه(٣).

والثاني : كأنه لا يجد مسلكاً لضيق المسالك عليه إلا صعوداً في السماء وليس يقدر. وهذا قول الفراء(٤).

والثالث : كأنه قلبه بالنبو عنه والنفور منه صاعداً إلى السماء(٥).

والرابع : كأن قلبه يصعد إلى السماء بمشقته عليه وصعوبته عنده. وهذا معنى قول ابن جريج(٦).

قرأ ابن كثير وحده:«كأنما يصعد»، خفيفة ساكنة الصاد بغير ألف، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي:«يصعد» مشددة العين بغير ألف، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر:«يصعد»، بألف مشددة الصاد، وروى حفص عن عاصم «يصعد»، مشددة بغير ألف مثل حمزة(٧).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما يجعل الله صدر مَنْ أراد إضلاله ضيقًا حرجًا، كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان فيجزيه بذلك، كذلك يسلّط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبَى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصدّه عن سبيل الحق"(٩).

وفي معنى :{ الرِّجْسَ} [الأنعام : ١٢٥]، خمسة أقوال:

أحدها : أنه ما لا خير فيه ، قاله مجاهد(١٠).

والثاني : أنه العذاب ، قاله ابن زيد(١١).
والثالث : السخط ، قاله ابن بحر(١٢).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٨٠):ص١٣٨٦/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٧٥):ص١٣٨٥/٤.
(٣) .انظر: النكت والعيون:١٦٥/٢
(٤) انظر: معاني القرآن:٣٥٤/١.
(٥) .انظر: النكت والعيون:١٦٥/٢
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٧٥):ص١٠٩/١٢، ولفظه:" "{كأنما يصعد في السماء}، من شدّة ذلك عليه".
(٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٨-٢٦٩.
(٨) التفسير الميسر:١٤٤.
(٩) تفسير الطبري:١١٠/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٧٨):ص١١١/١٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٠):ص١١١/١٢.
(١٢) انظر: النكت والعيون:١٦٦/٢.

والرابع : انه الشيطان ، قاله ابن عباس(١).
والخامس : أن «الرجس» و«النجس» واحد ، وهو قول بعض نحويي الكوفة، وحكاه عَلِيٌّ بن عيسى(٢).
وقال أبو عبيدة:"«الرجز» و«النجس» واحد، وهما: العذاب(٣).
قال الطبري:"والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس، ومَنْ قال إن«الرجس» و«النجس» واحد، للخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا دخل الخَلاء:«اللهُمّ إنّي أعوذ بك من الرجْس النِّجْس الخبيث المُخْبِثِ الشيطان الرَّجيم»(٤)، وقد بيَّن هذا الخبر أن«الرِّجْس» هو«النِّجْس»، القذر الذي لا خير فيه، وأنه من صفة الشيطان"(٥).
قال الطبري :" وفي هذه الآية أبينُ البيان لمن وُفّق لفهمهما، عن أن السبب الذي به يُوصل إلى الإيمان والطاعة، غير السبب الذي به يُوصل إلى الكفر والمعصية، وأن كلا السببين من عند الله. وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدرَ من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيِّقًا عن الإسلام حَرَجًا كأنَّما يصعد في السماء. ومعلومٌ أن شرح الصدر للإيمان خِلافُ تضييقه له، وأنه لو كان يوصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه، لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق، ولكان من ضُيِّق صدره عن الإيمان، قد شُرِح صدره له، ومن شرح صدره له، فقد ضُيِّق عنه، إذ كان مَوْصولا بكل واحد منهما- أعني من التضييق والشرح- إلى ما يُوصَل به إلى الآخر. ولو كان ذلك كذلك، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدرَ أبي جهل للإيمان به، وضيَّق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه. وهذا القول من أعظم الكفر بالله. وفي فساد ذلك أن يكون كذلك، الدليلُ الواضح على أن السَّبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسله، وأطاعه المطيعون، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون، وأن كِلا السببين من عند الله وبيده، لأنه أخبر جل ثناؤه أنه هوالذي يشرح صدرَ هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته، ويضيِّق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله"(٦).

الفوائد:

١- بيان سنة الله تعالى في الهداية والإضلال.
٢- بيان صعوبة وشدة ما يعاني الكافر إذا عرض عليه الإيمان.
٣- القلوب الكافرة يلقى فيها كل ما لا خير فيه من الشهوات والشبهات وتكون مقراً للشيطان.
٤- وفي الآية الكريمة، أجود الردود على دعوى المعتزلة بأن «العبد خالق لأفعال نفسه، ولا دخل لله فيها»!

قالت المعتزلة: إن الله لا يريد من العباد خلاف ما يأمر به. فالله لا يريد الشر والمعاصي، ولا يقدر شيئاً من ذلك، وعليه فالعبد خالق لأفعال نفسه، ولا دخل لله فيها.

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨١):ص١١١/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١١١/١٢-١١٢، والنكت والعيون:١٦٦/٢.
(٣) مجاز القرآن:٢٠٦/١.
(٤) أخرجه الطبري(١٣٨٨٢):ص١١٢/١٢، وغسناده صحيح، وقد رواه ابن ماجه في سننه(٢٩٩) ص : ١٠٩. باسناد ضعيف. في إسناده: عبيد الله بن زحر، وعلى بن يزيد ، عن القاسم". قال ابن حبان : "إذا اجتمع في إسناد خبر ، عبيد الله بن زحر ، وعلى بن يزيد ، عن القاسم ، فذاك مما عملته أيديهم !".
(٥) تفسير الطبري:١١٢/١٢.
(٦) تفسير الطبري:١٠٨/١٢-١٠٩.

والذي دفعهم إلى ذلك تسويتهم بين الإرادة العامة، وهي مشيئته المطلقة، وبين الإرادة الدينية وهي المتضمنة للمحبة والرضا، ولما لم يفرقوا بينهما قالوا: إن الله لا يرضى الكفر ولا يحبه، فهو لا يريده ولا يخلقه.

أما المحققون من أهل السنة فهداهم الله إلى الحق وفرقوا بينهما قائلين: إن الإرادة في كتاب الله نوعان[١]:

أحدهما: إرادة كونية قدرية، وهي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث، ومنها قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً} وكقول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهذه الإرادة هي التي يجب مرادها سواء أحبه الله ورضيه، أم لا.

والأخرى: إرادة دينية شرعية، وهي المتضمنة للمحبة والرضا ومنها قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} وهذه الإرادة لا يجب مرادها، ولذلك تجد الناس يقولون لمن يفعل القبائح هذا ما لا يحبه الله ولا يرضاه.

وهذا التقسيم وارد عن أعلام السلف، وبه يزول كل إشكال ويتضح المراد في هذه القضية، كما يظهر خطأ المعتزلة في ذلك ويتضح أن قولهم بأن العبد يخلق فعل نفسه باطل.

القرآن

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)} [الأنعام : ١٢٦]

التفسير:

وهذا الذي بيَّنَّاه لك -أيها الرسول- هو الطريق الموصل إلى رضا ربك وجنته. قد بينَّا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة.

قوله تعالى:{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا} [الأنعام : ١٢٦]، أي:" وهذا الذي بيَّنَّاه لك -أيها الرسول- هو الطريق الموصل إلى رضا ربك وجنته"[٢].

قال الزمخشري:أي:" وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا"[٣].

قال البغوي:" أي: هذا الذي بينا، وقيل هذا الذي أنت عليه يا محمد طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه مستقيما لا عوج فيه وهو الإسلام"[٤].

قال القرطبي:" أي: هذا الذي أنت عليه يا محمد والمؤمنون دين ربك لا اعوجاج فيه"[١].

---

(١)انظر ذلك بتفصيل في منهاج السنة النبوية ٣٥٩/١، ٣٦٠، وشفاء العليل ص٥٨٥- ٥٩٢، وشرح الطحاوية ص١٩٨، ١٩٩، ولوامع الأنوار البهية ٣٣٨/١.
(٢) التفسير الميسر:١٤٤.
(٣) الكشاف:٦٤/٢.
(٤) تفسير البغوي:١٨٧/٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهذا الذي بيّنا لك، يا محمد، في هذه السورة وغيرها من سور القرآن، هو طريق ربّك، ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينًا، وجعله مستقيمًا لا اعوجاج فيه، فاثبُتْ عليه، وحرِّم ما حرمته عليك، وأحلل ما أحللته لك"(٢).

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى طريقة الضالين عن سبيله ، الصادين عنها ، نبه على أشرف ما أرْسل به رسوله من الهدى ودين الحق فقال : { وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا } منصوب على الحال ، أي : هذا الدين الذي شرعناه لك يا محمد بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وهو صراط الله المستقيم ، كما تقدم في حديث الحارث ، عن علي -رضي الله عنه- في نعت القرآن : «هو صراط الله المستقيم ، وحبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم»(٣)"(٤).

قال أبو هلال العسكري:"«الصِّرَاط»: هو الطَّرِيق السهل"(٥).

قال الإمام الطبري:" أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن «الصراط المستقيم»، هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي(٦):

أميرُ المؤمنين عَلَى صِرَاطٍ إذا اعوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيم

يريد على طريق الحق.

ومنه قول الهُذلي أبي ذُؤَيْب(٧):

صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بالخَيْلِ حَتّى تركْنَاها أَدَقَّ مِنَ الصِّرَاطِ "(٨)

وفي تفسير «الصراط» -ها هنا- قولان :

أحدهما : يعني به: الإسلام، فهو الصراط المستقيم إلى الله تعالى ، قاله ابن عباس(٩)، والكلبي(١٠).

والثاني : يريد أن ما في القرآن من البيان هو الصراط المستقيم.

قال علي بن ابي طالب-كرّم الله وجهه-:"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الصراط المستقيم كتاب الله"(١).

---

(١) تفسير القرطبي:٨٣/٧.
(٢) تفسير الطبري:١١٣/١٢.
(٣)سنن الترمذي برقم (٢٩٠٨)، قال الترمذي : "هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال".
(٤) تفسير ابن كثير:٣٣٧/٣.
(٥) الفروق اللغوية: ٢٩٨/١، وانظر: النكت والعيون:١٦٧/٢، وتفسير القرطبي:١٤٧/١، والدر المصون:٦٤/١.
(٦)ديوانه: ٥٠٧، يمدح هشام بن عبد الملك. والموارد جمع موردة: وهي الطرق إلى الماء. يريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم، كما يسلكون الموارد إلى الماء..
(٧) نسبه الطبري في تفسيره:١٧٠/١، والبيت ليس في ديوانه، ونسبه القرطبي في تفسيره ١: ١٢٨ لعامر بن الطفيل، وليس في ديوانه، فإن يكن هذليا، فلعله من شعر المتنخل، وله قصيدة في ديوان الهذليين ٢: ١٨ - ٢٨، على هذه القافية. ولعمرو بن معد يكرب أبيات مثلها رواها القالي في النوادر ٣: ١٩١.
(٨) تفسير الطبري:٧٠/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٣):ص١١٣/١٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٦٧/٢.

قوله تعالى:{قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [الأنعام : ١٢٦]، أي:" قد بيَّنَّا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة"[٢].

قال قتادة:" نبين الآيات[٣].

قال ابن كثير:" أي : قد وضحناها وبيناها وفسرناها، لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله"[٤].

قال الطبري:" فقد بيّنا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته، لمن يتذكر ما احتجَّ الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها. وخص بها«الذين يتذكرون»، لأنهم هم أهل التمييز والفهم، وأولو الحجى والفضل"[٥].

قال أبو السعود:أي:"يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون أن كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان أو شرا فإنما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وأنه تعالى عالم بأحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لأنهم المنتفعون بتفصيل الآيات"[٦].

الفوائد:

١- الأمر بالاعتصام بكتاب الله المبين, والتمسك بحبله المتين، قال تعالى: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}.
٢- فضيلة الذكر المنتج للتذكر الذي هو الاتعاظ فالعمل.

القرآن

{لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)} [الأنعام : ١٢٧]

التفسير:

للمتذكرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة، وهو سبحانه ناصرهم وحافظهم جزاءً لهم; بسبب أعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الأنعام : ١٢٧]، أي:" للمتذكرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة"[٧].

قال أبو السعود:" أي: للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره، وهي الجنة"[٨].

قال البغوي:" أي: لهم دار السلامة من الآفات، وهي الجنة"[٩].

قال ابن كثير:" وهي : الجنة ، { عِنْدَ رَبِّهِمْ } أي : يوم القيامة"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٨٥):ص١٣٨٦/٤.
(٢) التفسير الميسر:١٤٤.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٨٦):ص١٣٨٦/٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٣٧/٣.
(٥) تفسير الطبري:١١٣/١٢.
(٦) تفسير أبي السعود:١٨٤/٣.
(٧) التفسير الميسر:١٤٤.
(٨) تفسير أبي السعود:١٨٤/٣.
(٩) تفسير البغوي:١٨٧/٣.

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره بقوله:{لهم}، للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها، ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك، فيصدِّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذاك.

وأما{دار السلام}، فهي دار الله التي أعدَّها لأوليائه في الآخرة، جزاءً لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله، وهي جنته. و«السلام»، اسم من أسماء الله تعالى"[٢].

وفي تسمية «الجنة» بدار السلام، وجهان :

أحدهما : لأنها دار السلامة الدائمة من كل آفة، قاله الزجاج[٣].

قال البغوي:" وسميت دار السلام لأن كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا"[٤].

والثاني : أن السلام هو الله، قال تعالى:{السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} [الحشر : ٢٣]، والجنة داره ، فلذلك سُمِّيَتْ دار السلام ، وهذا معنى قول الحسن[٥]، والسدي[٦].

وعن قتادة: "قوله: {لهم دار السلام عند ربهم}، قال: فداره الجنة"[٧].

وعن جابر بن زيد- في قوله: "{السلام}، قال: هو الله، وهو اسم من أسماء الله"[٨].

قال ابن كثير:" وإنما وصف الله الجنة هاهنا بدار السلام لسلامتهم فيما سلكوه من الصراط المستقيم ، المقتفي أثر الأنبياء وطرائقهم ، فكما سلموا من آفات الاعوجاج أفْضَوا إلى دار السلام"[٩].

وفي قوله :{عِندَ رَبِّهِمْ} [الأنعام : ١٢٧]، وجهان[١٠]:

أحدهما : أن دار السلام عند ربهم في الآخرة لأنها أخص به .

الثاني : معناه أن لهم عن ربهم أن ينزلهم دار السلام .

قال القرطبي:" معنى {عند ربهم}، أي: مضمونة لهم عنده يوصلهم إليها بفضله"[١١].

قال الزمخشري: {عند ربهم}، أي:" في ضمانه، كما تقول: لفلان عندي حق لا ينسى، أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها، كقوله:{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة : ١٧]"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٣٧/٣.
(٢) تفسير الطبري:١١٤/١٢.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢٩١/٢.
(٤) تفسير البغوي:١٨٧/٣.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٦٧/٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٤):ص١١٤/١٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٨٧):ص١٣٨٧/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٨٨):ص١٣٨٧/٤.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٣٧/٣-٣٣٨.
(١٠) انظر: الت والعيون:١٦٧/٢.
(١١) تفسير القرطبي:٨٣/٧.
(١٢) الكشاف:٦٤/٢.

قوله تعالى:{وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ١٢٧]، أي:" وهو سبحانه ناصرهم وحافظهم جزاءً لهم; بسبب أعمالهم الصالحة"[١].

قال الزمخشري: أي:"مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم، أو متوليهم بجزاه ما كانوا يعملون"[٢].

قال الطبري:" يقول: والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله، جزاءً بما كانوا يعملون من طاعة الله، ويتبعون رضوانه"[٣].

قال ابن كثير:" أي : والسلام - وهو الله - وليهم ، أي : حافظهم وناصرهم ومؤيدهم، {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، أي : جزاء على أعمالهم الصالحة تولاهم وأثابهم الجنة ، بمنّه وكرمه"[٤].

قال القرطبي:" {وهو وليهم}، أي: ناصرهم ومعينهم"[٥].

وقوله تعالى:{وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ١٢٧]، يحتمل وجهين[٦]:

أحدهما : وهو ناصرهم في الدنيا على إيمانهم .
الثاني : وهو المتولّي لثوابهم في الآخرة على أعمالهم .
نقل البغوي عن الحسين بن الفضل، قال: "يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء"[٧].

الفوائد:

١- أنه سبحانه وتعالى وليّ لكل من اتقاه وخافه، وجاء في دعاء موسى ـ عليه السلام ـ لربه:{أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ} [الأعراف : ١٥٥].
٢- أن الجنة سميت بدار السلامة، لأن الصائر إليها يسلم فيها من كل ما يكون في الدنيا من المرض والضعف والهرم والموت وما أشبه ذلك، وكذلك قوله عز وجل: {لهم دار السلام عند ربهم}. جمعني الله وإياكم في جنات مرضاته.
قال السعدي:" وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك، أن يكون نعيمها في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون"[٨].

ويجدر القول بأن للجنة أسماء:

١- الجنة: وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار، وما اشتملت عليه من أنواع النعيم، واللذّة، والبهجة، والسرور، وقرّة العين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية، ومنه سُمِّيَ الجنين لاستتاره في البطن، ومنه سُمِّي البستان: جَنة؛ لأنه

---

(١) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢) الكشاف:٦٤/٢.
(٣) تفسير الطبري:١١٤/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٣٨/٣.
(٥) تفسير القرطبي:٨٣/٧.
(٦) انظر: الت والعيون:١٦٧/٢.
(٧) تفسير البغوي:١٨٨/٣.
(٨) تفسير السعدي:٢٧٣.

يستر داخله بالأشجار ويغطيه، ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع(١).

والجنة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنات، والجنة كل بستان يستر بأشجاره الأرض(٢)، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ}[سبأ:١٥]، والحديقة: جمع "حدائق"، وهي الروضة ذات الشجر والنخيل، وهي البستان، وسُميت حديقة تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة، وحصول الماء فيها(٣). قال الله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا} [النبأ٣١ - ٣٢]، وقد ذكر الله تعالى الجنة في القرآن الكريم بلفظ المفرد "جنة" ستاً وستين مرة، ولفظ الجمع ((جنات)) تسعاً وستين مرة (٤).

٢- دار السلام، قال سبحانه: {لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ}[كالأنعام:١٢٧]. {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ} [يونس:٢٥]. فهي دار سلامٍ من كل بليَّةٍ وآفة(٥).

٣- دار الخلد، وسُمْيت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً، قال الله تعالى: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}[هود:١٠٨]، أي: غير مقطوع. وقال تعالى:

{ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ} [ق:٣٤]، وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا

مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ}[ص:٥٤].

٤- دار المقامة، قال الله تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر:٣٥].
٥- جنة المأوى، قال تعالى: {عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى}[النجم:١٥].
٦- جنات عدن، قال سبحانه: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ} [مريم:٦١].
٧- الفردوس، قال تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون:١٠-١١].
والفردوس: هو البستان الذي يجمع كل شيء يكون في البساتين(٦).

٨- جنات النعيم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ}[لقمان:٨]، وقال تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[القلم:٣٤].
٩- المقام الأمين، قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}[الدخان:٥١].
والمقام: موضع الإقامة.

والأمين: الآمن مِنْ كل سوءٍ، وآفةٍ، ومكروهٍ، وهو الذي قد جمع صفات الأمن كله(١).

---

(١)انظر: حادي الأرواح لابن القيم، ص١١١.

(٢)انظر: لسان العرب، ١٣/ ٩٩، ومفردات القرآن للأصفهاني، ص٢٠٤، والمصباح المنير، ١/ ١١٢.
(٣)انظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص٢٢٣، والقاموس المحيط، ص١١٢٧، وتفسير ابن كثير، ٤/ ٤٦٦.
(٤)انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٨٠ - ٨٢.
(٥)حادي الأرواح، ص١١٣ .
(٦) انظر: فتح الباري، ٦/ ١٣، والقاموس المحيط، ص٧٢٥.

١٠- مقعد صدق، قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}[القمر:٥٤-٥٥]، سمَّى الله تعالى الجنة مقعد صدق؛ لحصول كل ما يُراد من المقعد الحسن فيها، كما يُقال مودة صادقة، إذا كانت ثابتة تامة(٢).

القرآن

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)} [الأنعام : ١٢٨]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأولياءهم من شياطين الجن فيقول: يا معشر الجن قد أضللتم كثيرًا من الإنس، وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا قد انتفع بعضنا من بعض، وبلغنا الأجل الذي أجَّلْتَه لنا بانقضاء حياتنا الدنيا، قال الله تعالى لهم: النار مثواكم، أي: مكان إقامتكم خالدين فيها، إلا مَن شاء الله عدم خلوده فيها من عصاة الموحدين. إن ربك حكيم في تدبيره وصنعه، عليم بجميع أمور عباده.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأولياءهم من شياطين الجن"(٣).

قال الطبري: يعني:"ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثانَ والأصنامَ وغيرَهم من المشركين، مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يُوحون إليهم زخرف القول غرورًا ليجادلوا به المؤمنين، فيجمعهم جميعًا في موقف القيامة"(٤).

قال ابن كثير:"يعني: الجن وأولياءهم { مِنَ الإنْسِ } الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ، ويعوذون بهم ويطيعونهم ، ويوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا"(٥).

قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" فيقول الله تعالى: يا معشر الجن قد أضللتم كثيرًا من الإنس"(٦).

قال الطبري: يعني:"استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : من إضلالهم وإغوائهم ، كما قال تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } [يس : ٦٠ - ٦٢]"(٨).

وفي قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ} [الأنعام : ١٢٨]، قولان:

---

(١)حادي الأرواح لابن القيم، ص١١٦.
(٢) انظر: حادي الأرواح لابن القيم:١١٧.
(٣) التفسير الميسر:١٤٤.
(٤) تفسير الطبري:١٢/١١٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٣/٣٣٨.
(٦) التفسير الميسر:١٤٤.
(٧) تفسير الطبري:١٢/١١٥.
(٨) تفسير ابن كثير:٣/٣٣٨.

أحدهما : قد استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم ، قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وقتادة[٣]، ومجاهد[٤]، والفراء [٥]، والطبري[٦].

والثاني: قد استكثرتم من الإنس بإغوائكم لهم[٧].

قوله تعالى:{وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا قد انتفع بعضنا من بعض"[٨].

قال ابن كثير:" يعني : أن أولياء الجن من الإنس قالوا مجيبين لله تعالى عن ذلك بهذا"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} [الأنعام : ١٢٨]، ثلاثة تأويلات:

أحدها : معناه: الصحبة في الدنيا، استمتع بعضنا بصحبة بعض في التعاون والتعاضد. وهذا معنى قول محمد بن كعب[١٠].

والثاني : استمتع بعضنا ببعض فيما زينوه من اتباع الأهواء وارتكاب المعاصي. وهذا معنى قول الحسن[١١].

قال الحسن:"وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس"[١٢].

والثالث : أن الاستمتاع بهم ما كانوا عليه من التعوذ بهم كقوله تعالى:{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [الجن : ٦]، قال الحسن[١٣]، وابن جريج[١٤]، و الفراء [١٥].

ثم فيه وجهان[١٦]:

أحدهما : أنه استمتاع الإنس بالجن .

والثاني : أنه استمتاع الإنس بعضهم ببعض .

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٥):ص١١٥/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٨):ص١١٦/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٦):ص١١٥/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٧):ص١١٥/١٢.
(٥) انظر: معاني القرآن:٣٥٤/١.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١١٥/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٢.
(٨) التفسير الميسر:١٤٤.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٣٨/٣.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٤):ص١٣٨٨/٤.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٣):ص١٣٨٧/٤.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٩٣):ص١٣٨٧/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٠):ص١١٦/١٢.
(١٥) انظر: معاني القرآن:٣٥٤/١.
(١٦) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٢.

والثالث: أن الإنس استمتعوا بالجن ، والجن استمتعوا بالإنس في تعظيمهم إيّاهم، واعتقادهم أنهم يقدرون على النفع. ذكره الفراء [١]، والزجاج[٢]، والطبري[٣]، والماوردي[٤].

قال الفراء:"وأما استمتاع الجن بالإنس فما نالوا بهم من تعظيم الإنس إياهم، فكان الجن يقولون: سدنا الجن والإنس"[٥].

قال الزجاج:"والذي يدل عليه اللفظ - والله أعلم - هو قبول الإنس من الجن ما كانوا يغوونهم به لقوله: {استكثرتم من الإنس}، فأما من كان يقول هذا أعني يستعيذ بالجن فقليل"[٦].

قوله تعالى:{وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" وبلغنا الأجل الذي أجَّلْتَه لنا بانقضاء حياتنا الدنيا"[٧].

قال البغوي:"عني: القيامة والبعث"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قالوا: بلغنا الوقتَ الذي وقَّتَّ لموتنا، وإنما يعني جل ثناؤه بذلك: أنهم قالوا: استمتع بعضنا ببعض أيّام حياتنا إلى حال موتنا"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} [الأنعام : ١٢٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه الموت ، قاله الحسن[١٠]، والسدي[١١]، ومحمد بن كعب[١٢].

والثاني :معناه: أمرت الجن، وعملت الإنس. قاله الحسن[١٣].

والثالث: الحشر. ذكره الماوردي[١٤].

قوله تعالى:{قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" قال تعالى رداً عليهم: النارَ موضع مقامكم وهي منزلكم"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : مأواكم ومنزلكم أنتم وأولياؤكم"[١٦].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عمّا هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به في الدنيا الأوثان، ولقُرَنائهم من الجن، فأخرج الخبر عما هو كائنٌ،

---

(١) انظر: معاني القرآن:٣٥٤/١.
(٢) انظر: معاني القرآن:٢٩١/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١١٦/١٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٢.
(٥) معاني القرآن:٣٥٤/١.
(٦) معاني القرآن:٢٩١/٢.
(٧) التفسير الميسر:١٤٤.
(٨) تفسير البغوي:١٨٨/٣.
(٩) تفسير الطبري:١١٧/١٢.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩١):ص١١٧/١٢.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٦):ص١٣٨٨/٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٥):ص١٣٨٨/٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٢.
(١٥) صفوة التفاسير:٣٨٨/١.
(١٦) تفسير ابن كثير:٣٣٩/٣.

مُخْرَج الخبر عما كان، لتقدُّم الكلام قبلَه بمعناه والمراد منه، فقال: قال الله لأولياء الجن من الإنس الذين قد تقدَّم خبرُه عنهم: {النار مثواكم} ، يعني نار جهنم {مثواكم}، الذي تثوون فيه، أي: تقيمون فيه"[١].

قال الماوردي:" {النَّارُ مَثْوَاكُمْ}، أي: منزل إقامتكم ، لأن المثوى الإقامة ، ومنه قول الشاعر[٢]:

لقد كان في حول ثواءً ثويته تقضي لبانات وتسأم سائم"[٣]

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" ماكثين في النار في حال خلودٍ دائم إلا الزمان الذي شاء الله أن لا يخلدوا فيها"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ماكثين مكثًا مخلدًا إلا ما شاء الله"[٥].

قال الطبري:" يقول: لابثين فيها ،{إلا ما شاء الله}، يعني: إلا ما شاء الله من قَدْر مُدَّة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم، فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار"[٦].

وفي معنى «إلا» في قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأنعام : ١٢٨]، وجوه:

أحدها : أنها بمعنى«لكن»، قاله سيبويه[٧].

والثاني : أنها بمعنى «سوى» ، قاله الفراء [٨].

والثالث :أنها بمعنى«من»، وهذا مروي عن ابن عباس[٩].

ذكروا عن ابن عباس: "استثنى الله قوماً قد سبق في علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبي - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به"[١٠].

قال الخازن: "نقل جمهور المفسرين عن ابن عباس أن هذا الاستثاء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون النبي - صلى الله عليه وسلم - فيخرجون من النار، قالوا: و {ما} تكون بمعنى «من»[١١]على هذا التأويل"[١٢].

والرابع: أنها مستعملة على حقيقتها ، وهو قول الجمهور[١].

---

(١) تفسير الطبري:١١٧/١٢.
(٢) البيت للأعشى في ديوانه ص ٥٦ والكتاب ١/ ٣٧٦- والكامل للمبرد ٣٩٤، والشنتمرى ١/ ٤٢٣، وابن يعيش ١/ ٣٨٦، وشواهد المغني ٢٩٧. - ثواء: الثواء:
الإقامة، بالجر، قال ثعلب: وأبو عبيدة يخفضه. والنصب أجود ومن روى «تقضى لبانات» فإنه ينبغى أن يرفع «ثواء» (شرح الديوان).
(٣) النكت والعيون:١٦٨/٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٨٨/١.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٣٩/٣.
(٦) تفسير الطبري:١١٨/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٢. ولم اجده في "الكتاب".
(٨) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٢. ولم اجده في معاني القرآن.
(٩)ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١١٩، والبغوي ٣/ ١٨٩، والرازي ١٣/ ١٩٢.
(١٠)ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١١٩، والبغوي ٣/ ١٨٩، والرازي ١٣/ ١٩٢.
(١١)أي: التي للعقلاء، وساغ وقوعها هنا؛ لأن المراد بالمستثنى نوع وصنف، وما تقع على أنواع من يعقل، أفاده السمين في "الدر" ٥/ ١٥١.
(١٢) تفسير الخازن: ٢/ ١٨٣.

وفي هذا الاستثناء ثلاثة أقاويل[٢]:

أحدها : أن مدة الاستثناء هي مدة العرض في القيامة وذلك ما بين بعثهم من قبورهم إلى حين مصيرهم إلى جهنم ، فكأنه قال : النار مثواكم خالدين فيها إلا هذه المدة التي ذكرها ، فإنهم فيها غير خالدين في النار. وهذا قول الطبري[٣]، والزجاج[٤].

والثاني : معناه خالدين فيها إلا ما شاء الله من تجديد جلودهم بعد إحراقها وتصريفهم في أنواع العذاب أو تركهم فيها على حالتهم الأولى ، فيكون الاستثناء في صفة العذاب لا في الخلود في النار. ذكره الزجاج[٥].

والثالث : أنه جعل أمرهم في مبلغ عذابهم ومدته إلى مشيئته تعالى ، قاله ابن عباس[٦] ، قال :"إن هذه الآية: آية لا ينبغي لأحدٍ أن يحكم على الله في خلقه، أن لا ينزلهم جنَّةً ولا نارًا"[٧].

قال الزمخشري:" {إلا ما شاء الله}، أى: يخلدون في عذاب النار الأبد كله، إلا ما شاء الله، إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير، فقد روى أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض، فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم. أو يكون من قول الموتور[٨] الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه. أهلكنى الله إن نفست عنك إلا إذا شئت، وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد، فيكون قوله: إلا إذا شئت، من أشد الوعيد، مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" إن ربك حكيم في تدبيره وصنعه، عليم بجميع أمور عباده"[١٠].

قال الطبري:أي:"{حكيم}، في تدبيره في خلقه، وفي تصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال، وغير ذلك من أفعاله ، {عليم}، بعواقب تدبيره إياهم، وما إليه صائرةُ أمرهم من خير وشر"[١١].

قال الزمخشري:" {حكيم}، لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة،{عليم}، بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد"[١٢].

قال أبو السعود:أي:" {حكيم} في أفاعيله {عليم} بأحوال الثقلين وأعمالهم وبما يليق بها من الجزاء"[١٣].

---

(١) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١١٨/١٢.
(٤) انظر: معاني القرآن:٢٩١/٢-٢٩٢.
(٥) انظر: معاني القرآن:٢٩١/٢-٢٩٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٢):ص١١٨/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٨٩٢):ص١١٨/١٢.
(٨)الموتور: المظلوم.
(٩) الكشاف:٦٠/٢-٦١.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٤.
(١١) تفسير الطبري:١١٨/١٢.
(١٢) الكشاف:٦١/٢.
(١٣) تفسير أبي السعود:١٨٥/٣.

قال البغوي:"قيل: عليم بالذي استثناه وبما في قلوبهم من البر والتقوى"[١].

الفوائد:

١- ثبوت التعاون بين أخباث الإنس والجن على الشر والفساد.
٢- أن التعامل مع الجن لا يجوز - ولو كان مسلما-[٢]، ودلت لذلك أمور:

- أولا:- أن استمتاع الجني بالإنسي؛ والإنسي بالجني محرم في نصوص الكتاب والسنة. قال تعالى: {ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الأنس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم} [الأنعام:١٢٨]، ولم يأت ما يخصص هذه الآية، والاستعاذة بهم هي من جنس الاستمتاع بهم.
- ثانيا:- أن تسخير الجن هو مما خص به سليمان عليه السلام، ولا يجوز لأحد بعده. كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: "إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي؛ فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان {قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب} [ص:٣٥] فرددته خاسئا"[٣].

  قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :وفي هذا إشارة إلى أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام"[٤].
- ثالثا:- أن النبي صلى الله عليه وسلم حين دعا الجن إلى الإسلام نهى ابن مسعود عن تكليمهم، ونهاه أن يبرح مكانه، فهو يدل على منع التعامل معهم، كما في الحديث (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء ثم انصرف فأخذ بيد عبد الله بن مسعود حتى خرج به إلى بطحاء مكة فأجلسه ثم خط عليه خطا، ثم قال: "لا تبرحن خطك؛ فإنه سينتهي إليك رجال؛ فلا تكلمهم فإنهم لا يكلموك"[٥].

  وفي صحيح مسلم عن سهيل بن أبي صالح قال: "أرسلني أبي إلى بني حارثة - ومعي غلام لنا أو صاحب لنا - فناداه مناد من حائط باسمه، قال: وأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئا، فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة، فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى

---

(١) تفسير البغوي:١٨٩/٣.
(٢)ولو كان المقصود هو استخدام الجن المسلم بغرض العلاج من المس، أو في قضاء حاجات المسلمين، وذلك لكونه مخالفا للسنة العملية للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه الكرام. انظر أشرطة فتاوى سلسلة الهدى والنور (ش٤٥٥) للشيخ الألباني رحمه الله، وانظر أيضا أشرطة شرح العقيدة الواسطية (ش٢٨) للشيخ صالح الفوزان حفظه الله، وانظر أيضا أشرطة شرح العقيدة الواسطية (ش٤) للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، خلافا لما نقل عن شيخ الإسلام رحمه الله في جواز ذلك - أو ما قد يفهم في جواز ذلك - كما هو مذكور في مجموع الفتاوى (٨٧/ ١٣) حيث قال رحمه الله: (النوع الثالث: أن يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الإنس في مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الإنس وينهاهم، وهذه حال نبينا صلى الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدى به من أمته؛ وهم أفضل الخلق، فإنهم يأمرون الإنس والجن بما أمرهم الله به ورسوله). وراجع لزاما كلام الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في أشرطة شرح العقيدة الطحاوية (ش٤٩) في بيان توجيه كلام شيخ الإسلام رحمه الله.
(٣)البخاري (٣٤٢٣).
(٤) فتح الباري:٤٥٩/ ٦..
(٥)صحيح. الترمذي (٢٨٦١). صحيح الترمذي (٢٨٦١).

الله عليه وسلم أنه قال: إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولى وله حصاص"[١]. والحصاص هو الضراط.

وفي الأثر أن عمر رضي الله عنه كان يقول على المنبر: "يا أيها الناس! أصلحوا عليكم مثاويكم، وأخيفوا هذه الجنان قبل أن تخيفكم، فإنه لن يبدو لكم مسلموها، وإنا والله ما سالمناهن منذ عاديناهن"[٢]، والشاهد منه (فإنه لن يبدو لكم مسلموها).

- رابعا:- أن الجن في زمن النبوة كان منهم من لقي النبي صلى الله عليه وسلم، واستمع إليه، وأسلم معه[٣]، ومعلوم أن عندهم من القدرات والإمكانات التي أعطاهم إياها الله تعالى ما ليس لغيرهم؛ وقد مضى زمن النبوة وزمن الصحابة[٤] ولم يجر فيه الاستعانة بالجن - حتى المسلم منها -، فكان هذا الأمر بمثابة إجماع منهم على عدم مشروعيته. والله تعالى أعلم[٥].
- خامسا:- سدا لذريعة الافتتان بهم: والفتنة هي من وجوه:

أ- أن الشياطين الأصل فيهم الكذب، فلا يؤمن كذب من يزعم منهم أنه مسلم أو صالح؛ فهم يوقعون العداوة بين الناس في كذبهم.

ب- أن الشياطين لهم استدراج فيتدرجون من مباح إلى مكروه إلى محرم إلى شرك، كما قال تعالى: {يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين} (البقرة:١٦٨).

ت- أن الاستعانة بهم - وهم غير مشاهدون لنا - يعني الاستغاثة بهم في جميع الأحوال، وهذا يماثل فعل المشركين مع آلهتهم ومع الجن، فقول أحدهم: (أغثني يا فلان - باسم الجني -) أو (أعوذ بفلان وفلان - من الجن -) وبزعم أنه حي حاضر قادر؛ هذا ذريعة للشرك، إن لم يكن هو الشرك.

فالله تعالى بين في سورة الجن ضلال أولئك الذين كانوا يستعيذون بمردة الجن من سائر الجن، والاستعاذة طلب واستعانة، ولم يكونوا يقولون هذا إلا إذا نزلوا في الأودية! فلا يمتنع أن يكون كبير الجن يسمع كلامهم؛ وهم لم يطلبوا منه ما لا يستطيعه؛ ومع ذلك بين الله تعالى ضلالهم[٦][٧].

---

(١)صحيح مسلم (٣٨٩). وأبو صالح السمان هو ذكوان: تابعي من الوسطى، وهو ثقة ثبت. والشاهد هنا قول ذكوان :"لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك".

(٢)حسن. صحيح الأدب المفرد (٣٤٧).

(٣)كما في قوله تعالى عنهم في سورة الجن: {وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا} [الجن:١٣].

(٤)وى أحمد رحمه الله في كتاب (فضائل الصحابة) (ص٣٠٤) عن أبي موسى الأشعري؛ أنه أبطأ عليه خبر عمر؛ وكان هناك امرأة لها قرين من الجن، فسأله عنه، فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة. وإسناده ضعيف. وفي خبر آخر أن عمر أرسل جيشا فقدم شخص إلى المدينة فأخبر أنهم انتصروا على عدوهم وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذلك فذكر له، فقال: (هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجن، وسيأتي بريد الإنس بعد ذلك)، فجاء بعد ذلك بعدة أيام. أورده بدر الدين الشبلي في كتاب (آكام المرجان في أحكام الجان) (ص ١٣٩) بدون سند. انظر كتاب (المنتخب من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية) (ص٩٩) للشيخ علوي السقاف..

(٥)قال ابن مفلح في كتابه (الآداب الشرعية) (١٩٨/ ١): (قال أحمد رحمه الله في الرجل يزعم أنه يعالج المجنون من الصرع بالرقى والعزائم، أو يزعم أنه يخاطب الجن ويكلمهم، ومنهم من يخدمه؛ قال: ما أحب لأحد أن يفعله، تركه أحب إلي)، وهذا يراد به التحريم، كما هو المعلوم من نصوص الإمام أحمد وألفاظه.
قلت: ومثله قوله أيضا: (أكره ذبائح الجن) ومراده التحريم.

(٦) انظر: التوضيح الرشيد في شرح التوحيد:٩١-٩٢.

(٧)فائدة: وأما زعم بعضهم - عندما يصطدم بنصوص المنع السابقة التي تمنع من التعامل مع الجن إطلاقا - أنه يتعامل مع الملائكة؛ وأنه يستعين بهم على قضاء حاجات الناس؛ فهو زعم باطل لم يدل عليه الشرع، وإنما أخبر الله تعالى في كتابه أن الملائكة خلق مطيع له سبحانه يعملون بأمره سبحانه وتعالى، فقال تعالى: {وقالوا اتخذ

٣- أن كفرة الجن يدخلون النار كما يدخلها كفرة الإنس، فالجن مكلفون كالإنس، كما قال تعالى :{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات : ٥٦]. وفي يوم القيامة يحشر الجن والإنس على حد سواء: {ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس} [الأنعام: ١٢٨] ، {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا(٦٨)ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا(٦٩)ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا} [مريم :٦٨- ٧٠]

ثم يقال للكفرة منهم: {ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ} [الأعراف : ٣٨] ، وعند ذلك يكبكبون في النار: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ(٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} [الشعراء :٩٤- ٩٥]، وبذلك تتم كلمة الله القاضية بملء النار من كفرة الجن والإنس{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [هود : ١١٩]، {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [فصلت : ٢٥][(١)].

٤- إرادة الله مطلقة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يؤثر فيها شيء.
٥- ومن الفوائد: إثبات اسمين من أسماء الله. وهما «الحكيم»«العليم»:

- فـ«الحكيم»:"هو المحكم لخلق الأشياء. صرف عن مفعل إلى فعيل، كقولهم: أليم بمعنى: مؤلم، وسميع بمعنى: مسمع؛ كقوله -جل وعز-: {آلر، تلك آيات الكتاب الحكيم} [يونس:١] وقال في موضع آخر: {كتاب أحكمت آياته} [هود: ١]، فدل على أن المراد بـ«الحكيم هنا الذي أحكمت آياته، صرف عن مفعل إلى فعيل.

ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها. إذ ليس كل الخليقة موصوفا بوثاقة البنية، وشدة الأسر كالبقة، والنملة، وما أشبههما من ضعاف الخلق، إلا أن التدبير فيهما، والدلالة بهما على كون الصانع وإثباته، ليس بدون الدلالة عليه بخلق السموات والأرض والجبال وسائر معاظم الخليقة، وكذلك. هذا في قوله -جل وعز-: {الذي أحسن كل شيء خلقه} [السجدة:٧] لم تقع الإشارة به إلى الحسن الرائق في المنظر، فإن هذا المعنى معدوم في القرد، والخنزير، والدب، وأشكالها من الحيوان، وإنما ينصرف المعنى فيه إلى حسن التدبير في إنشاء كل شيء من خلقه على ما أحب أن ينشئه عليه وإبرازه على الهيئة التي أراد أن يهيئه عليها. كقوله [تعالى]: {وخلق كل شيء فقدره تقديرا} [الفرقان:٢] [(٢)].

- و«العليم»: من أسمائه -عزّ وجل-، والْعِلْمُ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ للهِ عَزَّ وجلَّ، ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[(٣)].

قال الخطابي:" «العليم»: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. كقوله تعالى: {إنه عليم بذات الصدور} [لقمان:٢٣]. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال -سبحانه-: {وفوق كل ذي علم عليم} [يوسف:٧٦]. والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد

الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون} (الأنبياء:٢٧)، ولا يخفى أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، فالملائكة لا تعمل شيئا من تلقاء نفسها أصلا إلا أن يأمرها الله تعالى به.

(١) انظر: الجنة والنار:٦٠.
(٢) انظر:شأن الدعاء:١/٧٢-٧٣.
(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١/١٨٨.

منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله -سبحانه- علم حقيقة، وكمال {قد أحاط بكل شيء علما} [الطلاق:١٢]، {وأحصى كل شيء عددا} [الجن: ٢٨]"[١].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)} [الأنعام : ١٢٩]

التفسير:

وكما سلَّطْنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم، نسلِّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا; بسبب ما يعملونه من المعاصي.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} [الأنعام : ١٢٩]، أي:" وكما سلَّطْنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم، نسلِّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا"[٢].

قال البغوي:"قيل: أي: كما خذلنا عصاة الجن والإنس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا، أي: نسلط بعضهم على بعض، فنأخذ من الظالم بالظالم، كما جاء: «من أعان ظالما سلطه الله عليه»[٣]"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} [الأنعام : ١٢٩]، خمسة تأويلات:

أحدها : معناه وكذلك نَكِلُ بعضهم إلى بعض ، فلا نعينهم ، ومن سُلِبَ معونة الله كان هالكاً[٥].
والثاني : وكذلك نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر. وهذا معنى قول قتادة، قال:"وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن وليُّ المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر وليُّ الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتَّمنِّي ولا بالتحَلِّي"[٦].

والثالث : وكذلك نولّي بعضهم عذاب بعض في النار[٧].
والرابع معناه أن بعضهم يتبع بعضاً في النار من الموالاة وهي المتابعة ، قاله قتادة -أيضا-[٨].
والخامس : تسليط بعضهم على بعض بالظلم والتعدي ، قاله ابن زيد[٩].
قال مالك بن دينار : "قرأت في الزبور : إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ، ثم أنتقم من المنافقين جميعا ، وذلك في كتاب الله قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا }"[١٠].

---

(١) شأن الدعاء:٥٧.
(٢) التفسير الميسر:١٤٤.
(٣)قال في اللآلئ: "ذكره صاحب الفردوس بسنده من حدديث ابن مسعود" وقال في المقاصد الحسنة: رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن مسعود رفعه، وفيه: ابن زكريا العدوي، متهم بالوضع، فهو آفته. وأورده الديلمي في الفردوس بلا سند عن ابن مسعود. انظر: كشف الخفاء: ٢ / ٢٩٧-٢٩٨، فيض القدير: ٦ / ٧٢، تمييز الطيب من الخبيث، ص (١٧٧) .
(٤) تفسير البغوي:١٨٩/٣.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٣٨٩٣):ص١١٩/١٢.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٦٩/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٤):ص١١٩/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٥):ص١١٩/١٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٠١):ص١٣٨٩/٤، وانظر:تفسير ابن كثير:٣٣٩/٣.

وعن ابن مسعود مرفوعا : "من أعان ظالما سلطه الله عليه"[١].
قال ابن كثير:" وهذا حديث غريب ، وقال بعض الشعراء[٢]:
وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ

ومعنى الآية الكريمة : كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغْوَتهم من الجن ، كذلك نفعل بالظالمين ، نسلط بعضهم على بعض ، ونهلك بعضهم ببعض ، وننتقم من بعضهم ببعض ، جزاء على ظلمهم وبغيهم"[٣].

وذكر البغوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية :"هو: أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى أمرهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شرا ولى أمرهم شرارهم"[٤].

قال الطبري:"وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قولُ من قال: معناه: وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعضٍ أولياء. لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين، فقال جل ثناؤه: {وقال أولياؤهم من الإنس ربّنا استمتع بعضنا ببعض}، وأخبر جل ثناؤه: أنّ بعضهم أولياء بعض، ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضًا بتوليته إياهم، فقال: وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والإنس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض، كذلك نجعل بعضَهم أولياء بعض في كل الأمور"[٥].

قوله تعالى:{بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأنعام : ١٢٩]، أي:" بسبب ما يعملونه من المعاصي"[٦].

قال الطبري:أي:" من معاصي الله ويعملونه"[٧].
قال الزمخشري:أي:" بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي"[٨].
الفوائد:

١- بيان سنة الله تعالى في أن الأعمال هي سبب الموالاة بين الإنس والجن فذو العمل الصالح يوالي أهل الصلاح، وذو العمل الفاسد يوالي أهل الفساد.
٢- وفي الآية الكريمة بيان لطريق الخلاص من ظلم الحكام، وهو أن يتوب المسلمون إلى ربهم ويربوا أنفسهم وأهليهم على الإسلام الصحيح تحقيقا لقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد : ١١].

وفي هذا المعنى: روي عن صعصعة بن صوحان، قال: "خطبنا علي رضي الله عنه حين ضربه ابن ملجم، فقلنا: يا أمير المؤمنين، استخلف علينا، فقال: أتركم كما تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا: يا رسول الله، استخلف علينا، فقال: «إن

---

(١)ذكره ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق (١٥٣/١٤)، وابن كثير في تفسيره:٣٣٩/٣، ورجاله ثقات ، وعاصم فيه كلام يسير.
(٢) من شواهد ابن كثير في تفسيره٣٣٩/٣.
ومن ذلك قول الشاعر:
لكل شئ آفة من جنسه حتى الحديد سطا عليه المُبردُ
[كنز الدرر وجامع الغرر:٩١/٨]
(٣) تفسير ابن كثير:٣٣٩/٣-٣٤٠.
(٤) تفسير البغوي:١٨٩/٣.
(٥) تفسير الطبري:١٢٠/١٢.
(٦) التفسير الميسر:١٤٤.
(٧) تفسير الطبري:١٢٠/١٢.
(٨) الكشاف:٦٦/٢.

يعلم الله فيكم خيرا يول عليكم خياركم»، قال علي: «فعلم الله فينا خيرا فولى علينا أبا بكر رضي الله عنه"[١].

القرآن

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)} [الأنعام : ١٣٠]

التفسير:

أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم -وظاهر النصوص يدلُّ على أنَّ الرسل من الإنس فقط-، يخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الإنس والجن: شَهِدْنا على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، وخدعت هؤلاء المشركين زينةُ الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى ومكذبين لرسله عليهم السلام.

قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} [الأنعام : ١٣٠]، أي:" أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم، يخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر"[٢].

قال ابن كثير:" وهذا أيضا مما يُقرع الله به سبحانه وتعالى كافري الجن والإنس يوم القيامة ، حيث يسألهم - وهو أعلم - : هل بلغتهم الرسل رسالاته ؟ وهذا استفهامُ تقرير : { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ } أي : من جملتكم"[٣].

واختلفوا في الرسالة إلى الجن على ثلاثة أقوال:

أحدها : ان الله بعث إلى الجن رسلاً منهم ، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم ، قاله الضحاك[٤]، وهو ظاهر الكلام .
والثاني : أن الله لم يبعث إليهم رسلاً منهم ، وإنما جاءتهم رسل الإنس، وهذا قول ابن جريج[٥]، والفراء[٦]، والزجاج[٧]، ولا يكون الجمع في قوله:{أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} مانعاً من أن يكون الرسل من أحد الفريقين ، كقوله تعالى :{يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلُؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]، وإنما هو خارج من أحدهما.
قال الفراء:"فيقول القائل: إنما الرسل من الإنس خاصة، فكيف قال للجن والإنس {منكم} ؟

---

(١) المستدرك(٤٦٩٨):ص١٥٦/٣.
(٢) التفسير الميسر:١٤٤.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٤٠/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٦):ص١٢١/١٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٧):ص١٢١/١٢.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣٥٤/١.
(٧) انظر: معاني القرآن:٢٩٢/٢.

قيل: هذا كقوله: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} [الرحمن : ١٩]. ثم قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]، وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب. فكأنك قلت: يخرج من بعضهما، ومن أحدهما"[١].

وقال الزجاج:" قال: (رسل منكم) وإنما المرسل من الإنس دون الجن، فإنما جاز ذلك

لأن الجماعة تعقل وتخاطب، فالرسل: هم بعض من يعقل، وهذا كقوله: عز وجل: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]، وإنما يخرج ذلك من الملح، أي: البحر الذي ليس بعذب، فقال منهما لأن ذكرهما قد جمع.

فهذا جائز في اللغة، في كل ما اتفق في أصله كما اتفقت الجن مع الإنس في باب التمييز"[٢].

والثالث : أن رسل الجن هم الذين لمَّا سمعوا القرآن:{وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} [الأحقاف : ٢٩] ، قاله ابن عباس[٣]، وبه قال مجاهد[٤].

قال ابن عباس:"هم الجن لقُوا قومهم، وهم رسل إلى قومهم[٥].

ونقل ابن كثير: "الرسل من بني آدم ، ومن الجن نُذُر"[٦].

قال مجاهد:" ليس في الجن رسل، إنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجن، وقرأ:{فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}[٧]"[٨].

قال أهل العلم:"وظاهر النصوص يدلُّ على أنَّ الرسل من الإنس فقط"[٩].

قال ابن كثير:" والرسل من الإنس فقط ، وليس من الجن رسل ، كما قد نص على ذلك مجاهد ، وابن جُرَيْج ، وغير واحد من الأئمة ، من السلف والخلف.. والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا } إلى أن قال : { رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء : ١٦٣ - ١٦٥] ، وقال تعالى عن إبراهيم : { وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ } [العنكبوت : ٢٧] ، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس : إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل-عليه السلام- ثم انقطعت عنهم ببعثته. وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ } [الفرقان : ٢٠] ، وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } [يوسف : ١٠٩] ، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ؛ ولهذا قال تعالى إخبارًا عنهم : { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } [الأحقاف : ٢٩ - ٣٢]، وقد جاء في الحديث - الذي رواه الترمذي وغيره - أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) معاني القرآن:٣٥٤/١.
(٢) انظر: معاني القرآن:٢٩٢/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٧):ص١٢١/١٢.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٩٠٣):ص١٣٨٩/٤.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٨٩٧):ص١٢١/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٤٠/٣.
(٧)[الأحقاف : ٢٩].
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٩٠٣):ص١٣٨٩/٤.
(٩) التفسير الميسر:١٤٤.

وسلم تلا عليهم سورة «الرحمن»[1] وفيها قوله تعالى:{ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } [الآيتان : ٣١ ، ٣٢].

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا } أي : أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك ، وأنذرونا لقاءك ، وأن هذا اليوم كائن لا محالة"[2]

وقد اختلف العلماء في ثواب مؤمني«الجن»، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم. وهو قول أبي حنيفة[3]، وأبي الزناد[4]، وحكاه سفيان الثوري عن الليث بن أبي سليم[5]، وهو رواية عن مجاهد[6]، وبه قال الحسن البصري[7].

واستدل هذا الفريق بقوله تعالى إخباراً عن النفر من الجن الذين استمعوا القرآن: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٣١].

ووجه استدلالهم بها: أن المغفرة للذنوب لا تستلزم الإثابة لأنه ستر، والإثابة بالوعد فضل[8].

وقال ابن القيم: "واحتج هؤلاء بهذه الآية فجعل غاية ثوابهم إجارتهم من العذاب الأليم"[9]. والآية قد دلت على إجارتهم من النار ولم تذكر دخولهم الجنة، أو الثواب على أعمالهم.

القول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة بدخول الجنة، على خلاف في حالهم فيها،وهذا قول ابن عباس[10]، والحسن[11]، والضحاك[12]، وضمرة بن الحبيب[13]، ووهب بن منبه[14]، وإليه ذهب الأئمة: مالك[15], والشافعي[16], وأحمد[17], وأصحابهم [1]، وابن أبي ليلى[2]، ورجحه القرطبي[3]، وهو قول أكثر المفسرين[4].

---

(١)) سنن الترمذي برقم (٣٢٩١).
(٢) تفسير ابن كثير:٣/٣٤٠-٣٤١.
(٣) انظر: الكشف والبيان:٩/٢٣، وطريق الهجرتين وباب السعادتين:٤١٨، و تفسير القرطبي:١٦/٢١٧، و الأشباه والنظائر:٣٣٠.
(٤) انظر: تفسير البغوي:٧/٢٧٠.
(٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٩/٢٣، وانظر: تفسير البغوي:٧/٢٧٠، وانظر: الدر المنثور:٣/٣٦٠.
(٦) انظر: تفسير القرطبي:١٩/٥.
(٧) انظر: تفسير القرطبي:١٦/٢١٧.
(٨) الأشباه والنظائر:٣٢٦.
(٩)طريق الهجرتين وباب السعادتين:٤٢٧.
(١٠)أخرجه أبو الشيخ كما في الدر المنثور:٣/٣٦٠، وفيه:" الخلق أربعة: فخلق في الجنة كلهم وخلق في النار كلهم، وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم: فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم: فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار: فالجن والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب".
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٣/٣٦١.
(١٢) أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:٩/٢٣، وخرجه السيوطي في الدر المنثور:٣/٣٦٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٣/٦٥.
(١٤)أخرجه السيوطي في الدر المنثور:٣/٣٦٠، عن أبي الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه.
(١٥) انظر: الكشف والبيان:٩/٢٣، ومجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.
(١٦) انظر: مجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.
(١٧) انظر: مجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.

القول الثالث: التوقف في المسألة.

قال الألوسي: "قال الكردي: وهو في أكثر الروايات. وفي فتاوى أبي إسحاق الصفار أن الإمام - أبا حنيفة - يقول: لا يكونون في الجنة ولكن في معلوم الله تعالى، لأنه لا استحقاق للعبد على الله تعالى، ولم يقل بطريق الوعد في حقهم إلا المغفرة والإجارة من العذاب، أما نعيم الجنة فموقوف على الدليل"(٥).

وعلق القشيري على هذا الخلاف فقال: "والصحيح أن هذا - أي دخولهم الجنة - مما لم يقطع فيه بشيء. والعلم عند الله"(٦).

وقد اختلف الجمهور من المسلمين القائلين بثواب المؤمنين من الجن في الآخرة في كيفية الثواب، على أقوال:

أحدها: أنهم في الجنة ويصيبون من نعيمها. وهذا قول الأكثرين (٧).
قال ابن كثير: "والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف، وقد استدل لهذا بقوله -عز وجل-: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}، وفي هذا الاستدلال نظر. وأحسن منه قوله جل وعلا: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} .."(٨).
والثاني: أنهم يكونون في ربض الجنة، حكي ذلك عن الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩). وذكره الألوسي عن الإمام مالك وطائفة من العلماء(١٠).

وقال ابن تيمية: "وروي في حديث رواه الطبراني: أنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم"(١١).

وذكر ابن القيم أن سهل بن عبد الله قال: "بأنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم المؤمنون من حيث لا يرونهم"(١٢).

والثالث: أنهم على الأعراف بين الجنة والنار، ذكره الألوسي (١٣).

ومقتضى هذا القول أنهم يدخلون الجنة فيما بعد، إذ أن هذا هو نهاية أصحاب الأعراف.

والرابع: أنهم يلهمون التسبيح والذكر، فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة. رواه ابن نجيم عن الضحاك(١).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣/٩، والسيوطي في الدر المنثور:٣٦٠/٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢١٨/١٦، و١٦٧/١٧.
(٤) انظر: تفسير البغوي:٢٧٠/٧، ومفاتيح الغيب:٢٩/٢٨، وتفسير القرطبي:٢١٨/١٦، وتفسير الخازن:١٣٧/٤، وتفسير النيسابوري:١٢٥/٦، وتفسير الثعالبي:٢٢٥/٥، وغيرها.
(٥)روح المعاني:٢٧/ ١٢، ٢٦/ ٣٢.
(٦)تفسير القرطبي:١٦/ ٢١٨.
(٧) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين:ص: ٤١٨.
(٨) تفسير ابن كثير: ٦/ ٣٠٥.
(٩) انظر: تفسير البغوي:٢٧٠/٧.
(١٠) انظر: تفسير روح المعاني:٢٧/ ١٢٠، والأشباه والنظائر:٢/ ٣٣٠.
(١١)مجموع فتاوى ابن تيمية:٤/ ٢٣٣. ولم نقف على حديث الطبراني هذا.
(١٢)طريق الهجرتين وباب السعادتين: ٤١٨.
(١٣) انظر: روح المعاني:١٢٠/٢٧.

ولكن المشهور عن الضحاك :"أن الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون"[٢].

وهو ما نقله الفخر الرازي عنه إذ يقول: "قال الضحاك: يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، والدليل على صحة هذا القول: أن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن"[٣].

وعقب الفخر الرازي على ذلك بقوله: "والفرق بين البابين بعيد"[٤]. يقصد: ثواب الإنس وثواب الجن.

وقال القرطبي: "واختلفوا في دخول مؤمني الجن الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال: يدخلون الجنة بإيمانهم، ومن قال: إنهم من ذرية إبليس فلهم فيه قولان:

أحدهما: وهو قول الحسن[٥]: يدخلونها.

الثاني: وهو رواية مجاهد: لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار، حكاه الماوردي[٦]"[٧].

والراجح - والله أعلم - أن الجن يثابون على أعمالهم, ويدخلون الجنة, ويصيبون من نعيمها، وذلك لأن ظواهر الآيات الواردة في جزاء الجن في الآخرة تقتضي ذلك. لأنها جاءت عامة في استحقاق المحسنين لجزاء أعمالهم، ولم يرد دليل يخصصها، فتبقى على عمومها، وهو مذهب أكثر الفقهاء.

قوله تعالى:{وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الأنعام : ١٣٠]، أي:" ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟"[٨].

قوله تعالى:{قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا} [الأنعام : ١٣٠]، أي:" فقالوا: بلى شهدنا على أنفسنا بأن رسلك قد أتتنا وأنذرتنا لقاء يومنا هذا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك ، وأنذرونا لقاءك ، وأن هذا اليوم كائن لا محالة"[١٠].

قال ابن عطية:"إقرار منهم بالكفر واعتراف أي شهدنا على أنفسنا بالتقصير"[١١].

قوله تعالى:{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأنعام : ١٣٠]، أي:" وخدعت هؤلاء المشركين زينةُ الحياة الدنيا"[١].

---

(١)انظر: الأشباه والنظائر:٢/ ٣٣٠.
(٢)أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣/٩، والسيوطي في الدر المنثور:٣٦٠/٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر،وذكره عنه النووي في صحيح مسلم بشرح النووي:٤/ ١٦٩.
(٣) مفاتيح الغيب:٣٣/٢٨.
(٤) مفاتيح الغيب:٣٣/٢٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٣٦١/٣.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٠٩/٦.
(٧) تفسير الاقرطبي: ٦/١٩.
(٨) التفسير الميسر:١٤٤.
(٩) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٤١/٣.
(١١) المحرر الوجيز:٣٤٧/٢.

قال الطبري:يقول" وغَرَّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، وأولياءَهم من الجن {الحياة الدنيا} ، يعني : زينة الحياة الدنيا ، وطلبُ الرياسة فيها والمنافسة عليها ، أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله ، فاستكبروا وكانوا قومًا عالين . فاكتفى بذكر " الحياة الدنيا " من ذكر المعاني التي غرَّتهم وخدَعتهم فيها ، إذ كان في ذكرها مكتفًى عن ذكر غيرها ، لدلالة الكلام على ما تُرك ذكره"(٢).

قال ابن كثير:" أي : وقد فرطوا في حياتهم الدنيا ، وهلكوا بتكذيبهم الرسل ، ومخالفتهم للمعجزات ، لما اغتروا به من زخرف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها"(٣).

قال ابن عطية:"قوله:{ غَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}، التفاتة فصيحة تضمنت أن كفرهم كان بأذم الوجوه لهم وهو الاغترار الذي لا يواقعه عاقل"(٤).

وفي قوله تعالى:{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأنعام : ١٣٠]، أربعة وجوه(٥):

أحدهما : وغرتهم زينة الحياة الدنيا(٦).

والثاني : وغرتهم الرياسة في الدنيا(٧).

والثالث: وغرتهم حياتهم في الدنيا حين أمهلوا. أفاده الماوردي(٨).

والرابع:أشبعتهم وأطعمتهم بحلوائها، كما يقال: غرّ الطائر فرخه. أفاده ابن عطية(٩).

قوله تعالى:{وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام : ١٣٠]، أي:" وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى ومكذبين لرسله عليهم السلام"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة {أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ }، أي: في الدنيا ، بما جاءتهم به الرسل ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"(١١).

قال الطبري:" يعني : هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله ، لتتم حجَّة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليمَ عذابه"(١٢).

قال ابن عطية:"قوله:{شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين}، تظهر بينه وبين ما في القرآن من الآيات التي تقتضي إنكار المشركين الإشراك مناقضة، والجمع بينهما هو إما بأنها طوائف، وإما طائفة واحدة في مواطن شتى، وإما أن يريد بقوله هاهنا: شهدوا على أنفسهم

، شهادة الأيدي والأرجل والجلود بعد إنكارهم بالألسنة، واللفظ هاهنا يبعد من هذا"(١).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢) تفسير الطبري:١٢٣/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٤١/٣.
(٤) المحرر الوجيز:٣٤٧/٢.
(٥) اظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.
(٦) اظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.
(٧) اظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.
(٨) اظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.
(٩) انظر: المحرر الوجيز:٣٤٧/٢.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٤.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٤١/٣.
(١٢) تفسير الطبري:١٢٣/١٢.

الفوائد:

١- أن الجن مكلفون بأوامر ونواهٍ كالبشر، وأن رسلهم من البشر.
٢- ويستفاد من الآية الكريمة، ان النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- هو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.
١- التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا.
٢- بيان العلة في إرسال الرسل وهي إقامة الحجة على الناس، وعدم إهلاكهم قبل الإرسال إليهم.
٣- أن العذاب يُسْتَحَقّ بشيئين:
- أحدهما الإعراض عن الحجة وعدم إرادته لها وبموجبها.
- الثاني العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها.

القرآن

{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)} [الأنعام : ١٣١]

التفسير:

إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب، لئلا يؤاخَذ أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذَّبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

قوله تعالى:{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ} [الأنعام : ١٣١]، أي:" إنما فعلنا هذا بهم من إرسال الرسل إليهم لإنذارهم سوء العاقبة"[٢].

قال الطبري:" أي: بشرك مَنْ أشرك، وكفر مَنْ كفر من أهلها، كما قال لقمان: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [سورة لقمان: ١٣]"[٣].

قال الزجاج:أي:" ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل أمر عذاب من كذب بها لأنه لم يكن مهلك القرى بظلم، أي لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولا"[٤].

قال البغوي:" أي: ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرسل وعذاب من كذبهم، لأنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم، أي: لم يكن مهلكهم بظلم، أي: بشرك من أشرك"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب"[٦].

قوله تعالى:{وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} [الأنعام : ١٣١]، أي:" لأن ربك عادل لم يكن ليهلك قوماً حتى يبعث إليهم رسولاً"[٧].

قال البغوي: أي:{غافلون}"لم ينذروا، حتى يبعث إليهم رسلا ينذرونهم"[٨].

قال الطبري:" يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غَفْلة فيقولوا:«ما جاءنا من بَشِيرٍ ولا نذير»"[٩].

---

(١) المحرر الوجيز:٣٤٧/٢.
(٢) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(٣) تفسير الطبري:١٢٤/١٢.
(٤) معاني القرآن:٢٩٣/٢.
(٥) تفسير البغوي:١٩٠/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(٧) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(٨) تفسير البغوي:١٩٠/٣.
(٩) تفسير الطبري:١٢٤/١٢.

وفي تفسير قوله تعالى: {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} [الأنعام : ١٣١]، قولان:

أحدهما : وما كان ربك مهلك القرى بظلم منه ولكن بحق استوجبوا به الهلكة ، وهو معنى قول مقاتل[١]، وبه قال الزجاج[٢]، وهو اختيار الطبري[٣]، وابن كثير[٤].

قال البغوي: "وذلك أن الله تعالى أجرى السنة أن لا يأخذ أحدا إلا بعد وجود الذنب، وإنما يكون مذنبا إذا أمر فلم يأتمر ونهي فلم ينته، يكون ذلك بعد إنذار الرسل"[٥].

والثاني : وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها حتى يقدم إنذارهم ويرفع أعذارهم ويخرجوا من حكم الغافلين فيما ينزل بهم ، وهو معنى قول مجاهد[٦]، والكلبي[٧]، وبه قال الفراء[٨].

قال الطبري:" وأولى القولين بالصواب عندي، القولُ الأول: أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم، دون إرسال الرسل إليهم، والإعذار بينه وبينهم. وذلك أن قوله: {ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم} ، عقيب قوله:{ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتي}، فكان في ذلك الدليل الواضحُ على أن نصَّ قوله: {ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم} ، إنما هو: إنما فعلنا ذلك من أجل أنَّا لا نهلك القرى بغير تذكيرٍ وتنبيه"[٩].

الفوائد:

١- بيان العلة في إرسال الرسل وهي إقامة الحجة على الناس، وعدم إهلاكهم قبل الإرسال إليهم.

٢- أنه من اقتضاء حكمته تعالى أن يرسل الرسل وأن يعذر إلى الخلق فلا يعذب أحدا إلا على مخالفته لرسله قال تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: {ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون}[الأنعام: ١٣١]، وهذا من تفضله وكرمه على عباده ولطفه بهم، لا أن أحدا أوجبه عليه كما ترى المعتزلة.

يقول ابن القيم: "إن تعذيب الله لمن يريد تعذيبه، لا يكون إلا بعد إرسال الرسل؛ أما قبل ذلك، فإنه لا يريد هلاكهم؛ لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم. قال تعالى: ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ [الأنعام: ١٣١] ... "[١٠].

ثم إن هذا الواجب من باب التفضل لأن الله تعالى تفضل به ولم يوجبه أحد عليه، ولا يلزم منه أن الله تعالى لو لم يفعله لأخل بما هو واجب عليه؛ وإلا انتفت مشيئة الله واختياره المطلق.

وإذاً فإرسال الرسل منة من الله وفضل، وليس من قبيل الواجب الذي أوجبه الغير عليه بحيث لو لم يفعله لأخل بما هو واجب عليه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٠/١.
(٢) انظر: معاني القرآن:٢٩٣/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١٢-١٢٥.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(٥) تفسير البغوي:١٩٠/٣-١٩١.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.
(٧) انظر: تفسير البغوي:١٩٠/٣، قال:" لم يهلكهم بذنوبهم من قبل أن يأتيهم الرسل".
(٨) انظر: معاني القرآن:٣٥٥/١.
(٩) تفسير الطبري:١٢٤/١٢-١٢٥.
(١٠) شفاء العليل:٢٨١.

القرآن
{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)} [الأنعام : ١٣٢]
التفسير:
ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلِّغه الله إياها، ويجازيه عليها. وما ربك -أيها الرسول- بغافل عما يعمل عباده.

قوله تعالى:{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} [الأنعام : ١٣٢]، أي:" ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلِّغه الله إياها، ويجازيه عليها" (١).

قال الطبري:أي:" ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته، منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويثيبه بها، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشرًا"(٢).

قال البغوي:" يعني: في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أشد عذابا ومنهم من هو أجزل ثوابا"(٣).

قال ابن كثير:" ويحتمل أن يعود قوله :{ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا }، أي: من كافري الجن والإنس ، أي : ولكل درجة في النار بحسبه ، كقوله تعالى:{ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ [وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ } [الأعراف : ٣٨] ، وقوله : { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } [النحل : ٨٨]"(٤).

قال سعيد بن جبير:" {درجات}، يعني: فضائل ورحمة"(٥).

قال ابن أبي ليلى: "لهم ثواب، يعني: للجن، فوجدنا تصديق قوله في كتاب الله: {ولكل درجات مما عملوا}"(٦).

قال القرطبي:"{ ولكل درجات مما عملوا}، أي: من الجن والإنس، كما قال في آية أخرى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [الأحقاف : ١٨]، ثم قال:{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأحقاف : ١٩]. وفي هذا ما يدل على أن المطيع من الجن في الجنة، والعاصي منهم في النار، كالإنس سواء. وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه"(٧).

قوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [الأنعام : ١٣٢]، أي:" وما ربك -أيها الرسول- بغافل عما يعمل عباده" (٨).

قال القرطبي:" أي: ليس بلاه ولا ساه. والغفلة أن يذهب الشيء عنك لاشتغالك بغيره"(٩).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وكل ذلك من عملهم، يا محمد، بعلم من ربِّك، يحصيها ويثبتها لهم عنده، ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ومعادهم إليه"(١٠).

قرأ ابن عامر وحده: {وما ربك بغافل عما تعملون} بالتاء، وقرأ الباقون: بالياء(١١).

الفوائد:

---

(١) التفسير الميسر:١٤٥.
(٢) تفسير الطبري:١٣٥/١٢.
(٣) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٤):ص١٣٨٩/٤.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٥):ص١٣٨٩/٤.
(٧) تفسير القرطبي:٨٨/٧.
(٨) التفسير الميسر:١٤٥.
(٩) تفسير القرطبي:٨٨/٧.
(١٠) تفسير الطبري:١٣٥/١٢.
(١١) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٩.

١- أن الأعمال بحسبها يتم الجزاء فالصالحات تكسب الدرجات، والظلمات تكسب الدركات.
٢- أن الناس كلهم في القيمة الإنسانية سواء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ، وآدمُ مِنْ تُرَاب "[١] ، وإنما يتفاضلون بحسب عملهم، قال تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ}.
٣- أن أهل الجنة والنار، قال تعالى: {ولكلٍ درجاتٌ مما عملوا}، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: " درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار تذهب سفلاً "[٢] .
فالجنة فيها جنات، وهي متفاوتة متباينة المنازل، يقول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر:"إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم" [٣].

فأهل الغرف لهم منازل رفيعة في الجنة، حتى إنَّ أهل الجنة لينظرون إليهم مثل ما ننظر إلى النجم الذي في أعلى السماء؛ بحيث يحتاج الإنسان لأنَّ يرفع رأسه رفعاً شديداً حتى ينظر إلى ذاك النجم العالي.

٤- ويستفاد من الآية بأن مَن أبطأ به عملُه أن يبلُغَ به المنازلَ العالية عند الله تعالى لم يُسرع به نسبُه، فيبلغه تلك الدَّرجات؛ فإنَّ اللهَ رتَّب الجزاءَ على الأعمال لا على الأنساب.
٥- إستدل البعض بهذه الآية بأن مؤمني الجن يثابون على الطاعة ويدخلون الجنة، فبعد أن تكلم الله عز وجل عن الإنس والجن، قال تعالى: {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}، وقوله {لِكُلٍّ}، يعود على الإنس والجن، فدل على أن لهم درجات في الجنة بحسب عملهم.

القرآن
{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣)} [الأنعام : ١٣٣]
التفسير:
وربك -أيها الرسول- الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.
قوله تعالى:{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ} [الأنعام : ١٣٣]، أي:"وربك -أيها الرسول- الذي أمر الناس بعبادته، هو المستغني عن الخلق وعبادتهم، لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية"[٤].
قال البغوي:يعني: "عن خلقه"[٥].
قال القرطبي:" أي: عن خلقه وعن أعمالهم"[٦].

---
(١)رواه أحمد (١٤/ ٣٤٩ رقم ٨٧٣٦)، وأبو داود (٥/ ٢٢٤ رقم ٥١١٦)، والترمذي (٦/ ٢٢٤ رقم ٣٩٥٥، ٣٩٥٦)، والطحاوي في "المشكل" (٩/ ٨٠ رقم ٣٤٥٨)، والبيهقي في "الكبرى" (١٠/ ٢٣٢)، و"الشعب" (٧/ ١٢٥ رقم ٤٧٦٣ - ٤٧٦٥)، و"الآداب" (١٨٠ رقم ٤٦١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.
والحديث حسَّنه الترمذي، وصححه الألباني.
(٢)التخويف من النار، لابن رجب: ص ٥٠.
(٣)أخرجه البخاري " رقم ٣٢٥٦ "، ومسلم " رقم ٧٠٧٣ " واللفظ له.
(٤) صفوة التفاسير:٣٨٩/١، والتفسير الميسر:١٤٥.
(٥) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٦) تفسير القرطبي:٨٨/٧.

قال ابن كثير:" أي : عن جميع خلقه من جميع الوجوه ، وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم"[١].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه:{وربك}، يا محمد، الذي أمر عباده بما أمرهم به، ونهاهم عما نهاهم عنه، وأثابهم على الطاعة، وعاقبهم على المعصية{الغني}، عن عباده الذين أمرهم بما أمر، ونهاهم عما نهى، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه، وهم المحتاجون إليه، لأنه بيده حياتهم ومماتهم، وأرزاقهم وأقواتهم، ونفعهم وضرهم"[٢].

قوله تعالى:{ذُو الرَّحْمَةِ} [الأنعام : ١٣٣]، أي:" ذو التفضل التام"[٣].

قال ابن كثير:" أي : وهو مع ذلك رحيم بهم رؤوف ، كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } [البقرة : ١٤٣] "[٤].

قال أبو السعود:" أي: يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي ، وفيه تنبيهٌ على أنَّ ما سلف ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد"[٥].

قال القرطبي:" أي: بأوليائه وأهل طاعته"[٦].

قال ابن عباس: "ذو الرحمة بأوليائه وأهل طاعته"[٧].

وقال الكلبي: "بخلقه ذو التجاوز"[٨].

قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} [الأنعام : ١٣٣]، أي:" لو شاء لأهلككم أيها العصاة بعذاب الاستئصال"[٩].

قال البغوي:أي:" يهلككم، وعيد لأهل مكة"[١٠].

قال القرطبي: أي: "بالإماتة والاستئصال بالعذاب"[١١].

قال الطبري:" يقول: إن يشأ ربُّك، يا محمد، الذي خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم وإلى طاعتهم إياه {يذهبكم}، يقول: يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : إذا خالفتم أمره"[١٣].

قوله تعالى:{وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ} [الأنعام : ١٣٣]، أي:" وأوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى"[١٤].

قال الطبري:" يقول: ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم، يخلفونكم في الأرض من بعد فنائكم وهلاككم"[١٥].

قال البغوي:أي:" يخلق وينشئ خلقا غيركم أمثل وأطوع"[١٦]

قوله تعالى:{كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [الأنعام : ١٣٣]، أي:" كما خلقكم وابتدأكم من بعد آخرين كانوا قبلكم"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(٢) تفسير الطبري:١٢٦/١٢.
(٣) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(٥) تفسير أبي السعود:١٨٧/٣.
(٦) تفسير القرطبي:٨٨/٧.
(٧) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٨) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٩) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(١٠) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(١١) تفسير القرطبي:٨٨/٧.
(١٢) تفسير الطبري:١٢٦/١٢.
(١٣) تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(١٤) التفسير الميسر:١٤٥.
(١٥) تفسير الطبري:١٢٦/١٢.
(١٦) تفسير البغوي:١٩١/٣.

قال البغوي:" أي: آبائهم الماضين قرنا بعد قرن"[٢]
قال الطبري:" كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم، وأصل«الإنشاء»، الإحداث. يقال:قد أنشأ فلان يحدِّث القوم، بمعنى ابتدأ وأخذ فيه "[٣].

قال ابن كثير:" أي : هو قادر على ذلك ، سهل عليه ، يسير لديه ، كما أذهب القرون الأول وأتى بالذي بعدها كذلك هو قادر على إذهاب هؤلاء والإتيان بآخرين ، كما قال تعالى : { إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا } [النساء : ١٣٣] ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } [فاطر : ١٥ - ١٧] ، وقال تعالى : { وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } [محمد : ٣٨]"[٤].
قال أبان بن عثمان: "{كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين}، قال: الذرية الأصل، والذرية النسل"[٥].

قال أبو حيان:" وتضمنت الآية التحذير من بطش الله في التعجيل بالإهلاك"[٦].
وقرئ: «مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ»[٧].

الفوائد:

١- تقرير غنى الله تعالى المطلق عن سائر خلقه.
٢- بيان قدرة الله تعالى على إذهاب الخلق كلهم والإتيان بآخرين غيرهم.
٣- ودلت الآية الكريمة ان حكم الشيء حكم مثله، إذ قاس النظير على النظير، وبَيَّنَ أن القدرة على إذهاب المخاطبين كالقدرة على إذهاب السابقين، فإذا ساووهم في العلة والمعنى والأعمال؛ ساووهم في الحكم والوعيد والعاقبة، كما قال تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} [محمد: ١٠].
٤- اثبات اسم من اسمائه تعالى، وهو«الغني»: "وهو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء. محتاجون كما وصف نفسه تعالى، فقال عز من قائل: {وَاللهُ الغَنيُّ وَأَنْتُم الفُقَراءُ} [محمد: ٣٨]"[٨].
٥- كما أن اقتران اسم {الغني} في هذه الآية بقوله تعالى: {ذُو الرَّحْمَةِ} يدل على أنه تعالى مع غناه المطلق الذي لا يحتاج به إلى واحد من خلقه، والذي به ينعم بما يشاء من النعم على خلقه، فهو تعالى رحيم بمن عصاه من خلقه، لا يعاجلهم بعقوبته فور عصيانهم، كما نرى المعهود بين الناس - ولله المثل الأعلى - فالغني منهم إذا عصاه عبده سرعان ما يوقع به عقوبته، محاولا أن يجعلها تناسب جرمه، لكن الله جل وعلا واسع الرحمة يمهل عباده العاصين لعلهم يرجعون إليه ويتوبون، وفي هذا يقول سبحانه: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً} [النحل آية ٦١][٩].

---

(١) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(٢) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٣) تفسير الطبري:١٢٦/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٠٦):ص١٣٩٠/٤.
(٦) البحر المحيط:٦٥٣/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٢٧/١٢.
(٨) شأن الدعاء:٩٣.
(٩) انظر: الأسماء والصفات، سعد عبدالرحمن، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،

القرآن
{إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)} [الأنعام : ١٣٤]
التفسير:
إن الذي يوعدكم به ربكم - أيها المشركون - من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجِزوا ربكم هربًا، فهو قادر على إعادتكم، وإن صرتم ترابًا وعظامًا.
قوله تعالى:{إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ} [الأنعام : ١٣٤]، أي:" إن الذي يوعدكم به ربكم - أيها المشركون - من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجِزوا ربكم هربًا"[١].
قال البغوي:" أي: ما توعدون من مجيء الساعة والحشر كائن"[٢]
قال الطبري:"يقول تعالى ذكره للمشركين به: أيها العادلون بالله الأوثانَ والأصنامَ، إن الذي يُوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم، واقعٌ بكم"[٣].
قال ابن كثير:" أي : أخبرهم يا محمد أن الذي يوعدون به من أمر المعاد كائن لا محالة"[٤].
قوله تعالى:{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} [الأنعام : ١٣٤]، أي:" لا تخرجون عن قدرتنا وعقابنا وإن ركبتم في الهرب متن كل صعبٍ وذلول"[٥].
عن ابن عباس: قوله: "{وما أنتم بمعجزين}، يقول: بمسابقين"[٦].
قال البغوي:" أي: بفائتين، يعني: يدرككم الموت حيث ما كنتم"[٧].
قال القرطبي: " أي فائتين، يقال: أعجزني فلان، أي فاتني وغلبني"[٨].
قال ابن كثير:" أي: ولا تعجزون الله ، بل هو قادر على إعادتكم ، وإن صرتم ترابًا رفاتًا وعظامًا هو قادر لا يعجزه شيء"[٩].
قال الطبري:"يقول: لن تعجزوا ربّكم هربًا منه في الأرض فتفوتوه، لأنكم حيث كنتم في قبضته، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إيّاه قادر. يقول: فاحذرُوه وأنيبوا إلى طاعته، قبل نزول البلاء بكم"[١٠].
عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده {إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين}"[١١].
الفوائد:

١- صدق وعد الله تعالى وعدم تخلفه.
٢- في الآية الكريمة إثبات البَعث والنشُور، إذ أن الإيمان بالمعاد أوجبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودلا عليه دلالة قاطعة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه، وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة

ع٤٧، ص٧٩.
(١) التفسير الميسر:١٤٥.
(٢) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٣) تفسير الطبري:١٢٨/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٣.
(٥) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٠٨):ص١٣٩٠/٤.
(٧) تفسير البغوي:١٩١/٣.
(٨) تفسير القرطبي:٨٨/٧.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٢٨/١٢.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٠٧):ص١٣٩٠/٤.

والأمثال المضروبة للاعتبار والإرشاد، وكما ذكر القرآن الأدلة عليه، رد على منكريه، وبيَّن كذبهم وافتراءَهم.

والفطرة السليمة تدلُّ عليه وتهدي إليه، ولا صحة لما يزعمه الضالون من أن العقول تنفي وقوع البعث والنشور، فإن العقول لا تمنع وقوعه، والأنبياء لا يأتون بما تحيل العقول وقوعه، وإن جاؤوا بما يحيِّر العقول، ولذلك قال علماؤنا: الشرائع تأتي بمحارات العقول، لا بمحالات العقول.

٣- إخباره سبحانه وتعالى بوقوع القيامة إخباراً مؤكداً بـ «إن واللام»، فقال:{ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ }، وكقوله تعالى: {وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥]، وقوله: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ} [المرسلات: ٧].

فإن أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمن آمن بالله، وصدَّق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار.

وقد نَوَّع الحق تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس وآكد في القلوب.

٤- أنه سبحانه وتعالى له مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة، الذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون, الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده, ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه, الذي وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما، أي: لا يكرثه ولا يثقله, الفعال لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أي وقت شاء, قال الله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} [النِّسَاء: ١٣٣] وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحَجّ: ٦٢] الْآيَة. وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحَجِّ: ٦] وَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطِر: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لُقْمَانَ: ٢٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] وَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الْأَحْقَافِ: ٣٣] وَقَالَ تَعَالَى: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} [ق: ١٥] وَقَالَ: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: ٣٨] وَقَالَ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطَّلَاق: ١١٢] وَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨١-٨٢] وَقَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [تَبَارَكَ: ١] وَقَالَ تَعَالَى: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [الْمَعَارِج: ٤٠] وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: ١٨] وَقَالَ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فُصِّلَتْ: ٣٩] وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ،

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [الْعَنْكَبُوتِ: ٢٠-٢٢]، والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها بل كل آيات الله الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة كما أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم, وكفى العبد دليلا أن ينظر في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين وخلقه في أحسن تقويم وشق له السمع فسمع والبصر فأبصر واللسان فنطق والفؤاد فعقل إلى غير ذلك فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت ونظر بعين بصيرته إلى مبدعات الحي الذي لا يموت ورأى الآيات الباهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت { أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } [الأعراف: ١٨٥] وفي حديث الاستخارة المتفق عليه "اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم"(١) الحديث(٢).

القرآن

{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)} [الأنعام : ١٣٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: يا قوم اعملوا على طريقتكم فإني عامل على طريقتي التي شرعها لي ربي جل وعلا فسوف تعلمون -عند حلول النقمة بكم- مَن الذي تكون له العاقبة الحسنة؟ إنه لا يفوز برضوان الله تعالى والجنة مَن تجاوز حده وظلم، فأشرك مع الله غيره.

قوله تعالى:{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} [الأنعام : ١٣٥]، أي:" أي قل لهم يا محمد يا قوم اثبتوا على كفركم ومعاداتكم لي واعملوا ما أنتم عاملون"(٣).

قال الطبري:" يقول : اعملوا على حِيالكم وناحيتكم، [وهو] أمرٌ منه له بوعيدهم وتهدّدهم ، لا إطلاقٌ لهم في عمل ما أرادُوا من معاصي الله"(٤).

قال ابن كثير:" هذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، أي : استمروا على طريقكم وناحيتكم إن كنتم تظنون أنكم على هدى"(٥).

وفي قوله تعالى:{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} [الأنعام : ١٣٥]، خمسة تأويلات:

أحدها : على طريقتكم(٦) .

والثاني : على حالتكم(٧).

والثالث : على ناحيتكم ، قاله ابن عباس(٨)، والحسن(٩)، ومجاهد(١٠)، والضحاك(١١).

---

(١) صحيح البخاري "١١/ ١٨٣" في الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة.

(٢) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي:١/١٣٩-١٤٠.

(٣) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.

(٤) تفسير الكطبري:١٢/١٢٨-١٢٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٣/٢٤٣.

(٦) انظر: النكت والعيون:٢/١٧٢.

(٧) انظر: النكت والعيون:٢/١٧٢.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٩٠٩):ص٤/١٣٩٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢/ ١٧٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٤/١٣٩٠، حكاه دون ذكر السند.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٤/١٣٩٠، حكاه دون ذكر السند.

والرابع : على تمكنكم ، قاله الزجاج(١).
والخامس : على منازلكم ، قاله قتادة(٢)، والكلبي(٣).
وعن قتادة:" **{اعملوا على مكانتكم}، أي: منازلكم**"(٤).
والسادس: على جيلتكم. قاله مقاتل(٥).
وقرء:«عَلَى مَكَانَاتِكُمْ»، على جمع :«المكانة»(٦).
قوله تعالى:{إِنِّي عَامِلٌ} [الأنعام : ١٣٥]، أي:" إني عاملٌ ما أمرني به ربي من الثبات على دينه"(٧).
قال ابن كثير:أي:"فأنا مستمر على طريقتي ومنهجي"(٨).
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه ، لنبيه : قل لهم : اعملوا ما أنتم عاملون ، ، فإني عامل ما أنا عامله مما أمرني به ربي"(٩).
قوله تعالى:{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} [الأنعام : ١٣٥]، أي:" أي فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم؟"(١٠).
قال مقاتل:" يعني: الجنة، أنحن أم انتم؟"(١١).

قال السعدي:أي:" أنا أو أنتم، وهذا من الإنصاف بموضع عظيم، حيث بيَّن الأعمال وعامليها، وجعل الجزاء مقرونا بنظر البصير، ضاربا فيه صفحا عن التصريح الذي يغني عنه التلويح. وقد علم أن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة للمتقين، وأن المؤمنين لهم عقبى الدار، وأن كل معرض عما جاءت به الرسل، عاقبته سوء وشر"(١٢).

قال الطبري:أي:" فسوف تعلمون ، أيها الكفرة بالله ، عند معاينتكم العذابَ ، مَن الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم، يقول : من الذي تُعْقبه دنياه ما هو خير له منها أو شر منها ، بما قدَّم فيها من صالح أعماله أو سيِّئها"(١٣).
قال ابن كثير:" أي : أتكون لي أو لكم. وقد أنجز موعده له ، صلوات الله عليه ، فإنه تعالى مكن له في البلاد ، وحكمه في نواصي مخالفيه من العباد ، وفتح له مكة ، وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه ، واستقر أمره على سائر جزيرة العرب ، وكذلك اليمن والبحرين ، وكل ذلك في حياته. ثم فتحت الأمصار والأقاليم والرساتيق بعد وفاته في أيام خلفائه ، رضي الله عنهم أجمعين ، كما قال الله تعالى : { كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي } [المجادلة : ٢٠] ، وقال { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ. يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [غافر : ٥١ ، ٥٢] ، وقال تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } [الأنبياء : ١٠٥] ، وقال تعالى إخبارًا عن رسله : { فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ

---

(١) انظر: معاني القرآن:٢/٢٩٣.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٠٨)ص:٦/٢٠٩٧.
(٣) انظر: النكت والعيون:٢/١٧٢.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٠٨)ص:٦/٢٠٩٧.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٩٠.
(٦) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٩، وتفسير الطبري:١٢/١٢٩.
(٧) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(٨) تفسير ابن كثير:٣/٢٤٣.
(٩) تفسير الطبري:١٢/١٢٩.
(١٠) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٩٠.
(١٢) تفسير السعدي:٢٧٤.
(١٣) تفسير الطبري:١٢/١٢٩-١٣٠.

خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } [إبراهيم : ١٣ ، ١٤] ، وقال تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } الآية [النور : ٥٥] ، وقد فعل الله تعالى ذلك بهذه الأمة ، وله الحمد والمنة أولا وآخرًا ، باطنًا وظاهرًا"[١].

وفي قوله تعالى:{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} [الأنعام : ١٣٥]، وجهان:

أحدهما : تعلمون ثواب الآخرة بالإيمان ، وعقابها بالكفر ترغيباً منه في ثوابه وتحذيراً من عقابه[٢].

والثاني : تعلمون نصر الله في الدنيا لأوليائه ، وخذلانه لأعدائه ، قاله ابن بحر[٣].

وقرأ حمزة والكسائي: {يكون له}، بالياء[٤].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} [الأنعام : ١٣٥]، أي:" إنه لا ينجح ولا يفوز بمطلوبه من كان ظالماً"[٥].

قال الطبري:" يقول : إنه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله مَنْ عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل في الدنيا وذلك معنى :«ظلم الظالم»، في هذا الموضع"[٦].

قال السعدي:" فكل ظالم، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به، فنهايته فيه الاضمحلال والتلف «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»[٧]"[٨].

عن ابن عباس: "قوله: {الظالمون}، يعني: لا أقبل ما كان في الشرك"[٩].

قال مقاتل:" يعني: لا يسعد الظالمون في الآخرة، يعني: المشركين"[١٠].

قال الزمخشري: "في الآية طريقٌ من الإنذار لطيف المسلك، فيه إنصاف في المقال وأدبٌ حسن، مع تضمن شدة الوعيد، والوثوق بأن المُنْذِر محِقٌ، والمُنذَر مبطل"[١١].

وللمفسرين في نسخ قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}[الأنعام : ١٣٥]،قولان:

أحدهما: أن المراد بها ترك قتال الكفار، فهي منسوخة بآية السيف، ذكره هبة الله[١٢].

والثاني: أن المراد بها التهديد فعلى هذا هي محكمة[١٣].

واختار ابن الجوزي القول الثاني، وقال:"وهذا هو الأصح"[١٤].

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٤٣/٣.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٧٣/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٧٣/٢.
(٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٠.
(٥) صفوة التفاسير:٣٩٠/١.
(٦) تفسير الطبري:١٣٠/١٢.
(٧)متفق عليه من رواية أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه، أخرجه البخاري في الصحيح ٨/ ٣٥٤، كتاب التفسير (٦٥)، سورة هود (١١)، باب: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ. . } (٥)، الحديث (٤٦٨٦)، وأخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ١٩٩٧، كتاب البر. . (٤٥)، باب تحريم الظلم (١٥)، الحديث (٦١/ ٢٥٨٣) واللفظ لهما.
(٨) تفسير السعدي:٢٧٤.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩١٠):ص١٣٩٠/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩١/١.
(١١) الكشاف:٦٨/٢.
(١٢) في ناسخه:٤٦.
(١٣) انظر: نواسخ القرآن:٤٣١/٢.
(١٤) نواسخ القرآن:٤٣١/٢.

الفوائد:

١- تهديد المشركين بالعذاب إن هم أصروا على الشرك والكفر والذي دل عليه قوله {اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار} الدنيا {إنه لا يفلح الظالمون} .
٢- وفي الآية الكريمة: دلالة واضحة على أن عذاب جهنم دائم ومستمر لا انقطاع له، وأن أهلها خالدون مخلدون فيها، قال تعالى: {وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}، : أي: "دائم مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار"(١).
قال الآلوسي:"فيه إشارة إلى العذاب الأخروي فإن العذاب المقيم عذاب النار"(٢).

القرآن

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)} [الأنعام : ١٣٦]

التفسير:

وجعل المشركون لله -جلَّ وعلا- جزءًا مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين، وجعلوا قسمًا آخر من هذه الأشياء لشركائهم من الأوثان والأنصاب، فما كان مخصصًا لشركائهم فإنه يصل إليها وحدها، ولا يصل إلى الله، وما كان مخصصا لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم. بئس حكم القوم وقسمتهم.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" وجعل المشركون لله -جلَّ وعلا- جزءًا مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين"(٣).

قال ابن كثير:" هذا ذم وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعًا وكفرًا وشركًا ، وجعلوا لله جزءًا من خلقه ، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ؛ ولهذا قال تعالى : { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ } أي : مما خلق وبرأ { مِنَ الْحَرْثِ } أي : من الزروع والثمار { وَالأنْعَامِ نَصِيبًا } أي : جزءا وقسما"(٤).

وفي نصيبهم من الأنعام ثلاثة أقوال(٥):

أحدها : أنه كنصيبهم من الزرع مصروف في النفقة عليها وعلى خدامها .

والثاني : أنه قربان لأوثانهم كانوا يتقربون به إليها .

والثالث : أنه البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

قوله تعالى:{فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" فقالوا: هذا نصيب الله، بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع"(٦).

قرأ الكسائي وحده: {بزعمهم}، مضمومة الزاى(٧).

قوله تعالى:{وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" وهذا النصيب لآلهتنا وأصنامنا"(٨).

---

(١) فتح القدير:٤/٤٦٥.
(٢) روح المعاني:٧/٢٤.
(٣) التفسير الميسر:١٤٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٣/٣٤٤.
(٥) انظر: النكت والعيون:٢/١٧٣-١٧٤.
(٦) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٠.
(٨) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" فما كان مخصصًا لشركائهم فإنه يصل إليها وحدها، ولا يصل إلى الله"[١].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" وما كان مخصصا لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم"[٢].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِم فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ} [الأنعام : ١٣٦]، على أقوال:

أحدها : أنه كان إذا اختلط بأموالهم شيء مما جعلوه لأوثانهم ، ردوه ، وإذا اختلط بها ما جعلوه لله لم يردوه ، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والكلبي[٦]، واختاره الطبري[٧].

قال الكلبي:"وكان لـ«خولان» صنم يقال له «عميانس»[٨] بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله عز وجل بزعمهم، فما دخل في حق الله من حق عميانس ردوه عليه وما دخل في حق الصنم من حق الله الذي سموه له تركوه له،وهم بطن من خولان يقال لهم «الأدوم» وهم «الأسوم»، وفيهم نزل فيما بلغنا: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يحكمون}"[٩].

والثاني : أنه كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه ، وإذا هلك ما لله لم يغرموه ، قاله الحسن[١٠]، والسدي[١١].

والثالث : أنهم كانوا يصرفون بعض ما جعلوه لله في النفقة على أوثانهم ولا يفعلون مثل ذلك فيما جعلوه لأوثانهم ، قاله بعض المتأخرين[١٢].

والرابع : أن كل شيء جعلوه لله من ذبائحهم لم يأكلوه حتى يذكروا عليه اسم أوثانهم ، ولا يذكرون اسم الله فيما جعلوه لأوثانهم ، قاله ابن زيد[١٣].

والراجح-والله أعلم- هو القول الاول، "لأن الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسمًا مقدرُا، فقالوا:"هذا لله" وجعلوا مثله لشركائهم، وهم أوثانهم، بإجماع من أهل التأويل عليه، فقالوا:{هذا لشركائنا} وإن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله، بمعنى: لا يصل إلى نصيب الله، وما كان لله وصَل إلى نصيب شركائهم. فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل، جائزًا أن تكون قد وصلت، وما أخبر عنه أنه قد وصل، لم يصل. وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام، لأن الذبيحتين تُذبح إحداهما لله،

---

(١) التفسير الميسر:١٤٥.
(٢) التفسير الميسر:١٤٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٩):ص١٣١/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٢):ص١٣١/١٢-١٣٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٤):ص١٣٢/١٢.
(٦) انظر: كتاب الاصنام:٤٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٣٤/١٢.
(٨)هو صنم "خولان"؛ وموضعه في أرض خولان؛ وكان يقدم له في كل عام نصيبه المقرر من الأنعام والحروث، وقد ورد ذكر هذا الصنم في خبر "وفد خولان" الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة عشر. إذ ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: "ما فعل عمأنسى؟ " فقالوا: بشر وعسر، أبدلنا الله به، ولو قد رجعنا إليه هدمناه، وقد بقيت منا بعد بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به".[المفصل:٢٦٥/٦، وانظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي:٤٢٤].
(٩) كتاب الأصنام:٤٣-٤٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٧٤/٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٦):ص١٣٢/١٢-١٣٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:١٧٤/٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٧):ص١٣٤/١٢.

والأخرى للآلهة، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت، وخلطوها إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحًا للآلهة، دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض"[١].

قوله تعالى:{سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" بئس حكم القوم وقسمتهم"[٢].
قال القرطبي:"أي: ساء الحكم حكمهم"[٣].
قال الطبري:"يقول جل ثناؤه: وقد أساؤوا في حكمهم، إذ أخذوا من نصيبي لشركائهم، ولم يعطوني من نصيب شركائهم. وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبرَ عن جهلهم وضلالتهم، وذهابهم عن سبيل الحق، بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم، وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى، ما لا يضرهم ولا ينفعهم، حتى فضّلوه في أقسامهم عند أنفسهم بالقَسْم عليه"[٤].
الفوائد:

١- بيان لقبائح المشركين وجرائمهم، حيث خصوا بعض الأنعام والزروع لأوثانهم.
٢- أنكر الله تعالى على المشركين شركهم، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي.
٣- حرمة الابتداع في الدين والتشريع المنافي لشرع الله تعالى وإن لم ينسب إلى الله تعالى.
والبدعة خطرها عظيم وكبير، والدليل على ذلك أنها تنقسم إلى رتب متفاوتة، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي:"البدعة تنقسم إلى رتب متفاوتة منها ما هو كفر صراح، كبدعة الجاهلية التي نبه عليها القرآن بقوله: {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا { [سورة الأنعام: ١٣٦]، وقوله تعالى: {وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء { [سورة الأنعام: ١٣٩]، وقوله: {ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام { [سورة المائدة: ١٠٣].."[٥].

٤- أن قضية التحليل والتحريم خصوصية لله عز وجل، فالله سبحانه وتعالى هو الخالق فهو أيضاً صاحب الأمر والسلطان، قال تعالى: {أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ { [سورة الأعراف: ٥٤]، وقال سبحانه: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ { [سورة النحل:١١٦]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٦].

القرآن
{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)} [الأنعام : ١٣٧]
التفسير:
وكما زيَّن الشيطان للمشركين أن يجعلوا لله تعالى من الحرث والأنعام نصيبًا، ولشركائهم نصيبًا، زيَّنت الشياطين لكثير من المشركين قَتْلَ أولادهم خشية الفقر; ليوقعوا هؤلاء الآباء في الهلاك بقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه قدَّر ذلك لعلمه بسوء حالهم ومآلهم، فاتركهم -أيها الرسول- وشأنهم فيما يفترون من كذب، فسيحكم الله بينك وبينهم.

---

(١) تفسير الطبري:١٣٤/١٢-١٣٥.
(٢) التفسير الميسر:١٤٥.
(٣) تفسير القرطبي:٩٠/٧.
(٤) تفسير الطبري:١٣٥/١٢.
(٥)الاعتصام:٣٧/٢.
(٦)رواه البخاري في الصلح (ج٣٠١/٥ ح ٢٦٩٧) ومسلم كتاب الأقضية (١٣٤٣/٣ ح ١٧١٨.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" مثل ذلك التزيين في قسمة القربان بين الله وبين آلهتهم زيَّن شياطينُهم لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم لآلهتهم"(١).

عن ابن عباس قوله: "{وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم}، زينوا لهم، من قتْل أولادهم"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكما زيَّن شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زينوا لهم، من تصييرهم لربهم من أموالهم قَسْمًا بزعمهم، وتركهم ما وَصل من القَسْم الذي جعلوه لله إلى قسم شركائهم في قسمهم، وردِّهم ما وَصَل من القسم الذي جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله، إلى قسم شركائهم {كذلك زين لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم} ، من الشياطين، فحسنوا لهم وأد البنات"(٣).

قال الزمخشري:أي:" ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة، أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين. والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين، أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد، أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل في الجاهلية حلف: لئن ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم، كما حلف عبد المطلب(٤)"(٥).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وكما زينت الشياطين لهؤلاء المشركين أن يجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، كذلك زينوا لهم قتل أولادهم خشية الإملاق ، ووأد البنات خشية العار.. وهذا كقوله تعالى : { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ به [أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ] } [النحل : ٥٨ ، ٥٩]، وقال تعالى : { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } [التكوير : ٨ ، ٩]. وقد كانوا أيضا يقتلون الأولاد من الإملاق ، وهو : الفقر ، أو خشية الإملاق أن يحصل لهم في تاني المال وقد نهاهم الله عن قتل أولادهم لذلك وإنما كان هذا كله من شرع الشيطان تزيينه لهم ذلك "(٦).

أما «شركاؤهم»، -ها هنا-، ففيهم ثلاثة أقوال:

أحدها : الشياطين ، قاله الحسن(٧)، ومجاهد(٨)، والسدي(٩)، وابن زيد(١٠).

والثاني : أنهم قوم كانوا يخدمون الأوثان فزينوا لهم دفن البنات وهن أحياء، قاله الفراء(١١).

والثالث : أنهم الغواة من الناس. ذكره الماوردي(١٢).

وفي الذي زينوه لهم من قتل أولادهم قولان :

أحدهما : أنه كان أحدهم يحلف إن وُلِدَ له كذا وكذا غلام ان ينحر أحدهم كما حلف عبد المطلب في نحر ابنه عبد الله ، قاله الكلبي(١٣).

---

(١) صفوة التفاسير:٣٩٠/١.

(٢) أخرجه الطبري(١٣٩٠٨):ص١٣٦/١٢.

(٣) تفسير الطبري:١٣٥/١٢-١٣٦.

(٤)حلف عبد المطلب بن هشام لئن ولد له عشرة نفر لينحرن أحدهم لله عند الكعبة، وضربت الأقداح فخر القدح على عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه فداه بذبح مائة من الإبل".

انظر: سيرة ابن هشام ١٥١/١-١٥٥، وزاد المسير لابن الجوزي ١٣٠/٣، وبلوغ الأرب للألوسي ٤٦/٣-٤٩.

(٥) الكشاف:٧٠/٢.

(٦) تفسير ابن كثير:٣٤٤/٣-٣٤٥.

(٧)انظر: النكت والعيون:١٧٤/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٩):ص١٣٦/١٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٩١٣):ص١٣٧/١٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٩١٢):ص١٣٧/١٢.

(١١) معاني القرآن:٣٥٧/١.

(١٢)انظر: النكت والعيون:١٧٤/٢.

(١٣)انظر: النكت والعيون:١٧٥/٢، وتفسير البغوي:١٩٢/٣.

والثاني : أنه وَأْدُ البنات أحياءً خِيْفَة الفقر ، قاله مجاهد(١).
قرأ ابن عامر وحده: {وكذلك زين}، برفع الزاى، {لكثير من المشركين قتل} برفع اللام {أولدهم} بنصيب الدال، {شركائهم} بياء، وقرأ الباقون: {وكذلك زين} بنصب الزاى {لكثير من المشركين قتل} بنصب اللام {أولدهم}، خفضا {شركاؤهم} رفعا(٢).

قوله تعالى:{لِيُرْدُوهُمْ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" ليهلكوهم بالإغواء"(٣).
قال السدي: "فيهلكوهم"(٤).

قال الطبري:" يقول: ليهلكوهم"(٥).
قال الماوردي:" أ:ي ليهلكوهم ، ومنه قوله تعالى:{وَمَا يُغْنِي عَنهُ مَالُهُ إِذا تَرَدَّى} [الليل : ١١] يعني إذا هلك"(٦).
قوله تعالى:{وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" وليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا"(٧).
قال السدي: " {وليلبسوا عليهم دينهم}، فيخلطوا عليهم دينهم"(٨).

قال الطبري:أي:" فعلوا ذلك بهم، ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا، بفعلهم ما حرم الله عليهم"(٩).
قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه قدَّر ذلك لعلمه بسوء حالهم ومآلهم"(١٠).
قال الطبري:أي:" ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه، بأن كان يهديهم للحق، ويوفقهم للسداد، فكانوا لا يقتلونهم، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم، وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم"(١١).
قال ابن كثير:" أي : كل هذا واقع بمشيئته تعالى وإرادته واختياره لذلك كونًا ، وله الحكمة التامة في ذلك ، فلا يسأل عما يفعل وهم يُسألون"(١٢).
قال القرطبي:"بين تعالى أن كفرهم بمشيئة الله. وهو رد على القدرية"(١٣).
قال النسفي:" وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى"(١٤).
قوله تعالى:{فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" فدعْهم وما يختلقونه من الإفك على الله"(١٥).
قال السدي: "يعني: خل عنهم"(١٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٩):ص١٣٦/١٢.
(٢) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٠.
(٣) صفوة التفاسير:٣٩٠/١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٠)ص١٣٩٣/٤.
(٥) تفسير الطبري:١٣٦/١٢.
(٦) النكت والعيون:١٧٥/٢.
(٧) التفسير الميسر:١٤٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢١)ص١٣٩٣/٤.
(٩) تفسير الطبري:١٣٦/١٢.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٩٠/١.
(١١) تفسير الطبري:١٣٦/١٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:٣٤٥/٣.
(١٣) تفسير القرطبي:٩٤/٧.
(١٤) تفسير النسفي:٥٤١/١.
(١٥) صفوة التفاسير:٣٩٠/١.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٢)ص١٣٩٣/٤.

قال البغوي:أي" يختلقون من الكذب، فإن الله تعالى لهم بالمرصاد"[1].

قال ابن كثير:" أي : فدعهم واجتنبهم وما هم فيه ، فسيحكم الله بينك وبينهم"[2].

قال النسفي:أي:" وما يفترونه من الإفك أو وافتراءهم، لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا "[3].

قال الطبري:" يقول الله لنبيه، متوعدًا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسِمونها:"هذا لله وهذا لشركائنا"، وفي قتلهم أولادهم {ذرهم}، يا محمد، {وما يفترون}، وما يتقوّلون عليَّ من الكذب والزور، فإني لهم بالمرصاد، ومن ورائهم العذاب والعقاب"[4].

وفي نسخ {فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١٣٧]، قولان[5]:

أحدهما: أنه اقتضى ترك قتال المشركين، فهو منسوخ بآية السيف.

والثاني: أنه تهديد ووعيد فهو محكم.

سبق مثل هذه الآية وترجيح الإحكام فيها[6]، وقد رجح النحاس الإحكام في أشباه هذه الآية[7].

الفوائد:

١- حرمة قتل النفس لأي سبب كان وتحديد النسل اليوم وإلزام الأمة به من بعض الحكام من عمل أهل الجاهلية الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم كقتل البنات خشية العار والأولاد خشية الفقر.

٢- أنه من العادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام قتل الأولاد، ووأد البنات، قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ...}، وهذه الأعمال التي زينتها الشياطين التي توسوس لهم، ترجع لأحد وجوه ثلاثة[8]:

- الوجه الأول: اتقاء الفقر الواقع أو المتوقع، فالأول: هو ما بينه الله تعالى بقوله: {وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام:١٥١]، والثاني: ما بينه بقوله: {وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا} [الإسراء:٣١].
- الوجه الثاني: اتقاء العار، وهو خاص بوأد البنات -أي دفنهن حيات- خشية أن يكن سبباً للعار إذا كبرن، فهم يصورون البنت لوالدها الجبار العاتي، ترتكب الفاحشة أو تقترن بزوج دونه في الشرف والكرامة، فتلحقه الخسة، أو تُسْبى في القتال.
- الوجه الثالث: التدين بنحر الأولاد للآلهة تقرباً إليها، بنذر أو بغير نذر، وكان الرجل ينذر في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاماً لينحرنّ أحدهم، كما حلف عبد المطلب بن هشام لئن ولد له عشرة نفر لينحرن أحدهم لله عند الكعبة، وضربت

---

(١) تفسير البغوي:١٩٣/٣.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٤٥/٣.
(٣) تفسير النسفي:٥٤١/١.
(٤) تفسير الطبري:١٣٦/١٢.
(٥) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٣١/٢.
(٦)انظر مثلا: مناقشةالآيةالسادسةمنالسورة.
(٧) انظر: الناسخوالمنسوخ للنحاس:: ١٣٧ - ١٣٨.
(٨)انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢٤/٨.

الأقداح فخر القدح على عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أنه فداه بذبح مائة من الإبل(١).

١- في قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ} الرد على القدرية.
٢- صرحت الآية الكريمة أن لهذا التزيين سببين:
- أحدهما: الإرداء وهو الإهلاك.
- والآخر: لبس الدين، وهو قوله: {وليلبسوا عليهم دينهم}، ولا يكون ذلك إلا بتغييره وتبديله، أو الزيادة فيه، أو النقصان منه، وهو الابتداع بلا إشكال، وإنما كان دينهم أولا دين أبيهم إبراهيم؛ فصار ذلك من جملة ما بدلوا فيه، كالبحيرة، والسائبة، ونصب الأصنام، وغيرها، حتى عد من جملة دينهم الذي يدينون به، ويعضده قوله تعالى بعد: {فذرهم وما يفترون}، فنسبهم إلى الافتراء ـ كما ترى ـ، والعصيان من حيث هو عصيان لا يكون افتراءا، وإنما يقع الافتراء في نفس التشريع، وفي أن هذا القتل من جملة ما جاء من الدين(٢).

القرآن

{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)} [الأنعام : ١٣٨]

التفسير:

وقال المشركون: هذه إبل وزرع حرام، لا يأكلها إلا مَن يأذنون له -حسب ادعائهم- مِن سدنة الأوثان وغيرهم.

وهذه إبل حُرِّمت ظهورها، فلا يحل ركوبها والحملُ عليها بحال من الأحوال.

وهذه إبل لا يَذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شئونها. فعلوا ذلك كذبًا منهم على الله، سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذبٍ عليه سبحانه.

قوله تعالى:{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" قال المشركون هذه أنعام وزروع أفردناها لآلهتنا حرام ممنوعة على غيرهم"(٣).

قال القرطبي:" أي: حرموا أنعاما وحرثا وجعلوها لأصنامهم، وقالوا: {لا يطعمها إلا من نشاء}"(٤).

قال ابن عباس:" فالحجر: ما حرموا من الوصيلة، وتحريم ما حرموا"(٥).

عن مجاهد: قوله: "{وقالوا هذه أنعام وحرث حجر}، مما جعلوا لله وشركائهم"(٦).

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: "{وقالوا هذه أنعام وحرث حجر}، إنما احتجروا ذلك الحرث لآلهتهم"(٧).

قال الضحاك:" أما{حجر}، يقول: محرَّم. وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها، كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها، ويعزلون من حرثهم شيئًا معلومًا لآلهتهم، ويقولون: لا يحل لنا ما سمّينا لآلهتنا"(١).

---

(١)للاستزادة انظر: سيرة ابن هشام ١/١٥١-١٥٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٣/١٣٠، وبلوغ الأرب للألوسي ٣/٤٦-٤٩.
(٢) انظر: الإعتصام:٢/٣٦١.
(٣) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(٤) تفسير القرطبي:٧/٩٤.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٣):ص٤/١٣٩٣.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٤):ص٤/١٣٩٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٥):ص٤/١٣٩٣.

و«الحِجْر» في كلام العرب، الحرام، يقال:حَجَرت على فلان كذا، أي حرَّمت عليه، ومنه قول الله: {وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا} [الفرقان: ٢٢] ، ومنه قول المتلمس[٢]:

حَنَّتْ إلَى النَّخْلَةِ القُصْوَى فَقُلْتُ لَهَا: ... حِجْرٌ حَرَامٌ، ألا ثَمَّ الدَّهَارِيسُ

وقول العجاج [٣]:

وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حُجْرِيُّ ... ومَحْرُمَاتٌ هَتْكُهَا بُجْرِيُّ

يعني: المحرّمَ.

ومنه قول الأعشى[٤]:

فَبِتُّ مُرْتَفِقًا[٥]، والعَيْنُ سَاهِرَةٌ ... كَأَنَّ نَوْمِي عَلَيَّ اللَّيْلَ مَحْجُورُ

أي حرام. يقال: حِجْر وحُجْر، بكسر «الحاء» و«ضمها»[٦].

وقرأ الحسن وقتادة: «وَحَرْثٌ حُجْرٌ»، بضم «الحاء»[٧].

وقرأ ابن عباس:« وَحَرْثٌ حِرْجٌ»، بـ«الراء» قبل «الجيم»[٨]. قال الطبري:" وهي لغة ثالثة، معناها ومعنى"الحجر" واحد"[٩].

قوله تعالى:{لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" لا يأكلها إلا مَن يأذنون له من خدمة الأوثان وغيرهم"[١٠].

قال السدي:"فيقولون: حرام أن يطعم إلا من شئنا"[١١].

قال ابن زيد:" قالوا: نحتجرها عن النساء ونجعلها للرجال"[١٢].

قال الكلبي : "جعلوها للرجال دون النساء"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري(١٣٩٢٣):ص١٤٣/١٢.
(٢)ديوانه قصيدة ٤، ومختارات ابن الشجري: ٣٢، ومجاز القرآن ١: ٢٠٧، وسيأتي في التفسير ١٩: ٣٠٢ (بولاق) ، اللسان (دهرس) ، ومعجم، استعجم: ١٣٠٤، ومعكم ياقوت (نخلة القصوى، ونسبه لجرير وهو المتلمس، جرير بن عبد المسيح، من قصيدته التي قالها في مهربه إلى الشام من عمرو بن هند، وقصة المتلمس وطرفة، وعمرو بن هند، مشهورة.
(٣)ديوان العجاج: ٦٨، واللسان (حجر) من رجز له طويل مشهور، ذكر فيه نفسه بالعفاف والصيانة فقال:
إنِّي امْرُؤٌ عَنْ جَارَتِي كَفِيُّ ... عَن الأذَى، إنَّ الأذَى مَقْلِيُّ
وَعَنْ تَبَغِّي سِرِّهَا غَنِيُّ
ثم قال بعد أبيات: وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حُجْرِيُّ ... ومَحْرُمَاتٌ هَتْكُهَا بُجْرِيُّ
وفسره صاحب اللسان فقال: "لها خاصة" .
(٤)ينسب إلى أعشى باهلة نسبه ابن بري في اللسان (رفق) ، ولم أجده في مكان آخر.، والبيت بلا نسبة في الطبري:١٤١/١٢.
(٥)اللسان (رفق) . ((مرتفقًا)) ، أي: متكئًا على مرفق يده.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٠/١٢-١٤١.
(٧) أخرجه الطبري(١٣٩١٥):ص١٤١/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٩١٦):ص١٤٢/١٢.
(٩) تفسير الطبري:١٤٢/١٢.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٩٠/١، والتفسير الميسر:١٤٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٦):ص١٣٩٤/٤.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٧):ص١٣٩٤/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٧٥/٢.

قال القرطبي:" قالوا{ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ}، وهم خدام الأصنام"[1].
قوله تعالى:{بِزَعْمِهِمْ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" بزعمهم الباطل من غير حجة ولا برهان"[2].
وفي «الأنعام والحرث» التي قالوا إنه لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، قولان:
أحدهما : أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم عندهم هي البَحِيْرَة والحام خاصة ، والحرث ما جعلوه لأوثانهم ، قاله الحسن[3]، ومجاهد[4].
والثاني : أن الأنعام هي ذبائح الأوثان ، والحرث ما جعلوه لها[5].
قوله تعالى:{وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" وهذه إبل حُرِّمت ظهورها، فلا يحل ركوبها والحملُ عليها بحال من الأحوال"[6].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وحرّم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهورَ بعض أنعامهم، فلا يركبون ظهورها، وهم ينتفعون برسْلِها ونِتَاجها وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب"[7].
عن ابن زيد:" {أنعام حرمت ظهورها}، قال: لا يركبها أحد"[8].
قال قتادة:" كانت تحرم عليهم في أموالهم من الشيطان، وتغليظ وتشديد، وكان ذلك من الشيطان ولم يكن ذلك من الله عز وجل"[9].
وفي قوله تعالى:{وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} [الأنعام : ١٣٨]، وجوه:
أحدها : أنها السائبة[10].
والثاني :البحيرة والسائبة والحام. قاله السدي[11].
والثالث: أنها التي لا يحجون عليها ، قاله أبو وائل[12].
قوله تعالى:{وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" وهذه إبل لا يَذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شئونها"[13].
قال الطبري:" وحرموا من أنعامهم أنعامًا أخر، فلا يحجُّون عليها، ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحالٍ، ولا إن حلبوها، ولا إن حمَلوا عليها"[14].
عن أبي وائل: "{وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها}، قال: لم يكن يحج عليها"[15].
قال السدي:" فكانوا لا يذكرون اسم الله عليها إذا ولدوها، ولا إن نحروها"[16].
قال مجاهد:" كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوا، ولا إن عملوا شيئًا"[17].

---

(١) تفسير القرطبي:٩٤/٧.
(٢) صفوة التفاسير:٣٩٠/١.
(٣)انظر: النكت والعيون:١٧٥/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٢.
(٥)انظر: النكت والعيون:١٧٥/٢.
(٦) التفسير الميسر:١٤٦.
(٧) تفسير الطبري:١٤٤/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٣٩٣١):ص١٤٥/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(٧٩٢٩):ص١٣٩٤/٤.
(١٠)انظر: النكت والعيون:١٧٦/٢.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٩٢٨):١٣٩٤/٤.
(١٢)انظر: النكت والعيون:١٧٦/٢.
(١٣) التفسير الميسر:١٤٦.
(١٤) تفسير الطبري:١٤٤/١٢.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٠):ص١٣٩٤/٤.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣١):ص١٣٩٤/٤.
(١٧) أخرجه الطبري(١٣٩٣٠):ص١٤٥/١٢.

قوله تعالى:{افْتِرَاءً عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" فعلوا ذلك كذبًا منهم على الله"[١].

قال الطبري:" يقول: فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا، وقالوا ما قالوا من ذلك، كذبًا على الله، وتخرّصًا الباطلَ عليه; لأنهم أضافوا ما كانوا يحرّمون من ذلك، على ما وصفه عنهم جل ثناؤه في كتابه، إلى أنّ الله هو الذي حرّمه، فنفى الله ذلك عن نفسه، وأكذبهم، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدّعون"[٢].

قال ابن زيد:" وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا وإن شئنا لم نجعل، وهذا أمر افتروه على الله {سيجزيهم بما كانوا يفترون}"[٣].

قوله تعالى:{سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذبٍ عليه سبحانه"[٤].

قال الطبري:" يقول: سيثيبهم ربُّهم بما كانوا يفترونَ على الله الكذبَ ثوابَهم، ويجزيهم بذلك جزاءهم"[٥].

الفوائد:

١- بيان قبائح المشركين وجرائمهم، حيث لا يطعمون من الأنعام إلا من يريدون بزعمهم الباطل من غير دليل ولا برهان، ومن الأنعام لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح، وإنما يذكرون عليها اسم أصنامهم افتراء على الله وكذباً.
٢- ومن الفوائد: تغليظ الكذب والافتراء على الله، فإن الكذب على الله حرام، سواء في ذلك افتراء الكذب على الله في العقيدة، أو في الأحكام.
٣- أن الله سيحاسب هؤلاء المشركين على هذا العمل في التحليل والتحريم، بغير علم.

القرآن

{وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)} [الأنعام : ١٣٩]

التفسير:

وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجنَّة مباح لرجالنا، ومحرم على نسائنا، إذا ولد حيًّا، ويشركون فيه إذا ولد ميتًا. سيعاقبهم الله إذ شرَّعوا لأنفسهم من التحليل والتحريم ما لم يأذن به الله. إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم.

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجنَّة مباح لرجالنا خاصة"[٦].

عن سفيان بن حسين: "{قالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة}، قال: خالصة لأزواجنا"[٧].

عن السدي: قوله: "{خالصة لذكورنا}، فهي خالصة للرجال دون النساء"[٨].

وعن مجاهد: {هذه الأنعام خالصة لذكورن}،ا قال: السائبة والبحيرة"[٩].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢) تفسير الطبري:١٢/١٤٦.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٢):ص٤/١٣٩٤.
(٤) التفسير الميسر:١٤٦.
(٥) تفسير الطبري:١٢/١٤٦.
(٦) التفسير الميسر:١٤٦، وصفوة التفاسير:١/٣٩١.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٤):ص٥/١٣٩٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٧):ص٥/١٣٩٥.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٦):ص٥/١٣٩٥.

وفي قوله تعالى:{مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ} [الأنعام : ١٣٩] ثلاثة أقوال:

أحدها : أن ما في بطونها الأجنة، قاله : مجاهد[١]، والسدي[٢].
والثاني : الألبان ، قاله ابن عباس[٣]، وقتادة[٤].
والثالث : الجميع : الأجنة والألبان ، قاله ابن عباس –أيضا-[٥]، ومقاتل[٦].

عن ابن عباس: قوله: "{وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا}، يعني: اللبن، كانوا يحرمونه على إناثهم ويشربونه ذكرانهم، كانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه، فكان للرجال دون النساء. وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح"[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعيانها: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا، واللبن ما في بطونها، وكذلك أجنتها. ولم يخصُص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا: بعضُ ذلك حرام عليهن دون بعض، وإذ كان ذلك كذلك، فالواجب أن يقال إنهم قالوا: ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حِلٌّ لذكورهم خالصة دون إناثهم، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم، إلا أن يكون الذي في بطونها من الأجنة ميتًا، فيشترك حينئذ في أكله الرجال والنساء"[٨].

وقوله:{خالصة}، "أريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الأنعام التي كانوا حرَّموا ما في بطونها على أزواجهم، لذكورهم دون إناثهم، كما فعل ذلك بـ«الراوية» و«النسابة» و«العلامة»، إذا أريد بها المبالغة في وصف من كان ذلك من صفته، كما يقال:فلان خالصة فلان، وخُلصانه"[٩].

قوله تعالى:{وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" ومحرم على نسائنا"[١٠].

عن مجاهد: قوله: "{ومحرم على أزواجنا}، قال: النساء"[١١]. وروي عن السدي وقتادة نحو ذلك[١٢].

وروي عن ابن زيد: "{ومحرم على أزواجنا} ، قال:«الأزواج»، البنات. وقالوا: ليس للبنات منه شيء"[١٣].

قال الطبري:" و«الأزواج»، إنما هي نساؤهم في كلامهم، وهن لا شك بنات من هن أولاده، وحلائل من هن أزواجه"[١٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" وإن كان هذا المولود منها ميتة اشترك فيه الذكور والإناث"[١٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٠):ص١٤٨/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٩):ص١٤٧/١٢-١٤٨، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٩٣٣):ص١٣٩٥/٥.
(٣)انظر: تفسير البطبري(١٣٩٣٢):ص١٤٦/١٢، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٩٣٥):ص١٣٩٥/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٣٤):ص١٤٧/١٢.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٩٣٣):ص١٣٩٥/٥.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٣):ص١٣٩٥/٥.
(٨) تفسير الطبري:١٤٨/١٢.
(٩) تفسير الطبري:١٥٠/١٢.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٨):ص١٣٩٥/٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٩٥/٥. حكاه عنهم دون ذكر السند.
(١٣) أخرجه الطبري(١٣٩٤٢):ص١٥٠/١٢.
(١٤) تفسير الطبري:١٥٠/١٢.
(١٥) صفوة التفاسير:٣٩١/١.

قال الطبري:" قوله: {فهم فيه شركا}، فإنه يعني: أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله، لا يحرمونه على أحد منهم"(١).

قال ابن عباس:" كانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح، {وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء}، فنهاهم الله عن ذلك"(٢).

قال السدي:" ما ولدت من ميت فيأكله الرجال والنساء"(٣). وروي عن عكرمة وقتادة نحو ذلك(٤).

عن ابن زيد:قوله:{ إن يكن ميتة فهم فيه شركاء}" تأكل النساء مع الرجال، إن كان الذي يخرج من بطونها ميتة، فهم فيه شركاء، وقالوا: إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبًا، وإن شئنا لم نجعل"(٥).

قال الطبري:" وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوَّله ابن زيد، لأن ظاهرها يدل على أنهم قالوا: إن يكن ما في بطونها ميتة، فنحن فيه شركاء، بغير شرط مشيئة. وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم"(٦).

قرأ ابن كثير {وإن يكن ميتة} بالياء و {ميتة} رفعا خفيفة، وقرأ ابن عامر«وإن تكن»، بالتاء {ميتة} رفعا، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر« وإن تكن» بالتاء {ميتة} نصبا، وروى حفص عن عاصم {وإن يكن} بالياء {ميتة} نصبا، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائى {وإن يكن} بالياء {ميتة} نصبا (٧).

قوله تعالى:{سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم"(٨).

قال السمعاني:" أي: جزاء كذبهم"(٩).

قال الطبري:" أي: سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب في تحريمهم ما لم يحرّمه الله، وتحليلهم ما لم يحلله الله، وإضافتهم كذبهم في ذلك إلى الله ، وقوله: {وصفهم}، يعني بـ«وصفهم»، الكذبَ على الله، وذلك كما قال جلَّ ثناؤه في موضع آخر من كتابه: {وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ}[سورة النحل: ٦٢] "(١٠).

عن مجاهد: قوله: "{سيجزيهم وصفهم}، قال: قولهم الكذب في ذلك"(١١). وروي عن أبي العالية(١٢)، وقتادة(١٣) نحو ذلك.

---

(١) تفسير الطبري:١٥١/١٢.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٣٩):ص١٣٩٦/٥.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٤٠):ص١٣٩٦/٥.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٩٦/٥. حكاه عنهم دون ذكر السند.
(٥) أخرجه الطبري(١٣٩٤٥):ص١٥١/١٢.
(٦) تفسير الطبري:١٥١/١٢.
(٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٠-٢٧١.
(٨) صفوة التفاسير:٣٩١/١.
(٩) تفسير السمعاني:١٤٩/٢.
(١٠) تفسير الطبري:١٥٢/١٢.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٤١):ص١٣٩٦/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٤٨):ص١٥٢/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٣٩/٥، حكاه عنهم دون ذكر السند.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٤٩):ص١٥٢/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٣٩/٥، حكاه عنهم دون ذكر السند.

قوله تعالى:{إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم"[١].

قال الطبري:أي:"إن الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه{حكيم}، في سائر تدبيره في خلقه،{عليم}، بما يصلحهم، وبغير ذلك من أمورهم"[٢].

قال ابن كثير:" إنه { حَكِيمٌ }، أي : في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، { عَلِيمٌ } بأعمال عباده من خير وشر ، وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء"[٣].

الفوائد:

١- في الآية الكريمة بيان لقبائح المشركين وجرائمهم، حيثأنهم قالوا: ما في بطون هذه الأنعام حلال لذكرونا خاصة، ومحرم على أزواجنا، بمعنى أنه لا يجوز على زعمهم أن تأكل منه أزواجهم، وإن كان المولود منها ميتة، اشترك في أكله الذكور والإناث.. وسيحاسبهم الله تعالى على هذا العمل في التحليل والتحريم، بغير علم.

٢- ومن الفوائد: إثبات اسمين من اسمائه تعالى، وهما:«الحكيم»، و«العليم»:

- فـ«العليم»، والعِلمُ صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجلَّ، ، فهو سبحانه «العليم»المحيط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[٤].
- و«الحكيم»: "هو المحكم لخلق الأشياء.قال تعالى: {آلر، تلك آيات الكتاب الحكيم} [يونس:١] وقال في موضع آخر: {كتاب أحكمت آياته} [هود: ١].

فدل على أن المراد بـ«الحكيم» هنا، الذي أحكمت آياته، صرف عن مفعل إلى فعيل، ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها[٥].

القرآن

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)} [الأنعام : ١٤٠]

التفسير:

قد خسر وهلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحرموا ما رزقهم الله كذبًا على الله. قد بَعُدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد. فالتحليل والتحريم من خصائص الألوهية في التشريع، والحلال ما أحله الله، والحرام ما حرَّمه الله، وليس لأحد من خَلْقه فردًا كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله.

سبب النزول:

عن عكرمة، قوله: "{ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْسَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} ، قال: نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومُضَر، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى. فإذا كانت الجارية التي تَئِد، غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها:أنت علي كظهر أمِّي إن رجعت إليك ولم تئديها، فتخُدُّ لها في الأرض خدًّا، وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها، ثم يتداولنها، حتى إذا أبصرته راجعًا دستها في حفرتها، ثم سوّت عليها التراب"[٦].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢) تفسير الطبري:١٥٢/١٢.

(٣) تفسير ابن كثير:٣٤٦/٣.

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:١٨٨/١.

(٥) انظر: شأن الدعاء، للخطابي:٧٣-٧٤.

(٦) أخرجه الطبري(١٣٩٥٠):ص١٥٤/١٢. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٦٦) ونسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.

قوله تعالى:{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:"والله لقد خسر هؤلاء السفهاء الذين قتلوا أولادهم"(١).

قال أبو رزين:" قد ضلوا قبل ذلك"(٢).

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره: قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذبَ، العادلون به الأوثانَ والأصنام، الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم، وتحريم ما أنعمت به عليهم من أموالهم، فقتلوا طاعة لها أولادهم"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : قد خسر الذين فعلوا هذه الأفعال في الدنيا والآخرة"(٤).

قال السعدي:" أي: خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصْفُهم -بعد العقول الرزينة- السفه المردي، والضلال"(٥).

قال الزمخشري: "نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر"(٦).

قال مقاتل :"وكانت ربيعة ومضر يدفنون البنات وهن أحياء غير بني كنانة كانوا لا يفعلون ذلك"(٧).

قال السمعاني:" أي: هلك وغبن الذين قتلوا أولادهم وذلك من وأد البنات، وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات حية، حتى كان الرجل منهم يقتل ولده، ويربي كلبه. وكان البعض يفعل ذلك دون البعض، وقيل: كان ذلك في قبيلتين: ربيعة، ومضر، كانا يدفنان البنات وهن حيات، فأما بنو كنانة وسائرهم ما كانوا يفعلون ذلك"(٨).

قال القرطبي:" أخبر بخسرانهم لو أدهم البنات وتحريمهم البحيرة وغيرها بعقولهم، فقتلوا أولادهم سفها خوف الإملاق، وحجروا على أنفسهم في أموالهم ولم يخشوا الإملاق، فأبان ذلك عن تناقض رأيهم. قلت: إنه كان من العرب من يقتل ولده خشية الإملاق، كما ذكر الله عز وجل في غير هذا الموضع. وكان منهم من يقتله سفها بغير حجة منهم في قتلهم، وهم ربيعة ومضر، وكانوايقتلون بناتهم لأجل الحمية. ومنهم من يقول: الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالبنات.

وروي أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يزال مغتما بين يدي رسول الله صلى عليه وسلم: «مالك تكون محزونا»؟ فقال: يا رسول الله، إن أذنبت ذنبا في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت! فقال له:«أخبرني عن ذنبك ». فقال: يا رسول الله، إن كنت، من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت إلي امرأتي أن أتركها فتركتها حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب القبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي، فسرت بذلك وزينتها بالثياب والحلي، وأخذت علي المواثيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقيها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبت! أيش تريد أن تفعل بي! فرحمتها، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضيع أمانة أمي، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله

---

(١)صفوة التفاسير:٣٩١/١.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٢):ص١٣٩٦/٥.
(٣) تفسير الطبري:١٥٣/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٣.
(٥) تفسير السعدي:٢٧٥.
(٦) الكشاف:٧٢/٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٣/١.
(٨) تفسير السمعاني:١٤٩/٢.

صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال: «لو أمرت أن أعاقب أحدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك»[1]"[2].

وقرأ ابن كثير وابن عامر:«قتّلوا» بالتشديد[3].

قوله تعالى:{سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" جهالة وسفاهة لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرازق لهم ولأولادهم"[4].

قال مقاتل:" يعني: جهلا بغير علم"[5].

قال السمعاني:" أي: جهلا لا عن بصيرة"[6].

قال النسفي:" لخفة أحلامهم وجهلهم بأن لله هو رازق أولادهم لا هم"[7].

قال الطبري:"يقول: فعلوا ما فعلوا من ذلكَ جهالة منهم بما لهم وعليهم، ونقصَ عقول، وضعفَ أحلام منهم، وقلة فهم بعاجل ضرّه وآجل مكروهه، من عظيم عقاب الله عليه لهم"[8].

قال الزمخشري: أي:" لخفة أحلامهم، وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم، لا هم"[9].

قال قتادة:" وهذا صنع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة، ويغذو كلبه"[10].

عن الحارث قال:" حدثنا عبد العزيز قال: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام قوله: {قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم}، الآية"[11].

وروي عن ابن عباس، قال : "إذا سَرَّك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ، { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ }"[12].

قال ابن العربي: "وهذا الذي قاله - رضي الله عنه - كلام صحيح، فإنها تصرفت بعقولها القاصرة في تنويع الحلال والحرام سفاهة بغير معرفة ولا عدل؛ والذي تصرفت بالجهل فيه من اتخاذ آلهة أعظم جهلا وأكبر جرما؛ فإن الاعتداء على الله أعظم من الاعتداء على المخلوقين.

والدليل على أن الله تعالى واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في مخلوقاته أبين وأوضح من الدليل على أن هذا حلال، وهذا حرام.

وقد روي أن رجلا قال لعمرو بن العاص: إنكم على كمال عقولكم ووفور أحلامكم كنتم تعبدون الحجر. فقال عمرو: تلك عقول كادها باريها.

---

(١) ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره:٤٨٨/١، دون إسناد. ورواه الدارمي في سننه: المقدمة - ما كان عليه الناس قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - (٢).

(٢) تفسير القطربي:٩٧/٧.

(٣) انظر: السبعة في القراءات:٢٧١، والكشاف:٧٢/٢.

(٤) صفوة التفاسير:٣٩١/١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٢/١.

(٦) تفسير السمعاني:١٤٩/٢.

(٧) تفسير النسفي:٥٤٢/١.

(٨) تفسير الطبري:١٥٣/١٢.

(٩) الكشاف:٧٢/٢.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٣):ص١٣٩٦/٥.

(١١) أخرجه الطبري(١٣٩٥٣):ص١٥٥/١٢.

(١٢) أخرجه البخاري برقم (٣٥٢٤)، وابن مردويه، كما في تفسير ابن كثير:٢٤٧/٣.

هذا الذي أخبر الله تعالى عنه من سخافة العرب وجهلها أمر أذهبه الله تعالى بالإسلام، وأبطله ببعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان من الظاهر لنا أن نميته حتى لا يظهر، وننساه حتى لا يذكر إلا أن ربنا تبارك وتعالى ذكره بنصه، وأورده بشرحه، كما ذكر كفر الكافرين به. وكانت الحكمة في ذلك والله أعلم أن قضاءه قد سبق، وحكمه قد نفذ، بأن الكفر والتخليط لا ينقطعان إلى يوم القيامة"(١).

قوله تعالى:{وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله"(٢).

قال أبو الليث:"يعني: ما أعطاهم"(٣).

قال مقاتل:" من الحرث والأنعام"(٤).

قال البغوي:" يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام"(٥).

قال ابن كثير:أي:" فحرموا أشياء ابتدعوها من تلقاء أنفسهم"(٦).

قال السعدي:" أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقا لهم. فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أَحَلِّ الحلال"(٧).

قال السدي:"ذكر ما صنعوا في أموالهم وأولادهم، فقال: {وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله}"(٨).

عن قتادة: قوله: "{وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله}، قال: هم أهل الجاهلية، جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا، تحكما من الشيطان في أموالهم"(٩).

وفي رواية أخرى عن قتادة أيضا:" هم أهل الجاهلية، جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا تحريما من الشيطان، وحرموا من مواشيهم وحرثهم، فكان ذلك من الشيطان {افتراء على الله}"(١٠).

قوله تعالى:{افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" كذباً واختلافاً على الله"(١١).

قال مقاتل:" الكذب، حين زعموا أن الله أمرهم بهذا، يعني: بتحريمه"(١٢).

قال الطبري:"يقول: تكذّبًا على الله وتخرصًا عليه الباطل"(١٣).

قال السعدي:" أي: كذبا يكذب به كل معاند كَفَّار"(١٤).

قال البغوي:" حيث قالوا: إن الله أمرهم بها"(١٥).

قال السمعاني:" لأنهم كانوا يدعونه دينا من الله - تعالى - وقد كذبوا في ذلك عليه"(١٦).

قوله تعالى:{قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" قد بَعُدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد"(١).

---

(١) أحكام القرآن:٢/٢٧٦-٢٧٧.
(٢) التفسير الميسر:١٤٦.[بتصرف بسيط].
(٣) بحر العلوم:١/٤٨٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٩٣.
(٥) تفسير البغوي:٣/١٩٤.
(٦) تفسير ابن كثير:٣/٣٤٧.
(٧) تفسير السعدي:٢٧٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٤):ص٥/١٣٩٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٥):ص٥/١٣٩٧.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٦):ص٥/١٣٩٧.
(١١)صفوة التفاسير:١/٣٩١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١/٥٩٣.
(١٣) تفسير الطبري:١٢/١٥٣.
(١٤) تفسير السعدي:٢٧٥.
(١٥) تفسير البغوي:٣/١٩٤.
(١٦) تفسير السمعاني:٢/١٤٩.

قال السعدي:" أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم"(٢).
قال الطبري:"يقول: قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل ،{وما كانوا مهتدين}، يقول: ولم يكن فاعلو ذلك على هدًى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك، ولا كانوا مهتدين للصواب فيها، ولا موفقين له، ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات من قوله: {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا} الذين كانوا يبحرون البحائر، ويسيِّبون السوائب، ويئدون البنات"(٣).
قال أبو السعود:أي:" عن الطريق المستقيم، {وما كانوا مهتدين} إليه وإن هدوا بفنون الهدايات، أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم، فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الأول عطف على {ضلوا}"(٤).

قال أبو رزين:"ضلوا بقتل أولادهم"(٥)، "لم يكونوا مهتدين بقتل أولادهم"(٦).

الفوائد:

١- إتباع الكفار الجاهلية أهوائهم في التشريع بغير هدى من الله.
٢- أنه لولا الشرك الخبيث وتزيين الشياطين للقوم، لما راجت هذه الوسوسة عندهم، قال تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاء عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ}.
لقد خسروا بقتل أولادهم وبوأد بناتهم خسراناً عظيماً، قال صاحب المنار: "وذلك أن خسران الأولاد يستلزم خسران كل ما يرجى من فوائدهم من العزة والنصرة والبر والصلة، والفخر والزينة والسرور، كما يستلزم خسران الوالد القاتل لعاطفة الأبوة ورأفتها، وما يتبع ذلك من القسوة والغلظة والشراسة، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق التي يضيق بها العيش في الدنيا، ويترتب عليها العقاب في الآخرة"(٧).

ولذلك علل سبحانه هذا الجرم بسفه النفس، وهو اضطرابها وحماقتها، وبالجهل أي: عدم العلم بما ينفع ويضر.. فهذه الأعمال أقبح ما كانت عليه العرب من غواية الشرك. كما قال قتادة: "هذا صنيع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة، ويغذو كلبه"(٨).

وروي أنّ أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، حيث أن بنتا لأمير لهم وقعت أسيرة في أيدي قبيلة أغارت عليها، فلما عقد الصلح، لم تشأ البنت العودة إلى بيت أبيها، واختارت بيت آسرها، فغضب وسن لقومه الوأد، وقلدته بقية العرب.

ويذكر أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد، ويتركه عشرة، فجاء الإسلام، وقد قل ذلك فيها إلا من بني تميم، فإنهم تزايد فيهم ذلك قبيل الإسلام(٩).

---

(١) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢) تفسير السعدي:٢٧٥.
(٣) تفسير الطبري:١٥٣/١٢-١٥٤.
(٤) تفسير أبي السعود:١٩٠/٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٧):ص١٣٩٧/٥.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٨):ص١٣٩٧/٥.
(٧)تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٣١/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٣):ص١٣٩٦/٥.
(٩) انظر: بلوغ الأرب للألوسي ٤٢/٣-٤٣، وتاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٢٩٩/٥.

وقد شنع القرآن الكريم على الذين يئدون البنات، وقبح فعلهم المبني على الظلم والجور والجهل، قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}[النحل:٥٨-٥٩]، وقال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ}[التكوير:٨-٩].

قال صاحب التسهيل: "الموؤدة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية، من كراهته لها أو غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت؟ على وجه التوبيخ"(١).

وكان من الأمور الهامة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها النساء، عدم قتل أولادهن، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍفَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[الممتحنة:١٢].

وثبت في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني بحليلة جارك، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ}(٢) الآية"(٣).

٣- ومن الفوائد: أن المبتدع يلقى عليه الذل في الدنيا والغضب من الله تعالى، حيث كانت البدع كلها افتراء على الله حسبما أخبر في كتابه في قوله: {قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله}، فهم شرعوا شرعة، وابتدعوا في ملة إبراهيم عليه السلام، توهما أن ذلك يقربهم من الله كما يقرب من الله ما جاء به إبراهيم عليه السلام من الحق فزلوا وافتروا على الله الكذب إذ زعموا أن هذا من ذلك وتاهوا في المشروع.
٤- ومنها:توحيده سبحانه وتعالى في شرعه، فلا حاكم ولا محلل ولا محرم سواه عزّ وجل.

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)} [الأنعام : ١٤١]
التفسير:
والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأعناب، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعًا طعمه، والزيتون والرمان متشابهًا منظره، ومختلفًا ثمره وطعمه. كلوا -أيها الناس- مِن ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم حصاده وقطافه، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده بإنفاق المال في غير وجهه.

---

(١)التسهيل لعلوم التنزيل لابن الكلبي ٣٤٦/٤.
(٢) [الفرقان:٦٨].
(٣)صحيح البخاري بشرح الفتح ١٦٣/٨، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ومسلم ٩٠/١ كتاب الإيمان، باب الشرك أقبح الذنوب ... حديث رقم: ١٤١-١٤٢.

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:
أحدها: عن أبي العالية؛ قال: "كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا؛ فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}"(١). [ضعيف]
والثاني: عن ابن جريج؛ قال: "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وجد نخلاً، فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة؛ فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} "(٢). [ضعيف جداً]
قال البغوي:" قال ابن عباس في رواية الكلبي: إن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يترك لأهله شيئا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية"(٣).
والثالث: قال ابن جريج: "وقال آخرون جذ معاذ بن جبل نخله فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء فنزلت: {وَلَا تُسْرِفُوا}" (٤).
قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها منها مرفوعات على عيدان، ومنها متروكات على وجه الأرض لم تعرش"(٥).
قال البغوي:أي:" ابتدع بساتين، مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات"(٦).
قال ابن كثير:" يقول تعالى بيانا لأنه الخالق لكل شيء ، من الزروع والثمار والأنعام التي تصرف فيها المشركون بآرائهم الفاسدة وقسَّموها وجَزَّءوها ، فجعلوا منها حرامًا وحلالا فقال : { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ }"(٧).
قال الطبري:" : وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله ، وتنبيهٌ منه لهم على موضع إحسانه ، وتعريفٌ منه لهم ما أحلَّ وحرَّم وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقًّا . يقول تعالى ذكره : وربكم ، أيها الناس {أنشأ} ، أي أحدث وابتدع خلقًا ، لا الآلهة والأصنام {جنات} ، يعني : بساتين {معروشات}، وهي ما عَرَش الناس من الكروم، {وغير معروشات}، غير مرفوعات مبنيَّات ، لا ينبته الناس ولا يرفعونه ، ولكن الله يرفعه وينبته وينمِّيه"(٨).
اختلف في قوله تعالى:{مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]، على أربعة أقوال:
أحدها : أنه تعريش الناس الكروم وغيرها ، بأن ترفع أغصانها ، قاله ابن عباس(٩)، والسدي(١٠).

---

(١)أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣/ ١٨٥)، والطبري في "جامع البيان" (١٤٠٣٨):ص١٧٤/١٢،[وفيه:" تبارَوْا فيه".وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦١) من طريق المعتمر بن سليمان ثنا عاصم الأحول عن أبي العالية.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٦٩) وزاد نسبته لأبي الشيخ.
(٢)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٤٠٤٠):ص١٧٤/١٢ -: ثنا حجاج عنه به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد صاحب "التفسير".
وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦٦) من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج: جدّ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- نخلة، فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء؛ فنزلت: {وَلَا تُسْرِفُوا}.
قلنا: وهذا معضل.
(٣) تفسير البغوي:١٩٥/٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٤):ص١٤٦٥/٥.
(٥) صفوة التفاسير:٣٩٣/١، والتفسير الميسر:١٤٦.
(٦) تفسير البغوي:١٩٥/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٣٤٧/٣.
(٨) تفسير الطبري:١٥٥/١٢-١٥٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٥٥)، و(١٣٩٥٨):ص١٥٦/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٥٧):ص١٥٦/١٢.

والثاني : أن تعريشها هو رفع حظارها وحيطانها. ذكره الماوردي[1].
والثالث : أنها المرتفعة عن الأرض لعلو شجرها ، فلا يقع ثمرها على الأرض ، لأن أصله الارتفاع ولذلك سُمِّيَ السرير عرشاً لارتفاعه ، ومنه قوله تعالى :{خاوية على عروشها} [الكهف : ٤٢] و [الحج : ٤٥]، أي: على أعاليها وما ارتفع منها[2].
والرابع : أن المعروشات ما عرشه الناس ، وغير المعروشات ما نبت في البراري والجبال. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[3].

قوله تعالى:{وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" وأنشأ لكم شجر النخيل المثمر بما هو فاكهة وقوت، وأنواع الزرع المحصّل لأنواع القوت مختلفاً ثمره وحبُّه في اللون والطعم والحجم والرائحة"[4].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه : وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله يعني بـ «الأكل»، الثمر. يقول : وخلق النخل والزرع مختلفًا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب "[5].

قال القرطبي:"قوله تعالى: {والنخل والزرع} أفردهما بالذكر وهما داخلان في الجنات لما فيهما من الفضيلة"[6].

قوله تعالى:{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" والزيتون والرمان متشابهًا منظره، ومختلفًا ثمره وطعمه"[7].

قال الطبري:يعني:" في الطعم ،منه الحلو ، والحامض ، والمزّ"[8].

قال ابن جريج:" {متشابهًا}، في المنظر،{وغير متشابه}، في الطعم"[9].

وذكر القرطبي:" في قوله تعالى:{ {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}[الأنعام : ١٤١]، أدلة ثلاثة:
أحدها: ما تقدم من قيام الدليل على أن المتغيرات لا بدلها من مغير.
الثاني على المنة منه سبحانه علينا، فلو شاء إذ خلقنا ألا يخلق لنا غذاء، إذ خلقه ألا يكون جميل المنظر طيب الطعم، وإذ خلقه كذلك ألا يكون سهل الجني، فلم يكن عليه أن يفعل ذلك ابتداء، لأنه لا يجب عليه شي.
الثالث على القدرة في أن يكون الماء الذي من شأنه الرسوب يصعد بقدرة الله الواحد علام الغيوب من أسافل الشجرة إلى أعاليها، حتى إذا انتهى إلى آخرها نشأ فيها أوراق ليست من جنسها، وثمر خارج من صفته الجرم الوافر، واللون الزاهر، والجني الجديد، والطعم اللذيذ، فأين الطبائع وأجناسها.

فأين الفلاسفة وأناسها، هل في قدرة الطبيعة أن تتقن هذا الإتقان، أو ترتب هذا الترتيب العجيب! كلا! لا يتم ذلك في العقول إلا لحي عالم قدير مريد.

فسبحان من له في كل شي آية ونهاية!

ووجه اتصال هذا بما قبله أن الكفار لما افتروا على الله الكذب وأشركوا معه وحللوا وحرموا دلهم على وحدانيته بأنه خالق الأشياء، وأنه جعل هذه الأشياء أرزاقا لهم"[10].

---

(١) انظر: النكت والعيون:١٧٧/٢.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٧٨/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٥٦):ص١٥٦/١٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٩٣/١.
(٥) تفسير الطبري:١٥٧/١٢.
(٦) تفسير القرطبي:٩٨/٧.
(٧) التفسير الميسر:١٤٦.
(٨) تفسير الطبري:١٥٧/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٣٩٥٩):ص١٥٧/١٢.
(١٠) تفسير القرطبي:٩٩/٧.

قوله تعالى:{كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" كلوا -أيها الناس- مِن ثمره إذا أثمر"[١].

قال الطبري:" يقول : كلوا من رطبه ما كان رطبًا ثمره"[٢].

عن محمد بن كعب:{كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}، قال:" من رطبه وعنبه"[٣]. وروي عن موسى بن عبيدة مثل ذلك[٤].

وإنما قدم ذكر «الأكل» لأمرين[٥]:

أحدهما : تسهيلاً لإيتاء حقه .

والثاني : تغليباً لحقهم وافتتاحاً بنفعهم بأموالهم .

قوله تعالى:{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم حصاده وقطاف"[٦].

عن الضحاك في قوله :"{وآتوا حقه يوم حصاده}، قال : يوم كيله"[٧].

محمد بن الحنفية قوله :"{وآتوا حقه يوم حصاده} ، قال : يوم كيله ، يعطي العشر ونصف العشر"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام : ١٤١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها الصدقة المفروضة فيه : العُشْر فيما سقي بغير آلة ، ونصف العشر فيما سقي بآلة، قاله أنس بن مالك[٩]، وابن عباس[١٠]، والحسن[١١]، وجابر بن زيد[١٢]، وسعيد بن المسيب[١٣] وقتادة[١٤]، وطاوس[١٥]، ومحمد بن حنيفة[١٦]، والضحاك[١٧]، وابن زيد[١٨]، وهو قول الجمهور[١٩].

والثاني : أنها صدقة غير الزكاة ، مفروضة يوم الحصاد والصرام وهي إطعام من حضر وترك ما تساقط من الزرع والثمر ، قاله ابن عمر[٢٠]، وعطاء[٢١]، ومجاهد[٢٢]، وسعيد بن جبير[٢٣]،

---

(١) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢) تفسير الطبري:١٥٧/١٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٣٩٦٠):ص١٥٧/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦١):ص١٥٧/١٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:١٧٨/٢.
(٦) التفسير الميسر:١٤٦.
(٧) أخرجه الطبري(١٤٠٣٥):ص١٧٢/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٤٠٣٦):ص١٧٢/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٣):ص١٥٨/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٤):ص١٥٨/١٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٢):ص١٥٨/١٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٧):ص١٥٩/١٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٩):ص١٥٩/١٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٧٣):ص١٦٠/١٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٧٤):ص١٦٠/١٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٧٥):ص١٦٠/١٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٨٠):ص١٦١/١٢.
(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٨١):ص١٦١/١٢.
(١٩) انظر: النكت والعيون:١٧٨/٢.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٠١):ص١٦٥/١٢.
(٢١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٨٦)-(١٣٩٩٠):ص١٦٢/١٢-١٦٣.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩٢)(١٣٩٩٨):ص١٦٣/١٢-١٦٤.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١٥):ص١٦٧/١٢.

ومحمد بن كعب(١)، والربيع بن أنس(٢)، وابن سيرين(٣)، وإبراهيم(٤)، وحماد(٥)، وابن أبي نجيح(٦).

قال يزيد بن الأصم:" كان النخل إذا صُرِم يجيء الرجل بالعِذْق من نخله ، فيعلّقه في جانب المسجد ، فيجيء المسكين فيضربُه بعصاه ، فإذا تناثر أكلَ منه . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حَسن أو حسين ، فتناول تمرةً ، فانتزعها من فيه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصَّدقة ، ولا أهلُ بيته . فذلك قوله : {وآتوا حقَّه يوم حصاده}"(٧) .

وعن ميمون بن مهران ، ويزيد بن الأصم قالا :"كان أهل المدينة إذا صرموا يجيئون بالعِذْق فيضعونه في المسجد ، ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه ، فيسقط منه ، وهو قوله : {وآتوا حقَّه يوم حصاده}"(٨).

والثالث : أن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها ، روي ذلك عن ابن عباس(٩)، والحسن(١٠)، وسعيد بن جبير(١١)، وإبراهيم(١٢)، والسدي(١٣)، وعطية(١٤)، وابن حنيفة(١٥).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، قولُ من قال : كان ذلك فرضًا فرضه الله على المؤمنين في طعامِهم وثمارهم التي تُخْرجها زروعهم وغرُوسهم ، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومةِ من العشر ونصف العشر. وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم : أنّ صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس والتنقية والتذرية ، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الإجزاز.

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله جل ثناؤه : {وآتوا حقه يوم حصاده}، ينبئ عن أنه أمرٌ من الله جل ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ، وكان يوم حصاده هو يوم جَدِّه وقطعه ، والحبُّ لا شك أنه في ذلك اليوم في سنبله ، والتَّمر وإن كان ثمر نخل أو كَرْم غيرُ مستحكم جُفوفه ويبسه ، وكانت الصدقة من الحبِّ إنما تؤخذ بعد دِياسه وتذريته وتنقيته كيلا والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كَيْلا علم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حَصْده ، غير الذي يجب إيتاؤه المساكين يوم حَصاده"(١٦).

قرأ أهل البصرة وابن عامر وعاصم :{حصاده} بفتح الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها ومعناهما واحد، كالصرام والصرام والجزاز والجزاز (١٧).

قوله تعالى:{وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده بإنفاق المال في غير وجهه"(١٨).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١٨):ص١٢/١٦٧-١٦٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١٢):ص١٢/١٦٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٠٣):ص١٢/١٦٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٠٥)-(١٤٠٠٨):ص١٢/١٦٥-١٦٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩١):ص١٢/١٦٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩٩):ص١٢/١٦٤.
(٧) أخرجه الطبري(١٤٠٠٩):ص١٢/١٦٦.
(٨) أخرجه الطبري(١٤٠١٠):ص١٢/١٦٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٠):ص١٢/١٦٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٨):ص١٢/١٦٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٣):ص١٢/١٦٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٤)(١٤٠٢٧):ص١٢/١٥٨-١٦٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٩):ص١٢/١٦٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٣٤):ص١٢/١٧٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٢):ص١٢/١٥٨.
(١٦) تفسير الطبري:١٢/١٧٠-١٧١.
(١٧) انظر: تفسير البغوي:٣/١٩٥.
(١٨) التفسير الميسر:١٤٦.

وفي قوله تعالى:{وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام : ١٤١]، ستة أقوال:

أحدها : أن هذا الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زيادة تجحف به ، قاله أبو العالية[١]، وعطاء[٢]، وابن جريج[٣]، وإياس بن معاوية[٤]، والسدي[٥].

وقد روى سعد بن سنان عن أنس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا"[٦].

وقيل : إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله[٧].

والثاني : هو أن الخطاب للسلطان، نُهى أن يأخذ من ربّ المال فوق الذي ألزم الله ماله، قاله ابن زيد[٨].

والثالث : أن الخطاب في الآية للمساكين، يقول: لا تأخذوا فوق حقكم. وهو مروي عن ابن زيد -ايضا-[٩].

والرابع: هو أن يمنع رب المال من دفع القدر الواجب عليه ، قاله سعيد بن والمسيب[١٠]، ومحمد بن كعب[١١].

والخامس: أن المراد بهذا السرف ما كانوا يشركون آلهتهم فيه من الحرث والأنعام ، قاله الكلبي[١٢].

والسادس : هو أن يسرف في الأكل منها قبل أن يؤدي زكاتها ، قاله ابن بحر[١٣].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله : {ولا تسرفوا}، عن جميع معاني«الإسراف»، ولم يخصص منها معنًى دون معنى . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان «الإسراف» في كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحق في العطية ، إما بتجاوز حدّه في الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب كان معلومًا أن المفرِّق مالَه مباراةً ، والباذلَهُ للناس حتى أجحفت به عطيته ، مسرفٌ بتجاوزه حدَّ الله إلى ما ليس له.

وكذلك المقصِّر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهلَ سُهْمَان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها. وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون في معنى مَنْ أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : {ولا تسرفوا}، في

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٣٧)-(١٤٠٣٩):ص١٧٣/١٢-١٧٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤١):ص١٧٤/١٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٠):ص١٧٤/١٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٢):ص١٧٥/١٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٣):ص١٧٥/١٢.

(٦)أخرجه أبو داود من رواية أنس بن مالك رضي اللّه عنه، في السنن ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤، كتاب الزكاة (٣)، باب في زكاة السائمة (٤)، الحديث (١٥٨٥)، وأخرجه الترمذي في السنن ٣/ ٣٨، كتاب الزكاة (٥)، باب ما جاء في المعتدي في الصدقة (١٩)، الحديث (٦٤٦) وقال: (حديث أنس حديث غريب من هذا الوجه وقد تكلم أحمد بن حنبل في "سعد بن سنان")، وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٥٧٨، كتاب الزكاة (٨)، باب ما جاء في عمال الصدقة (١٤)، الحديث (١٨٠٨). قوله: (المُتَعَدِّي في الصدقة) أي الساعي بالتجاوز عن قدر الواجب.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٠):ص١٧٤/١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٦):ص١٧٦/١٢.

(٩) انظر: الكشف والبيان:١٩٩/٤. حكاه الثعلبي عن ابن وهب عن ابن زيد.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٤):ص١٧٥/١٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٥):ص١٧٥/١٢.

(١٢) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٢.

(١٣) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٢.

عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذ كان ما قبله من الكلام أمرًا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده. فإنّ الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاصّ من الأمور ، والحكم بها على العامّ ، بل عامّة آي القرآن كذلك. فكذلك قوله : {ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}.

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى«الإسراف» أنه على ما قلنا ، قول الشاعر(١):

أَعْطَوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ ... مَا فِي عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ

يعني بـ«السرف»: الخطأ في العطيّة"(٢).

قال النضر بن شميل: "الإسراف التبذير والإفراط، والسرف: الغفلة والجهل"(٣).

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: " لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن إسرافا، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان إسرافا "(٤).

عن إبراهيم بن نشيط قال: "سألت عمرة مولى ابن عمر عن «الإسراف»، ما هو. فقال: ليس شيء أنفقته في طاعة الله إسرافا"(٥).

واختلف المفسرون في نسخ قوله تعالى:{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}[الأنعام : ١٤١]، على قولين:

أحدهما: أن هذا كان شيئا واجبًا ، ثم نسخه الله بالعشر ونصف العشر. وهذا قول عن ابن عباس(٦)، والحسن(٧)، وسعيد بن جبير(٨)، وإبراهيم(٩)، والسدي(١٠)، وعطية(١١)، وابن حنيفة(١٢)، وهو اختيار الطبري(١٣)، والنحاس(١٤).

والثاني: أنها محكمة. وهذا اختيار مكي بن ابي طالب(١٥)، وابن كثير(١٦).

قال مكي:"إنها محكمة نزلت في فرض الزكاة مجملة، وبينها النبي صلى الله عليه وسلم ويعارض كونها في الزكاة قول أكثر الناس، أن الزكاة فرضت بالمدينة والأنعام مكية، فيصير فرض الزكاة نزل بمكة، والله أعلم بذلك"(١٧).

---

(١) البيت لجرير في ديوانه: ٣٨٩، وطبقات فحول الشعراء: ٣٥٩، والاشتقاق: ٢٤١، واللسان (هند) (سرف) ، وغيرها.

من قصيدته التي مدح بها يزيد بن عبد الملك، وهجا آل المهلب، يقول ليزيد، قبله:

أرْجُو الفَوَاضِلَ إنَّ الله فَضَّلَكُمْ ... يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لاقَى نَفْسِيَ التَّلَفُ

مَا مَنْ جَفَانَا إذَا حَاجَاتُنَا نَزَلَتْ ... كَمَنْ لَنَا عِنْدَه التَكْرِيمُ واللَّطَفُ

كَمْ قد نَزَلْتُ بِكُمْ ضَيْفًا، فَتُلْحِقُنِي ... فَضْلَ اللّحَافِ، وَنِعْمَ الفَضْلُ يُلْتَحَفُ

وقوله: "هنيدة" اسم لكل مئة من الإبل، لا تصرف، ولا تدخلها الألف واللام، ولا تجمع، ولا واحد لها من جنسها. و"هند" مثلها في المعنى، وبه سميت المرأة فيما أرجح، تساق في مهرها مئة من الإبل، من كرامتها وعزها ورغبة الأزواج فيها لشرفها. وقوله: "ثمانية" أي ثمانية من العبيد يقومون بأمرها.

(٢) تفسير الطبري:١٧٦/١٢-١٧٧.

(٣) الكشف والبيان:١٩٩/٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٨١):١٤٦٥/٥.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٨٨):١٤٦٦/٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٠):ص١٦٨/١٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٨):ص١٦٩/١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٣):ص١٦٨/١٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٤)(١٤٠٢٧):ص١٥٨/١٢-١٦٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٩):ص١٦٩/١٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٣٤):ص١٧٠/١٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٢):ص١٥٨/١٢.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧٠/١٢-١٧١.

(١٤) انظر: الناسخ والمنسوخ:١٣٨.

(١٥)انظر: لإيضاح : ٢٤٥ - ٢٤٧.

(١٦) تفسير ابن كثير:٣٤٩/٣.

(١٧) لإيضاح : ٢٤٧.

قال ابن كثير:" وفي تسمية هذا نسخًا نظر ؛ لأنه قد كان شيئًا واجبًا في الأصل ، ثم إنه فصل بيانه وبَيَّن مقدار المخرج وكميته. قالوا : وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة ، فالله أعلم، وقد ذم الله سبحانه الذين يصومون ولا يتصدقون ، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة «ن» : { إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } أي : كالليل المدلهم سوداء محترقة { فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ } أي : قوة وجلد وهمة { قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [القلم : ١٧ - ٣٣]"(١).

قال ابن الجوزي:" واختلف العلماء: في قوله تعالى: {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}[الأنعام : ١٤١]، هل نسخ ذلك أم لا؟ إن قلنا أنه أمر وجوب فهو منسوخ بالزكاة، وإن قلنا إنه أمر استحباب، فهو باقي الحكم"(٢).

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: تسخير ما في الكون للإنسان.
٢- عرَّفنا ربُّنا وهو أكرم الأكرمين بنفسه في هذه الآيات الكريمات ببيان ما يأتي:
أولا:- الله - تبارك وتعالى - هو الذي أنشأ في أرضه الواسعة لعباده جناتٍ من الأعناب, بعضها معروشة, وأخرى منها غير معروشة.
ثانيا:- وأنشأ لهم جناتٍ من النخيل, والنخيل أنواع وأشكال, وقد يزرع في بساتين النخيل الزروع فيما بين الأشجار.
ثالثا:- والله - تعالى - هو الذي أنشأ لنا الجنات من الزيتون والرمان, وبعض هذه قد تتشابه أشجارها, وبعضها تتشابه ثمارها في منظرها أو في طعمها, وقد لا تتشابه في شيءٍ من ذلك.
٣- ومن فوائد الآية الكريمة: إباحة أكل التمر والعنب والرمان والزيتون، لقوله: {كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}، وهذا الأمر الذي أمرنا به في الآية, وهو الأمر بالأكل من ثمار الأشجار من العنب والنَّخل والزيتون والرُّمان أمر إباحةٍ, وهو يأتي في مقابل ما حرَّمه أهل الجاهلية من الحرث.
٤- وجوب الزكاة في الزيتون والتمر والحبوب إذا بلغت النصاب وهو خمسة أوسق والوسق ستون صاعاً، والصاع أربع حفنات.
٥- جواز الأكل من الثمر قبل جذاذه وإخراج الزكاة منه.
٦- حرمة الإسراف في المال بأن ينفقه فيما لا يعنى، أو ينفقه كله ولم يترك لأهله شيئاً.

القرآن

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)} [الأنعام : ١٤٢]

التفسير:

وأوجد من الأنعام ما هو مهيَّأ للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهيَّأ لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقر والغنم، كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام،

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣٤٩.
(٢) نواسخ القرآن:٢/٤٣٥.

ولا تحرموا ما أحلَّ الله منها اتباعًا لطرق الشيطان، كما فعل المشركون. إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" وأوجد من الأنعام ما هو مهيًّأ للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهيًّأ لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقر والغنم"[١].

قال الطبري:يقول:" وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا ، مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات، و «الحمولة»، ما حمل عليه من الإبل وغيرها، و«الفرش» ، صغار الإبل التي لم تدرك أن يُحْمَل عليها "[٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} [الأنعام : ١٤٢]، أقوال:

أحدها : أن «الحَمُولة» كبار الإبل التي يُحْمَلُ عليها ، و«الفرش» صغارها التي لا يحمل عليها ، مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء كالفرش. قاله ابن مسعود[٣]، وابن عباس[٤]، والحسن [٥]، ومجاهد[٦]، واختاره ابن قتيبة[٧].

وقال ابن بحر: الافتراش: الإضجاع للنحر، فتكون «الحمولة» كبارها ، و«الفرش» صغارها ، قال الراجز[٨]:

أَوْرَثَني حَمولةً وفَرْشاً أَمُشُّها في كل يومٍ مَشَّا

أي: أمسحها[٩].

والثاني : أن «الحَمُولة» ما حُمِلَ عليه من الإبل والبقر ، و«الفرش»: الغنم، قاله ابن عباس[١٠]، وقتادة[١١].

وروي عن الحسن في قوله الآخر:" «الحمولة»، الإبل والبقر"[١٢]، «الفرش»، الغنم"[١٣].

ومنه قول الشاعر[١٤]:

وحوينا الفرش من أنعامكم والحمولات وربّات الحَجَلْ

والثالث: أن «الحَمُولة»: الإبل، و«الفرش»: الفُصْلان والعَجَاجيل[١٥] والغنم. قاله السدي[١٦].

والرابع ::أن «الحَمُولة»، ما تركبون، و«الفرش»، ما تأكلون وتحلبون، شاة لا تحمل، تأكلون لحمها، وتتخذون من أصوافها لحافًا وفرشًا. وهذا قول ابن زيد[١٧].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢) تفسير الطبري:١٧٨/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٧)، (١٤٠٥٢)- (١٤٠٥٤):ص١٧٨/١٢-١٧٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٨):ص١٧٨/١٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٥٥):ص١٧٩/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٩):ص١٧٨/١٢.
(٧) انظر: تأويل مشكل القرآن:٢٠٣.
(٨) لم نقف عليه، والبيت بلا نسبة في شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:٥١٣٤/٨، والنكت والعيون:٧٩/٢.
ومش الناقة: حلبها.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٥٨):ص١٨٠/١٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٦٠):ص١٨٠/١٢.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٧٣):ص١٤٠٠/٥.
(١٣) أخرجه الطبري(١٤٠٦٤):ص١٨١/١٢.
(١٤)لم نقف عليه، والبيت منسوب لابن مسلمة في النكت والعيون:١٧٩/٢.
(١٥)العجاجيل: جمع "عجول" - بكسر العين، وتشديد الجيم وفتحها، وسكون الواو- وهو "العجل": ولد البقر.
(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٦٢):ص١٨١/١٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٦٥):ص١٨١/١٢.

قال الثعلبي:" حمولة بمعنى كل ما محمل عليها ويركب مثل كبار الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، سميت بذلك لأنها تحمل أثقالهم، قال عنترة(١):

ما دعاني إلا حَمولةُ أهْلِها   وسط الديار تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

و«الحمولة»: الأحمال"(٢).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن«الحمولة»، هي ما حمل من الأنعام، لأن ذلك من صفتها إذا حملت، لا أنه اسم لها، كالإبل والخيل والبغال، فإذا كانت إنما سميت«حمولة»، لأنها تحمل، فالواجب أن يكون كل ما حَمَل على ظهره من الأنعام فحمولة. وهي جمع لا واحد لها من لفظها، كالرَّكوبة، و«الجزورة». وكذلك«الفرش»، إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، ويقال له:«الفرش». وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها في استواء أسنانها ولطفها بالفَرْش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطَّؤُها الناس"(٣).

قوله تعالى:{كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام"(٤).

قال ابن كثير:" أي : من الثمار والزروع والأنعام ، فكلها خلقها الله تعالى وجعلها رزقًا لكم"(٥).

وفي قوله تعالى:{كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأنعام : ١٤٢]، وجهان(٦):

أحدهما : من الحمولة ليبين أن الانتفاع بظهرها لا يمنع من جواز أكلها .

والثاني : أنه إذن منه في عموم أكل المباح من أموالهم ، ونهى عن أكل ما لا يملكونه .

قال الحسن:"يعني قول الله: مما رزقكم- أما إنه لم يذكر أصفركم وأحمركم، ولكنه أسفركم قال: تنتهون إلى حلاله"(٧). وروي عن مقاتل بن حيان نحو ذلك(٨).

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" ولا تحرموا ما أحلَّ الله منها اتباعًا لطرق الشيطان، كما فعل المشركون"(٩).

قال ابن كثير:" أي : طرائقه وأوامره ، كما اتبعها المشركون الذين حرموا ما رزقهم الله ، أي : من الثمار والزروع افتراء على الله"(١٠).

قال ابن قتيبة:"أي: لا تقفوا أثره فيما يحرّم عليكم مما لم يحرّمه الله، ويحلّه لكم مما حرّمه الله عليكم"(١١).

قال عكرمة :"إنما سمي الشيطان، لأنه تشيطن"(١٢).

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [الأنعام : ١٤٢]، وجهان(١٣):

أحدهما : أنها طريقه التي يدعوكم إليها من كفر وضلال .

والثاني : أنها تخطيه إلى تحريم الحلال وتحريم الحرام ، وقد ذكرنا ما في ذلك من زيادة التأول ومن الاحتمال ، وأنه الانتقال من معصية إلى أخرى حتى يستوعب جميع المعاصي ، مأخوذ من خطو القدم : انتقالها من مكان إلى مكان.

---

(١)ديوانه: ١٩٢. وتسف: تأكل. والخمخم: آخر ما ييبس من النبت.
(٢) الكشف والبيان:١٩٩/٤.
(٣) تفسير الطبري:١٨١/١٢.
(٤) التفسير الميسر:١٤٦.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٥١/٣.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٧٧):ص١٤٠١/٥.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٩) التفسير الميسر:١٤٦.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥١/٣.
(١١) تأويل مشككل القرآن:٢٠٣.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٥):ص١٤٠٢/٥.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٨٠/٢.

عن ابن عباس: قوله: "{ولا تتبعوا خطوات الشيطان}، قال: ما خالف فهو من خطوات الشيطان"(١).

عن مجاهد: قوله: "{ولا تتبعوا خطوات الشيطان}، خطاه، أو قال: خطاياه"(٢).

عن عكرمة: خطوات الشيطان قال: نزغات الشيطان"(٣).

عن القاسم بن الوليد الهمداني قال: سألت قتادة، قلت: أرأيت قوله: {لا تتبعوا خطوات الشيطان}؟ قال: كل معصية لله فهو من خطوات الشيطان"(٤). وروي عن السدي نحو قول قتادة(٥).

عن ابن زيد: قوله: "{خطوات الشيطان}، قال: لا تتبعوا طاعته، هي ذنوب لكم، وهي طاعة للخبيث"(٦).

عن أبي مجلز، في قوله: "{ولا تتبعوا خطوات الشيطان}، قال: المنذور المعاصي"(٧).

قال مسروق:"أتي عبد الله بن مسعود بضرع وملح فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ناولوا صاحبكم. فقال: لا أريده، قال: أصائم أنت؟ قال: لا، قال: فما شأنك؟ قال: حرمت أن آكل ضرعا أبدا. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطعم وكفر عن يمينك"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة"(٩).

قال الطبري:أي:" إن الشيطان لكم عدو يبغي هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم{مبين}، قد أبان لكم عدواته، بمناصبته أباكم بالعداوة ، حتى أخرجه من الجنة بكيده ، وخدَعه حسدًا منه له ، وبغيًا عليه"(١٠).

قال ابن كثير:" أي: إن الشيطان - أيها الناس - لكم { عَدُوٌّ مُبِينٌ }، أي : بَيِّن ظاهر العداوة ، كما قال تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر : ٦] ، وقال تعالى : { يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا } الآية ، [الأعراف : ٢٧] ، وقال تعالى : { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا } [الكهف : ٥٠]. والآيات في هذا كثيرة في القرآن"(١١).

وفي قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأنعام : ١٤٢]، قولان:

أحدهما : أنه ما بان لكم من عداوته لأبيكم آدم(١٢).

والثاني : ما بان لكم من عداوته لأوليائه من الشياطين ، قاله الحسن(١٣).

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: تسخير ما في الكون للإنسان.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٧٩):ص١٤٠١/٥.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٠):ص١٤٠١/٥.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨١):ص١٤٠١/٥.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٣):ص١٤٠٢/٥.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٤):ص١٤٠٢/٥.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٢):ص١٤٠٢/٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٧٨):ص١٤٠١/٥.
(٩) التفسير الميسر:١٤٦.
(١٠) تفسير الطبري:١٨٣/١٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٣٥١/٣.
(١٢) انظر: النكت والعيون:١٨٠/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٨٠/٢.

٢- عرَّفنا ربُّنا العليُّ الأعلى سبحانه وتعالى بنفسه, فأخبرنا أنه أنشأ لنا من الأنعام حمولة تحملنا وأثقالنا, وفرشاً, وهي التي ننتفع بألبانها ولحومها.
٣- إباحة أكل بهيمة الأنعام وهي ثمانية أزواج، ضأن وماعز، وإبل وبقر، وكلها ذكر وأنثى.
٤- النهي عن اتباع خطوات الشيطان, فإننا إذا اتَّبعنا خطواته أضلَّنا وأدخلنا النَّار, فهو عدوُّنا الذي كاد أبانا آدم وأمَّنا حوَّاء، الخطوات: جمع خطوةٍ, وهي طرقه المضلَّة, ومنها تلك التشريعات التي يحلُّ بها ما حرَّم الله, ويحرِّم ما أحلَّ, كما بيَّن الله تعالى ذلك في آيات النصِّ السابق.
٥- التحذير من اتباع الأهواء في التشريع بغير هدى من الله.
٦- ويستفاد من الآية: بأن للاتباع في الأحكام الشرعية طريقان[(١)]:
- أحدهما: الشريعة، ولا مرية في أنها علم وحق وهدى.
- والثاني: الهوى، وهو المذموم؛ لأنه لم يذكر في القرآن إلا في سياق الذم، ولم يجعل ثم طريقا ثالثا، ومن تتبع الآيات ألفى ذلك كذلك.
ثم العلم الذي أحيل عليه، والحق الذي حمد إنما هو القرآن وما نزل من عند الله.

القرآن

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)} [الأنعام : ١٤٣]

التفسير:

هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقر والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكورًا وإناثًا، والمعز ذكورًا وإناثًا. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: هل حَرَّم الله الذكرين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك; لأنهم لا يحرمون كل ذكر من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّم الله الأنثيين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضًا; لأنهم لا يحرمون كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّم الله ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الحمل؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضًا; لأنهم لا يحرمون كل حَمْل مِن ذلك، خبِّروني بعلم يدل على صحة ما ذهبتم إليه، إن كنتم صادقين فيما تنسبونه إلى ربكم.

قوله تعالى:{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقر والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكورًا وإناثًا، والمعز ذكورًا وإناثًا"[(٢)].

قال ابن زيد في قوله : "هي الإبل والبقر والضأن والمعز ، هذه «الأنعام» التي قال الله : {ثمانية أزواج}"[(٣)].

عن قتادة قوله : "{ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين} الآية ، إن كل هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرًا ، ذكرًا ولا أنثى"[(٤)].

عن السدي : "{ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين}، ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين ، يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذي عددت، ذكر وأنثى"[(٥)].

---

(١) انظر: الاعتصام للشاطبي:٦٨/١-٦٩.
(٢) التفسير الميسر:١٤٧.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٠٧٤):ص١٨٧/١٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٤٠٦٨):ص١٨٥/١٢.
(٥) أخرجه الطبري(١٤٠٧٢):ص١٨٦/١٢.

عن مجاهد قوله : "{ثمانية أزواج}، قال : هذا في شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسُّيَّب"(١).

قال ابن قتيبة:" «الثمانية الأزواج»: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر، وإنما جعلها ثمانية وهي أربعة، لأنه أراد: ذكرا وأنثى من كل صنف، فالذكر زوج، والأنثى زوج، والزوج يقع على الواحد والاثنين. ألا ترى أنك تقول للرجل: زوج، وهو واحد، وللمرأة: زوج، وهي واحدة؟ قال الله تعالى: {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى} [النجم: ٤٥]"(٢).

و«الزوج»: اسم ينطلق على الواحد وعلى الاثنين ، يقال للاثنين زوج ، ويقال للواحد زوج لأنه لا يكون زوجاً إلا ومعه آخر له مثل اسمه ، قال لبيد(٣):

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا

فلذلك قال:{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}، لأنها ثمانية آحاد(٤).

قوله تعالى:{قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" قل لهم يا محمد على وجه التوبيخ والزجر: الذكرين من الضأن والمعز حرّم الله عليكم أيها المشركون أم الانثيين منهما؟"(٥).

قال السدي : " فالذكرين حرمت عليكم أم الأنثيين؟"(٦).

قال ابن عباس:" يقول : لم أحرم شيئًا من ذلك"(٧).

قال قتادة:" قال : سلهم : {آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين}، أي : لم أحرم من هذا شيئًا"(٨).

قال ابن جريج:" يقول : من أين حرمت هذا ؟ من قبل الذكرين أم من قبل الأنثيين"(٩).

قال ابن زيد في قوله : {قل آلذكرين حرم أم الأنثيين}، قال : هذا لقولهم : {ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا}"(١٠).

قال الصابوني:" هذا إنكارٌ لما كانوا يفعلونه من تحريم ما أحلَّ الله"(١١).

قال ابن قتيبة:" وقال يقايسهم في تحريم ما حرّموا: {قُلْ آلذَّكَرَيْنِ} من الضأن والمعز حَرَّمَ الله عليكم {أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ}؟، فإن كان التحريم من جهة الذكرين: فكل ذكر حرام عليكم، وإن كان التحريم من جهة الأنثيين: فكل أنثى حرام عليكم"(١٢).

قال ابن كثير:" وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حَرّموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاءً وأنواعًا : بحيرة ، وسائبة ، ووصيلة وحامًا ، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار ، فبين أنه تعالى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا. ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن ، وسواد وهو المعز ، ذكره وأنثاه ، وإلى إبل ذكورها وإناثها ، وبقر كذلك. وأنه تعالى لم يحرم شيئًا من ذلك

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٠٧١):ص١٨٦/١٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن:٢٠٤.

(٣)من قصيدته العجيبة المعلقة، المحفوف: الهودج الذي ستر بالثياب، عصيه: عصى الهودج، والزوج: النمط الواحد من الثياب، والكلة من الستور: ما خيط فصار كالبيت، القرام: الغطاء، وهو الستر المرسل على جانب الهودج، انظر: "ديوانه" ص ٩٦، "شرح المعلقات السبع" ص ٥٣١، "اللسان" ٣/ ١٨٨٦ (زوج)، "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٣٢٨، "تهذيب اللغة" ٢/ ١٥٧٤.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش:١٤٨/١، وتفسير الطبري:١٨٤/١٢، والنكت والعيون:١٨٠/٢.

(٥) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.

(٦) أخرجه الطبري(١٤٠٧٢):ص١٨٦/١٢.

(٧) أخرجه الطبري(١٤٠٧٦):ص١٨٧/١٢.

(٨) أخرجه الطبري(١٤٠٦٩):ص١٨٥/١٢.

(٩) أخرجه الطبري(١٤٠٧١):ص١٨٦/١٢.

(١٠) أخرجه الطبري(١٤٠٧٤):ص١٨٦/١٢.

(١١) صفوة التفاسير:٣٩٤/١

(١٢) تأويل مشكل القرآن:٢٠٤.

ولا شيئًا من أولاده. بل كلها مخلوقة لبني آدم ، أكلا وركوبًا ، وحمولة ، وحلبا ، وغير ذلك من وجوه المنافع ، كما قال تعالى:{ وَأَنزلَ لَكُمْ مِنَ الأنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ } الآية [الزمر : ٦]"(١).

قوله تعالى:{أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" وقل لهم: هل حَرَّم الله ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الحمل؟"(٢).

قال الصابوني:" أي: أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى؟"(٣).

قال ابن عباس:" يعني : هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى ؟ فهل يحرمون بعضًا ويحلون بعضًا ؟"(٤).

قال السدي:" يقول : أي : ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، ما تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فما حرمت عليكم ذكرًا ولا أنثى من الثمانية. إنما ذكر هذا من أجل ما حرَّموا من الأنعام"(٥).

عن الحسن : "{أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين}، قال : ما حملت الرَّحم"(٦).

قال ابن جريج :يقول :" أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابوا هم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون"(٧).

قال ابن كثير:" وقوله : { أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأنْثَيَيْنِ } رَدٌّ عليهم في قولهم : { مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا }"(٨).

قال ابن قتيبة:" فإن كان التحريم من جهة الاشتمال، فالأرحام تشتمل على الذكور، وتشتمل على الإناث، وتشتمل على الذكور والإناث، فكل جنين حرام"(٩).

قوله تعالى:{نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" خبِّروني بعلم يدل على صحة ما ذهبتم إليه، إن كنتم صادقين فيما تنسبونه إلى ربكم"(١٠).

قال ابن عباس: " يقول : كله حلال"(١١).

قال الزجاج:"أي: فسروا ما حرمتم بعلم، أي وأنتم لا علم لكم لأنكم لا تؤمنون بكتاب"(١٢).

قال القرطبي:" أي: بعلم إن كان عندكم، من أين هذا التحريم الذي افتعلتموه؟ ولا علم عندهم، لأنهم لا يقرءون الكتب"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : أخبروني عن يقين : كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ؟"(١٤).

قال الطبري:" يقول : قل لهم : خبروني بعلم ذلك على صحته : أيَّ ذلك حرم ربكم عليكم ، وكيف حرم ؟ {إن كنتم صادقين}، فيما تنحلونه ربكم من دعواكم ، وتضيفونه إليه من تحريمكم، وإنما هذا إعلامٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه أنّ كل ما قاله هؤلاء المشركون في ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير:٣٥١/٣.
(٢) التفسير الميسر:١٤٧.
(٣) صفوة التفاسير:٣٩٤/١
(٤) أخرجه الطبري(١٤٠٧٥):١٨٧/١٢.
(٥) أخرجه الطبري(١٤٠٧٢):ص١٨٦/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤٠٧٣):ص١٨٦/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٤٠٧١):ص١٨٦/١٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٥١/٣.
(٩) تأويل مشكل القرآن:٢٠٤.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٧.
(١١) أخرجه الطبري(١٤٠٧٦):ص١٨٧/١٢.
(١٢) معاني القرآن:٢٩٩/٢.
(١٣) تفسير القرطبي:١١٥/٧.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣٥١/٣.

وأضافوه إلى الله ، فهو كذب على الله ، وأنه لم يحرم شيئًا من ذلك ، وأنهم إنما اتّبعوا في ذلك خطوات الشيطان ، وخالفوا أمره "[١].

قال الصابوني:" تعجيزٌ وتوبيخ، أي: أخبروني عن الله بأمرٍ معلوم لا بافتراءٍ ولا بتخرص إن كنتم صادقين في نسبة ذلك التحريم إلى الله"[٢].

قال أبو السعود:" تكرير للإلزام وتثنية للتبكيت والإفحام أي أخبروني بأمر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب أو أخبار الأنبياء يدل على أنه تعالى حرم شيئا مما ذكر أو نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه {إن كنتم صادقين} أي في دعوى التحريم عليه سبحانه"[٣].

الفوائد:

١- امتن الله علينا بأن خلق لنا من الأنعام ثمانية أزواج.
٢- بيان لقبائح المشركين وجرائمهم، حيث خصوا بعض الأنعام لأوثانهم، ومنعوها على غيرهم، ولا يطعمونها إلا من يريدون بزعمهم الباطل من غير دليل ولا برهان.
٣- ويستفاد من الآية الكريمة بأن العلم الذي شأنه أن لا يشرع إلا حقا، هو علم الشريعة لا غيره، قال تعالى: {نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}.

القرآن

{وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)} [الأنعام : ١٤٤]

التفسير:

والأصناف الأربعة الأخرى: هي اثنان من الإبل ذكورًا وإناثا، واثنان من البقر ذكورًا وإناثًا. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: أحَرَّم الله الذكرين أم الأنثيين؟ أم حرَّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ذكورًا وإناثًا؟ أم كنتم أيها المشركون حاضرين، إذ وصاكم الله بهذا التحريم للأنعام، فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب; ليصرف الناس بجهله عن طريق الهدى. إن الله تعالى لا يوفق للرشد مَن تجاوز حدَّه، فكذب على ربه، وأضلَّ الناس.

قوله تعالى:{وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" والأصناف الأربعة الأخرى: هي اثنان من الإبل ذكورًا وإناثا، واثنان من البقر ذكورًا وإناثًا"[٤].

قال الصابوني:" أي: وأنشأ لكم من الإبل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين هما الجاموس والبقرة"[٥].

قال الطبري:" وهذه أربعة أزواج ، على نحو ما بيّنا من الأزواج الأربعة قبلُ من الضأن والمعز ، فذلك ثمانية أزواج ، كما وصف جل ثناؤه"[٦].

قوله تعالى:{قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: أحَرَّم الله الذكرين أم الأنثيين؟"[٧].

قوله تعالى:{أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" أم حرَّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ذكورًا وإناثًا؟"[٨].

---

(١) تفسير الطبري:١٨٥/١٢.
(٢) صفوة التفاسير:٣٩٤/١
(٣) تفسير ابي السعود:١٩٣/٣.
(٤) التفسير الميسر:١٤٨.
(٥) صفوة التفاسير:٣٩٤/١
(٦) تفسير الطبري:١٨٨/١٢.
(٧) التفسير الميسر:١٤٨.
(٨) التفسير الميسر:١٤٨.

قال أبو السعود:" المقصود إنكار أن الله سبحانه حرّم عليهم شيئا من الأنواع الأربعة وإظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والإناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بإيراد الإنكار على كل مادة من مواد افترائهم كانوا يحرمون من ذكر الأنعام تارة وأولادها كيفما كانت تارة أخرى مسندين ذلك كله إلى الله سبحانه وإنما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الأمر بالاستفهام والإنكار مع حصول التبكيت بإيراد الأمر عقيب تفصيل أنواع الأربعة بأن يقال قل آلذكور حرم أو الإناث أم ما اشتملت عليه أرحام الإناث لما في التثنية والتكري من المبالغة في التبكيت والإلزام"(١).

قوله تعالى:{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" أم كنتم أيها المشركون حاضرين، إذ وصاكم الله بهذا التحريم للأنعام"(٢).

قال ابن زيد في قوله : "{أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا} ، الذي تقولون"(٣).

قال ابن قتيبة:" أي: حين أمر الله بهذا فتكونون على يقين؟ أم تفترونه عليه وتختلقونه؟ توبيخ"(٤).

قال الزجاج:"أي: هل شاهدتم الله قد حرم هذا إذ كنتم لا تؤمنون برسول"(٥).

قال البغوي:" قيل: أراد به: عمرو بن لحي ومن جاء بعده على طريقته"(٦).

قال الطبري:" إنه أمرٌ من الله جل ثناؤه نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم في هذه الآيات التي مضَت. يقول له عز ذكره : قل لهم ، يا محمد ، أيَّ هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية ؟ فإن أجابوك عن شيء مما سألتهم عنه من ذلك ، فقل لهم : أخبرًا قلتم : إن الله حرم هذا عليكم ، أخبركم به رسول عن ربكم ، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصَّاكم بهذا الذي تقولون وتزوّرون على الله ؟ فإن هذا الذي تقولون من إخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون ، لا يعلم إلا بوحي من عنده مع رسول يرسله إلى خلقه ، أو بسماع منه ، فبأي هذين الوجهين علمتم أنّ الله حرم ذلك كذلك ، برسول أرسله إليكم، فأنبئوني بعلم إن كنتم صادقين ؟ أم شهدتم ربكم فأوصَاكم بذلك ، وقال لكم : حرمت ذلك عليكم، فسمعتم تحريمه منه ، وعهدَه إليكم بذلك ؟ فإنه لم يكن واحدٌ من هذين الأمرين "(٧).

قال أبو السعود:" تكرير للإفحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وأم منقطعة ومعنى الهمزة الإنكار والتوبيخ ومعنى بل الإضراب بما ذكر إلى التوبيخ بوجه أخرى بل كنتم حاضرين مشاهدين {إذ وصاكم الله بهذا} أي حين وصاكم بهذا الترحيم إذ أنتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقود إليه مذهبكم إلى معرفة أمثال ذلك إلا المشاهددة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى"(٨).

قال ابن كثير:" وقوله : { أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا } تهكم بهم فيما ابتدعوه وافتروه على الله ، من تحريم ما حرموه من ذلك"(٩).

قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب; ليصرف الناس بجهله عن طريق الهدى"(١).

---

(١) تفسير أبي السعود:١٩٣/٣.
(٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٠٧٧):ص١٨٩/١٢.
(٤) تأويل مشكل القرآن:٢٠٤.
(٥) معاني القرآن:٢٩٩/٢.
(٦) تفسير البغوي:١٩٨/٣.
(٧) تفسير الطبري:١٨٨/١٢-١٨٩.
(٨) تفسير ابي السعود:١٩٣/٣-١٩٤.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٥٢/٣.

قال ابن كثير:" أي : لا أحد أظلم منه"[٢].

قال السدي:" : كانوا يقولون يعني الذين كانوا يتّخذون البحائر والسوائب : إن الله أمر بهذا . فقال الله : {فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم}"[٣].

قال الصابوني:" عمومٌ في كل ظالم"[٤].

قال الطبري:" يقول : فمن أشد ظلمًا لنفسه ، وأبعد عن الحق ممن تخرَّص على الله قيلَ الكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، وتحليل ما لم يحلل ، {ليضل الناس بغير علم} ، يقول : ليصدّهم عن سبيله"[٥].

قال الزجاج:"وقد بين الاحتجاج أنهم لا يؤمنون بنبي ولا يدعون أن نبيا خبرهم عن الله أن هذا حرام، ولا أنهم شاهدوا الله قد حرم ذلك"[٦].

قال أبو السعود:" فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم والمقررون لذلك أو عمر بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر أو الكل لاشتراكهم في الافتراءعليه سبحانه وتعالى فأي طريق أظلم من فريق افتروا على الله كذبا، أي افترى عليه تعالى بصدور التحريم منه تعالى وإنما وصفوا بعد العلم بذلك مع أنهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى إيذانا بخروجهم في الظالم عن الحدود والنهايات فإن من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه إذا كان أظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم أنه لم يصدر عنه ويجوز أن يكون حالا من فاعل يصل، أي: ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم إليه"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" إن الله تعالى لا يوفق للرشد مَن تجاوز حدَّه، فكذب على ربه، وأضلَّ الناس"[٨].

قال أبو السعود:أي:" كائنا من كان إلى ما فيه صلاح حالهم عاجلا أو آجلا وإذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في أقصى غاياته"[٩].

قال الطبري:" يقول: لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزُّور والكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، كفرًا بالله ، وجحودًا لنبوة نبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم"[١٠].

قال ابن كثير:" وأول من دخل في هذه الآية : عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة ، فإنه أول من غير دين الأنبياء ، وأول من سيب السوائب ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي ، كما ثبت ذلك في الصحيح[١١]"[١٢].

قال البغوي في تفسير الآية:"وذلك أنهم كانوا يقولون: هذه أنعام وحرث حجر، وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء، وبعضها على النساء دون الرجال، فلما قام الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم، وكان خطيبهم مالك بن عوف أبو الأحوض الجشمي، فقال: يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم قد حرمتم أصنافا من الغنم على غير أصل، وإنما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها، فمن أين جاء هذا التحريم؟ من قبل الذكر أم

---

(١) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٥٢/٣.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٠٧٨):ص١٨٩/١٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.
(٥) تفسير الطبري:١٢/!٨٩.
(٦) معاني القرآن:٢٩٩/٢.
(٧) تفسير أبي السعود:١٩٤/٣.
(٨) التفسير الميسر:١٤٨.
(٩) تفسير أبي السعود:١٩٣/٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٢/!٨٩.
(١١) انظر: صحيح البخاري برقم (٤٦٢٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٦).
(١٢) تفسير ابن كثير:٣٥٢/٣.

من قبل الأنثى»؟ فسكت مالك بن عوف وتحير فلم يتكلم. فلو قال جاء التحريم بسبب الذكور وجب أن يحرم جميع الذكور، وإن قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث، وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم الكل، لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس أو السابع أو البعض دون البعض فمن أين؟ ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمالك: "يا مالك: ما لك لا تتكلم؟ قال له مالك: بل تكلم وأسمع منك""[1].

الفوائد:

١- إبطال تشريع الجاهلية في التحريم والتحليل، فالحلال ما أحله الله ورسول والحرام ما حرمه الله رسوله.
٢- جواز الجدال والحجاج لإحقاق الحق أو إبطال الباطل.
٣- أن منتهى المشركين مجرد الهوى الذي لا علم معه.
٤- لا أظلم ممن يكذب على الله تعالى، فيشرع لعباده ما لم يشرع لهم.
٥- ومن فوائد الآية الكريمة: النهي عن التكلم في أمور الدين بغير علم.

القرآن

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)} [الأنعام : ١٤٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: إني لا أجد فيما أوحى الله إليَّ شيئًا محرمًا على من يأكله مما تذكرون أنه حُرِّم من الأنعام، إلا أن يكون قد مات بغير تذكية، أو يكون دمًا مراقًا، أو يكون لحم خنزير فإنه نجس، أو الذي كانت ذكاته خروجًا عن طاعة الله تعالى; كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح. فمن اضطر إلى الأكل من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد غير طالب بأكله منها تلذذًا، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله تعالى غفور له، رحيم به.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن طاوس؛ قال: "إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء ويستحلون أشياء؛ فنزلت: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)}"[2].

والثاني: قال البغوي:" ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما}، وروي أنهم قالوا: فما المحرم إذا فنزل: {قل} يا محمد {لا أجد في ما أوحي إلي محرما} أي: شيئا محرما"[3].

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" قل -أيها الرسول-: إني لا أجد فيما أوحى الله إليَّ شيئًا محرمًا على من يأكله مما تذكرون أنه حُرِّم من الأنعام"[4].

---

(١) تفسير البغوي:٣/١٩٧-١٩٨.
(٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٧٢) ونسبه لعبد بن حميد. وأخرجه الطبري(١٤٠٧٩):ص١٢/١٩١. بلفظ:"فقال" بدلا من:"فنزلت".
(٣) تفسير البغوي:٣/١٩٨.
(٤) التفسير الميسر:١٤٨.

قال الطبري:أي:" قل، يا محمد ... إني لا أجد فيما أوحي إليّ من كتابه وآي تنزيله، شيئًا محرَّمًا على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الأنعام التي تصفون تحريمَ ما حَرّم عليكم منها بزعمكم"(١).

قال النسفي:" أي: في ذلك الوقت أو في وحي القرآن لأن وحي السنة قد حرم غيره أو من الأنعام لأن الآية في رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الأنفس، {محرما} حيوانا حرم أكله {على طاعم يطعمه} على آكل يأكله"(٢).

عن مجاهد: "{قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا}، قال: مما كان في الجاهلية يأكلون، لا أجد محرمًا من ذلك على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا"(٣).

عن الحسن قال: "لولا حديث الزهري ما لبسنا فراكم ولا خفافكم حتى نعلم أذكية هي أم غير ذكية؟ قال أبو بكر: فحديث به الزهري فقال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتيبة عن ابن عباس، في قوله: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه} الآية، قال: طاعم الطعام، وأما القد والشعر والسن والظفر، من الميتة، فإنه لا يؤكل"(٤).

وقرأ علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يطعمه» مثقلة بالطاء، أراد يتطعمه فأدغم، وقرأت عائشة:«على طاعم طعمه»(٥).

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" إلا أن يكون قد مات بغير تذكية"(٦).

قال الطبري:أي:" قد ماتت بغير تذكية"(٧).

قوله تعالى:{أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" أو يكون دمًا مراقًا"(٨).

قال ابن عباس:"يعني: مهراقا"(٩)، "كان أهل الجاهلية إذا ذبحوا أودجوا الدابة، وأخذوا الدم فأكلوه. قالوا: هو دم مسفوح"(١٠).

قال قتادة:" حرم الدم ما كان مسفوحا، فأما لحم يخالطه الدم فلا بأس به"(١١).

وقال سفيان ابن عيينة: "المسفوح: العبيط"(١٢).

قال الطبري:" وهو المُنْصَب"(١٣).

قال الثعلبي:أي:" مهراقا سائلا"(١٤).

قال الزجاج:" المسفوح: المصبوب، فكأنه إذا ذبحوا أكلوا الدم كما يأكلون اللحم"(١٥).

وقوله{ دَمًا مَسْفُوحًا}، " يعني: مهراقاً مصبوباً، ومنه سمي الزنا سفاحاً، لصب الماء فيه ضائعاً ، وقال طرفة بن العبد(١):

---

(١) تفسير الطبري:١٩٠/١٢.
(٢) تفسير النسفي:٥٤٤/١.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٠٨١):ص١٩١/١٢-١٩٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٤):ص١٤٠٥/٥.
(٥) انظر: الكشف والبيان:٢٠١/٤.
(٦) التفسير الميسر:١٤٨.
(٧) تفسير الطبري:١٩٠/١٢.
(٨) التفسير الميسر:١٤٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٠٨):ص١٤٠٦/٥.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠١٢):ص١٤٠٧/٥.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠١٣):ص١٤٠٧/٥.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠١٠):ص١٤٠٦/٥.
(١٣) تفسير الطبري:١٩٠/١٢.
(١٤) الكشف والبيان:٢٠١/٤.
(١٥) معاني القرآن:٣٠٠/٢.

إنِّي وَجدِّكَ مَا هَجَوْتُكَ وَالْ   أنْصَابِ يَسْفَحُ فَوْقَهُنَّ دَمُ

وكما قال عَبيد بن الأبرص(٢):

إذَا مَا عَادَهُ مِنْهَا نِسَاءٌ   سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِنْ بَعْدِ الرَّنِين

يعني: صببن، وأسلنَ الدمع(٣).

عن عكرمة قال: "جاء رجل إلى ابن عباس فقال: آكل الطحال؟ قال: نعم. قال: إن عامتها دم؟ قال: إنما حرم الله الدم المسفوح"(٤).

قال الماوردي:"فأما الدم غير مسفوح فإن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال، لقوله -صلى الله عليه وسلم- : «أُحِلَّتْ لَنَا مِيْتَتَانِ وَدَمَانِ ، فَالمِيْتَتَانِ : الحُوتُ وَالجَرَادُ ، وَالدَّمَانِ : الكَبِدُ وَالطُّحَالُ»(٥)"(٦).

. وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها وإنما هو مع اللحم وفيه ، ففي تحريمه قولان :

أحدهما : لا يحرم لتخصيص التحريم بالمسفوح ، وهو قول عائشة(٧)، وعكرمة(٨)، وقتادة(٩).

قال عكرمة : "لولا هذه الآية، لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود"(١٠).

والثاني : أنه حرام لأنه من جملة المسفوح وبعضه ، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه(١١).

قوله تعالى:{ أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" أو يكون لحم خنزير فإنه نجس"(١٢).

قال الماوردي:" يعني: نجساً حراماً"(١٣).

قال الطبري:يقول:" أو إلا أن يكون لحم خنزير، و«الرجس»، هو: النجس والنتن، وما يُعْصى الله به"(١٤).

قال الزجاج:" الرجس: اسم لما يستقذر، وللعذاب"(١٥).

قال الحسن:" حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير"(١٦).

قوله تعالى:{أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" أو الذي كانت ذكاته خروجًا عن طاعة الله تعالى; كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح"(١٧).

---

(١)ديوان الستة الجاهليين: ٣٤٧، من ثلاثة أبيات يعتذر بها إلى عمرو بن هند، حين بلغه أنه هجاه، فتوعده، يقول بعده: وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَاكَ، إذْ حُبِسَتْ ... وَأُمِرَّ دُونَ عَبِيدَةَ الوَذَمُ

أَخْشَى عِقَابَكَ إنْ قَدَرْتَ، وَلَمْ ... أَغْدِرْ فَيُؤْثَرَ بَيْنَنَا الكَلِمُ.

(٢)ديوانه: ٤٥، وهو من قصيدته التي لام فيها امرأته لما أعرضت عنه لما كبر وشاب، ومطت له حاجبيها استهزاء به، فذكرها به، فذكرها بما كان من ماضيه في اللهو والصبا والحرب، فكان مما ذكرها به من ذلك شأنه في الحرب، فقال: وَأَسْمَرَ قد نَصَبْتُ لِذِي سَنَاءٍ ... يَرَى مِنِّي مُخَالَطَةَ اليَقِين

يُحَاوِلُ أَنْ يَقُومَ، وقَدْ مَضَتْهُ ... مغابنةٌ بِذِي خُرُصٍ قَتِين.

(٣) انظر: تفسير الطبري:١٢/١٩٢-١٩٣، والنكت والعيون: ٢/١٨١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٠٩):ص٥/١٤٠٦.

(٥)أخرجه ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب: الكبد والطحال (٣٣١٤)، والبيهقي (١٨٧٧٦)، وغيرهما.

(٦) النكت والعيون:٢/١٨١-١٨٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٠)، و(١٤٠٩١):ص١٢/١٩٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٨٢)-(١٤٠٨٤):ص١٢/١٩٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٨٧):ص١٢/١٩٣.

(١٠) أخرجه الطبري(١٤٠٨٢):ص١٢/١٩٣.

(١١) انظر: النكت والعيون:٢/١٨٢.

(١٢) التفسير الميسر:١٤٨.

(١٣) النكت والعيون:٢/١٨٢.

(١٤) تفسير الطبري:١٢/١٩٠.

(١٥) معاني القرآن:٢/٣٠٠.

(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠١٥):ص٥/١٤٠٧.

(١٧) التفسير الميسر:١٤٨.

قال الزجاج:" أي: رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله، وكانوا يذكرون أسماء أوثانهم على ذبائحهم، «ففسق»: عطف على لحم خنزير، المعنى إلا أن يكون المأكول ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير أو فسقا، فسمي ما ذكر عليه غير اسم الله فسقا، أي خروجا من الدين"(١).

قال الماوردي:" يعني: ما ذبح للأوثان والأصنام ، سماه فسقاً لخروجه عن أمر الله"(٢).

قال الطبري:" يقول: أو إلا أن يكون مذبوحًا ذبحه ذابحٌ من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته، فذكر عليه اسم وثنه، فإن ذلك الذبح فسقٌ نهى الله عنه وحرّمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك، لأنه ميتة، وهذا إعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبيَّ الله وأصحابه في تحريم الميتة بما جادَلوهم به، أن الذي جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذي حرّمه الله، وأن الذي زعموا أنّ الله حرمه حلالٌ قد أحلَّه الله، وأنهم كذبة في إضافتهم تحريمه إلى الله"(٣).

قال مقاتل:" يعني: الذي ذبح لأصنام المشركين ولغيرهم هذا حرام البتة، إن أدركت ذكاته أو لم تدرك ذكاته فإنه حرام البتة، لأنهم جعلوه لغير الله- عز وجل-"(٤).

قال ابن عثيمين: "المراد: ما ذكر عليه اسم غير الله عند ذبحه مثل أن يقول: «باسم المسيح»، أو «باسم جبريل»، أو «باسم اللات»، ونحو ذلك"(٥).

قال أبو عبيدة:أي:" وما ذكر غير اسم الله عليه إذا ذبح أو نحر، وهى من استهلال الكلام"(٦).

و«الإهلال»، هو رفع الصوت(٧).

قال الزجاج:" أي: ما رفع فيه الصوت بتسمية غير الله عليه وهذا موجود في اللغة، ومنه الإهلال بالحج إنما هو رفع الصوت بالتلبية"(٨).

قال الأصمعي: "الإهلال: أصله رفع الصوت، فكل رافع صوته فهو مهل، قال ابن أحمر(٩):

يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر

هذا معنى الإهلال في اللغة، ثم قيل للمحرم: مهل، لرفعه الصوت بالتلبية، يقال: أهل فلان بحجة أو عمرة، أي: أحرم بها؛ وذلك لأنه يرفع الصوت بالتلبية عند الإحرام، والذابح مهل، وذلك لأنه كان يسمي الأوثان عند الذبح، ويرفع صوته بذكرها"(١٠).

---

(١) معاني القرآن:٣٠٠/٢.

(٢) النكت والعيون:١٨٢/٢. قال الماوردي:" فإن قيل : لم اقتصر هنا على تحريم هذه الأربعة وقد ذكر في المائدة غيرها من المنخنقة والموقوذة والمتردية ؟ قيل : لأن هذا كله من جملة الميتة فذكره هناك مفصلاً وها هنا في الجملة".

(٣) تفسير الطبري:١٩٠/١٢-١٩١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥١/١.

(٥) تفسير ابن عثيمين:٤٩٩/٣.

(٦) مجاز القرآن:١٤٩/١.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٤٣/١.

(٨) معاني القرآن:٢٤٣/١.

(٩)البيت في "ديوانه" ص ٦٦، "مجاز القرآن" ١/ ١٥٠، "غريب الحديث" لأبي عبيد ١/ ١٧٣، "تفسير السمعاني" ٢/ ١٣٠، الثعلبي ١/ ١٣٤٦، "لسان العرب" ٣/ ١٥٩٥، و ١٧١٤، ٥/ ٣١٠٢.

واسمه عمرو بن أحمر بن العمرو بن تميم بن ربيعة الباهلي، أبو الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم، وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام، وتوفي على عهد عثمان، وهو صحيح الكلام، كثير الغرائب. ينظر: "طبقات فحول الشعراء" ٢/ ٥٧١، و ٥٨٠، و"الشعر والشعراء" ص ٢٢٣.

(١٠) التفسير البسيط: ٤٩٩/٣، وانظر: في الإهلال: تفسير الطبري" ٣/ ٣١٩، والثعلبي:٤٤/٢، والمفردات" ص ٥٢٢، واللسان" ٨/ ٤٦٨٩.

ومنه الحديث: "إذا استهل المولود ورث"(١).

قال الطبري: قيل أن العرب كانوا إذا أرادوا ذبح ما قرَّبوه لآلهتهم، سموا اسم آلهتهم التي قربوا ذلك لها، وجَهروا بذلك أصْواتَهم، فجرى ذلك من أمرهم على ذلك، حتى قيل لكل ذابح، سمَّى أو لم يُسمِّ، جهر بالتسمية أو لم يجهر:«مُهِلٌّ»، فرفعهم أصواتهم بذلك هو «الإهلال» الذي ذكره الله تعالى فقال:{وما أهِلَّ به لغير الله}، ومن ذلك قيل للملبِّي في حَجة أو عمرة «مُهِلّ»، لرفعه صوته بالتلبية، واستهلال المطر، وهو صوت وُقوعه على الأرض، كما قال الشاعر(١):

ظَلَمَ البِطَاحَ لَهُ انْهِلالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ المُقْلِعِ(٢)

وفي قوله تعالى:{ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [الأنعام : ١٤٥]، قولان:

أحدهما: المراد: ما ذكر عليه غير اسم الله. قاله أبو العالية(٣)، والربيع بن أنس(٤)، وابن زيد(٥)، وعقبة بن مسلم التُجيبي(٦)، وقيس بن رافع الأشجعي(٧).

والثاني: المراد: ما ذبح لغير الله. وهذا قول ابن عباس(٨)، والحسن(٩)،وقتادة(١٠)، ومجاهد(١١)، والضحاك(١٢)، وعطاء(١٣)، والزهري(١٤).

قوله تعالى:{فَمَنِ اضْطُرَّ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" ألجأته الضرورة للأكل من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد"(١٥).

قال الزجاج:" أي: دعته الضرورة إلى أكله"(١٦).

قال الطبري:" معناه: فمن اضطر إلى أكلِ ما حرَّم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير، أو ما أهل لغير الله به "(١٧).

---

(١) أخرجه أبو داود ص١٤٤١، كتاب الفرائض، باب ١٨: في المولود يستهل ثم يموت، حديث رقم ٢٩٢٠، وأخرجه بطريق آخر ابن ماجة ص٢٦٤٢، كتاب الفرائض، باب ١٧: إذا استهل لمولود ورث، حديث رقم ٢٧٥١؛ وقال الألباني في الإرواء: سنده صحيح (١٤٩/٦)؛ فالحديث صحيح بشواهده [راجع الإرواء ١٤٧/٦ ــ ١٥٠، حديث رقم ١٢٠٧ والسلسلة الصحيحة للألباني ٢٣٣/١ ــ ٢٣٥، أحاديث رقم ١٥١، ١٥٢، ١٥٣].

(١) البيت الحادرة الذبياني ، انظر: ديوانه: قصيدة : ٤ ، البيت رقم : ٧ ، وشرح المفضليات : ٥٤ . والبطاح جمع بطحاء وأبطح : وهو بطن الوادي . وأنهل المطر انهلالا : اشتد صوبه ووقعه . والحريصة والحارصة : السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض ، أي تقشره من شدة وقعها . والنطاف جمع نطفة : وهي الماء القليل يبقى في الدلو وغيره . وقوله : " بعيد المقلع " : أي بعد أن أقلعت هذه السحابة . ورواية المفضليات : " ظلم البطاح له " وقوله : " له " : أي من أجله .

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣١٩/٣-٣٢٠.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠١٦):ص١٤٠٧/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٥):ص٣٢١/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٦):ص٣٢١/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣٢١/٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣٢١/٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧١):ص٣٢٠/٣.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠٧/٥. حكاه دون ذكرا لإسناد.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(٢٤٦٨):ص٣٢٠/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٠):ص٣٢٠/٣، و تفسير ابن ابي حاتم(٨٠١٧):ص١٤٠٧/٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٢):ص٣٢٠/٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٤):ص٣٢٠/٣.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠٧/٥. حكاه دون ذكرا لإسناد.

(١٥) التفسير الميسر:١٤٨.

(١٦) معاني القرآن:٣٠٠/٢.

(١٧) تفسير الطبري:١٩٧/١٢.

قال الرازي: أي: فمن "أحوج وألجىء، وهو افتعل من الضرورة، وأصله من الضرر، وهو الضيق"(١).

قال ابن كثير:" أي : فمن اضطر إلى أكل شيء مما حُرّم في هذه الآية الكريمة ، وهو غير متلبس ببغي ولا عدوان"(٢).."أباح تعالى تناول ذلك عند الضرورة والاحتياج إليها ، عند فقد غيرها من الأطعمة"(٣).

وفي قوله تعالى:{فَمَنِ اضْطُرَّ} [الأنعام : ١٤٥]، وجهان:

أحدهما: أن المراد: فمن أكره على أكله فأكله فلا إثم عليه، وهذا مذهب مجاهد، إذ قال:" الرجل يأخذُه العدو فيدعونه إلى معصية الله"(٤).

والثاني:أن المعنى: فمن احتاج إلى أكله لضرورة دعته من خوف على نفس فلا إثم عليه ، وهو قول الجمهور .

قوله تعالى:{غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" غير طالب بأكله منها تلذذًا، ولا متجاوز حد الضرورة "(٥).

قال الزجاج:" فأكله غير باغ، أي غير قاصد لتحليل ما حرم الله، {ولا عاد}، أي: ولا مجاوز للقصد وقدر الحاجة. و «العادي»: الظالم"(٦).

قال الطبري:أي:" غير باغ في أكله إيّاه تلذذًا، لا لضرورة حالة من الجوع، ولا عادٍ في أكله بتجاوزه ما حدَّه الله وأباحه له من أكله، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك، لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه"(٧).

وفي قوله تعالى:{غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} [الأنعام : ١٤٥]، أربعة وجوه:

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم ، فيدخل الباغي على الإمام وأمته والعادي : قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد(٨)، وسعيد بن جبير(٩).

واعترض الإمام الطبري على هذا القول وقد ساق حجتين في ذلك(١٠):

إحداها: أن الباغي والعادي، وإن كان كلاهما قد أتى فعلا محرمًا، فإن إتيان هذا الفعل المحرم، لا يجعل قتل أنفسهما مباحًا لهما، إذ هو محرم عليهما قبل إتيانهما ما أتيا من محارم الله عليهما .

والثانية: أن الله قد رخص لكل مضطر أن يأكل مما حرم عليه، فاستثناء الباغي والعادي من رخصة الله للمضطر . لا يعد عنده تحريمًا، بل هو رد إلى ما كان محرمًا عليهما قبل البغي أو العدوان . ومع ذلك فإن هذا الرد إلى ما كان محرمًا عليهما، وإن كان قد حرم عليهما ما كان مرخصًا لهما ولكل مضطر قبل البغي والعدوان، فإنه لا يرخص لهما قتل أنفسهما، وهو حرام عليهما قبل البغي والعدوان .

إذن، فالواجب عليهما أن يتوبا، لا أن يقتلا أنفسهما بالمجاعة، فيزدادان إثمًا إلى إثمهما، وخلافًا إلى خلافهما بالبغي والعدوان أمر الله .

والثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة(١)، والحسن(٢)، وعكرمة(٣)، والربيع(٤)، وابن زيد(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب: ١٣/٥.
(٢) تفسير ابن كثير:٣٥٤/٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/١.
(٤) أخرجه الطبري(٢٤٧٨):ص ٣٢١/٣.
(٥) التفسير الميسر:١٤٨.
(٦) معاني القرآن:٣٠٠/٢.
(٧) تفسير الطبري:١٩٧/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٩)، و(٢٤٨٠)، و(٢٤٨٤) و(٢٤٨٥)، و(٢٤٨٦):ص٣٢٢/٣-٣٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري(٢٤٨١)، و(٢٤٨٢)، و(٢٤٨٣):ص٣٢٢/٣-٣٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢٥/٣.

والثالث : غير باغٍ في أكلها شهوة وتلذذاً ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي[٦]، وعطاء[٧].

قال عطاء:" لا يشوي من الميتة ليشتهيه ولا يأكل إلا المعلقة، ويحمل معه ما يبلغه الحلال، فإذا بلغه ألقاه[٨].

والرابع: غير باغ، يعني: غير مستحله. و«العادي»: المخيف للسبيل، وهذا قول سعيد بن جبير[٩]، وروي عن مقاتل بن حيان نحوه في معنى«البغي»[١٠].

والراجح أن {الباغي}، هو الطالب لأكل الميتة من غير ضرورة؛ و «العادي» هو المتجاوز لقدر الضرورة؛ يؤيده قوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة : ٣]. والله أعلم.

وفي أصل «البغي» في اللغة أقوال[١١]:

أحدها: الفساد، وتجاوز الحد. قال الليث: "البغي في عدو الفرس اختيال ومروح، وأنه يبغي في عدوه ولا يقال: فرس باغ"[١٢].

قال الزجاج: "يقال: بغى الجرح يبغي بغيا، إذا ترامى إلى فساد، هذا إجماع أهل اللغة"[١٣].

قال الأصمعي:" يقال: بغى الجرح يبغي بغيا: إذا ترامى بالفساد"[١٤].

والثاني: الظلم والخروج عن الإنصاف. ومنه قوله تعالى: {والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون} [الشورى: ٣٩].

قال الأصمعي: يقال:" بغت السماء: إذا كثر مطرها حتى تجاوز الحد"[١٥].

الثالث: الطلب. والعرب تقول خرج الرجل في بغاء إبلٍ له ، أي في طلبها ، ومنه قول الشاعر[١٦]:

لا يمنعنّك من بغا ء الخير تعقادُ التمائم ... إن الأشائم كالأيامن ، والأيامن كالأشائم

قال الزجاج:" ويقال: ابتغى لفلان أن يفعل كذا: أي صلح له أن يفعل كذا وكأنه قال: طلب فعل كذا فانطلب له، أي طاوعه، ولكن اجتزئ بقولهم - ابتغى"[١٧].

وقوله {ولا عاد}، فـ(العدو): "هو التعدي وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه، يقال: عدا عليه عدوا وعدوا وعدوانا وعدا واعتداء وتعديا: ظلمه ظلما مجاوزا للقدر، وعدا طوره: جاوز قدره"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٢٤٨٧):ص٤٢٤/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٤٨٨)، و(٢٤٨٩):ص٤٢٤/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩٠):ص٤٢٤/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩١):ص٤٢٤/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩٢):ص٤٢٤/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩٣):ص٤٢٤/٣-٤٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٠٢٤):ص١٤٠٨/٥.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٢٤):ص١٤٠٨/٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٢٤):ص١٤٠٨/٥.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٢٣):ص١٤٠٨/٥.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم::ص١٤٠٨/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١/ ٢٤٤، وتفسير الثعلبي: ٢/ ٤٥، والنكت والعيون: ٢٢٣/١، والتفسير البسيط: ٥٠١/٣،والمفردات: ٦٥ - ٦٦، والبحر المحيط:١/ ٤٩٠.
(١٢) انظر: التفسير البسيط: ٥٠١/٣.
(١٣) معاني القرآن:٣٤٤/١.
(١٤) التفسير البسيط: ٥٠١/٣.
(١٥) التفسير البسيط: ٥٠١/٣.
(١٦) البيت من شواهد الزجاج في معانيالقرآن: ٢٤٤/١، والماوردي في النكت والعيون: ٢٢٣/١.
(١٧) معاني القرآن: ٢٤٤/١.

قوله تعالى:{فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" فإن الله تعالى غفور له، رحيم به"[٢].

قال الزجاج:" أي: يغفر لمن لم يتعد"[٣].

قال الطبري:أي:" فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك{فإنّ الله غفور}، فيما فعل من ذلك، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه، ولو شاء عاقبه عليه {رحيم}، بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه، ولو شاء حرَّمه عليه ومنعه منه"[٤].

قال سعيد بن جبير: " {غفور}، يعني :لما أكل من الحرام {رحيم}، يعني: رحيما به إذ أحل له الحرام في الاضطرار"[٥].

قال البيضاوي: أي{ غَفُورٌ}:" لما فعل، {رَحِيمٌ} بالرخصة فيه"[٦].

قال الصابوني:" ومن رحمته أن أباح المحرمات وقت الضرورة"[٧].

قال ابن كثير:" أي : غفور له ، رحيم به، والمقصود من سياق هذه الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه ، من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البَحِيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك ، فأمر الله رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم ، وإنما حُرِّم ما ذكر في هذه الآية ، من الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به. وما عدا ذلك فلم يحرم ، وإنما هو عفو مسكوت عنه ، فكيف تزعمون أنتم أنه حرام ، ومن أين حرمتموه ولم يحرمه الله ؟ وعلى هذا فلا يبقى تحريم أشياء أخر فيما بعد هذا ، كما جاء النهي عن لحوم الحمر ولحوم السباع ، وكل ذي مخلب من الطير ، على المشهور من مذاهب العلماء"[٨].

وقد اختلف الفقهاء في مقدار ما يحل للمضطر أكله من الميتة، على قولين[٩]:

أحدهما: له أن يأكل منها مقدار ما يمسك به رمقه، وهو أحد قولي الشافعي واختيار المزني.

والثاني:أن يأكل منها حتى يشبع.

قال مقاتل بن حيان: "{غفور رحيم}، فيما أكل في اضطرار، وبلغنا والله أعلم أنه لا يزيد على ثلاث لقم"[١٠].

قال الشيخ ابن عثيمين: والله سبحانه وتعالى أباح لنا الميتة بثلاثة شروط[١١]:

١- الضرورة.

٢- أن لا يكون مبتغياً – أي طاباً لها -.

٣- أن لا يكون متجاوزاً للحد الذي تندفع به الضرورة.

وبناءً على هذا ليس له أن يأكل حتى يشبع إلا إذا كان يغلب على ظنه أنه لا يجد سواها عن قرب؛ وهذا هو الصحيح؛ ولو قيل: بأنه في هذه الحال يأكل ما يسد رمقه، ويأخذ شيئاً منها يحمله معه - إن اضطر إليه أكل، وإلا تركه - لكان قولاً جيداً.

---

(١) التفسير البسيط: ٥٠١/٣-٥٠٢، وانظر: "المفردات" ص ٣٢٨ - ٣٢٩، "البحر المحيط" ١/ ٤٩٠.
(٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(٣) معاني القرآن:٣٠٠/٢.
(٤) تفسير الطبري:١٩٧/١٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٣١):ص١٤٠٩/٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٢/١.
(٦) تفسير البيضاوي: ١٢٠/١.
(٧) صفوة التفاسير:١٠٢/١.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٥٤/٣.
(٩) انظر: تفسير الثعلبي: ٤٦/٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٣٠):ص١٤٠٩/٥، وانظر: تفسير الثعلبي: ٤٦/٢، وتفسير ابن كثير: ٤٨٢/١.
(١١) انظر: تفسير ابن عثيمين: ١٠٦/٢.

قال مسروق: "من اضطُرَّ فلم يأكل ولم يشرب، ثم مات دخل النار. وهذا يقتضي أن أكل الميتة للمضطر عزيمة لا رخصة"[١].
واختلف العلماء في حكم هذه الآية على قولين:
أحدهما: أن المعنى: لا أجد محرما مما كنتم تستحلون في الجاهلية إلا هذا، قاله طاؤس[٢]، ومجاهد[٣].

والثاني: أنها حصرت المحرم، فليس في الحيوانات محرم إلا ما ذكر فيها.
ثم اختلف أصحاب هذا القول على وجهين:
الأول: فذهب بعضهم إلى أنها محكمة، وأن العمل على ما ذكر فيها، فكان ابن عباس لا يرى بلحوم الحمر الأهلية بأسا، ويقرأ هذه الآية ويقول: ليس شيء حراما إلا ما حرمه الله في كتابه[٤]. وهذا مذهب عائشة[٥]، والشعبي[٦].

قال ابن عباس:" ليس من الدواب شيء حرام إلا ما حرم الله في كتابه، قوله: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة}"[٧].
وقال ابن عباس-أيضا-:" كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذرا، فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم، وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام،وما سكت عنه فهو عفو منه، ثم تلا هذه الآية: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما}، الآية"[٨].
وعن جابر بن زيد قال: "سألت البحر، يعني: ابن عباس في رجل ذبح ونسي أن يذكر، فتلا هذه الآية: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما}"[٩].
وعن ابن عباس أيضا، قال: "ماتت شاة لأم الأسود وفأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ألا انتفعتم بمسكها؟[١٠] فقالوا: يا رسول الله، مسك ميتة؟ فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه}، فسلخت. قال ابن عباس: فجعلوا مسكها قربة، ثم رأيتها- بعد- سنة"[١١].
والثاني: وذهب آخرون أنها نسخت بالسنة، وبما ذكر في «المائدة» من :المنخنقة، والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع[١٢].
وقد ذكر الماوردي عن الجمهور:" أنها تشتمل على تحريم ما تضمنها وليست مستوعبة لجميع المحرمات لما جاءت به السنة من تحريم كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٨٢/١.
(٢) أخرجه الطبري(١٤٠٧٩):ص١٩١/١٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٠٨١):ص١٩١/١٢-١٩٢.
(٤)روى البخاري من طريق عمرو بن دينار، قال: "قلت لجابر بن زيد، يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن حمر الأهلية، فقال: قد كان يقول ذاك، الحكم بن عمرو الغفاري عندنا ولكن أبى ذاك البحر ابن عباس، وقرأ: {لا أجد في ما أوحي إلي محرما}". انظر: صحيح البخاري مع الفتح١٢/ ٧٦.
وانظر الروايات الأخرى عن ابن عباس في: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٠٦):ص١٤٠٦/٥، و(٨٠٠٠)، و(٨٠٠٢):ص١٤٠٤/٥-١٤٠٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٠)، و(١٤٠٩١):ص١٩٤/١٢.
(٦) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٣٦/٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٦):ص١٤٠٦/٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٠):ص١٤٠٤/١٢-١٤٠٥.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٢):ص١٤٠٥/١٢.
(١٠) أي: جلدها.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٣):ص١٤٠٥/١٢.
(١٢)كما جاء ذلك في الآية الثالثة من سورة المائدة.

قال البغوي:"وأكثر العلماء على أن التحريم لا يختص بهذه الأشياء، والمحرم بنص الكتاب ما ذكر هنا، ذلك معنى قوله تعالى: {قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما}، وقد حرمت السنة أشياء يجب القول بها"[٢].

قال القرطبي:" أعلم الله عز وجل في هذه الآية بما حرم. والمعنى: يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرما إلا هذه الأشياء لا ما تحرمونه بشهوتكم. والآية مكية. ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرم غير هذه الأشياء، ثم نزلت سورة«المائدة» بالمدينة. وزيد في المحرمات كالمنخنقة والموقوذة [٣] والمتردية والنطيحة والخمر وغير ذلك. وحرم رسول الله صلى الله عليه بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير.

وقد اختلف العلماء في حكم هذه الآية وتأويلها على أقوال: الأول- ما أشرنا إليه من أن هذه الآية مكية، وكل محرم حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو جاء في الكتاب مضموم إليها، فهو زيادة حكم من الله عز وجل على لسان نبيه عليه السلام. على هذا أكثر أهل العلم من أهل النظر، والفقه والأثر. ونظيره نكاح المرأة على عمتها وعلى خالتها مع قوله:{وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُم} [النساء : ٢٤]، وكحكمه باليمين مع الشاهد مع قول:{فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَان} [البقرة : ٢٨٢]، وقد قيل: إنها منسوخة بقوله عليه السلام «أكل كل ذي ناب من السباع حرام»[٤]"[٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير"[٦].

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكل كل ذي ناب من السباع حرام"[٧].

عن عيسى بن نميلة الفزاري عن أبيه قال: "كنت عند عبد الله بن عمر فسأله رجل عن أكل القنفذ، فقرأ: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه}، فقال شيخ عنده: سمعت أبا هريرة يقول: سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «خبيث من خبائث». فقال ابن عمر: إن كان قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كما قاله"[٨].

والأصل عند الشافعي: "أن ما لم يرد فيه نص تحريم أو تحليل، فإن كان مما أمر الشرع بقتله -كما قال: «خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم»[٩] أو نهى عن قتله، كما روي أنه نهى عن قتل النحلة والنملة -فهو حرام، وما سوى ذلك فالمرجع فيه إلى الأغلب من عادات العرب، فما يأكله الأغلب منهم فهو حلال، وما لا يأكله الأغلب منهم فهو حرام، لأن الله تعالى خاطبهم بقوله: {قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَات} [المائدة : ٤] ، فثبت أن ما استطابوه فهو حلال"[١٠].

قال ابن الجوزي:"وقد رد قوم هذا القول، بأن قالوا: كل هذا داخل في الميتة، وقد ذكرت الميتة ها هنا فلا وجه للنسخ، وزعم قوم: أنها نسخت بآية المائدة، وبالسنة من تحريم الحمر

---

(١) النكت والعيون:١٨٣/٢.

(٢) تفسير البغوي:١٩٨/٣.

(٣)الموقوذة: الشاة المضروبة حتى تموت ولم تذك. والمتردية: التي تقع من جبل، أو تطيح في بئر، أو تسقط من موضع مشرف فتموت..

(٤)أخرجه مسلم في الموضع السابق - برقم (١٩٣٣) : ٣ / ١٥٣٤. والبغوي في شرح السنة: ١١ / ٢٣٤.

(٥) تفسير القرطبي:١١٥/٧.

(٦)أخرجه مسلم في الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع ... برقم (١٩٣٤) : ٣ / ١٥٣٤. والبغوي في شرح السنة: ١١ / ٢٣٤.

(٧)أخرجه مسلم في الموضع السابق - برقم (١٩٣٣) : ٣ / ١٥٣٤. والبغوي في شرح السنة: ١١ / ٢٣٤.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٧):ص١٤٠٦/٥.

(٩)أخرجه البخاري في جزاء الصيد، باب ما يقتل المحرم من الدواب: ٤ / ٣٤، ومسلم في الحج باب ما يندب للمحرم وغيره قتله، برقم (١١٩٨) : ٢ / ٨٥٦.

(١٠) تفسير البغوي:١٩٨/٣.

الأهلية وكل ذي ناب من السباع[1]، ومخلب[2] من الطير، وهذا ليس بصحيح، أما آية المائدة فقد ذكرنا أنها داخلة في هذه الآية، وأما ما ورد في السنة فلا يجوز أن يكون ناسخا، لأن مرتبة القرآن لا يقاومها أخبار الأحاد ولو قيل: إن السنة خصت ذلك الإطلاق أو ابتدأت حكما، كان أصلح.

وإنما الصواب عندنا أن يقال: هذه الآية نزلت بمكة، ولم تكن الفرائض قد تكاملت ولا المحرمات اليوم قد تتامت، ولهذا قال: {في ما أوحي} على لفظ الماضي وقد كان حينئذ من قال: لا إله إلا الله ثم مات، دخل الجنة، فلما جاءت الفرائض والحدود، وقعت المطالبة بها، فكذلك هذه الآية إنما أخبرت بما كان في الشرع من التحريم يومئذ، فلا ناسخ إذن ولا منسوخ. ثم كيف يدعى نسخها وهي خبر، والخبر لا يدخله النسخ"[3].

وقد اختار ابن الجوزي في مختصر عمدة الراسخ إحكام الآية[4]وهو اختيار أبي جعفر النحاس[5]، ومكي بن أبي طالب[6]، وذكر ابن الجوزي في تفسيره أسباب إحكام الىية-بعد ذكر دعوى الإحكام- فقال: "ولأرباب هذا القول في سبب إحكامها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها خبر والخبر لا يدخله النسخ.

والثاني: أنها جاءت جوابا عن سؤال سألوه، فكان الجواب بقدر السؤال، ثم حرم بعد ذلك ما حرم.

والثالث: أنه ليس في الحيوان محرم إلا ما ذكر فيها"[7].

قال الإمام ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا عبده ورسوله محمدًا ، صلوات الله وسلامه عليه : قل لهؤلاء الذين حرموا ما رزقهم الله افتراء على الله : {لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ } أي : آكل يأكله. قيل : معناه : لا أجد شيئًا مما حرمتم حرامًا سوى هذه. وقيل : معناه : لا أجد من الحيوانات شيئًا حرامًا سوى هذه. فعلى هذا يكون ما ورد من التحريمات بعد هذا في سورة «المائدة»، وفي الأحاديث الواردة ، رافعًا لمفهوم هذه الآية.

ومن الناس من يسمي ذلك نسخًا ، والأكثرون من المتأخرين لا يسمونه نسخًا ؛ لأنه من باب رفع مباح الأصل"[8].

قال الإمام الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- ما ملخصه، بعد أن أسند حديث أبي هريرة «أكل كل ذي ناب من السباع حرام»[9]: "وهذا حديث ثابت مجتمع على صحته، وفيه من الفقه أن النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع نهي تحريم، لا نهي أدب وإرشاد، وكل خبر جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه نهي، فالواجب استعماله على التحريم إلا أن يأتي معه أو في غيره دليل يبين أن المراد أنه ندب وأدب. وقد زعم بعض أصحابنا أنه نهى تنزه وتقذر، فإن أراد به نهي أدب فهذا ما لا يوافق عليه، وإن أراد أن كل ذي ناب من السباع يجب التنزه عنه كما يتنزه عن النجاسة فهذا غاية في التحريم. ولم يرده القائلون من أصحابنا. لأنهم استدلوا بظاهر هذه الآية قل لا أجد ... وذكر أن من الصحابة من استعمل هذه الآية، ولم يحرم ما عداها، ويلزمه على أصله هذا أن يحل لحم الحمر الأهلية، وهو لا يقول هذا في لحم الحمر الأهلية. لأنه لا تعمل الزكاة عنده في لحومها ولا في جلودها، ولو لم يكن محرما إلا ما في هذه

---

(١)روى هذا الحديث البخاري في صحيحه١٢/ ٧٨ عن أبي ثعلبة.

(٢)المخلب بكسر الميم، وهو: للطائر والسبع كالظفر للإنسان، لأن الطائر يخلب بمخلبه الجلد أي يقطعه ويمزقه. انظر: المصباح المنير ١/ ١٠٠ وقد جاء النهي عن مخلب الطير في حديث مسلم من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: صحيح مسلم مع شرح النووي١٢/ ٨٣.

(٣) نواسخ القرآن:٢/٤٣٧-٤٣٨.

(٤)انظر: مختصر عمدة الراسخ ورقة (٧)..

(٥) انظر: الناسخ :١٤٢.

(٦)انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٧) زاد المسير: ٣/ ١٤٠.

(٨) تفسير ابن كثير:٣/٣٥٢.

(٩) سبق تخريجه.

الآية لكانت الحمر الأهلية حلالا. وهو لا يقول به، ولا أحد من أصحابه، وهذه مناقضة، وكذلك يلزمه أن لا يحرم ما لم يذكر اسم الله عليه عمدا، ويستحل الخمر المحرمة عند جماعة المسلمين. وأظن قائل هذا القول من أصحابنا في أكل كل ذي ناب.
راعى اختلاف العلماء، ولا يجوز مراعاة الاختلاف عند طلب الحجة. لأن الاختلاف ليس منه شيء لازم دون دليل، وإنما الحجة اللازمة الإجماع لأن الإجماع يجب الانقياد إليه. فأما قوله تعالى قل لا أجد في ما أوحي ... فقال قوم من فقهاء العراقيين، ممن يجيز نسخ القرآن بالسنة: إن هذه الآية منسوخة بالسنة. وقال آخرون: معنى الآية، أي لا أجد قد أوحي إلي في هذا الحال أي وقت نزول الآية. وقالت فرقة: الآية محكمة، ولا يحرم إلا ما فيها، وهو قول ابن عباس، وقد روي عنه خلافه في أشياء حرمها، يطول ذكرها وكذلك اختلف فكيه عن عائشة، وروي عن ابن عمر من وجه ضعيف، وهو قول الشعبي وسعيد بن جبير.

وأما سائر فقهاء المسلمين في جميع الأمصار فمخالفون لهذا القول متبعون للسنة في ذلك. وقال أكثر أهل العلم، والنظر من أهل الأثر: إن الآية محكمة غير منسوخة، وكل ما حرمه النبي صلى الله عليه وسلم مضموم إليها، ولا فرق بين ما حرم الله عز وجل في كتابه أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم"[١].

وفي السياق نفسه قال الشيخ السعدي:"فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو الأخير منها فقط: {فَإِنَّهُ رِجْسٌ} وصف شامل لكل محرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرمها الله على عباده، صيانة لهم، وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس.

ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السُّنَّة، فإنها تفسر القرآن، وتبين المقصود منه، فإذا كان الله تعالى لم يحرم من المطاعم إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره، إلا شرع الله -دل ذلك على أن المشركين، الذين حرموا ما رزقهم الله مفترون على الله، متقولون عليه ما لم يقل.
وفي الآية احتمال قوي، لولا أن الله ذكر فيها الخنزير، وهو: أن السياق في نقض أقوال المشركين المتقدمة، في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم بذلك، بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة، وليس منها محرم إلا ما ذكر في الآية: الميتة منها، وما أهل لغير الله به، وما سوى ذلك فحلال.

ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى وأشباههم، فينمونها كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين الأنعام، فهذا المحرم على هذه الأمة كله من باب التنزيه لهم والصيانة"[٢].
الفوائد:

١- من فوائد الآية: تحريم الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير لله.
٢- ومنها: أن التحريم والتحليل إلى الله.
٣- حرمة الميتة وأنواعها في سورة المائدة وهي المنخنقة والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وحرمة الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وما ذبح على النصب وحرم بالسنة الحمر٢ الأهلية والبغال، وكل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور.
٤- ومنها: أن الضرورة تبيح المحظور؛ لقوله تعالى: { فمن اضطر غير باغ ولا عاد}، ولكن هذه الضرورة تبيح المحرم بشرطين:
- الشرط الأول: صدق الضرورة بحيث لا يندفع الضرر إلا بتناول المحرم.
- الشرط الثاني: زوال الضرورة به حيث يندفع الضرر.

(١)التمهيد: ١/ ١٣٩.
(٢) تفسير السعدي:٢٧٧.

فإن كان يمكن دفع الضرورة بغيره لم يكن حلالاً، كما لو كان عنده ميتة ومذكاة، فإن الميتة لا تحل حينئذ؛ لأن الضرورة تزول بأكل المذكاة؛ ولو كان عطشان، وعنده كأس من خمر لم يحل له شربها؛ لأن ضرورته لا تزول بذلك؛ إذا لا يزيده شرب الخمر إلا عطشاً؛ ولهذا لو غص بلقمة، وليس عنده ما يدفعها به إلا كأس خمر كان شربها لدفع اللقمة حلالاً.

٥- ومن فوائد الآية: إثبات رحمة الله عز وجل؛ لأن من رحمة الله أن أباح المحَرَّمَ للعبد لدفع ضرورته.

٦- ومن فوائد الآية: إثبات اسمين من أسماء الله؛ وهما «الغفور» و «الرحيم»، وما تضمناه من صفة.

- فـ«الغفور»: هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[1].

والفرق بين صيغتي:«الغفار»، و«الغفور»: أن "«الغفار»[2]، معناه: الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم ولا يشيدهما عليهم، ويكون معنى «الغفور»: منصرفا إلى مغفرة الذنوب في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها"[3].

- و«الرحيم»:أي: ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء [4].

٧- ومنها: إثبات ما ذكره أهل السنة والجماعة من أن أسماء الله سبحانه وتعالى المتعدية يستفاد منها ثبوت تلك الأحكام المأخوذة منها؛ فالأسماء المتعدية تتضمن الاسم، والصفة، والأثر - الذي هو الحكم المترتب عليه -؛ والعلماء يأخذون من مثل هذه الآية ثبوت الأثر - وهو الحكم -؛ لأنه لكونه غفوراً رحيماً غفر لمن تناول هذه الميتة لضرورته، ورحمه بحلها؛ فيكون في هذا دليل واضح على أن أسماء الله عز وجل تدل على «الذات» الذي هو المسمى؛ و«الصفة»؛ و«الحكم»، كما قال بذلك أهل العلم - رحمهم الله -.

القرآن

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)} [الأنعام : ١٤٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين ما حرمّنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما عَلِق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك. ذلك التحرم المذكور على اليهود عقوبة مِنَّا لهم بسبب أعمالهم السيئة، وإنَّا لصادقون فيما أخبرنا به عنهم.

قوله تعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" واذكر -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين ما حرمّنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : وحرّمنا على اليهود {كل ذي ظفر}، وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقُوق الأصابع ، كالإبل والنَّعام والإوز والبط"[1].

---

(١) انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

(٢)قال الخطابي:" الغفار: هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى. كلما تكررت التوبة في الذنب من العبد تكررت المغفرة. كقوله -سبحانه-: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه:٨٢].

وأصل الغفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه قيل لجنة الرأس: المغفر، وبه سمي زئبر الثوب غفرا وذلك لأنه يستر سداه؛ فالغفار: الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته. ومعنى الستر في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره فيعيونهم ويقال: إن المغفرة مأخوذة من الغفر: وهو فيما حكاه بعض أهل اللغة نبت يداوى به الجراح، يقال إنه إذا ذر عليها دملها وأبراها". [شأن الدعاء:٥٢/١-٥٣، وانظر: اللسان وتاج العروس، مادة"غفر"].

(٣) شأن الدعاء:٦٥/١.

(٤) انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

(٥) التفسير الميسر:١٤٨.

واختلف في معنى:{ كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} [الأنعام : ١٤٦]، على أربعة أقوال:
أحدها : أنه ما ليس منفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط، قاله ابن عباس[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، وعكرمة[٦]، والضحاك[٧]، وعطاء الخراساني[٨]،والسدي[٩]،ومقاتل بن حيان[١٠]، وكذلك روي عن حنش الصنعاني وزاد فيه: والخنزير[١١].
والثاني : أنه الإبل فقط. وهذا قول ابن زيد[١٢].
والثالث : أنه عنى أنواع السباع كلها[١٣].
والرابع: أنه كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي حافر من الدواب[١٤].
والراجح-والله أعلم- هو القول الأول، " لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه حرم على اليهود كل ذي ظفر ، فغير جائز إخراج شيء من عموم هذا الخبر إلا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النعام وكل ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلا في ظاهر التنزيل ، وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر ، إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخلٍ في الآية ، خبرٌ عن الله ولا عن رسوله ، وكانت الأمة أكثرها مجمع على أنه فيه داخل"[١٥].
وقرأ الحسن :«كل ذي ظفر» مكسورة الظاء مسكنة الفاء. وقرأ أبو سماك:«ظفر» بكسر الظاء والفاء، وهي لغة[١٦].
قوله تعالى:{وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" وحرّمنا عليهم أكل شحوم البقر وشحوم الغنم"[١٧].
عن السدي: قوله: "{ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما}، قال: حرمنا عليهم من الشحوم الثرب وشحم الكليتين، وكان اليهود يقولون: إنما حرمه إسرائيل، فنحن نحرمه"[١٨].
واختلف في قوله تعالى:{وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، على ثلاثة أقوال:
أحدها : أنها شحوم الثّرْب خاصة ، قاله قتادة[١٩].
والثاني : أنه كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم ، قاله ابن جريج[٢٠].
والثالث : أنه شحم الثرب والكلى ، قاله السدي[١]، وابن زيد[٢].

---

(١) تفسير الطبري:١٩٨/١٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٢)، و(١٤٠٩٣):ص١٩٨/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٤):ص١٩٨/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٦)، و(١٤١٠٠)-(١٤١٠١):ص١٩٩/١٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٨):ص١٩٩/١٢.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٩٩):ص١٩٩/١٢.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٢):ص٢٠٠/١٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٢.
(١٤) انظر: النكت والعيون:١٨٣/٢.
(١٥) تفسير الطبري:٢٠٠/٢.
(١٦) انظر: الكشف والبيان:٢٠١/٤.
(١٧) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٣٤):ص١٤١٠/٥.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٣):ص٢٠١/١٢.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٤):ص٢٠١/١٢.

قال الطبري:" والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحَوَايا أو ما اختلط بعظم. فكل شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرمًا عليهم . وبنحو ذلك من القول تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله : «قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها»[٣] "[٤].

قوله تعالى:{إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" إلا الشحم الذي علق بالظهر منهما"[٥].

قال الطبري:" يعني : إلا شحوم الجَنْب وما علق بالظهر ، فإنها لم تحرَّم عليهم"[٦].

قال البغوي:"أي: إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما"[٧].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، وجهان:

أحدهما: أنه ما علق بالظهر من الشحم. قاله ابن عباس[٨]، والضحاك[٩]، ومقاتل بن حيان[١٠].

والثاني: أنه شحم الألية. وهذا قول أبي صالح[١١]، وهو مروي عن السدي أيضا[١٢].

قوله تعالى:{أَوِ الْحَوَايَا} [الأنعام : ١٤٦]، أي:"أو الأمعاء والمصارين"[١٣].

قال البغوي:"أي: ما حملته الحوايا من الشحم"[١٤].

قال الطبري:يعني" أو ما حملت الحوايا، وهي ما تحوَّى من البطن فاجتمع واستدار ، وهي بنات اللبن ، وهي«المباعر»، وتسمى «المرابض»، وفيها الأمعاء"[١٥].

قال ابن زيد:" {الحوايا }، المرابض التي تكون فيها الأمعاء ، تكون وسطها ، وهي : «بنات اللبن»، وهي في كلام العرب تدعى :«المرابض»"[١٦].

وفي معنى:قوله تعالى:{أَوِ الْحَوَايَا} [الأنعام : ١٤٦]، وجوه:

أحدها: أنها المباعر. قاله ابن عباس[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، وأبو صالح[١٩]، ومجاهد[٢٠]، ومقاتل بن حيان[١]، والسدي[٢]، وقتادة[٣]، والضحاك[٤]، وعطاء الخراساني[٥]/ واختاره الزجاج[٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٥):ص١٢/٢٠١-٢٠٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٦):ص١٢/٢٠٢.

(٣)أخرجه أبو داود في البيوع (٣٤٨٨)، وأحمد (١/ ٢٤٢، ٢٩٣، ٣٢٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٤٧)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٧)، وابن حبان (١١/ ٣١٣)، والبيهقي (٦/ ١٣).
كلهم من طريق خالد الحذاء، عن بركة أبي الوليد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وهذا إسناد صحيح.

(٤) تفسير الطبري:١٢/٢٠٢.

(٥) صفوة التفاسير:١/٣٩٤.

(٦) تفسير الطبري:١٢/٢٠٢.

(٧) تفسير البغوي:٣/٢٠٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٣٥):ص٥/١٤١٠.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٥/١٤١٠. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٥/١٤١٠. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٣٦):ص٥/١٤١٠.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٥/١٤١٠. حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٣) صفوة التفاسير:١/٣٩٤.

(١٤) تفسير البغوي:٣/٢٠٠.

(١٥) تفسير الطبري:١٢/٢٠٣.

(١٦) أخرجه الطبري(١٤١٢١):ص١٢/٢٠٥.

(١٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٩):ص١٢/٢٠٣.

(١٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٤):ص١٢/٢٠٤.

(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٥/١٤١١. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٠):ص١٢/٢٠٣.

والثاني: أن «الحوايا»: المباعر والمرابض. وهذا قول الضحاك[٧]، وابن زيد [٨]، وهو مروي عن مجاهد أيضا[٩].
والثالث:أنها بنات اللبن. وهذا قول ابن زيد[١٠].
والرابع: أنهاالبطون غير الثروب. وهذا مروي عن الضحاك[١١]، ومقاتل بن حيان[١٢].
والخامس: أنها الأمعاء التي عليها الشحم من داخلها ، قاله بعض المتأخرين [١٣].
والسادس: أنها كل ما تحوّى في البطن واجتمع واستدار ، قاله علي بن عيسى[١٤].

قوله تعالى:{أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك"[١٥].

قال الطبري:يعني:" وإلا ما اختلط بعظم ، فهو لهم أيضًا حلال"[١٦].

قال ابن كثير:" أي : وإلا ما اختلط من الشحوم بالعظام فقد أحللناه لهم"[١٧].

قال البغوي:"يعني: شحم الألية، هذا كله داخل في الاستثناء، والتحريم مختص بالثرب[١٨] وشحم الكلية"[١٩].

وفي قوله تعالى:{أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} [الأنعام : ١٤٦]، وجهان:
أحدهما : أنه شحم الجنب[٢٠].
والثاني : أنه شحم الجنب والأليه ، لأنه على العصعص ، قاله ابن جريج[٢١]، والسدي[٢٢].

قال الزجاج:"نحو شحم الإلية. وهذا أكثر القولين"[٢٣].

قوله تعالى:{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" ذلك التحرم المذكور على اليهود عقوبة مِنَّا لهم بسبب أعمالهم السيئة"[٢٤].

قال مقاتل بن حيان:" يقول: باستحلالهم ما كان الله حرم عليهم"[٢٥].

قال ابن زيد:" فعلنا ذلك بهم ببغيهم"[٢٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢٠):ص٢٠٤/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٦):ص٢٠٤/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٧):ص٢٠٤/١٢.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٦) انظر: معاني القرآن:٣٠١/٢.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٣٨):ص١٤١١/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢١):ص٢٠٥/١٢.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١١١):ص٢٠٤/١٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢١):ص٢٠٥/١٢.
(١١) انظر:تفسير الطبري(١٤١١٨):ص٢٠٤/١٢، و تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٤٠):ص١٤١١/٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٣) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٢.
(١٤) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٢.
(١٥) التفسير الميسر:١٤٨.
(١٦) تفسير الطبري:٢٠٥/١٢.
(١٧) تفسير ابن كثير:٣٥٥/٣.
(١٨) .الثرب: شحم رقيق على الكرش والأمعاء.
(١٩) تفسير البغوي:٢٠٠/٣.
(٢٠) انظر: النكت والعيون:١٨٤/٢.
(٢١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢٢):ص٢٠٥/١٢.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢٣):ص٢٠٥/١٢.
(٢٣) معاني القرآن:٣٠١/٢.
(٢٤) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٤٤):ص١٤١٢/٥.
(٢٦) أخرجه الطبري(١٤١٢٥):ص٢٠٦/١٢.

قال قتادة :"إنما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم"[1].
قال الثعلبي:أي:"ذلك التحريم جزيناهم بظلمهم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل"[2].
قال ابن كثير:" أي : هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به ، مجازاة لهم على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا ، كما قال تعالى : { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا } [النساء : ١٦٠]"[3].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فهذا الذي حرمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير، ذوات الأظافير غير المنفرجة، ومن البقر والغنم، ما حرمنا عليهم من شحومهما، الذي ذكرنا في هذه الآية، حرمناه عليهم عقوبة منّا لهم، وثوابًا على أعمالهم السيئة، وبغيهم على ربهم"[4].
قوله تعالى:{وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" وإنَّا لصادقون فيما أخبرنا به عنهم"[5].
قال الماوردي:أي:" فيما حكاه عنهم وحرمه عليهم"[6].
قال الثعلبي:أي:"في أخبارنا عن هؤلاء اليهود وعما حرمنا عليهم من اللحوم والشحوم"[7].
قال ابن كثير:" أي : وإنا لعادلون فيما جزيناهم به"[8].
وقال الطبري:" يقول: وإنا لصادقون في خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التي ذكرنا أنّا حرمنا عليهم، وفي غير ذلك من أخبارنا، وهم الكاذبون في زعمهم أن ذلك إنما حرمه إسرائيل على نفسه، وأنهم إنما حرموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه"[9].
الفوائد:

١- قد يُحْرم العبد بالذنوب من كثير من الطيبات كما حصل لليهود.
٢- ويستفاد من الآية أن الشريعة الخاتمة جاءت لتكوّن القاعدة: إحلال الطيبات وتحريم، الخبائث، وهي ما ميّزت الشريعة الخاتمة أنها عامة لجميع الناس إلى قيام الساعة، بخلاف الشرائع الأخرى، فهي خاصة بقوم دون قوم، أو فترة دون فترة،

القرآن

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)} [الأنعام : ١٤٧]

التفسير:

فإن كذبك -أيها الرسول- مخالفوك من المشركين واليهود، وغيرهم، فقل لهم: ربكم جل وعلا ذو رحمة واسعة، ولا يُدْفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتسبوا الذنوب، واجترحوا السيئات. وفي هذا تهديد لهم لمخالفتهم الرسول صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى:{فَإِنْ كَذَّبُوكَ} [الأنعام : ١٤٧]، أي:" فإن كذبك -أيها الرسول- مخالفوك من المشركين واليهود، وغيرهم"[10].

---

(١) أخرجه الطبري(١٤١٢٤):ص٢٠٦/١٢.
(٢) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٥٥/٣.
(٤) تفسير الطبري:٢٠٦/١٢.
(٥) التفسير الميسر:١٤٨.
(٦) النكت والعيون:١٨٤/٢.
(٧) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٥٥/٣.
(٩) تفسير الطبري:٢٠٦/١٢.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٨.

قال النسفي:أي:" فيما أوحيت إليك من هذا"[١].
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كذبك ، يا محمد، هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم ، كما بينا في هذه الآية"[٢].
قال ابن كثير:" يقول تعالى : فإن كذّبك - يا محمد - مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم"[٣].
عن مجاهد: قوله: "{فإن كذبوك}، قال: اليهود"[٤].
قوله تعالى:{فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} [الأنعام : ١٤٧]، أي:" فقل لهم: ربكم جل وعلا ذو رحمة واسعة"[٥].
قال الطبري:" {فقل ربكم ذو رحمة}، بنا ، وبمن كان به مؤمنًا من عباده ، وبغيرهم من خلقه {واسعة}، تسع جميع خلقه ، المحسنَ والمسيء ، لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ، ولا من عصاه بالنِّقمة ، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ، ولا يحرمه ثواب عمله ، رحمة منه بكلا الفريقين"[٦].
قال البغوي:يعني:" بتأخير العذاب عنكم"[٧].
قال القرطبي:" أي: من سعة رحمته حلم عنكم فلم يعاقبكم في الدنيا"[٨].
قال النسفي:أي:" برحمته الواسعة يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة "[٩].
قال ابن كثير:" وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة ، واتباع رسوله"[١٠].
قال السعدي:أي:" فاستمر على دعوتهم، بالترغيب والترهيب، وأخبرهم بأن الله {ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} أي: عامة شاملة لجميع المخلوقات كلها، فسارعوا إلى رحمته بأسبابها، التي رأسها وأسها ومادتها، تصديق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به"[١١].
قوله تعالى:{وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام : ١٤٧]، أي:" ولا يُدْفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتسبوا الذنوب، واجترحوا السيئات"[١٢].
قال البغوي:يعني:" عذابه، {عن القوم المجرمين} إذا جاء وقته"[١٣].
قال النسفي:معناه"فلا يرد عذابه مع سعة رحمته{عن القوم المجرمين}، إذا جاء، أي: فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته"[١٤].
قال الطبري:يقول" ولكن بأسه -وذلك سطوته وعذابه- لا يردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء، و{المجرمون}:هم الذين أجرَموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات "[١٥].
قال السعدي:"{الْمُجْرِمِينَ} أي: الذين كثر إجرامهم وذنوبهم. فاحذروا الجرائم الموصلة لبأس الله، التي أعظمها ورأسها تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم"[١].

---

(١) تفسير النسفي:٥٤٥/١.
(٢) تفسير الطبري:٢٠٦/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٥٧/٣.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٤٥):ص١٤١٢/٥.
(٥) التفسير الميسر:١٤٨.
(٦) تفسير الطبري:٢٠٧/١٢.
(٧) تفسير البغوي:٢٠٠/٣.
(٨) تفسير القرطبي:١٢٨/٧.
(٩) تفسير النسفي:٥٤٥/١.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥٧/٣.
(١١) تفسير السعدي:٢٧٨.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(١٣) تفسير البغوي:٢٠٠/٣.
(١٤) تفسير النسفي:٥٤٦/١.
(١٥) تفسير الطبري:٢٠٧/١٢.

قال القرطبي:" ثم أعده لهم في الآخرة من العذاب فقال: {ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين}، وقيل: المعنى ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين إذا أراد حلوله في الدنيا"[٢].

قال ابن كثير:"[وهذا] ترهيب لهم من مخالفتهم الرسول خاتم النبيين. وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن ، كما قال تعالى في آخر هذه السورة : { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [الآية : ١٦٥] ، وقال { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } [الرعد : ٦] ، وقال تعالى : { نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ } [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] ، وقال تعالى : { غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ } [غافر : ٣] ، وقال تعالى : { إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ } [البروج : ١٢ - ١٤] ، والآيات في هذا كثيرة جدًا"[٣].

قال السدي:" كانت اليهود تقول: إنما حرمه إسرائيل- يعني : الثَّرْب وشحم الكليتين[٤]-، فنحن نحرمه. فذلك قوله: {فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين}"[٥].

الفوائد:

١- إمهال الله تعالى المجرمين لا يدل على عدم عقوبتهم فإن بأس الله لا يرد عن القوم المجرمين.

٢- أنه سبحانه وتعالى جمع بين الوعد والوعيد ليعظم رجاء الناس في فضله، ويشتد خوفهم من عقابه وعذابه الشديد؛ لأن مطامع العقلاء محصورة في جلب النفع ودفع الضرّ. فاجتماع الخوف والطمع أدعى للطاعة. وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام:١٤٧]، وقوله: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام:١٦٥]، وقوله جل وعلا: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ} [الحجر:٤٩-٥٠]، وقوله: {غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ} [غافر:٣]، إلى غير ذلك من الآيات[٦].

٣- ويستفاد من الآية الكريمة: أنه تعالى إذا أفردَ الخطاب مع المؤمنين، ذكر كتابة الرحمة التي تمنع الوجوب، وإذا خاطب الكافرين مفردين، ذكر سَعة الرحمة التي تمنعُ القنوط ويكون رجاؤها سبباً للرجوع إلى الله تعالى، فقال في خطاب المؤمنين: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: ٥٤]، وقال في الكفار: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام: ١٤٧].

٤- ومن الفوائد: إثبات الرحمة لله سبحانه وتعالى، وذلك في قوله: تعالى: {فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} . [الأنعام: ١٤٧]، ومنه قوله تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} . [لأعراف: ١٥٦] .

وصفة الرحمة: هذه الصفة من الصفات التي اختلف أهل العلم فيها هل هي من صفات الذات أو من صفات الأفعال، وقد تقدم ذكر الخلاف عند الكلام على صفة الذات وصفة الفعل، والذي يترجح عند بعض أهل العلم أنها من صفات الأفعال، لأنه سبحانه وتعالى يرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، وينتقم منه ولا يرحمه، فحيث تتعلق بها

---

(١) تفسير السعدي:٢٧٨.
(٢) تفسير القرطبي:١٢٨/٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٥٧/٣.
(٤) رواية الطبري(١٤١٢٨):ص٢٠٧/١٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٤٦):ص١٤١٢/٥.
(٦) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي:١/٩، و٨٠/٣.

مشيئة الله وقدرته فهي من صفات الأفعال ويمكن عدها من صفات الذات باعتبار أن الله لم يزل متصفاً بالرحمة، فالرحمة العامة ملازمة لذاته تعالى وإن كان أفرادها تتجدد (١).

وقد جاء ذكر الرحمة في القرآن الكريم بأساليب مختلفة نذكر منها الآتي:

- {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥].
- {الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ} [الرحمن:١-٢].
- {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}[الأنعام:١٢].
- {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ} [الأنعام:١٣٣].
- {فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} [الأنعام:١٤٧].
- {إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف:٥٦].
- {وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأعراف:١٥١].
- {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٥٦].

كما ورد ذكرها في السنة أيضاً مثل:

- "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (٢).
- "من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء" (٣).
- "إن الله كتب كتاباً وهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي "، وفي رواية "سبقت غضبي"(٤) إلى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي لم تذكر هنا إيثاراً للاختصار.

القرآن

{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)} [الأنعام : ١٤٨]

التفسير:

سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك -نحن وآباؤنا- وأن لا نحرم شيئًا مِن دونه ما فعلنا ذلك، وردَّ الله عليهم ببيان أن هذه الشبهة قد أثارها الكفار مِن قبلهم، وكذَّبوا بها دعوة رسلهم، واستمَرُّوا على ذلك، حتى نزل بهم عذاب الله. قل لهم -أيها الرسول-: هل عندكم -فيما حرَّمتم من الأنعام والحرث، وفيما زعمتم من أن الله قد شاء لكم الكفر، ورضيه منكم وأحبه لكم- من علم صحيح فتظهروه لنا؟ إن تتبعون في أمور هذا الدين إلا مجرد الظن، وإن أنتم إلا تكذبون.

---

(١) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، أبو أحمد محمد:٢٨٥.

(٢)أخرجه من رواية عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي اللّه عنهما، أحمد في المسند ٢/ ١٦٠، وأخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣١، كتاب الأدب (٣٥)، باب في الرحمة (٦٦)، الحديث (٤٩٤١)، وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٤، كتاب البر. . (٢٨)، باب ما جاء في رحمة المسلمين (١٦)، الحديث (١٩٢٤) واللفظ له وقال: (حديث حسن صحيح)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٩، كتاب البر. .، باب ارحموا أهل الأرض. .، وصححه، وأقرَّه الذهبي.

وأخرج الطبراني نحوه من رواية عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه، في المعجم الصغير ١/ ١٠١، ولفظه: "ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء" وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٨٧، كتاب البر والصلة، باب رحمة الناس، وعزاه لأبي يعلى، وذكره الهيثمي أيضًا من رواية جرير رضي اللّه عنه، وعزاه للطبراني وقال: (رجاله رجال الصحيح).

(٣)أخرجه الطبراني في الكبير ٤٠٧/٢، وقال المنذري: إسناده قوي جيد الترغيب٢٠٢/٣.

(٤)المسند (٣١٣/٢) ورواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٩٤) ومسلم في صحيحه برقم (٢٧٥١) من وجوه أخرى عن أبي هريرة.

قوله تعالى:{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٤٨]، أي:" سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك -نحن وآباؤنا- وأن لا نحرم شيئًا مِن دونه ما فعلنا ذلك"[١].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه : {سيقول الذين أشركوا}، وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش{لو شاء الله ما أشركنا}، يقول : قالوا احتجازًا من الإذعان للحق بالباطل من الحجة ، لما تبين لهم الحق ، وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام ، على ما قد بيَّن تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك : {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبًا}، وما بعد ذلك : لو أراد الله منا الإيمان به ، وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة ، وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ، ما جعلنا لله شريكًا ، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ، ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الأشياء التي نحن على تحريمها مقيمون ، لأنه قادر على أن يحول بيننا وبين ذلك ، حتى لا يكون لنا إلى فعل شيء من ذلك سبيل : إما بأن يضطرنا إلى الإيمان وترك الشرك به ، وإلى القول بتحليل ما حرمنا وأما بأن يلطف بنا بتوفيقه ، فنصير إلى الإقرار بوحدانيته ، وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام ، وإلى تحليل ما حرمنا ، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، واتخاذ الشريك له في العبادة والأنداد ، وأراد ما نحرّم من الحروث والأنعام ، فلم يَحُلْ بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك"[٢].

قال الثعلبي:أي:"سيقول الذين أشركوا -لما الزمنا بينهم الحجة وتبينوا وتيقنوا باطل ما كانوا عليه- لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا من قبل ولا حرمنا ما حرمنا من التغاير والسوايب وغير ذلك لأنه قادر على أن يحمل بيننا وبين ذلك حتى لا نفعله ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الأصنام وتحريم الحرث والأنعام وأراد منا وأمرنا به فلم يحل بيننا وبين ذلك"[٣].

قال البغوي:يعني:" لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله، قالوا: {لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا} من قبل، {ولا حرمنا من شيء} من البحائر والسوائب وغيرهما، أرادوا أن يجعلوا قوله: {لو شاء الله ما أشركنا} حجة لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا إن الله تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله، فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك"[٤].

قال ابن كثير:" هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبثت بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا ؛ فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه ، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ، أو يحول بيننا وبين الكفر ، فلم يغيره ، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك ؛ ولهذا قال : { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } كما في قوله تعالى:{ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ [مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ } [الزخرف : ٢٠]"[٥].

عن ابن عباس قوله : "{لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا} ، وقال : {كذلك كذب الذين من قبلهم} ، ثم قال : {ولو شاء الله ما أشركوا} ، فإنهم قالوا : عبادتنا الآلهة تقرّبنا إلى الله زلفى ، فأخبرهم الله أنها لا تقربهم ، وقوله : {ولو شاء الله ما أشركوا} ، يقول الله سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين"[٦].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢) تفسير الطبري:٢٠٨/١٢.
(٣) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٤) تفسير البغوي:٢٠٠/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٥٧/٣-٣٥٨.
(٦) أخرجه الطبري(١٤١٢٩):ص٢٠٩/١٢.

عن مجاهد : "{ولا حرمنا من شيء}، قال : قول قريش[1]، يعني : إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة"[2].

قال الزجاج:"قولهم:{لو شاء الله ما أشركنا}، جعلوا هذا القول حجة في إقامتهم على شركهم.. والحجة عليهم في هذا أنهم إذا اعتقدوا أن كل من كان على شيء، والأشياء تجري بمشيئة الله تعالى - فهو على صواب فلا معنى إذن – على قولهم - للرسالة والأنبياء، فيقال لهم: فالذين على دين يخالفكم، أليس هو على ما شاء الله، فينبغي ألا تقولوا إنهم ضالون، وهو عز وجل يفعل ما يشاء، وهو قادر على أن يهدي الخلق أجمعين، وليس للعباد على الله أن يفعل بهم كل ما يقدر عليه"[3].

قال النسفي:" إخبار بما سوف يقولونه {لو شاء الله} لانشرك {ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء} ولكن شاء فهذا عذرنا، يعنون: أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك"[4].

قال القرطبي:" وقد لبست المعتزلة بقول:{لو شاء الله ما أشركنا}، فقالوا: قد ذم الله هؤلاء الذين جعلوا شركهم عن مشيئته. وتعلقهم بذلك باطل، لأن الله تعالى إنما ذمهم على ترك اجتهادهم في طلب الحق. وإنما قالوا ذلك على جهة الهزء واللعب. نظيره:{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} [الزخرف : ٢٠]، ولو قالوه على جهة التعظيم والإجلال والمعرفة به لما عابهم، لأن الله تعالى يقول:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا} [الأنعام : ١٠٧]. و{مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ال} [الأنعام : ١١١]، {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [النحل : ٩]. ومثله كثير. فالمؤمنون يقولونه لعلم منهم بالله تعالى"[5].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا} [الأنعام : ١٤٨]، أي:" كذلك كذَّب من سبقهم من الأمم حتى أنزلنا عليهم العذاب"[6].

قال الطبري:" يقول : كما كذب هؤلاء المشركون ، يا محمد ، ما جئتهم به من الحق والبيان ، كذب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طغَوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه ، وردُّوا عليهم نصائحهم، {حتى ذاقوا بأسنا} ، يقول : حتى أسخطونا فغضبنا عليهم ، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه ، فعطبوا بذوقهم إياه ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة. يقول : وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم"[7].

قال النسفي:" أي: كتكذيبهم إياك كان تكذيب المقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك إذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضي ألا ترى أنه قال فلوا شاء لهداكم أجمعين اخبرانه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر فيحب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض {حتى ذاقوا بأسنا} حى أنزلنا عليهم العذاب"[8].

قال ابن كثير:" أي : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء. وهي حجة داحضة باطلة ؛ لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ، ودمر عليهم ، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام"[9].

---

(١) وفي رواية أخرى(١٤١٣١):ص٢٠٩/١٢.:" قولُ قريش بغير يقين"..

(٢) أخرجه الطبري(١٤١٣٠):ص٢٠٩/١٢.

(٣) معاني القرآن:٣٠٢/٢-٣٠٣.

(٤) تفسير النسفي:٥٤٦/١.

(٥) تفسير القرطبي:١٢٩/٧.

(٦) صفوة التفاسير:٣٩٥/١.

(٧) تفسير الطبري:٢٠٩/١٢.

(٨) تفسير النسفي:٥٤٦/١.

(٩) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.

قال البغوي:" فقال الله تعالى تكذيبا لهم: {كذلك كذب الذين من قبلهم} من كفار الأمم الخالية، {حتى ذاقوا بأسنا} عذابنا... وقيل في معنى الآية: إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان، ورد عليهم في هذا لأن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته، فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد، وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته، فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد"(١).

قال النسفي:" أى: كتكذيبهم إياك كان تكذيب المقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك إذ لم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولانهم جعلوا مشيئته الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضي ألا ترى أنه قال فلوا شاء لهداكم أجمعين اخبرانه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرنا دفعا للتناقض {حتى ذاقوا بأسنا} حى أنزلنا عليهم العذاب"(٢).

قال الآلوسي:" {حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا}: أي: نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم، وفيه إيماء إلى أن لهم عذابا مدخرا عند الله تعالى؛ لأن الذوق أول إدراك الشيء"(٣).

قال الثعلبي:"قال الحسن بن الفضل: لما خبروا بهذه المقالة تعظيما وإجلالا لله سبحانه وتعالى وصفة منهم به لما عابهم ذلك، لأن الله قال ولو شاء الله ما أشركوا وقال سبحانه: {مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الأنعام : ١١١] ، وقال: {وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [النحل : ٩]، والمؤمنون يقولون هذا ولكنهم قالوا ذلك تكذيبا وتخرصا وبدلا من غير معرفة بالله تعالى وبما يقولون نظيره قوله: {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} [الزخرف : ٢٠] "(٤).

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} [الأنعام : ١٤٨]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: هل عندكم -فيما حرَّمتم من الأنعام والحرث، وفيما زعمتم من أن الله قد شاء لكم الكفر، ورضيه منكم وأحبه لكم- من علم صحيح فتظهروه لنا؟"(٥).

قال الآلوسي:" أي: هل لكم من علم بأن الإشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهروه لنا بالبرهان؟

وهذا دليل على أن المشركين أمم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك؛ لأنهم كانوا يهزؤون بالدين، ويبغون رد دعوة الأنبياء عليهم السلام، حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى، فحين طالبوهم بالإسلام، والتزام الأحكام، احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم - عليهم الصلاة والسلام -، ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عِقدهم، كيف لا والإيمان بصفات الله تعالى فرع الإيمان به - عز شأنه - وهو عنهم مناط العَيُّوق(٦)"(٧).

قال ابن كثير:" { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ } أي : بأن الله تعالى راض عنكم فيما أنتم فيه { فَتُخْرِجُوهُ لَنَا}، أي : فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه"(٨).

قال القرطبي:"أي: أعندكم دليل على أن هذا كذا؟"(٩).

قال الثعلبي:أي:"من حظ وحجة على ما يقولون من غير علم ويقين "(١٠).

---

(١) تفسير البغوي:٢٠٠/٣.
(٢) تفسير النسفي:٥٤٦/١.
(٣)فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله):٦٤.
(٤) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٥) التفسير الميسر:١٤٨.
(٦)العَيُّوق: كوكب أحمر مضيء بحيال الثريا من ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء: لسان العرب " عيق "..
(٧)فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله):٦٤-٦٥.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.
(٩) تفسير القرطبي:١٢٨/٧.
(١٠) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.

قال البغوي:" أي: كتاب وحجة من الله {فتخرجوه لنا} حتى يظهر ما تدعون على الله تعالى من الشرك أو تحريم ما حرمتم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، المحرِّمين ما هم له محرِّمون من الحُروث والأنعام ، القائلين : {لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء} ، ولكنه رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم :{هل عندكم}، بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه بإشراككم في عبادته ما تشركون ، وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علمُ يقينٍ من خبر مَنْ يقطع خبره العذر ، أو حجة توجب لنا اليقين ، من العلم {فتخرجوه لنا}، يقول : فتظهروا ذلك لنا وتبينوه ، كما بينا لكم مواضع خطأ قولكم وفعلكم ، وتناقض ذلك واستحالته في المعقول والمسموع"[٢].

قوله تعالى:{إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} [الأنعام : ١٤٨]، أي:" إن تتبعون في أمور هذا الدين إلا مجرد الظن"[٣].

قال البغوي:" أي: ما تتبعون فيما أنتم عليه، {إلا الظن} من غير علم ويقين"[٤].

قال الطبري:" يقولُ له : قل لهم : إن تقولون ما تقولون، أيها المشركون ، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون ، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون، إلا ظنًّا وحسبانًا أنه حق ، وأنكم على حق، وهو باطلٌ ، وأنتم على باطل"[٥].

قال ابن كثير:" { إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ } أي : الوهم والخيال. والمراد بالظن هاهنا : الاعتقاد الفاسد"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} [الأنعام : ١٤٨]، أي:" وإن أنتم إلا تكذبون"[٧].

قال ابن كثير:" أي : تكذبون على الله فيما ادعيتموه"[٨].

قال الثعلبي:أي:"تكذبون"[٩].

قال الطبري:" وما أنتم في ذلك كله إلا تتقوّلون الباطل على الله ، ظنًّا بغير يقين علم ولا برهان واضح "[١٠].

الفوائد:

١- قبح قول عبدة الأصنام في القدر، وهو القول بالجبر وإنكار الأمر والنهي فنسبوا إلى الله عزوجل كل ما يكون من شركهم وفسقهم قال الله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام آية (١٤٨) وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} النحل آية (٣٥) .

فأثبتوا هنا القدر ومشيئة الله جل وعلا وجعلوها حجة في إنكار الأمر والنهي، لهذا بين الله ضلالهم واستحقاق الذين من قبلهم العذاب بسببه فقال بعد آية الأنعام: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ} وقول المشركين شر من قول المعتزلة لإبطالهم الأمر

---

(١) تفسير البغوي:٢٠٢/٣.
(٢) تفسير الطبري:٢١٠/١٢-٢١١.
(٣) التفسير الميسر:١٤٨.
(٤) تفسير البغوي:٢٠٢/٣.
(٥) تفسير الطبري:٢١١/١٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.
(٧) التفسير الميسر:١٤٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.
(٩) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(١٠) تفسير الطبري:٢١١/١٢.

والنهي ونسبتهم القبائح إلى محبة الله ورضاه، وأما المعتزلة فإنهم يعظمون الأمر والنهي إلا أنهم ينكرون القدر ظناً منهم أن بين القدر والأمر والنهي تعارض"(١).

قال البغوي:" ويستدل أهل القدر بهذه الآية، يقولون: إنهم لما قالوا: لو شاء الله ما أشركنا، كذبهم الله ورد عليهم، فقال: {كذلك كذب الذين من قبلهم}، التكذيب ليس في قولهم {لو شاء الله ما أشركنا} بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم: إن الله تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه، كما أخبر عنهم في سورة الأعراف [الآية ٢٨] : {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}، فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف : ٢٨].

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم: {لو شاء الله ما أشركنا}، قوله: {كذلك كذب الذين من قبلهم} بالتشديد، أو لو كان ذلك خبرا من الله عز وجل عن كذبهم في قولهم: {لو شاء الله ما أشركنا} لقال: كذب الذين من قبلهم، بالتخفيف، فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب"(٢).

قال العلامة الآلوسي:" جحود القدر، والاحتجاج به على الله تعالى، ومعارضة شرع الله بقدر الله وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين، والوقوف على سرها عَسِر إلا على من وفقه الله تعالى، ولابن القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه " شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل".

وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ - قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٨ - ١٤٩].

تفسير هذه الآية: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} [الأنعام: ١٤٨] حكاية لفن آخر من أباطيلهم، {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا} [الأنعام: ١٤٨] لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح؛ إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم، بل هم كما نطقت به الآيات - {يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٤] وأنهم إنما يعبدون الأصنام ليقربوهم إلى الله زلفى، وأن التحريم إنما كان من الله عز وجل، فما مرادهم بذلك إلا الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومرضي عند الله تعالى على أن المشيئة والإرادة تساوي الأمر، وتستلزم الرضى كما زعمت المعتزلة فيكون حاصل كلامهم أن ما نرتكبه من الشرك والتحريم وغيرهما تعلقت به مشيئته سبحانه وإرادته، فهو مشروع ومرضي عند الله تعالى.

وبعد أن حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم، رد عليهم بقوله - عز من قائل -: {كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الأنعام: ١٤٨] وهم أسلافهم المشركون.

وحاصله: أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام، وقد دلت المعجزة على صدقهم.

أو نقول: حاصله: أن ما شاء الله يجب، وما لم يشأ يمتنع، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به؛ لكونه مشروطا بالاستطاعة، فينتج: أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه، ولم يبعث له نبي، فرد الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل؛ لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون، وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية، ولكونه صدقا أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب.

---

(١)انظر: كلام شيخ الإسلام في محموع الفتاوى ٩٩/٨-١٠٥.
(٢) تفسير البغوي:٢٠٠/٣.

ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف؛ لأنهما لإظهار المحجة وإبلاغ الحجة"(١).

٢- ومن فوائد الآية الكريمة الإيمان بالقدر، وهو تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضتهُ حكمته، والإيمان بالقدر يتضمَّنُ أربعة أمور:

- الأول: الإيمان بأن الله تعالى عالمٌ بكل شيء، جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده.
- الثاني: الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، أخبر الله تعالى أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) [سورة الحج: ٧٠] .

وفي صحيح مسلم - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"(٢) .

- الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلقُ بفعله: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ) [سورة القصص: ٦٨] ، وقال: (وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء) [سورة إبراهيم: ٢٧] وقال: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء) [سورة آل عمران: ٦] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: (وَلَوْ شَاء اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ) [سورة النساء: ٩٠] ، وقال: (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) [سورة الأنعام: ١١٢] .
- الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [سورة الزمر: ٦٢] ، وقال سبحانه: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) [سورة الفرقان: ٢] ، وقال عن نبيِّه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أنه قال لقومه: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [سورة الصافات: ٩٦] .

والإيمان بالقدر - على ما وصفنا - لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وقدرة عليها؛ لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

- أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: (فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) [سورة النبأ: ٣٩] ، وقال: (فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) [سورة البقرة: ٢٢٣] ، وقال في القدرة: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا) [سورة التغابن: ١٦] ، وقال: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) [سورة البقرة: ٢٨٦] .
- وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة، بهما يفعل، وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكنَّ مشيئة العبد، وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [سورة التكوير: ٢٨، ٢٩] ، ولأن الكون كله ملك لله تعالى؛ فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

---

(١)فصل الخطاب في شرح (مسائل الجاهلية، التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب رحمه الله):٦٣-٦٤.

(٢)رواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٦٦٩٠).

والإيمان بالقدر - على ما وصفنا - لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي، وعلى هذا؛ فاحتجاجه به باطل(١). كما سيأتي في الفائدة التالية.

٣- في الآية الرد على من احتج بالمعاصي على القدر. وهذا باطل من وجوه:

- منها: أن هذا هو احتجاج المشركين.
- ومنها: أن هذا الاحتجاج بالقدر على الشر، لم يمنعهم من عذاب الله. حيث قال: {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا} .
- ومنها: أن الله وبخهم على ذلك، وطالبهم بالبرهان في قوله: {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} [الأنعام: ١٤٨]، فنفى عنهم العلم وأخبر أنهم يتبعون الظن الذي لا يغني من الحق شيئا.
- ومنها: أنه أخبر أن له الحجة البالغة على جميع من تجرأ على معاصيه. فمن احتج على المعاصي فهو أظلم الظالمين.
- وأيضا: فهذا المحتج بالقدر، المقيم لعذر نفسه على ربه، هو يكذب نفسه بنفسه، فإنه لو تجرأ عليه أحد بتعد على ماله أو بدنه أو محبوباته، واعتذر بالقدر لم يقبل عذره، فكيف يقبل عذر نفسه على تجرئه على ربه؟! فالمحتج بالقدر على المعاصي: يكذبه الكتاب والسنة والعقل، وضميره يكذبه كما ذكرنا، وإنما يقصد باحتجاجه دفع الشناعة عن نفسه.

وكانت طائفة القدر في أول أمرهم ينكرون العلم، وينكرون القدر (٢) فيقولون: إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها، ولا تعلقت بها مشيئة الله. فلما شنع عليهم المسلمين وكفروهم بذلك تحولوا عن قولهم الأول، فأثبتوا العلم، وأنكروا القدر.

ولهذا كان الأمة كالإمام أحمد، وغيره يقولون: "ناظروا القدرية بالعلم، فإن أنكروا العلم كفروا، وإن اعترفوا به خصموا، يعني: أن "القدرية" النافين لعلم الله بأفعال عباده، جاحدون لنصوص الكتاب والسنة المصرحة بإحاطة علم الله، بما كان وما يكون من أعيان وأوصاف، وأفعال، مما دق وجل.

فمن أنكر ذلك فقد كذب الكتاب والسنة صريحا، وذلك هو الكفر. وإن اعترفوا بإحاطة علم الله بكل شيء، وبأفعال العباد قبل وقوعها كما هو القول الذي استقر عليه مذهبهم خصموا.

ووجه ذلك: أنهم يقولون: إن أفعالهم لا تتعلق بها مشيئة الله وإرادته، وإنما هم مستقلون بها من كل وجه.

إذا كان هذا قولهم في مشيئة الله، مع قولهم: وإن الله يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها؛ فهذا تناقض محض!! كيف يعلمها وهو لم يقدرها ولم يردها؟ هذا محال {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامي، ابن عثيمين: ٦٠-٦١.

(٢)قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين وبعد إمارة معاوية بن أبى سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين بن الزبير وبين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرءوا منهم وأنكروا مقالتهم كما قال عبد الله بن عمر لما أخبر عنهم إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى بريء منهم وأنهم برءاء مني وكذلك كلام بن عباس وجابر بن عبد الله وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم أن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون ثم كثر خوض الناس في القدر فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكرون عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره فما شاءه فقد أمر به وما لم يشأه لم يأمر به "جموع الفتاوى (٨/٤٥٠)

وراجع أيضا: مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٠، ١٣/٣٦، ٣٧، ٧/٣٨٤، ٣٨٥) ومنهاج السنة النبوية (١/٣٩٠).

فيلزم أحد الأمرين:
أحدهما:- إما أن لا يتناقضوا، فينفوا الأمرين علم الله بأفعاله، ومشيئته لها. فيتضح كفرهم.
والثاني: وإما أن يرجعوا إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون، وهو: أنه تعالى كما أنه بكل شيء عليم، وبكل شيء محيط؛ فإنه على كل شيء قدير.
ومن جملة الأشياء: أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم فهو تعالى يعلمها إجمالا وتفصيلا قبل أن يعملوها.
وأعمالهم وأفعالهم داخلة تحت مشيئة الله وإرادته؛ فقد شاءها منهم وأرادها، ولم يجبرهم لا على الطاعات، ولا على المعاصي، بل هم الذين فعلوها باختيارهم، كما قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير:٢٨، ٢٩]، فهذه الآية فيها: رد على القدرية النفاة وعلى القدرية المجبرة وإثبات للحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، فقوله: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} أثبتت أنه لهم مشيئة حقيقية وفعلا حقيقيا وهو الاستقامة باختيارهم.
فهذا رد على الجبرية، وقوله: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} أخبر أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، وأنها لا توجد بدونها.
فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.
ففيها رد على القدرية القائلين: إن مشيئة العباد مستقلة، وليست نابعة لمشيئة الله.
بل عندهم: يشاء العباد ويفعلون ما لا يشاؤه الله ولا يقدره.
ودلت الآية على الحق الواضح، وهو: أن العباد هم الذين يعملون الطاعات والمعاصي حقيقة، وليسوا مجبورين عليها.
وأنها مع ذلك تابعة لمشيئة الله، كما تقدم كيفية وجه ذلك. والآيات الدالات على هذا كثيرة جدا.
فهذه إحدى الطوائف الثلاث المخاصمين لله؛ فإنهم أنكروا عموم مشيئته وقدره، وجحدوا ما قرره الله في كتابه، وعلى لسان رسوله من شمول قدره لكل شيء. فزعموا: أن أفعال العباد خارجة من هذا العموم(١).

القرآن
{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)} [الأنعام : ١٤٩]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهم: فلله جل وعلا الحجة القاطعة التي يقطع بها ظنونكم، فلو شاء لوفَّقكم جميعًا إلى طريق الاستقامة.
قوله تعالى:{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} [الأنعام : ١٤٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهم: فلله جل وعلا الحجة القاطعة التي يقطع بها ظنونكم"(٢).
قال الثعلبي:أي:"التامة الكافية على خلقه"(٣).
قال ابن كثير:" أي : له الحكمة التامة ، والحجة البالغة في هداية من هَدى ، وإضلال من أضل"(٤).
قال البغوي:"أي: {فلله الحجة البالغة} التامة على خلقه بالكتاب والرسول والبيان"(١).

---
(١) انظر: لدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، السعدي:.٢٠-٢٤.
(٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(٣) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.

قال النسفي:أي:" {فلله الحجة البالغة} عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، القائلين على ربهم الكذبَ ، في تحريمهم ما حرموا من الحروث والأنعام ، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم :هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره ، وهم لا شك عن ذلك عَجَزَة ، وعن إظهاره مقصرون ، لأنه باطل لا حقيقة له {فلله} الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيئًا ، وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والأنعام {الحجة البالغة}، دونكم أيها المشركون . ويعني بـ{البالغة}، أنها تبلغ مراده في ثبوتها على مَنْ احتج بها عليه من خلقه ، وقَطْع عُذْره إذا انتهت إليه فيما جُعِلت حجة فيه"[٣].

قال الزجاج:"فحجته البالغة تبيينه أنه الواحد وإرساله الأنبياء بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون"[٤].

قال القرطبي:"{ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ}، "أي: التي تقطع عذر المحجوج، وتزيل الشك عمن نظر فيها. فحجته البالغة على هذا تبيينه أنه الواحد، وإرساله الرسل والأنبياء، فبين التوحيد بالنظر في المخلوقات، وأيد الرسل بالمعجزات، ولزم أمره كل مكلف. فأما علمه وإرادتهوكلامه فغيب لا يطلع عليه العبد، إلا من ارتضى من رسول. ويكفي في التكليف أن يكون العبد بحيث لو أراد أن يفعل ما أمر به لأمكنه"[٥].

قوله تعالى:{فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام : ١٤٩]، أي:" فلو شاء لوفّقكم جميعًا إلى طريق الاستقامة"[٦].

قال ابن عباس:" لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين"[٧].

قال النسفي:"أي: فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة"[٨].

قال الطبري:" يقول : فلو شاء ربكم لوفّقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة ، والبراءة من الأنداد والآلهة ، والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله ، وترك اتباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك ، فخالف بين خلقه فيما شاء منهم ، فمنهم كافر ومنهم مؤمن"[٩].

قال ابن كثير:" وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره ، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويُبْغض الكافرين ، كما قال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } [الأنعام : ٣٥] ، وقال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا } [يونس : ٩٩] ، وقوله :{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود : ١١٨ ، ١١٩]"[١٠].

قال البغوي:قوله:"{فلو شاء لهداكم أجمعين} فهذا يدل على أنه لم يشأ إيمان الكافر، ولو شاء لهداه"[١١].

---

(١) تفسير البغوي:٢٠٢/٣.
(٢) تفسير النسفي:٥٤٦/١.
(٣) تفسير الطبري:٢١١/١٢-٢١٢.
(٤) معاني القرآن:٢٠٣/٢.
(٥) تفسير القرطبي:١٢٨/٧-١٢٩.
(٦) التفسير الميسر:١٤٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٥١):ص١٤١٣/٥.
(٨) تفسير النسفي:٥٤٦/١.
(٩) تفسير الطبري:٢١٢/١٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.
(١١) تفسير البغوي:٢٠٢/٣.

قال عن الربيع بن أنس :" لا حجة لأحد عصَى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده . وقال : {فلو شاء لهداكم أجمعين} ، قال : {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [سورة الأنبياء : ٢٣]"[١].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أنه لا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، فإنه من التقدم بين يدي الله ورسوله[٢].

٢- من فوائد الآية الكريمة: أنه لا حجة إلا في الذي قام على أساس العلم الصحيح.

٣- ومنها: الرد على الجبرية الغلاة، قال تعالى: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ}، {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}، ومنه قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦] ، {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النِّسَاءِ: ١٦٥] [النساء: ١٦٥].

فالقرآن يرد على المشركين من وجهين:

- الأول: أن الله أذاق الكافرين بأسه، وأنزل بهم عقابه فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم، والكفر والشرك لما عذبهم الله لأن الله عادل لا يظلم مثقال ذرة.
- والوجه الثاني: أنهم زعموا ذلك عن جهل بالله، وجهل بدينه، وأنه ليس عندهم من علم يمكن أن يستند إليه، ويرجع إليه، وإنما كفرهم هذا تمرد على دينه، وافتيات على الحق الذي أنزله على ألسنة الرسل.

وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة على كفرها وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة ولا ينهض بها دليل، وبذلك قامت حجة الله البالغة على هؤلاء، ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية، وحينئذ لم يكونوا من البشر لأن البشر فطروا على الحرية والإختيار[٣].

٤- ومنها: أن الإحتجاج بالقدر حجة داحضة لا يعذر بها العبد ولهذا لما قال المشركون في الآية السابقة {لَو شَاءَ الله مَا أشركنا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حرمنا من شَيْء} قال الله تعالى: {قل هَل عنْدكُمْ من علم فتخرجوه لنا إِن تتبعون إِلَّا الظَّن وَإِن أَنْتُم إِلَّا تخرصون(١٤٨) قل فَللَّه الْحجَّة الْبَالِغَة فَلَو شَاءَ لهداكم أَجْمَعِينَ}[الأنعام:١٤٨-١٤٩]، فإن هؤلاء علموا بفطرهم أن حجتهم داحضة فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فجر بامرأته أو قتل ولده أو كان مصرا على الظلم فنهاه الناس فقال لو شاء الله لم أفعل لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره ولوجبت عقوبته وإنما يحتج بها المحتج دفعا للوم بلا وجه ولو كان الإحتجاج بالقدر عذرا لما حصل فرق بين الطائع والعاصي فأثبت الله عليهم الحجة بقوله { قل فَللَّه الْحجَّة الْبَالِغَة} ثم أثبت القدر بقوله {فَلَو شَاءَ لهداكم أَجْمَعِينَ} وكلاهما حق[٤].

٥- ومنها: أن الهداية والإضلال بيد الله وحده، قال تعالى: {فَلَو شَاءَ لهداكم أَجْمَعِينَ}، فهو سبحانه وتعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء، أي: أن الله يضل من يشاء إضلاله، ويهدي من يشاء هدايته، وإذا كان الله يضل ويهدي، فليس للعبد حرية الإختيار، والواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدمات، ومسببات لأسباب.

فكما أن الطعام يغذي والماء يروي، والسكين تقطع والنار تحرق فكذلك هنا أسباب توصل إلى الهداية وأسباب توصل إلى الإضلال، فالهداية إنما هي تثمر عملا

---

(١) أخرجه الطبري(١٤١٣٢):ص٢١٢/١٢.
(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي:٨٤٥/٢.
(٣) انظر: كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»، الحملاوي:٢٠٩.
(٤) انظر: المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي:١٢٩.

صالحا، والضلال إنما هو نتائج عمل خبيث، فإسناد الهداية والإضلال إلى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات لا أنه أجبر الإنسان على الضلال أو الهداية.

وحينما ترجع إلى الآيات القرآنية تجد هذا المعنى واضحا لا لبس فيه ولا غموض فالله يقول: {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} [الرعد : ٢٧]، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت : ٦٩]، {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد : ١٧]، فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل الصالح، إنما هي ثمرة جهاد للنفس، وإنابة إلى الله، واستمساك بإرشاده ووحيه، يقول القرآن الكريم في الإضلال: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)} [البقرة : ٢٦ - ٢٧]،{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر : ٣٥]، {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [الصف : ٥]، {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين : ١٤]، {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء : ١٥٥].

نرى من هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيغ والخروج عن تعاليم الله، والكبر والجبروت والتعالي على الناس بغير حق ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع والفساد في الأرض والكفر واقتراف الآثام.

فهذه هي الأسباب التي أضلت الناس، وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى، واستحبوا الظلام على النور، فكافأهم الله، فأصمهم، وأعمى أبصارهم، بمقتضى نظامه في ارتباط الأسباب بمسبباتها، قال تعالى{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف : ١٧٩]، فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والعرفان، وعطلوها عما خلقت له، فلم يصل إليها نور الحق. فقلوبهم غلف لا تعقل عن الله وحيه، وعيونهم عمي لا ترى الله في ملكوته، وآذانهم صم لا تسمع آيات الله، فهم مثل الأنعام التي لا تنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة، بل أضل من الأنعام إذ الأنعام لم تزود بما زود به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية[(١)].

٦- ويستفاد من الآية: إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله عز وجل، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عز وجل، ولا عذر، كما قاله الله عز وجل: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٩] وقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ - فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف: ٢٩ - ٣٠][(٢)].

٧- أن الحكمة في عدم هداية الخلق كلهم مع قدرة الله تعالى على ذلك هو التكليف والابتلاء.

القرآن

{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)} [الأنعام : ١٥٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرَّم ما حرَّمتم من الحرث والأنعام، فإن شهدوا -كذبًا وزورًا- فلا تصدقهم، ولا توافق الذين حكَّموا أهواءهم، فكذبوا بآيات الله فيما ذهبوا إليه من تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، والذين هم بربهم يشركون فيعبدون معه غيره.

سبب النزول:

---

(١) انظر: كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد»:٢١٠-٢١١..

(٢) انظر: اعتقاد أئمة الحديث، أبوبكر الجرجاني:٦٠.

قال الثعلبي:" { قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا}، أي: احضروهم وأتوا بهم، فقالوا: نحن نشهد، فقال الله تعالى: {فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ}، إلى قوله :{ يَعْدِلُونَ} يشركون"(١).

قوله تعالى:{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرَّم ما حرَّمتم من الحرث والأنعام"(٢).

قال السدي:" يقول : قل أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب ، وقالوا : أمرنا الله به"(٣).

عن مجاهد قوله : {هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا} ، قال : البحائر والسُّيَّب"(٤).

قال ابن كثير:" أي : أحضروا شهداءكم { الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا } أي : هذا الذي حرمتموه وكذبتم وافتريتم على الله فيه"(٥).

قال الزجاج:"أي: فهاتوا شهداءكم، وقربوا شهداءكم"(٦).

قال الثعلبي:"أي: احضروهم وأتوا بهم"(٧).

قال القرطبي:" أي: قل لهؤلاء المشركين أحضروا شهداءكم على أن الله حرم ما حرمتم"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان ، الزاعمين أنّ الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم {هلم شهداءكم} ، يقول : هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم"(٩).

قال الشنقيطي:"فقوله: {هلم شهداءكم} صيغة تعجيز، فهم عاجزون عن بيان مستند"(١٠).

قال السعدي:"أي: قل لمن حرَّم ما أحل الله، ونسب ذلك إلى الله: أَحْضِروا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا، فإذا قيل لهم هذا الكلام، فهم بين أمرين:

- إما: أن لا يحضروا أحدا يشهد بهذا، فتكون دعواهم إذًا باطلة، خلية من الشهود والبرهان.
- وإما: أن يحضروا أحدا يشهد لهم بذلك، ولا يمكن أن يشهد بهذا إلا كل أفاك أثيم غير مقبول الشهادة، وليس هذا من الأمور التي يصح أن يشهد بها العدول"(١١).

وأهل العالية من تهامة توحِّد:«هلم» في الواحد والاثنين والجميع ، وتذكر في المؤنث والمذكر ، فتقول للواحد : هلم يا فلان، وللاثنين والجميع كذلك ، وللأنثى مثله ، ومنه قول الأعشى(١٢):

---

(١) تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.
(٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(٣) أخرجه الطبري(١٤١٣٣):ص٢١٤/١٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٤١٣٤):ص٢١٤/١٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.
(٦) معاني القرآن:٢٠٣/٢.
(٧) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٨) تفسير القرطبي:١٢٩/٧.
(٩) تفسير الطبري:٢١٣/١٢.
(١٠)الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشّنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع: المنياوي: ٣٨٢/٢.
(١١) تفسير السعدي:٢٧٩.
(١٢)ديوانه ٣٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٢٠٨، وتفسير الطبري:٢١٣/١٢.

وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمَّ إلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ

ينشد :هلم ، وهلموا.

وأما أهل السافلة من نجد ، فإنهم يوحِّدون للواحد ، ويثنُّون للاثنين ، ويجمعون للجميع. فيقال للواحد من الرجال :هلم، وللواحدة من النساء :هلمي، وللاثنين : هلما، وللجماعة من الرجال : هلموا ، وللنساء : هَلْمُمْنَ[١].

قوله تعالى:{فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" فإن حضروا وكذبوا في شهادتهم وزوَّروا فلا تشهد بمثل شهادتهم ولا تصدّقهم فإنه كذبٌ بحتٌ"[٢].

قال السدي:" قال الله لرسوله : {فإن شهدوا فلا تشهد معهم} "[٣].

قال السمعاني:" يعني: فإن شهدوا كاذبين، فلا تشهد معهم"[٤].

قال النسفي:أي:" فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم"[٥].

قال القرطبي:" أي: [فإن]شهد بعضهم لبعض، فلا تصدق أداء الشهادة إلا من كتاب أو على لسان نبي، وليس معهم شي من ذلك"[٦].

قال الثعلبي:"فقالوا: نحن نشهد، فقال الله تعالى: فإن شهدوا فلا تشهد معهم إلى قوله يعدلون يشركون."[٧].

قال الطبري:" يقول : يا محمد ، فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حَرَّم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم، {فلا تشهد معهم}، فإنهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله . وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به"[٨].

قال ابن كثير:" أي : لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذبًا وزورًا "[٩].

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" ولا توافق الذين حكَّموا أهواءهم، فكذبوا بآيات الله فيما ذهبوا إليه من تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله، في تحريم ما حرم، وتحليل ما أحل لهم، ولكن اتبع ما أوحي إليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[١١].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها"[١٢].

قال الطبري:" يقول: ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم، ونشره إياهم بعد فنائهم"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٢١٣/١٢.
(٢) صفوة التفاسير:٣٩٥/١.
(٣) أخرجه الطبري(١٤١٣٣):ص٢١٤/١٢.
(٤) تفسير السمعاني:١٥٥/٢.
(٥) تفسير النسفي:٥٤٧/١.
(٦) تفسير القرطبي:١٢٩/٧.
(٧) تفسير الثعلبي:٢٠٢/٤.
(٨) تفسير الطبري:٢١٣/١٢-٢١٤.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٥٨/٣.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٨.
(١١) تفسير الطبري:٢١٤/١٢.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(١٣) تفسير الطبري:٢١٤/١٢.

قوله تعالى:{وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" والذين هم بربهم يشركون فيعبدون معه غيره"(١).

قال الطبري:" يقول: وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات، وجحودهم قيام الساعة، بالله يعدلون الأوثانَ والأصنامَ، فيجعلونها له عِدْلا ويتخذونها له ندًّا يعبدونها من دونه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : يشركون به ، ويجعلون له عديلا"(٣).

قال السعدي:"أي: يسوون به غيره من الأنداد والأوثان. فإذا كانوا كافرين باليوم الآخر غير موحدين لله، كانت أهويتهم مناسبة لعقيدتهم، وكانت دائرة بين الشرك والتكذيب بالحق، فحري بهوى هذا شأنه، أن ينهى الله خيار خلقه عن اتباعه، وعن الشهادة مع أربابه، وعلم حينئذ أن تحريمهم لما أحل الله صادر عن تلك الأهواء المضلة"(٤).

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن غير الله لا يتصف بصفات التحليل ولا التحريم.

٢- ومنها: بيان خطورة الشرك، لقد مقت الله المُشْرِكِينَ، وكتب وأوجب عليهم الخلود ولعنهم من أجل الشرك، كما ذكر الله تَعَالَى في القُرْآن في سورة الأنعام في موضعين منها حقيقة ما يفعله المُشْرِكُونَ، فَقَالَ في أول آية: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام:١] و«العدل» في اللغة العربية معناه: التسوية أو المساواة، فكان العربي إذا ركب البعير أو الدابة وضع هاهنا حملاً وهاهنا حملاً فتعادل، فلا يميل أحدهما عَلَى الآخر.

قَالَ: {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}، أي: يساوون، وجاء في آخر السورة أيضاً :{وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام:١٥٠] وهذا «العدل» الذي جَاءَ في سورة الأنعام جَاءَ في سورة الشعراء مُعبراً عنه بكلمة أخرى هي التسوية كما قال تعالى: {تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} [الشعراء:٩٧] لماذا استوجبتم النَّار؟ عافانا الله وإياكم من ذلك، يقولون: {إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء:٩٨] فالعدل والتسوية هي الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويكون العدل، وتكون التسوية، كما بين ذلك في سورة البقرة فقَالَ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} [البقرة:١٦٥] عدلوا بالله غيره وسووا بين الله وبين وغيره في المحبة التي هي أساس كل الأعمال، ومن ساوى بين الله وبين أحد من خلقه في المحبة والتعظيم والإجلال، اللذان لا ينشأن إلا عن محبة(٥).

٣- ومن الفوائد: عدم إقرار شهادة الباطل وحرمة السكوت عنها.

٤- ومنها: حرمة اتباع أصحاب الأهواء الذين كذبوا بآيات الله.

٥- ومنها: أن نتائج اتباع الهوى عظيمة الخطر، ومن هذه المظاهر: الانحراف عن الصراط المستقيم، قال تعالى:{وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}، فأمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتبع الشريعة ولا يتبع الهوى، ولا يركن إلى أهواء الناس، فإنه إذا مال إلى أهوائهم انحرف عن الصراط المستقيم.

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢) تفسير الطبري:٢١٤/١٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٥٩/٣.
(٤) تفسير السعدي:٢٧٩.
(٥) انظر: شرح الطحاوية لسفر الحوالي:١١٦٧[مرقم آليا] .

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)} [الأنعام : ١٥١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهم: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم: أن لا تشركوا معه شيئًا من مخلوقاته في عبادته، بل اصرفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان، ولا تقتلوا أولادكم مِن أجل فقر نزل بكم; فإن الله يرزقكم وإياهم، ولا تقربوا ما كان ظاهرًا من كبير الآثام، وما كان خفيًّا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وذلك في حال القصاص من القاتل أو الزنى بعد الإحصان أو الردة عن الإسلام، ذلكم المذكور مما نهاكم الله عنه، وعهد إليكم باجتنابه، ومما أمركم به، وصَّاكم به ربكم; لعلكم تعقلون أوامره ونواهيه.

سبب النزول:

قال البغوي:" وذلك أنهم سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالى؟ فقال عز وجل:{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ..}"[١].

قوله تعالى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهم: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرِّموه من حروثهم وأنعامهم ، على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك : تعالوا ، أيها القوم ، أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقًا يقينًا ، لا الباطل تخرُّصًا ، تخرُّصَكم على الله الكذبَ والفرية ظنًّا ، ولكن وحيًا من الله أوحاه إليّ ، وتنزيلا أنزله عليّ"[٣].

قال ابن كثير:" فيقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد - لهؤلاء المشركين الذين أشركوا وعبدوا غير الله ، وحرموا ما رزقهم الله ، وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم وتسويل الشياطين لهم ، { قُلْ } لهم { تَعَالَوْا } أي : هلموا وأقبلوا : { أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } أي : أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقًا لا تخرصًا ، ولا ظنًا ، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده"[٤].

قال الثعلبي:أي:" قل يا محمد: تعالوا أتل أقرأ ما حرم ربكم عليكم حقا يقينا كما أوحى إلي ربي وأمرني به لا ظنا ولا تكذيبا كما يزعمون"[٥].

قال القرطبي:" أي: تقدموا واقرءوا حقا يقينا كما أوحى إلي ربي، لا ظنا ولا كذبا كما زعمتم، وجعلوا التقدم ضربا من التعالي والارتفاع، لأن المأمور بالتقدم في أصل وضع هذا الفعل كأنه كان قاعدا فقيل له تعال، أي ارفع شخصك بالقيام وتقدم، واتسعوا فيه حتى جعلوه للواقف والماشي. قال ابن الشجري"[٦].

قال ابن عطية:" هذا أمر من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوا جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله بشرع الإسلام المبعوث به إلى الأسود والأحمر، و{تعالوا}، معناه: أقبلوا، وأصله من «العلو»، فكأن الدعاء لما كان أمرا من الداعي استعمل فيه ترفيع

---

(١) تفسير البغوي:٢٠٢/٣.
(٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(٣) تفسير الطبري:٢١٥/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٥٩/٣.
(٥) تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.
(٦) تفسير القرطبي:١٣٠/٧، وكلام ابن الشجري في الأماني:٧١/١.

المدعو، و«تعالى» هو مطاوع «عالى»، إذ تفاعل هو مطاوع فاعل، و{أتل}، معناه: اسردوا نص من التلاوة التي يصح هي اتباع بعض الحروف بعضا"[١].

قوله تعالى:{أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [الأنعام : ١٥١]، أي:" أن لا تعبدوا معه غيره"[٢].

قال الطبري:أي:" أن لا تشركوا بالله شيئًا من خلقه ، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ، ولا تعبدوا شيئًا سواه"[٣].

قال السعدي:" أي: لا قليلا ولا كثيرا، وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أويصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدا، مخلصا لله في جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"[٤].

قال الماتريدي:قوله: {أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}" يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: ألا تشركوا بعبادته عبادة غيره من شيطان أو وثن. والثالث: أن يحمل الأمرين معاً"[٥].

عن عبادة الصامت قال:"أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع خصال، ألا تشركوا بالله شيئا وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم"[٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا من أمتك ، دخل الجنة. قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : وإن زنا وإن سرق. قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : وإن زنا وإن سرق. قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : وإن زنا وإن سرق ، وإن شرب الخمر" : وفي بعض الروايات أن القائل ذلك إنما هو أبو ذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه ، عليه السلام ، قال في الثالثة : "وإن رغم أنفُ أبي ذر"[٧].

وفي بعض المسانيد والسنن عن أبي ذر رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني فإني أغفر لك على ما كان منك ولا أبالي ، ولو أتيتني بقراب الأرض خطيئة أتيتك بقرابها مغفرة ما لم تشرك بي شيئا ، وإن أخطأت حتى تبلغ خطاياك عَنَان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك" [٨].

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود : "من مات لا يشرك بالله شيئًا ، دخل الجنة"[٩].

فإن قيل: ما معنى قوله:{حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا}، والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك؟[١٠]

قيل: موضع :«أن» رفع، معناه: هو أن لا تشركوا.

---

(١) المحرر الوجيز:٣٦١/٢.
(٢) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.
(٣) تفسير الطبري:٢١٥/١٢.
(٤) تفسير السعدي:٢٧٩.
(٥) تفسير الماتريدي:١٨٥/٢.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٨٥):ص١٤١٤/٥.
(٧)البخاري برقم (١٢٣٧) وصحيح مسلم برقم (٩٤).
(٨)رواه أحمد في مسنده (١٥٤/٥) والترمذي في السنن برقم (٢٤٩٥) وابن ماجة في السنن برقم (٤٢٥٧) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن".
(٩)صحيح البخاري برقم (١٢٣٧) وصحيح مسلم برقم (٩٤).
(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء:٣٦٤/١.

وقيل: محله نصب، واختلفوا في وجه انتصابه:

قيل: معناه: حرم عليكم أن تشركوا به، و«لا» صلة كقوله تعالى:{مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ} [الأعراف : ١٢]، أي: منعك أن تسجد.

وقيل: تم الكلام عند قوله:{حرم ربكم}، ثم قال: {عليكم أن لا تشركوا به شيئا}، على الإغراء[١].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون (ألا تشركوا) محمولا على المعنى، فيكون: أتل عليكم ألا تشركوا به شيئا، فالمعنى: أتل عليكم تحريم الشرك به.

وجائز أن يكون على معنى: أوصيكم {ألا تشركوا به شيئا}، لأن قوله: {وبالوالدين إحسانا} محمول على معنى: أوصيكم بالوالدين إحسانا"[٢].

قوله تعالى:{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الأنعام : ١٥١]، أي:" وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان"[٣].

قال الماتريدي:"أي: برا بهما"[٤].

قال الطبري:" يقول : وأوصى بالوالدين إحسانًا"[٥].

قال السمعاني:" أي: وأحسنوا بالوالدين إحسانا"[٦].

قال الماوردي:أي:"وأوصيكم بالوالدين إحساناً ، والإحسان تأدية حقوقهما ومجانبة عقوقهما والمحافظة على برهما"[٧].

قال ابن كثير:" أي : وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا ، أي : أن تحسنوا إليهم ، كما قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء : ٢٣]، والله تعالى كثيرًا ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين ، كما قال : { أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [لقمان : ١٤ ، ١٥]. فأمر بالإحسان إليهما ، وإن كانا مشركين بحسبهما ، وقال تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } الآية. [البقرة : ٨٣]"[٨].

قال القرطبي:" الإحسان إلى الوالدين: برهما وحفظهما وصيانتهما وامتثال أمرهما وإزالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما"[٩].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال :" سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها. قلت : ثم أيّ ؟ قال : بر الوالدين. قلت : ثم أيّ ؟ قال :الجهاد في سبيل الله. قال ابن مسعود : حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني"[١٠].

---

(١) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٣.
(٢) معاني القرآن:٣٠٣/٢-٣٠٤.
(٣) التفسير الميسر:١٤٨.
(٤) تفسير الماتريدي:٣١١/٤.
(٥) تفسير الطبري:٢١٥/١٢.
(٦) تفسير السمعاني:١٥٦/٢.
(٧) النكت والعيون:١٨٥/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٦١/٣.
(٩) تفسير القرطبي:١٣٢/٧.
(١٠)صحيح البخاري برقم (٥٩٧٠) وصحيح مسلم برقم (٨٥).

قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" ولا تقتلوا أولادكم خشية الفقر"(١).

قال الطبري:يقول:"ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم"(٢).

قال الزجاج:" أي: لا تقتلوا أولادكم من فقر، أي: من خوف فقر"(٣).

قال الثعلبي:أي:" ولا تئدوا بناتكم خشية العيش"(٤).

قال القرطبي:" أي: لا تئدوا- من الموءودة- بناتكم خشية العيلة، فإني رازقكم وإياهم. وقد كان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر، كما هو ظاهر الآية"(٥).

قال السعدي:أي:" من ذكور وإناث ، بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجودا في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن قتلهم في هذه الحال، وهم أولادهم، فنهيهم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم، من باب أولى وأحرى"(٦).

قال ابن الجّوزي: يريد: دفن البنات أحياء من خوف الفقر"(٧).

قال ابن كثير:" لما أوصى تعالى ببر الآباء والأجداد ، عطف على ذلك الإحسان إلى الأبناء والأحفاد ، فقال تعالى : { وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ }، وذلك أنهم كانوا يقتلون أولادهم كما سَوَّلت لهم الشياطين ذلك ، فكانوا يئدون البنات خَشْيَةَ العار ، وربما قتلوا بعض الذكور خيفة الافتقار"(٨).

قال أبو عبيدة:{ مِنْ إِمْلَاقٍ}، أي:" من ذهاب ما فى أيديكم"(٩).

قال الشافعي: كان بعض العرب تقتل الإناث من ولدها صغارا خوف العيلة عليهم، والعار بهم، فلما نهى الله عز ذكره عن ذلك من أولاد المشركين، دل على تثبيت النهي عن قتل أطفال المشركين في دار الحرب، وكذلك دلت عليه السنة، مع ما دل عليه الكتاب من تحريم القتل بغير حق"(١٠).

وفي معنى«الإملاق» في اللغة،أقوال:

أحدها : أنه الإفلاس، ومنه :الملق، لأنه اجتهاد المفلس في التقريب إلى الغنى طمعاً في تأجيله. وهذا قول الطبري(١١)، وهو معنى قول أبي عبيدة(١٢).

قال أبو عبيدة:" أملق فلان، أي: ذهب ماله، واحتاج، وأقفر مثلها"(١٣).

والثاني : أن الإملاق: الفقر، قتلوا أولادهم خشية الفقر. وهذا قول ابن عباس(١٤)، وقتادة(١٥)، والسدي(١٦)، والضحاك(١٧)، وابن جريج(١)، واختيار الزجاج(٢).

---

(١) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.
(٢) تفسير الطبري:٢١٧/١٢.
(٣) معاني القرآن:٣٠٤/٢.
(٤) تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.
(٥) تفسير القرطبي:١٣٢/٧.
(٦) تفسير السعدي:٢٧٩.
(٧) زاد المسير:٩١/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٦١/٣.
(٩) مجاز القرآن:٢٠٨/١.
(١٠) تفسير الغمام الشافعي:٨٤١/٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٢، والنكت والعيون:١٨٦/٢.
(١٢) انظر: مجاز القرآن:٢٠٨/١.
(١٣) مجاز القرآن:٢٠٨/١.
(١٤) تفسير الطبري(١٤١٣٥):ص٢١٧/١٢.
(١٥) تفسير الطبري(١٤١٣٦):ص٢١٧/١٢.
(١٦) تفسير الطبري(١٤١٣٧):ص٢١٧/١٢.
(١٧) تفسير الطبري(١٤١٣٩):ص٢١٨/١٢.

والثالث: أن الإملاق: الجوع بلغة لخم. حكاه النقاش عن مؤرج[٣].
والرابع: أنه الإنفاق، يقال: أملق ماله بمعنى أنفقه، ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. حكاه القرطبي عن منذر بن سعيد[٤].
وذكر أن عليا رضي الله عنه قال لامرأته: "أملقي من مالك ما شئت"[٥].
والخامس: أنه السرف في الإنفاق. ذكره النقاش عن محمد بن نعيم الترمذي[٦].
قال الثعلبي:" الإملاق: الفقر ونفاد الزاد"[٧].
قوله تعالى:{نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" فإن الله يرزقكم وإياهم"[٨].
قال الطبري:أي:" فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم"[٩].
قال السعدي:" أي: قد تكفلنا برزق الجميع، فلستم الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق"[١٠].

قال الماوردي:" ثم ذكر فساد اعتقادهم في الإملاق بأن قال :{نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}، لأن رزق العباد كلهم ، من كفيل ومكفول ، على خالقهم "[١١].
قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" ولا تقربوا ما كان ظاهرًا من كبير الآثام، وما كان خفيًّا"[١٢].
قال السعدي:أي:" لا تقربوا الذنوب العظام المستفحشة ، الظاهر منها والخفي، أو المتعلق منها بالظاهر، والمتعلق بالقلب والباطن، والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : ولا تقربوا الظاهرَ من الأشياء المحرّمة عليكم ، التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها ، والباطنَ منها الذي تأتونه سرًّا في خفاء لا تجاهرون به ، فإن كل ذلك حرام.
وقد قيل : إنما قيل : لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن ، لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنى بعضًا دون بعض.
وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع ، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ، ولا خبر يقطع العذرَ ، بأنه عنى به بعض دون جميع. وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن ، إلا بحجة يجب التسليم لها "[١٤].

---

(١) تفسير الطبري(١٤١٣٨):ص١٢/٢١٧-٢١٨.
(٢) انظر: ممعني القرآن:٢/٣٠٤.
(٣) تفسير القرطبي:١٣٢/٧. والمؤرج: هو ابن عمرو أبو فيد السدوسي. انظر: السير:٣٠٩/٩.
(٤)حكاه عنه القرطبي في تفسيره:١٣٢/٧. وهو: القاضي البلوطي الأندلسي. انظر: السير:١٧٣/١٦.
(٥) أورده الأزهري في تهذيب اللغة:١٨٢/٩، والزمخشري في الفائق:٣٨٦/٣، والقرطبي في تفسيره: ١٣٢/٧، هو منسوب لابن عباس كما في النهاية لابن الأثير:٣٥٨/٤، واللسان"ملق":ص٣٤٨/١٠، عن ابن عباس أن امرأة سألته: أأنفق من مالي ما شئت، فقال: نعم أملقي من مالك ما شئت قال الله تعالى: {خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} ، معناه خشية الفقر والحاجة".
(٦) انظر: المحرر الوجيز:٣٦٢/٢.
(٧) تفسير الثعلبي:٢٠٣/٤.
(٨) التفسير الميسر:١٤٨.
(٩) تفسير الطبري:٢١٧/١٢.
(١٠) تفسير السعدي:٢٧٩.
(١١) النكت والعيون:١٨٦/٢.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٨.
(١٣) تفسير السعدي:٢٧٩.
(١٤) تفسير الطبري:٢١٨/١٢.

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام : ١٥١]، ثمانية تأويلات:
أحدها : أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها ، قاله قتادة[١]، واختاره الطبري"[٢].
والثاني : أنه خاص في الزنى ، {ما ظهر منها} : ذوات الحوانيت ، {وما بطن}: ذوات الاستسرار ، قاله ابن عباس[٣]، والحسن[٤]، والضحاك[٥]، والسدي[٦].
والثالث: {ما ظهر}، جمعٌ بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، {وما بطن}، الزنى. قاله مجاهد[٧].
وروي عن علي بن حسين:، قال:"{ما بطن}: نكاح امرأة الأب"[٨].
والرابع: {ما ظهر منها}: نكاح الأمهات والبنات. وما بطن: الزنا. وهو مروي عن ابن عباس -أيضا-[٩]. وروي عن سعيد بن جبير [١٠]، نحو ذلك في تفسيره:{ماظهر منها}.
والخامس : أن {ما ظهر منها} :الخمر ، {وما بطن}: الزنى ، وهو مروي الضحاك-أيضا[١١].
والسادس: ما ظهر منها:الظلم، يعني: ظلم الناس. : {وما بطن} من الفواحش: الزنا والسرقة. وهذا قول عكرمة[١٢].
والسابع: {ما ظهر منها}: العري، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، {وما بطن}، الزنى . وهذا قول الزهري[١٣].
والثامن: أن {ما ظهر منها} أفعال الجوارح ، {وما بطن} منها اعتقاد القلوب. وهذا قول سهل التستري[١٤]، وذكره الماوردي[١٥].
قال سهل:"{ما ظهر منها}، ما نهى عن إتيانه بالجوارح الظاهرة، {وما بطن}، يعني: الإصرار عليه هو على ضربين:

- فواحد يأتي بمعصية ويبقى مصرا عليها مقيما على إتيانها.
- وآخر مصر على المعصية لمحبتها في القلب، ولا يقدر أن يفعلها متى وجدها لضعف جوارحه، وهو على أن يفعلها، وهذا من أعظم الإصرار"[١٦].

قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" لا تقتلوا النفس البريئة التي حرّم الله قتلها إلا بموجب"[١٧].
قال سعيد بن جبير:" يعني: نفس المؤمن"[١٨] "التي حرم قتلها إلا بالحق"[١٩].

---

(١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٣):ص٢١٩/١٢.
(٢) تفسير الطبري:٢١٨/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٢):ص٢١٩/١٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٨٦/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤١):ص٢١٩/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٠):ص٢١٨/١٢-٢١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٥):ص٢٢٠/١٢.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٣):ص١٤١٧/٥.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٦٧):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٢):ص١٤١٧/٥.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١٦/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٦):ص٢٢٠/١٢.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٦٩):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٤):ص١٤١٧/٥.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٧٠):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٢):ص١٤١٧/٥.
(١٤) انظر: تفسير التستري:٦٣.
(١٥) انظر: النكت والعيون:١٨٦/٢.
(١٦) تفسير التستري:٦٣.
(١٧) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٥):ص١٤١٧/٥.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٦):ص١٤١٧/٥.

قال الطبري:" يعني بالنفس التي حرم الله قتلها ، نفسَ مؤمن أو مُعاهد وقوله : {إلا بالحق} ، يعني: بما أباح قتلها به : من أن تقتل نفسًا فتقتل قَوَدًا بها ، أو تزني وهي محصنة فترجم ،أو ترتدَّ عن دينها الحقِّ فتقتل. فذلك «الحق» الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرم على المؤمنين قتلها به"[١].

قال السعدي:" وهي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثى، صغير وكبير، بر وفاجر، والكافرة التي قد عصمت بالعهد والميثاق"[٢].

قال السمعاني:" نهى عن القتل بالظلم، وأباح القتل بالحق، وهو مفسر في قول النبي: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس»[٣]"[٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"[٥].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" ذلكم المذكور هو ما أوصاكم تعالى بحفظه وأمركم به أمراً مؤكداً"[٦].

قال الطبري:" يعني هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربُّنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه ، هي الأمور التي وصَّانا والكافرين بها أن نعمل جميعًا به (لعلكم تعقلون) ، يقول : وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم"[٧].

قال أبو حيان:" أشار إلى جميع ما تقدم، وفي لفظ {وصّاكم} من اللطف والرأفة وجعلهم أوصياء له تعالى ما لا يخفى من الإحسان"[٨].

قال ابن عباس:" وصية الله: دين الله"[٩].

عن عبادة بن الصامت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا

---

(١) تفسير الطبري:١٢/٢٢٠-٢٢١.

(٢) تفسير السعدي:٢٧٩.

(٣)أخرجه أبوداود (٤٥٠٢)،والترمذي (٢١٥٨)،والنسائي (٧/ ٩١ - ٩٢)،وابن ماجه (٢٥٣٣) وإسناده صحيح. انظرالإرواء (٢١٩٦)،وانظر تحفة الأشراف (٧/ ٢٤٥ ح ٩٧٨٢).
من حديث أبي أمامة بن سهل، قال: "كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، وكان في الدار مدخل، من دخله سمع كلام من على البلاط، فدخله عثمان، فخرج إلينا وهو متغير لونه، فقال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آنفا، قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:« لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس »، فوالله ما زنيت في جاهلية، ولا في إسلام قط، ولا أحببت أن لي بديني بدلا منذ هداني الله، ولا قتلت نفسا، فبم يقتلونني؟ قال أبو داود: «عثمان وأبو بكر رضي الله عنهما تركا الخمر في الجاهلية».
وانظر: صحيح البخاري مع الفتح : (١٢/ ٢٠١ , ح ٦٨٧٨) , كتاب الديات, باب إن النفس بالنفس, "صحيح مسلم مع شرح النووي" : (١١/ ١٧٦ , ح ٢٥/ ١٦٧٦) , كتاب القسامة, باب ما يباح به دم المسلم. الحديث: جاءت روايته عن عبد الله :" لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان، وزنًا بعد إحصان، وقتل النفس بغير حق".

(٤) تفسير السمعاني:١٥٦/٢.

(٥)أخرجه البخاري في الديات، باب قول الله تعالى: "أن النفس بالنفس.." ١٢ / ٢٠١، ومسلم في القسامة، باب بيان ما يباح به دم المسلم (١٦٧٦) : ٣ / ١٣٠٢، والبغوي في شرح السنة: ١٠ / ١٤٧.

(٦) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.

(٧) تفسير الطبري:٢٢١/١٢.

(٨) البحر المحيط:٦٨٨/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٧٨):ص١٤١٨/٥.

تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(١)، حتى فرغ من ثلاث آيات، ثم قال: ومن وفى بهن آجره الله، ومن انتقص منهن شيئا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبة، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء أخذه، وإن شاء عفا عنه"(٢).

قال ابن عطية:" «الوصية»: الأمر المؤكد المقرر، ومنه قول الشاعر(٣):

أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ   نَبِيِّ الْإِلَهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا"(٤)

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" لعلكم تسترشدون بعقولكم إلى فوائد هذه التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا"(٥).

قال ابن عطية:" أي: من سمع هذه الوصية ترجى وقوع أثر العقل بعدها والميز بالمنافع والمضار في الدين"(٦).

قال السعدي:أي:" عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها"(٧).

قال أبو حيان: "لما كان العقل مناط التكليف قال تعالى: {لعلكم تعقلون}، أي: فوائد هذا التكاليف ومنافعها في الدين والدنيا"(٨).

الفوائد:

١- أن هذه الوصايا العشر عليها مدار الإسلام وسعادة الإنسان في الدارين كان عبد الله بن مسعود يقول فيها " "من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً}، إلى قوله: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً} الآية"(٩) .

٢- حرمة الشرك وحقوق الوالدين وقتل الأولاد والزنى واللواط وكل قبيح من قول أو عمل أو اعتقاد وقتل النفس إلا بالحق.

٣- إن لفظ "الشرك" يدل على أن المشركين كانوا يعبدون الله، ولكن يشركون به غيره من الأوثان والأصنام؛ فكانت الدعوة واقعة على ترك عبادة ما سوى الله، وإفراد الله بالعبادة. وكانت "لا إله إلا الله" متضمنة لهذا المعنى، فدعاهم النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ إلى الإقرار بها نطقًا وعملا واعتقادًا.

٤- دل قوله تعالى: {وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به(١٠).

القرآن

---

(١)[الأنعام : ١٥١].

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٧٧):ص١٤١٧/٥-١٤١٨.

(٣) ديوانه ١٠٣. وروايته: "نبي الغله".

(٤) المحرر الوجيز:٣٦٣/٢.

(٥) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.

(٦) المحرر الوجيز:٣٦٣/٢.

(٧) تفسير السعدي:٢٧٩.

(٨) البحر المحيط:٦٨٨/٤.

(٩)رواه الترمذي رقم (٣٠٧٢) في التفسير من سورة الأنعام، والطبراني في الأوسط رقم (١٢٠٨) ، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

٣ قال الألباني في " الأحاديث الصحيحة" رقم (١٤٩٢) : رواه ابن ماجه رقم (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم. في "السنة" (٦٣) ، واللالكائي في " شرح السنة" (١/٢٣/١) من طريقين عن عباد بن يوسف حدثني صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك مرفوعا قلت: وهذا إسناد جيد , رجاله ثقات معروفون غير عباد بن يوسف وهو الكندي الحمصي , وقد ذكره ابن حبان في "الثقات" ووثقه غيره، وروى عنه جمع. وللحديث شواهد.

(١٠) انظر: تفسير السعدي:٢٧٩.

{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)} [الأنعام : ١٥٢]

التفسير:

ولا تقربوا أيها الأوصياء مال من مات أبوه وهو صغير إلا بالحال التي تصلح بها أمواله ويَنْتَفِع بها، حتى يصل إلى سن البلوغ ويكون راشدًا، فإذا بلغ ذلك فسلموا إليه ماله، وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء. وإذا بذلتم جهدكم فلا حرج عليكم فيما قد يكون من نقص، لا نكلف نفسًا إلا وسعها. وإذا قلتم فتحرَّوا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تميلوا معه بغير حق، وأوفوا بما عهد الله به إليكم من الالتزام بشريعته. ذلكم المتلوُّ عليكم من الأحكام، وصَّاكم به ربكم; رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" لا تقربوا مال اليتيم بوجه من الوجوه إلا بالخصلة التي هي أنفع له حتى يصير بالغاً رشيداً"(١).

قال الطبري:يقول:" ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره"(٢).

قال الزجاج:" المعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده، أي: فإذا بلغ أشده فادفعوه إليه"(٣).

وفي قوله تعالى:{ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام : ١٥٢]، خمسة تأويلات:

أحدها : حفظ ماله عليه إلى أن يكبر ليتسلمه ، قاله الكلبي(٤).

والثاني : أن ذلك هو التجارة به، قاله مجاهد(٥). وروي عن السدي:"فليثمر ماله"(٦).

والثالث : هو ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً ، قاله الضحاك(٧).

والرابع : هو أن يأكل الولي بالمعروف من ماله إن افتقر ، ويترك إن استغنى ، ولا يتعدى من الأكل إلى الباس ولا غيره ، قاله ابن زيد(٨).

والخامس: أن التي هي أحسن : حفظ أصوله وتثمير فروعه. أفاده الماوردي(٩).

قال القرطبي: قوله:{إلا بالتي هي أحسن}:" أي: بما فيه صلاحه وتثميره، وذلك بحفظ أصول وتثمير فروعه. وهذا أحسن الأقوال في هذا، فإنه جامع"(١٠).

وفي قوله تعالى:{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام : ١٥٢]، أقوال:

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة(١١)، وزيد بن أسلم(١٢)، ومالك(١٣)، وعامر(١٤).

---

(١) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.
(٢) تفسير الطبري:٢٢١/١٢.
(٣) معاني القرآن:٣٠٥/٢.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٨٧/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٧):ص٢٢١/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤١٤٨):ص٢٢١/١٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٩):ص٢٢١/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٠):ص٢٢٢/١٢.
(٩) انظر: النكت والعيون:١٨٧/٢.
(١٠) تفسير القرطبي:١٣٤/٧.
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥١):ص٢٢٣/١٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٣):ص٢٢٣/١٢.

والثاني :أنه خمس عشرة سنة. وهذا قول محمد بن قيس(١).
والثالث:أنه ثماني عشرة سنة ، وهذا قول سعيد بن جبير(٢)، وحكاه الماوردي عن علي بن عيسى(٣).
والرابع: أنه خمس وعشرون سنة. قاله عكرمة(٤)، وهو اختيار أبي حنيفة(٥).
قال ابن العربي: "وعجبا من أبي حنيفة، فإنه يرى أن المقدرات لا تثبت قياسا ولا نظرا وإنما تثبت نقلا، وهو يثبتها بالأحاديث الضعيفة، ولكنه سكن دار الضرب فكثر عنده المدلس، ولو سكن المعدن كما قيض الله لمالك لما صدر عنه إلا إبريز الدين"(٦).
والخامس: أن الأَشُد: ثلاثون سنة ، قاله السدي(٧).
والسادس:أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة. وهذا مروي عن ابن عباس(٨)، ومجاهد(٩)، وقتادة(١٠).
والسابع: أنه أربعون سنة. وهذا قول الحسن(١١).

وإذا كان استناد الإمام الحسن-رحمه الله- على قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف : ١٥]، فإن " أشد اليتيم غير أشد الرجل في قول الله عز وجل: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة}، وإن كان اللفظان واحدا؛ لأن أشد الرجل: الاكتهال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله. وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة. وأشد الغلام: أن يشتد خلقه، ويتناهى ثباته"(١٢).

والثامن: أنه ما بين الثمانية عشر سنة إلى ثلاثين سنة. قاله ابن عباس(١٣)، والكلبي(١٤).
والتاسع: أنه حتى يعقل وتجتمع قوته. قاله أبو العالية(١٥).
والعاشر: أنه حتى: يتناهى في الثبات إلى حد الرجال(١٦).
والحادي عشر: أن بلوغ أشده: أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغا. قاله الزجاج (١٧).

والثاني عشر: أن انتهاء الكهولة فيها مجتمع الأشد(١٨)، كما قال سحيم بن وثيل(١٩):

أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٍ أَشُدِّي   وَنَجَّذَنِي مُدَاوَرَةُ الشُّؤُون

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٢):ص١٤٢٠/٥.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٩):ص١٤١٩/٥-١٤٢٠.
(٣) انظر: النكت والعيون:١٨٨/٢.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩١):ص١٤٢٠/٥.
(٥) انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.
(٦) أحكام القرآن:٧٦١/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٤):ص٢٢٣/١٢-٢٢٣.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٦):ص١٤١٩/٥.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٧):ص١٤١٩/٥.
(١٢) غريب القرآن لانب قتيبة:٢٥٤.
(١٣) أخرجه الفراء في معاني القرآن:١٢٣/٢، في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
(١٤) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
(١٥) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
(١٦) انظر: غريب القرآن:٢٥٤.
(١٧) معاني القرآن:٣٠٥/٢.
(١٨) انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.
(١٩) انظر: الأصمعيات:١٩، والحماسة البصرية:١٠٢/١، والكامل:٦٣٤/٢، والخزانة:١٦٢/١، وفي الحماسة: معاودة، بدل: مداورة.
رجل منجد (بالدال والذال): جرب الأمور وعرفها وأحكمها. ومداورة الشئون: مداورة الأمور ومعالجتها.

قال القرطبي: قوله:{ حتى يبلغ أشده}، يعني: قوته، وقد تكون في البدن، وقد تكون في المعرفة بالتجربة، ولا بد من حصول الوجهين، فإن الأشد وقعت هنا مطلقة، وقد جاء بيان حال اليتيم في سورة" النساء" مقيدة، فقال:{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا } [النساء : ٦]، فجمع بين قوة البدن وهو بلوغ النكاح، وبين قوة المعرفة وهو إيناس الرشد، فلو مكن اليتيم من ماله قبل حصول المعرفة وبعد حصول القوة لأذهبه في شهوته وبقي صعلوكا لا مال له. وخص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه وافتقاد الآباء لأبنائهم فكان الاهتبال[١] بفقيد الأب أولى. وليس بلوغ الأشد مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن، لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة. وخص اليتيم بالذكر لأن خصمه الله. والمعنى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده. وفي الكلام حذف، فإذا بلغ أشده وأونس منه الرشد فادفعوا إليه ماله"[٢].

و«الأشُدّ»: جمع «شَدٍّ»: أي: القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما :شَدُّ النهار، ارتفاعه وامتداده. يقال : أتيته شدَّ النهار ومدَّ النهار، وذلك حين امتداده وارتفاعه; وكان المفضل ينشد بيت عنترة[٣] :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ

ومنه قول الآخر [٤]:

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ الْيَدَيْنِ سَحُوقُ [٥]

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء"[٦].

قال الطبري:"يقول : لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كلتموهم ، والوزنَ إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم. وإيفاؤهم ذلك ، إعطاؤهم حقوقهم تامة {بالقسط }، يعني: بالعدل"[٧].

قال الماوردي:" أمر في مال البائع من تأدية بمثل ما أُمِر به في مال اليتيم"[٨].

عن مجاهد :"{بالقسط}، بالعدل"[٩].

قوله تعالى:{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" لا نكلف أحداً إلا بمقدار طاقته بما لا يعجز عنه"[١٠].

عن ابن عباس، في قوله: "{لا نكلف نفسا إلا وسعها}، قال: هم المؤمنون، وسع الله عليهم أمر دينهم فقال: {مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[١١]"[١٢].

---

(١)الاهتبال: اغتنام الفرصة وابتغاءها وتكسبها: أي الاشتغال بشأن اليتيم أولى.
(٢) تفسير القرطبي:٧/١٣٤-١٣٥.
(٣)من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :
لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ
فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ
و"اللبان" الصدر . و"العظلم" ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخضب رأسه وأطرافه ، لا حراك به ..
(٤) لم أتعرف على قائله، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري:١٢/٢٢٢.
-الظعينة-، يعني زوجته . "الأنقاء" جمع "نقو" -بكسر فسكون-، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة "سحوق": طويلة كأنها نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٢/٢٢٢-٢٢٣.
(٦) التفسير الميسر:١٤٩.
(٧) تفسير الطبري:١٢/٢٢٤.
(٨) النكت والعيون:٢/١٨٨.
(٩) أخرجه الطبري(١٤١٥٥):ص١٢/٢٢٤.
(١٠) صفوة التفاسير:١/٣٩٧.
(١١)[الحج : ٧٨].
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٩٤):ص٥/١٤٢٠.

قال الطبري:"يقول : لا نكلف نفسًا ، من إيفاء الكيل والوزن ، إلا ما يسعها فيحلّ لها ولا تحرَجُ فيه ، وذلك أن الله جل ثناؤه ، علم من عباده أن كثيرًا منهم تَضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجبُ عليها له ، فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقَّه الذي هو له ، ولم يكلِّفه الزيادة ، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر الذي له الحق ، بأخذ حقه ، ولم يكلفه الرضا بأقل منه ، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه. فلم يكلف نفسًا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق ، فلذلك قال : {لا نكلف نفسًا إلا وسعها}"[1].

قال البيضاوي: "أي :إلا ما يسعها ولا يعسرُ عليها، وذكره بعد وفاء الكيل لأن إيفاء الحق عسرٌ فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفوٌّ عنكم"[2].

قال البغوي:" أي: طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، أي: لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه، ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه، حتى لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه"[3].

قال القرطبي:" أي: طاقتها في إيفاء الكيل والوزن. وهذا يقتضي أن هذه الأوامر إنما هي فيما يقع تحت قدرة البشر من التحفظ والتحرر. وما لا يمكن الاحتراز عنه من تفاوت ما بين الكيلين، ولا يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه.

وقيل: «الكيل» بمعنى :«المكيال». يقال: هذا كذا وكذا كيلا، ولهذا عطف عليه بـ«الميزان».

وقال بعض العلماء: لما علم الله سبحانه من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب للغير بما لا يجب عليها له أمر المعطي بإيفاء رب الحق حقه الذي هو له، ولم يكلفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها. وأمر صاحب الحق بأخذ حقه ولم يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان من ضيق نفسه[4].

وفي موطأ مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال: «ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنى في قوم الأكثر فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو»[5].

وقال ابن عباس أيضا: «إنكم معشر الأعاجم قد وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم الكيل والميزان»[6]"[7].

وقوله تعالى:{ إِلَّا وُسْعَهَا} [الأنعام : ١٥٢]، يحتمل ثلاثة وجوه:

أحدها: إلا طاقتها. قاله سعيد بن جبير[8].

والثاني: إلا ما عملت لها. قاله عامر الشعبي[9].

والثالث: أنه خاص بأداء الفرائض. وهذا قول سفيان[10].

قوله تعالى:{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" وإذا قلتم فتحرَّوا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تميلوا معه بغير حق"[11].

---

(١) تفسير الطبري:٢٥/١٢.

(٢) تفسير البيضاوي:١٨٩/٢.

(٣) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.

(٤) انظر: الوسيط:٣٣٨/٢، وتفسير البغوي:١٤٢/٢.

(٥) الموطأ:٤٦٠/٢، وقوله: ختر:، أي: غدر وخدع، والخَتر أقبح الغدر، انظر: القاموس"ختر"..

(٦) أخرجه هناد في الزهد(٦٨١).

(٧) تفسير القرطبي:١٣٦/٧.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٥):ص١٤٢٠/٥.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٦):ص١٤٢٠/٥.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٧):ص١٤٢١/٥.

(١١) التفسير الميسر:١٤٩.

قال سعيد بن جبير:" يعني: ولو كان قرابتك فقل فيه الحق"(١).
قال ابن زيد في قوله : "{وإذا قلتم فاعدلوا} ، قال : قولوا الحق"(٢).
قال الطبري:يقول:" وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم ، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ، ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ، ذا قرابة لكم ، ولا تحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره ، أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه"(٣).
قال البغوي:" فاصدقوا في الحكم والشهادة، ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة"(٤).
قال القرطبي:" يتضمن الأحكام والشهادات. {ولو كان ذا قربى}، أي: ولو كان الحق على مثل قراباتكم"(٥).
قال البيضاوي: أي:" في حكومة ونحوها، فاعدلوا فيه ولو كان المقول له أو عليه من ذوي قرابتكم"(٦).
قوله تعالى:{وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" وأوفوا بما عهد الله به إليكم من الالتزام بشريعته"(٧).
قال الطبري:" يقول : وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا. وإيفاء ذلك : أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو الوفاء بعهد الله"(٨).
قال البيضاوي: " يعني: ما عهد إليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع"(٩).
قال القرطبي: "وهذا عام في جميع ما عهده الله إلى عباده ويحتمل أن يراد به ما انعقد بين الناس وأضيف إلى الله من حيث أمر بحفظه والوفاء به"(١٠).
قوله تعالى:{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" ذلكم المتلوُّ عليكم من الأحكام، وصَّاكم به ربكم"(١١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك : هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين ، هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا ، ووصاكم بها ربكم ، وأمركم بالعمل بها لا بالبحائر ، والسوائب ، والوصائل ، والحام ، وقتل الأولاد ، ووأد البنات ، واتباع خطوات الشيطان"(١٢).
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم"(١٣).
قال البيضاوي: أي:" تتعظون به"(١٤).
قال الطبري:" يقول : أمركم بهذه الأمور التي أمركم بها في هاتين الآيتين ، ووصاكم بها وعهد إليكم فيها ، لتتذكروا عواقبَ أمركم ، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون ، فتنزجروا عنها ، وترتدعوا وتُنيبوا إلى طاعة ربكم"(١).

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٩):ص١٤٢١/٥.
(٢) أخرجه الطبري(١٤١٦٢):ص٢٢٨/١٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٢٥/١٢.
(٤) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
(٥) تفسير القرطبي:١٣٧/٧.
(٦) تفسير البيضاوي:١٨٩/٢.
(٧) التفسير الميسر:١٤٩.
(٨) تفسير الطبري:٢٢٥/١٢-٢٢٦.
(٩) تفسير البيضاوي:١٨٩/٢.
(١٠) تفسير القرطبي:١٣٧/٧.
(١١) التفسير الميسر:١٤٩.
(١٢) تفسير الطبري:٢٢٦/١٢.
(١٣) التفسير الميسر:١٤٩.
(١٤) تفسير البيضاوي:١٨٩/٢.

وقرأ حمزة وحفص والكسائي:«تذكرون»، بتخفيف «الذال» حيث وقع، إذا كان بالتاء، والباقون بتشديدها[2].

روي عن ابن عباس قال : "هن الآيات المحكمات ، قوله : {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا}"[3].

وعن السدي قال : "هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم القرآن"[4].

عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار قال ، سمع كعب الأحبار رجلا يقرأ : {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم}، فقال : والذي نفس كعب بيده ، إنّ هذا لأوَّل شيء في التوراة : «بسم الله الرحمن الرحيم»، «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم»"[5].

عن علقمة قال : "جاء إليه نفر، فقالوا : قد جالست أصحابَ محمد ، فحدثنا عن الوَحي. فقرأ عليهم هذه الآيات من «الأنعام»: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا} ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ! قال : فما عندنا وحيٌ غيره"[6].

الفوائد:

١- حرمة أكل مال اليتيم، وبخس الكيل والوزن، وقول الزور وشهادة الزور، ونكث العهد وخلف الوعد.
٢- أن الأصوليون استدلوا بهذه الآية ونحوها، بأن الله لا يكلف أحدا ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك.

القرآن

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)} [الأنعام : ١٥٣]

التفسير:

ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فاسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم، وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم. ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصَّاكم الله به; لتتقوا عذابه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله تعالى:{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ}[الأنعام : ١٥٣]، أي:" ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فاسلكوه"[7].

قال البغوي:" أي: هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين: طريقي وديني مستويا قويما، {فاتبعوه}"[8].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : وهذا الذي وصاكم به ربكم ، أيها الناس ، في هاتين الآيتين من قوله : {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم}، وأمركم بالوفاء به ، هو«صراطه» يعني : طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده {مستقيمًا}، يعني : قويمًا لا اعوجاج به عن الحق، {فاتبعوه}، يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه ، فاتبعوه"[9].

---

(١) تفسير الطبري:٢٢٦/١٢.
(٢) انظر: تفسير البيضاوي:١٨٩/٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٤١٥٦):ص٢٢٦/١٢.
(٤) أخرجه الطبري(١٤١٦١):ص٢٢٨/١٢.
(٥) أخرجه الطبري(١٤١٥٧):ص٢٢٧/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤١٦٠):ص٢٢٨/١٢.
(٧) التفسير الميسر:١٤٩.
(٨) تفسير البغوي:٢٠٤/٣-٢٠٥.
(٩) تفسير الطبري:٢٢٨/١٢.

قال السعدي:" أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر، {فَاتَّبِعُوهُ} لتنالوا الفوز والفلاح، وتدركوا الآمال والأفراح"(١).

قال الماوردي:"{ فَاتَّبِعُوهُ}، يعني: في العمل به"(٢).

قال القرطبي:" هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم، فإنه لما نهى وأمر حذر هنا عن اتباع غير سبيله، فأمر فيها باتباع طريقه [كما وردت في] الأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف، و«الصراط»: الطريق الذي هو دين الإسلام.{مستقيما} نصب على الحال، ومعناه: مستويا قويما لا اعوجاج فيه. فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة، وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار"(٣).

وفي «الصراط» قولان(٤):

أحدهما : القرآن .

والثاني : الشرع وسُمِّيَ ذلك صراطاً ، والصراط هو الطريق لأنه يؤدي إلى الجنة فصار طريقاً إليها.

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو {وأن هذا} مفتوحة الألف مشددة النون،« صراطي»، غير محركة الياء، وقرأ ابن عامر {وأن هذا} مفتوحة الألف موقوفة النون«صراطى» مفتوحة الياء، وقرأ حمزة والكسائى {وأن هذا} مكسورة الألف مشددة النون«صراطى» ساكنة الياء، وقرأ ابن كثير وابن عامر «سراطى»، بالسين، وقرأ حمزة بين «الصاد والزاى» واختلف عنه وقد ذكر، وقرأ الباقون بـ«الصاد»(٥).

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام : ١٥٣]، أي:" ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم، وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم"(٦).

قال البغوي: أي: [ولا تتبعوا] الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، فتميل، {بكم} وتشتت، عن طريقه ودينه الذي ارتضى، وبه أوصى"(٧).

قال السعدي:يقول:"{ولا تتبعوا} الطرق المخالفة لهذا الطريقفتضلكم عنه وتفرقكم يمينا وشمالا فإذا ضللتم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم"(٨).

قال الطبري:" يقول : ولا تسلكوا طريقًا سواه ، ولا تركبوا منهجًا غيره ، ولا تبغوا دينًا خلافه، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الملل ، فإنها بدع وضلالات فيشتّت بكم ، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان ، اتباعُكم إياها عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه ، وهو الإسلام الذي وصّى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم"(٩).

قال ابن كثير:" إنما وحد سبحانه «سَبيله»، لأن الحق واحد ؛ ولهذا جمع لتفرقها وتشعبها ، كما قال تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) تفسير السعدي:٢٨٠.
(٢) النكت والعيون:١٨٨/٢.
(٣) تفسير القرطبي:١٣٧/٧.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٨٨/٢.
(٥) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٣.
(٦) التفسير الميسر:١٤٩.
(٧) تفسير البغوي:٢٠٤/٣-٢٠٥.
(٨) تفسير السعدي:٢٨٠.
(٩) تفسير الطبري:٢٢٨/١٢-٢٢٩.

أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : ٢٥٧]"(١).

قال ابن عباس:"أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك مَنْ كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله"(٢).

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام : ١٥٣]، وجوه من التفسير:
أحدها: البدع والشبهات . قاله مجاهد(٣).
والثاني:ولا تتبعوا الضلالات. وهذا قول ابن عباس(٤).
والثالث: أنه الاختلاف والفرقة. وهذا معنى قول ابن عباس(٥).
والرابع: ما تقدم من الكتب المنزلة نسخها بالقرآن. ذكره الماوردي وهو محتمل(٦).
والخامس: ما تقدم من الأديان المتقدمة نسخها بالإسلام.ذكره الماوردي وهو محتمل(٧).

قال ابن عطية:" وهذه الآية تعلم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد وتقدم القول في ذلكم وصاكم، وفي قوله لعلكم ومن حيث كانت المحرمات الأول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة لعلكم تعقلون، والمحرمات الأخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر، وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل، وتلك درجة التقوى"(٨).

قال القرطبي بعد أن ذكر قول ابن عطية:" قلت: وهو الصحيح..فالهرب الهرب، والنجاة النجاة! والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابح"(٩).

عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه - قال : "خَطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا بيده ، ثم قال : "هذا سَبِيل الله مستقيما". وخط على يمينه وشماله ، ثم قال : "هذه السُّبُل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه". ثم قرأ:{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }"(١٠).

وعن الشعبي عن جابر قال : "كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فخط خطًا هكذا أمامه ، فقال : "هذا سبيل الله". وخطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : "هذه سبيل الشيطان". ثم وضع يده في الخط الأوسط ، ثم تلا هذه الآية : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ }"(١١).

وعن النواس بن سمعان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ضرب الله مثلا صِراطًا مستقيمًا ، وعن جَنْبَتَي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : أيها الناس ، ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ، ولا تتفرجوا وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك. لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب

---

(١) تفسير ابن كثير:٣/٣٦٧.
(٢) أخرجه الطبري(١٤١٦٦):ص١٢/٢٢٩-٢٣٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٦٣):ص١٢/٢٢٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٦٧):ص١٢/٢٣٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٦٦):ص١٢/٢٢٩-٢٣٠.
(٦) انظر: النكت والعيون:٢/١٨٩.
(٧) انظر: النكت والعيون:٢/١٨٩.
(٨) المحرر الوجيز:٢/٣٦٤.
(٩) تفسير القرطبي:٧/١٣٨، ١٣٩.
(١٠)المسند (٤٦٥/١) والمستدرك (٣١٨/٢).
(١١)المسند (٣٩٧/٣) وسنن ابن ماجة برقم (١١) وقال البوصيري في الزوائد (٤٥/١) : "هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد".

المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم"[١].

عن أبان : أن رجلا قال لابن مسعود : "ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفُه في الجنة ، وعن يمينه جوادُّ ، وعن يساره جَوَادُّ ، وثمَّ رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ في تلك الجوادِّ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : {وأن هذا صراطي مستقيمًا}، الآية "[٢].

روى الأئمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " و «وما نهيتكم عنه فانتهوا، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»"[٣].

وروى ابن ماجه وغيره عن العرباض بن سارية قال: " وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة دمعت منها الأعين، ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ فقال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها ونهارها، لا يزيغ عليها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما قد عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعليكم بالطاعة وإن كان عبدا حبشيا، عضوا عليها بالنواجذ»"[٤].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ} [الأنعام : ١٥٣]، أي:" ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصَّاكم الله به"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم : {إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل}"[٦].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام : ١٥٣]، أي:" لتتقوا عذابه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه"[٧].

قال الطبري:"يقول : لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها ، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها ، فيحل بكم نقمته وعذابه"[٨].

الفوائد:

١-حرمة إتباع المذاهب الباطلة والطرق الضالة.

٢-أن النجاة من النار والخزي والعار في الدارين يكون بالتزام الإسلام حتى الموت والبراءة من غيره من سائر المذاهب والملل والطرق.

٢-ومن فوائد الآية الكريمة: موضوع البدعة في الدين:

وللعلماء في تعريف البدعة منهجان:

المنهج الأول في تعريف البدعة:

---

(١)المسند (١٨٢/٢) وسنن الترمذي برقم (٢٨٥٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٢٣٣).
قال الترمذي : "حسن غريب".

(٢) أخرجه الطبري(١٤١٧٠):ص٢٣٠/١٢-٢٣١.

(٣)رواه البخاري (٦٨٥٨)، كتاب: الاعتصام، بابا: الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ومسلم (١٣٣٧)، (٤/ ١٨٣٠)، كتاب: الفضائل، باب: توقيره - صلى الله عليه وسلم -، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -..

(٤)أخرجه أبوداود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٣) (٤٤) ، والدارمي (٤٤/١ -٤٥) ، وأحمد (١٢٦/٤- ١٢٧) ، وابن حبان (٥) ، والحاكم (٩٥/١- ٩٧) من طريق عبد الرحمن بن عمرو السلمي به. وبعض الروايات تقرن به حجر بن حجر الكلاعي.
وقال الترمذي: حسن صحيح. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، والألباني.

(٥) التفسير الميسر:١٤٩.

(٦) تفسير الطبري:٢٢٩/١٢.

(٧) التفسير الميسر:١٤٩.

(٨) تفسير الطبري:٢٢٩/١٢.

يرى جماعة من أهل العلم منهم الإمام عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء وابن الجوزي وأبو شامة المقدسي والنووي والعيني وابن الأثير والقرافي والحافظ ابن حجر والسيوطي وغيرهم: أن البدعة تطلق على كل محدثة لم توجد في كتاب الله سبحانه وتعالى ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - سواء أكانت في العبادات أم العادات وسواء أكانت محمودة أو مذمومة.

ويرى هؤلاء العلماء أن البدعة تنقسم إلى حسنة وسيئة فإن وافقت السنة فهي حسنة محمودة وإن خالفت السنة فهي سيئة مذمومة.

وبناء على هذا الأساس قالوا إن البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة: فهي إما أن تكون واجبة(١) أو مندوبة(٢) أو مباحة(٣) أو مكروهة(٤) أو محرمة(٥)(٦).

قال الشيخ أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام:"والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فمحرمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة"(٧).

ومن أشهر ما اعتمد هؤلاء العلماء عليه ما يلي:

أولا:- قول عمر - رضي الله عنه - الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن عبد الرحمن بن عبد بن عبد القاري أنه قال: "خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله(٨). وقوله:"أوزاع" أي: جماعة متفرقون.

قال الحافظ ابن حجر: "في بعض الروايات:«نعمت البدعة»، بزيادة تاء"(٩).

---

(١)ومن أمثلتها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك واجب لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها إلا بذلك وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. الثاني حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة. الثالث تدوين أصول الدين وأصول الفقه. الرابع الكلام في الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعين ولا يتأتى ذلك إلا بما ذكرناه.

(٢)ومن أمثلتها: إحداث الربط والمدارس وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول ومنها التراويح والكلام في دقائق التصوف وفي الجدل ومنها جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى..

(٣)ومن أمثلتها: المصافحة عقب الصبح والعصر، ومنها التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام.

(٤)من أمثلتها: زخرفة المساجد وتزويق المصاحف.

(٥)من امثلتها: مذاهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة والرد على هؤلاء من البدع الواجبة..

(٦) انظر: قواعد الأحكام ٢/ ١٧٢ فما بعدها، فتاوى العز بن عبد السلام ص ٣٢٨، تلبيس إبليس ص ١٦ - ١٧، تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٢ - ٢٣، الباعث ص ٢٨، الفروق ٤/ ٢٠٢ - ٢٠٥، النهاية ١/ ١٠٦، عمدة القاري ٨/ ٢٤٥، فتح الباري ٥/ ١٥٦ - ١٥٧، الأمر بالإتباع ص ٨٩، الإبداع ص ٣١.

(٧) انظر: قواعد الأحكام ٢/ ١٧٢، وفتاوى العز بن عبد السلام ص ٣٢٨.، وتهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٢ – ٢٣.

(٨)صحيح البخاري مع الفتح ٥/ ١٥٥ - ١٥٦.

(٩)فتح الباري ٥/ ١٥٦.

ثانيا:- عن مجاهد قال: "دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة وإذا أناس يصلون في المسجد صلاة الضحى، قال: فسألناه عن صلاتهم فقال: بدعة ... "(١).

وقال ابن أبي شيبة: "حدثنا ابن علية عن الجريري عن الحكم بن الأعرج قال: سألت محمداً - كذا - عن صلاة الضحى وهو مسند ظهره إلى حجرة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: بدعة ونعمت البدعة"(٢).

وقد ذكره الحافظ ابن حجر وعزاه لابن أبي شيبة وفيه: "سألت ابن عمر ... الخ". قال الحافظ: "إسناده صحيح"(٣).

قلت: ولعل ما في سند ابن أبي شيبة من قوله " محمداً " خطأ من النساخ.

وقال الحافظ: "روى عبد الرزاق بإسناد صحيح عن سالم عن أبيه قال: لقد قتل عثمان وما أحد يسبحها وما أحدث الناس شيئاً أحب إلي منها"(٤).

وهو في المصنف كما قال الحافظ (٥).

قالوا إن ابن عمر سمى صلاة «الضحى» جماعة في المسجد بدعة واستحسنها(٦).

ثالثا:- واحتجوا بالأحاديث التي تفيد انقسام السنة إلى: حسنة وسيئة، فمن ذلك:

أ. حديث بلال بن الحارث - رضي الله عنه - قال: "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: من أحيا سنة قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله فإن له مثل إثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً"(٧).

ب. حديث المنذر بن جرير عن أبيه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"(٨).

ج. وفي رواية أخرى لحديث جرير قال: قال رسول - صلى الله عليه وسلم -: «من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئاً ومن سن سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئاً». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح(٩).

---

(١)صحيح البخاري مع الفتح ٤/ ٤٣٩، صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٣٨١ - ٣٨٢.
(٢)مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٤٠٥.
(٣)فتح الباري ٣/ ٢٩٥.
(٤)فتح الباري ٣/ ٢٩٥.
(٥)مصنف عبد الرزاق ٣/ ٧٨ - ٧٩.
(٦)انظر البدعة ص ٢٠٥، البدعة والمصالح المرسلة ص ٩٢، الموسوعة الفقهية ٨/ ٢٢.
(٧)سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأحوذي ١٠/ ١٠٦ - ١٠٧، سنن ابن ماجة ١/ ٧٦، شرح السنة ١/ ٢٣٣، صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٤١ - ٤٢.
(٨)صحيح مسلم مع شرح النووي ٣/ ٨٤ - ٨٥.
(٩)سنن الترمذي مع شرحه عارضة الأحوذي ١٠/ ١٠٣.

د. وعن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من سن سنة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى تترك ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك ومن مات مرابطاً جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث يوم القيامة»[1].

قالوا إن هذه الأحاديث تدل على انقسام البدعة إلى: بدعة حسنة، وبدعة سيئة، بل إن الإمام النووي يرى أن حديث جرير بن عبد الله: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها ... الخ» يعتبر تخصيصاً لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة[2].

كما أنهم قد استدلوا بأدلة أخرى يطول المقام بذكرها.

المنهج الثاني في تعريف البدعة:

وذهب جماعة من أهل العلم إلى: أن البدعة مخالفة للسنة ومذمومة شرعاً لأنها محدثة لا أصل لها في الشرع وعلى هذا الإمام مالك والبيهقي والطرطوشي وشيخ الإسلام ابن تيمية والزركشي وابن رجب والشُّمَنِي الحنفي وغيرهم، واختاره جماعة من العلماء المعاصرين[3].

وأساس هذا المنهج هو تعريف البدعة بالمحدث المخالف للسنة الذي جعل ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً وعلى هذا مشى الشاطبي في أحد تعريفيه للبدعة حيث قال: "فالبدعة إذا عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. وهذا على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات"[4].

وقال الشاطبي: "فالطريقة والطريق والسبيل والسنن هي بمعنى واحد وهو ما رسم للسلوك عليه وإنما قيدت بالدين لأنها فيه تخترع وإليه يضيفها صاحبها وأيضاً فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص لم تسم بدعة كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم - فمنها ما له أصل في الشريعة ومنها ما ليس له أصل فيها - خص منها ما هو المقصود بالحد وهو القسم المخترع أي طريقة ابتدعت على غير مثال تقدمها من الشارع إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادي الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة. فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فأصولها موجودة في الشرع"[5].

واستدل العلماء القائلون بذم البدعة بما يلي:

أولاً:- إن الله سبحانه وتعالى قد أكمل هذا الدين قبل وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال سبحانه وتعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير(١٨٤):ص٧٤/٢٢. بإسناد لا بأس به كما قال الحافظ المنذري، وقال الشيخ الألباني: "حسن صحيح". انظر: صحيح الترغيب والترهيب:١٢٣٥/١.

(٢)شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ٨٦.

(٣) انظر: الفروق ٤/ ٢٠٢، تهذيب الفروق ٤/ ٢٢٩، الحوادث والبدع ص ٢١، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٧٠ - ٢٧١، جامع العلوم والحكم ص ٣٣٥، البدع والمصالح المرسلة ص ١٠٣ - ١٠٧.

(٤)الاعتصام ١/ ٣٧.

(٥) الاعتصام:٣٧/١.

دِينًا} [المائدة:٣]. فلا يقبل من أي إنسان أن يزيد على الدين أو يخترع فيه شيئاً لأن هذه الزيادة والاختراع تعتبر استدراكاً على الله تبارك وتعالى وتوحي بأن الشريعة ناقصة وبأن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يبلغ الرسالة تبليغاً كاملاً [١].

قال الإمام مالك بن أنس: "من أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خان الرسالة لأن الله يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم} [المائدة : ٣]، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً"[٢].

ولأن الزيادة على الشريعة فيها إظهار الاستظهار على الشارع وهو قلة أدب معه لأن شأن العظماء إذا حددوا شيئاً وقف عنده وعدَّ الخروج عنه قلة أدب[٣].

ثانياً:- قالوا إن الأحاديث الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في البدعة كلها على سبيل الذم، فمن ذلك ما تقدم في حديث جابر قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم. ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة"[٤].

قالوا إن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «كل بدعة» كلية عامة شاملة مسورة بأقوى أدوات الشمول والعموم «كل» والذي نطق بهذه الكلية صلوات الله وسلامه عليه يعلم مدلول هذا اللفظ وهو أفصح الخلق وأنصح الخلق للخلق لا يتلفظ بشيء لا يقصد معناه[٥].

وقد ورد عن السلف في ذم البدعة وأنهم قد فهموا من الأحاديث الواردة في ذم البدعة الإطلاق والعموم، وفيما يأتي نذكر أبرز أقوالهم-رحمهم الله- في ذلك:

- قال الهروي في ذم الكلام بالسند إلى نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة،عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة"[٦].
- وقال الإمام أحمد: "أصول السنة[٧] عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين والسنة عندنا آثار ... وترك الهوى "[٨].
- وقال ابن رجب الحنبلي: "قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل بدعة ضلالة» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[٩] فكل من

---

(١)انظر البدعة والمصالح المرسلة ص ١١١.
(٢)الاعتصام ٢/ ٥٣.
(٣)هذيب الفروق ٤/ ٢١٨.
(٤) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة: ٥٩٢/٢، ح(٨٦٧)، والبيهقي: السنن، كتاب الجمعة، باب: كيف يستحب أن تكون الخطبة ٣/ ٢١٤.
حجه: المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل :(١٧/١، ح ٤٥) ولفظه: "فإن حير الأمور كتاب الله ...".
(٥)انظر الإبداع في كمال الشرع ص ١٢.
(٦)ذم الكلام وأهله(١٠٠٦):ص٢٠٦/٥-٢٠٧، وانظر: والفتاوى الكبرى (٥/ ٢٤٥) وصون المنطق ٣٢
(٧)السنة هنا: العقائد التي ترك النبي صلى الله عليه عليها أصحابه.
(٨)أصول السنة:١٤، وأصول الاعتقاد :١/ ٣١٧/١٧٦.
(٩) صحيح مسلم(١٧١٨):ص١٣٤٣/٣. قال المحقق:" قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو باطل غير معتد به وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فإنه

أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه"[1].

- وقال الحافظ ابن حجر بعد قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، قال: "هذا قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها فكأن يقال، حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحت المقدمتان وأنتجتا المطلوب"[2].
- وأجاب الإمام الشاطبي عندما سئل: "هل كل بدعة حسنت أو قبحت ضلالة لعموم الحديث أم تنقسم على أقسام الشريعة؟ فأجاب: إن قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل بدعة ضلالة محمول عند العلماء على عمومه لا يستثنى منه شيء ألبتة وليس فيها ما هو حسن أصلاً إذ لا حسن إلا ما حسنه الشرع ولا قبيح إلا ما قبحه الشرع فالعقل لا يحسن ولا يقبح وإنما يقول بتحسين العقل وتقبيحه أهل الضلال»"[3].

ثالثاً: واحتجوا بما ورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [4].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: "وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام كما أن حديث " الأعمال بالنيات " ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء"[5].

وقال الإمام الشوكاني: "وهذا الحديث من قواعد الدين لأنه يندرج تحته من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر وما أصرحه وأدله على إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا نقل فعليك إذا سمعت من يقول هذه بدعة حسنة بالقيام في مقام المنع مسنداً له بهذه الكلية وما يشابهها من نحو قوله - صلى الله عليه وسلم -: «كل بدعة ضلالة» طالباً لدليل تخصيص تلك البدعة التي وقع النزاع في شأنها بعد الاتفاق على أنها بدعة فإن جاءك به قبلته وإن كاع - أي جبن وهاب - كنت قد ألقمته حجراً واسترحت من المجادلة. ومن مواطن الاستدلال لهذا الحديث كل فعل أو ترك وقع الاتفاق بينك وبين خصمك على أنه ليس من أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وخالفك في اقتضائه البطلان أو الفساد متمسكاً بما تقرر في الأصول من أنه لا يقتضي ذلك إلا عدم أمر يؤثر عدمه في العدم كالشرط أو وجود أمر يؤثر وجوده في العدم كالمانع فعليك بمنع هذا التخصيص الذي لا دليل عليه إلا مجرد الاصطلاح مسنداً لهذا المنع بما في حديث الباب من العموم المحيط بكل فرد من أفراد الأمور التي ليست من ذلك القبيل قائلاً هذا أمر ليس من أمره وكل أمر ليس من أمره رد فهذا رد وكل رد باطل فهذا باطل فالصلاة مثلاً التي ترك فيها ما كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو فعل فيها ما كان يتركه

صريح في رد كل البدع والمخترعات".

(١)جامع العلوم والحكم ص ٣٣٦.

(٢)فتح الباري ١٧/ ١١.

(٣)فتاوى الشاطبي ص ١٨٠ - ١٨١.

(٤) صحيح مسلم(١٧١٨):ص٣/١٣٤٣. قال المحقق:" قال أهل العربية الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو باطل غير معتد به وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات".

(٥)جامع العلوم والحكم ص ٨١.

ليست من أمره فتكون باطلة بنفس هذا الدليل سواء كان ذلك الأمر المفعول أو المتروك مانعاً باصطلاح أهل الأصول أو شرطاً أو غيرهما فليكن منك هذا على ذك"[١].

رابعاً: واحتجوا بما ورد عن السلف في ذم البدعة وأنهم قد فهموا من الأحاديث الواردة في ذم البدعة الإطلاق والعموم، ومن تلك الأقوال:

- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة"[٢].
- وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"[٣].
- وعنه أيضاً قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"[٤].
- وعنه أيضاً قال: "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وكل بدعة ضلاله"[٥].
- وعنه أيضاً قال: "أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول"[٦].
- وعنه أيضاً قال: "تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق "[٧].
- وعنه أيضا:" من كان مستنا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّه عليْهِ وسَلَّم كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، اختارهم اللَّه لصحبةِ نبيه صَلَّى اللَّه عليْهِ وسَلَّم ولإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبِعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم"[٨].
- وعن حذيفة - رضي الله عنه - قال: "يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً"[٩].
  قال الحافظ: "قوله:« يا معشر القراء»: المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة العبّاد"[١٠].
- وعنه - رضي الله عنه - قال: "كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القرآء خذوا طريق من كان قبلكم"[١١].
- وروي أن حذيفة رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، دخل عليه أبو مسعود فقال له: "اعهد إلينا فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحدثك بأحاديث قال: أو ما أتاك

(١)نيل الأوطار ٢/ ٨٩.
(٢)إصلاح المساجد ص ١٣، وانظر البدعة وأثرها السيئ في الأمة ص ٤٢.
(٣)الباعث ص ١٣، الأمر بالإتباع ص ٤٨، صحيح الترغيب والترهيب ص ٢١، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٨٨.
(٤)مجمع الزوائد ١/ ١٨١، سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ٢٥٨.
(٥)كتاب العلم ص ١٢٢.
(٦)سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ١٨٤، الأمر بالإتباع ص ٥٩ - ٦٠.
(٧)سنن الدارمي مع شرحه فتح المنان ٢/ ١١٥، المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٢٥٢، جامع بيان العلم وفضله ١/ ١٥٢، وانظر الأمر بالإتباع ص ٥٩.
(٨)رواه رزين كما في "المشكاة" (١ / ٦٧) (رقم: ١٩٣) .
وقال الشيخ ناصر في تعليقه عليه: منقطع. وأخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢ / ٩٧) من طريق قتادة عنه.
(٩) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (١٣ / ٢٥٠) (رقم: ٧٢٨٢).
(١٠)صحيح البخاري مع الفتح ١٧/ ١٥.
(١١)الباعث ص ١٥ - ١٦، الإتباع ص ٦٢، إصلاح المساجد ص ١٢، السلسلة الضعيفة ١/ ٣٧٤.

الحق اليقين؟ قال: اعلم أن من أعمى الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد"[١].

- عن أبي حيان البصري: قال سمعت الحسن يقول: "لا يصح القول إلا بعمل ولا يصح قول وعمل إلا بنية ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة"[٢].
- وقال أبو العالية:"عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا"[٣].
- وعنه أيضا:" تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام، ولا تحرفوا يمينا ولا شمالا، وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه من قبل أن يقتلوا صاحبهم [٤]، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا، قد قرأنا القرآن من قبل أن يقتلوا صاحبهم، ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء"[٥]. فحدث الحسن بذلك فقال رحمه الله: "صدق ونصح"[٦].
- وكان مالك رضي الله عنه كثيرا ما ينشد[٧]:

وخير أمور الدين ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع

- وعن ابن المبارك قال: "اعلم أي أخي أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع"[٨].
- وكان إبراهيم التيمي[٩] يقول: "اللهم اعصمني بدينك، وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق، ومن اتباع الهوى، ومن سبل الضلالة، ومنشبهات الأمور، ومن الزيغ والخصومات"[١٠].
- عن سعيد بن جبير: في قوله {وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [سورة طه، الآية: ٨٢]، قال: "لزم السنة"[١١].
- عن سلام بن مسكين، قال:" كان قتادة إذا تلا {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [سورة فصلت، الآية: ٣٠]، قال: إنكم قد قلتم ربنا الله، فاستقيموا على أمر الله وطاعته وسنة نبيكم، وامضوا حيث تؤمرون، فالاستقامة أن تلبث على الإسلام والطريقة الصالحة ثم لا تمرق منها ولا تخالفها، ولا تشذ عن السنة ولا تخرج عنها، فإن أهل

---

(١)ذم الكلام :١٥٩، والإبانة :٢/ ٥٠٤/٣ - ٥٠٥/ ٥٧٢، وأصول الاعتقاد:١/ ١٢٠/١٠١، وجامع بيان العلم وفضله :٢/ ٩٣٣.
رضي الله عن هذا الصحابي الجليل حيث أشار إلى أظهر صفات المبتدعة، وهي التلون والتقلب.
(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة:٥٧/١.
(٣)تلبيس إبليس ص ٨، الأمر بالإتباع ص ٤٩، المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٣٦٧.
(٤)ذكر أبو نعيم في الحلية أن المراد به عثمان رضي الله عنه. (٢/ ٢١٨).
(٥)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٣٩)، والإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦)، والإمام ابن نصر المروزي في السنة (ص١٣)، والإمام الآجري في الشريعة (ص١٣)، والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى بلفظ أخصر (١/ ٢٩٩، ٣٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٨).
(٦)ذكره القاضي عياض ضمن ترجمة الإمام مالك. انظر ترتيب المدارك (١/ ١٦٩)، وابن عبد البر في الانتقاد:٧٤.
(٧)ذكره القاضي عياض ضمن ترجمة الإمام مالك. انظر ترتيب المدارك (١/ ١٦٩)، وابن عبد البر في الانتقاد :٧٤.
(٨)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها كما عند المؤلف (ص٤٦)، وبلفظ أطول (ص٨٨).
(٩)هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أحد العباد الزهاد المشهورين، توفي في سجن الحجاج سنة اثنتين وتسعين، ولم يبلغ الأربعين.
انظر: الكاشف للذهبي (١/ ٥٠)، الحلية لأبي نعيم (٤/ ٢١٠)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/ ٩٠).
(١٠)رواه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٢١١ - ٢١٢)، وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ١١٧٩).
(١١)الإبانة لابن بطه:٣١٤/١.

المروق من الإسلام منقطع بهم يوم القيامة، ثم إياكم وتصرف الأخلاق واجعلوا الوجه واحدًا والدعوة واحدة، فإنه بلغنا انه من كان ذا وجهين وذا لسانين كان لو يوم القيامة لسانان من نار""(١).

- وعن الأوزاعي قال: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا،وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم"(٢).
- وعنه أيضا:" كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -، والتابعون بإحسان، لزوم الجماعة وإتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله"(٣).
- وعن الزهري قال: "الاعتصام بالسنة نجاة"(٤).
- وقال عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه -: "سن رسول الله وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها. من عمل بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً" (٥).

قال الشاطبي: "فإنه كلام مختصر جمع أصولاً حسنة من السنة منها ما نحن فيه لأن قوله: «ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها». قطع لمادة الابتداع جملة. وقوله: «من عمل بها فهو مهتد». مدح لمتبع السنة وذم لمن خالفها بالدليل الدال على ذلك، وهو قول الله سبحانه وتعالى:{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء : ١١٥]"(٦).

- وروى أبو داود قال حدثنا ابن كثير قال أخبرنا سفيان قال: " كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب: " أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك - بإذن الله – عصمة.ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها - ولم يقل ابن كثير من قد علم من - الخطإ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم، كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير - بإذن الله - وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثرا ولا أثبت أمرا من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يعزون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة، ولقد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته، يقينا وتسليما لربهم،

---

(١)الإبانة لابن بطه: ٣١٨/١.

(٢)تلبيس إبليس ص ٩، الأمر بالإتباع ص ٤٩.

(٣)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٦٤/١.

(٤)شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٥٦/١.

(٥)جامع بيان العلم وفضله ٢/ ١٨٧، الاعتصام ١/ ٨٧. وقال الشاطبي:" إنه كان يعجب مالكاً جدا".

(٦)الاعتصام: ١/ ٨٧.

وتضعيفا لأنفسهم، أن يكون شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمض فيه قدره، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه: منه اقتبسوه، ومنه تعلموه، ولئن قلتم لم أنزل الله آية كذا لم قال كذا لقد قرءوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك: كله بكتاب وقدر، وكتبت الشقاوة، وما يقدر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا "(١).

- وروي أن عن عمر بن عبد العزيز كان يكتب في كتبه: "إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ البعيدة"(٢).
- ولما بايعه الناس صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس، إنه ليس بعد نبيكم نبي، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سنة ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإن الحلال ما أحل الله في كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة، ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع، ألا وإني لست بقاض ولكني منفذ، ألا وإني لست بخازن ولكني أضع حيث أمرت، ألا وإني لست بخيركم ولكني أثقلكم حملا ، ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"(٣)، ثم نزل.

وفيه قال عروة بن أذينة (٤) من قصيدة يرثيه بها(٥):

وأحييت في الإسلام علما وسنة ولم تبتدع حكما من الحكم أضجما(٦)

ففي كل يوم كنت تهدم بدعة وتبني لنا من سنة ما تهدما

- وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: "اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين"(٧).
- وعن عثمان الأزدي قال: "دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له أوصني. فقال: عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع""(٨).

---

(١) سنن أبي داود(٤٦١٢):ص٢٠٢/٤.
ابن كثير: هو محمد بن كثير العبدي، وسفيان: هو الثوري.
وأخرجه أبو بكر الآجري في "الشريعة" ص ٢٣٣ من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن سفيان الثوري، قال: حدثني شيخ -قال مؤمل: زعموا أنه أبو رجاء الخراساني- أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز ... فذكر نحوه.
وأخرجه أيضاً ص ٢٣٤ من طريق أبي داود الحفري، عن أبي رجاء قال: كتب عامل لعمر بن عبد العزيز يساله عن القدر ...
مَقْصَر بمعنى تقصيبر، ومَحْسَرِ من حسر البصر حسوراً إذا كَلَّ وانقطع، والمراد أن الإفراط والتفريط يكون صاحبه على غير هُدى مستقيم.
(٢)انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم (ص٧١).
(٣)روى هذه الخطبة عنه الإمام ابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٤٠)، وابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز (٤٠ - ٤١).
(٤)هو عروة بن يحيى (ولقبه أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي، شاعر غزل مقدم، من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضا، ولكن الشعر أغلب عليه. توفي في حدود الثلاثين ومائة.
انظر: ترجمته وشيئا من شعره في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٨/ ٣٢٢)، فوات الوفيات (٢/ ٤٥١)، الأعلام (٤/ ٢٢٧).
(٥) لم أقف على هذه الأبيات في ديوانه، وهي في الاعتصام للشاطبي:١٤٤/١-١٤٥.
(٦)"أضجعا". والضجم: العوج. انظر: القاموس (١١٣١). قال الشيخ محمد رشيد رضا في تعليقه على الكتاب: "كذا في الأصل، وهو غلط ظاهر، ولعل أصله أسحما: أي أسود حالك السواد، لأن هذا أقرب الكلم في الصورة من أضجعا، وموافق في المعنى لوصفهم البدعة بالسوداء، والسنة بالبيضاء والغراء" (١/ ٨٧).
(٧)الاعتصام ١/ ٨٣، والأمر بالإتباع : ١٥٢..
(٨)الفقيه والمتفقه: ١/ ١٧٣، وشرح السنة: ١/ ٢١٤، والباعث: ١٥، والأمر بالإتباع: ٦١.

- وعن الحسن: "لا تجالس صاحب هوى، فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك"[١].
- وعنه ايضا:"لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك"[٢].
- وعن أبي قلابة :"لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"[٣]. قال أيوب السختياني[٤]:"وكان ـ والله ـ من الفقهاء ذوي الألباب"[٥].
- وعن أيوب السختياني أنه كان يقول: "ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا"[٦].
- وخرج ابن وهب عن سفيان قال: "ما أحب أني هديت الناس كلهم، وأضللت رجلا واحدا"[٧].
- وعن إبراهيم :"لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تكلموهم، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم"[٨].
- وعن يحيى بن أبي كثير:"إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر"[٩].

وعن كثير أبو سعيد:" من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة، ووكل إلى نفسه"[١٠].

- وعن العوام بن حوشب أنه كان يقول لابنه: "يا عيسى، أصلح الله قلبك، وأقلل مالك، وكان يقول: والله لأن أرى عيسى في مجالسأصحاب البرابط [١١]والأشربة والباطل

---

(١)رواه عنه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها، باب النهي عن الجلوس مع أهل البدع:٥٧.

(٢)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٤)، والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى بلفظ "لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب، (٢/ ٤٣٨)، ورواه في نفس الموضع عن ابن عباس رضي الله عنه، وعن أبي عبد الله الملائي.

(٣)رواه الإمام الدارمي في المقدمة من سننه، باب اجتناب أهل الأهواء (١/ ١٢٠)، والإمام الآجري في الشريعة (ص٥٦)، والإمام البيهقي في الاعتقاد والهداية (ص١٥٨)، والإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٤)، والإمام ابن سعد في الطبقات (٧/ ١٨٤)، والإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٥) والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٥، ٤٣٧)، وذكره البغوي في شرح السنة (١/ ٢٢٧)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ١٣٧).

(٤)هو أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني، ثقة، ثبت، حجة، من كبار الفقهاء العباد، قال شعبة: ما رأيت مثله، كان سيد الفقهاء، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.
انظر: تقريب التهذيب (١/ ٨٩)، الكاشف (١/ ٩٢).

(٥)روى هذا القول لأيوب الإمام ابن سعد في الطبقات، والإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها، وذلك في نفس المواضع السابقة في تخريج قول أبي قلابة.

(٦)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٩)، وذكره ابن الجوزي عنه في صفة الصفوة (٣/ ٢٩٥).

(٧) الإعتصام:١٣٨/١.

(٨)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٦)، والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى :٢/ ٤٣٩، وأبو نعيم في الحلية :٤/ ٢٢٢.

(٩)رواه عنه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٥)، والإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٣٧)، والإمام الآجري في الشريعة (ص٦٤)، والإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٧٤). وهو مروي كذلك عن الفضيل بن عياض كما في الإبانة (٢/ ٤٧٥).

(١٠)رواه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها عن كثير أبو سعيد (ص٥٥)، ورواه الإمام اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة عن محمد بن النضر الحارثي بلفظ "من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة نزعت منه العصمة". (١/ ١٣٦)، ورواه الإمام ابن بطة في الإبانة الكبرى عن محمد بن النضر بنحو لفظ اللالكائي (٢/ ٤٦٠)، وهو مروي عن سفيان الثوري في الإبانة أيضا (٢/ ٤٦١).

(١١)البربط: العود، أعجمي ليس من ملاهي العرب فأعربته حين سمعت به، وفي التهذيب: البربط من ملاهي العجم شبه بصدر البط، والصدر بالفارسية بر فقيل بر بط. انظر لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٥٨).

أحب إلي من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات"[١]. قال ابن وضاح: "يعنى: أهل البدع"[٢].

- ومما يعزى لأبي العباس الإبياني[٣]: "ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن، وفيهن خير الدنيا والآخرة: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، من ورع لا يتسع"[٤].

القرآن

{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤)} [الأنعام : ١٥٤]

التفسير:

ثم قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي أتى موسى التوراة تمامًا لنعمته على المحسنين من أهل ملته، وتفصيلا لكل شيء من أمور دينهم، وهدى ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم; رجاء أن يصدِّقوا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، ويعملوا لذلك.

قوله تعالى:{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} [الأنعام : ١٥٤]، أي:" ثم قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي أتى موسى التوراة تمامًا لنعمته على المحسنين من أهل ملته"[٥].

قال الطبري:أي:" ثم آتينا موسى التوراة تمامًا لنعمنا عنده وأيادينا قِبَله، تتم به كرامتنا عليه على إحسانه وطاعته ربَّه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه"[٦].

وفي قوله تعالى:{ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} [الأنعام : ١٥٤]، ستة أقوال:

أحدها : تماماً على إحسان موسى بطاعته، يعني: فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه . قاله الربيع[٧]، وقتادة[٨]، والفراء[٩].

والثاني : تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا، قاله الحسن[١٠]، وهو مروي عن قتادة -أيضا-[١١].

والقولان السابقان قريبان من المعنى، إذان المعنى: "ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على ما أحسن موسى، أي : آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة ، تمامًا على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته"[١٢].

والثالث: تماماً على المحسنين، و معناه تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن، أي: على كل من كان محسنا صالحا. قاله مجاهد[١٣]، والزجاج[١٤]، ويدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود:{تَمَاماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا}[١٥].

---

(١)رواه عنه الإمام ابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص٥٦).

(٢)ذكره ابن وضاح في البدع والنهي عنها:٥٦.

(٣)هو أبو العباس عبد الله بن أحمد بن إبراهيم التونسي الإبياني، كان عالم أفريقية، وحافظ مذهب مالك، ويميل إلى مذهب الشافعي، ثقة، مأمون، توفي سنة ٣٥٢هـ.
انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٤٢٥)، ترتيب المدارك (٣/ ٣٤٧).

(٤)عزاه إليه الإمام القرافي في الفروق :٤/ ٢٠٥.

(٥) التفسير الميسر:١٤٩.

(٦) تفسير الطبري:٣٢٧/١٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٣):ص٢٣٥/١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٤):ص٢٣٥/١٢.

(٩)انظر: معاني القرآن للفراء:٣٦٥/١.

(١٠) انظر: النكت والعيون:١٨٩/٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٥):ص٢٣٥/١٢.

(١٢) تفسير الطبري:٢٣٥/١٢.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧١):ص٢٣٣/١٢.

(١٤) انظر: معاني القرآن:٣٠٦/٢.

(١٥) انظر: معاني القرآن للفراء:٣٦٥/١، وتفسير الطبري:٢٣٤/١٢، والنكت والعيون:١٨٩/٢.

قال الطبري:" وكأنّ مجاهدًا وجّه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده"[١].

فإن قال قائل : "فكيف جاز أن يقال :{على الذي أحسن}، فيوحِّد {الذي}، والتأويل على الذين أحسنوا ؟

قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة في «الذي» وفي «الألف واللام»، إذا أرادت به الكل والجميع ، كما قال جل ثناؤه : {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، [سورة العصر : ١ ، ٢] ، وكما قالوا : كثر الدِّرهم فيه في أيدي الناس "[٢].

والرابع : تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه ، قاله ابن زيد[٣]. وكان عن يحيى بن يعمر يقرأ :«تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ»، رفعًا[٤].

قال الطبري:"وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، وإن كان لها في العربية وجه صحيح ، لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار"[٥].

والخامس : تماماً لنعمة الله على إبراهيم، لأنه من ولده ، قاله ابن بحر[٦].

والسادس: معناه: آتينا موسى الكتاب تماما، أي: تاما كاملا على أحسن ما تكون عليه الكتب أي على الوجه الذي هو أحسن. وهو معنى قول الكلبي[٧].

والسابع: تماما على الذي هو أحسن الأشياء. ذكره الزجاج[٨].

قال الطبري:"وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب ، قول من قال : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا لنعمنا عنده ، على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهرُ معانيه في الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمةً من الله عليه ومنة عظيمة. فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحُسن طاعة"[٩].

قوله تعالى:{وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٤]، أي:" وتفصيلا لكل شيء من أمور دينهم"[١٠].

قال الطبري:" يعني: وتبيينًا لكل شيء من أمر الدين الذي أمروا به"[١١].

عن قتادة: "{وتفصيلا لكل شيء}، فيه حلاله وحرامه"[١٢].

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةً} [الأنعام : ١٥٤]، أي:" وهدى ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم"[١٣].

قال الطبري:{ هُدًى}، يعني: "تقويمًا لهم على الطريق المستقيم، وبيانًا لهم سُبُل الرشاد لئلا يضلوا،{وَرَحْمَةً}، يقول: ورحمة منا بهم ورأفة، لننجيهم من الضلالة وَعمى الحيرة"[١٤].

قال الفخر الرازي:" الهدى :هو الدلالة، والرحمة: هي النعمة"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري:٢٣٣/١٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٣٣/١٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٦):٢٣٦/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٧)ص:٢٣٦/١٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٣٦/١٢.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٨٩/٢.
(٧) انظر: مفاتيح الغيب:١٨٦/١٤.
(٨) انظر: معاني القرآن:٣٠٦/٢.
(٩) تفسير الطبري:٢٣٦/١٢.
(١٠) التفسير الميسر:١٤٩.
(١١) تفسير الطبري:٣٢٧/١٢.
(١٢) أ×رجه الطبري(١٤١٧٨):ص٢٣٧/١٢.
(١٣) التفسير الميسر:١٤٩.
(١٤) تفسير الطبري:٣٢٨/١٢.
(١٥) مفاتيح الغيب:١٨٦/١٤.

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : ١٥٤]، أي:" رجاء أن يصدِّقوا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، ويعملوا لذلك"[١].

قال الطبري:" يعني: إيتائي موسى الكتاب تمامًا لكرامة الله موسى، على إحسان موسى، وتفصيلا لشرائع دينه، وهدًى لمن اتبعه، ورحمة لمن كان منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه، فيرتدع عما هو عليه مقيمٌ من الكفر به، وبلقائه بعد مماته، فيطيع ربه، ويصدِّق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم"[٢].

قال الفخر الرازي:" أي: لكي يؤمنوا بلقاء ربهم، والمراد به لقاء ما وعدهم الله به من ثواب وعقاب"[٣].

الفوائد:

١-بيان منة الله تعالى على موسى عليه السلام والثناء عليه لإحسانه.

٢-تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.

٣-أن الإسلام له رأيه المستقيم الواضح في الكتب السماوية، وقد أعطي لكل نبي من الأنبياء حقه من القداسة والاحترام إذ أن الرسل "صلوات الله وسلامه عليهم" هم المبلغين عن الله عَزَّ وَجَلَّ بواسطة أمين الوحى جبريل عليه السلام، وقد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الإيمان بهم جزءاً أساسياً يسهم في تشكيل عقيدة المسلم فلا يصح إيمان عبد إلا إذا آمن برسل الله أجمعين وبما أنزله الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم من كتب ولا يصح التفريق بين أحد منهم فقال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[البقرة:١٣٦-١٣٧].

ويجدر القول بأن القرآن آخر الكتب السماوية وهو خاتمها، وهو أطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها.

قال الله تعالى: {وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}[المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[يونس: ٣٧] .

وقال: {مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[يوسف: ١١١] .

قال أهل التفسير في قوله-تعالى-:{وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}: مهيمناً وشاهداً على ما قبله من الكتب، ومصدقاً لها؛ يعني يصدق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف، وتبديل، وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير.

ولهذا يخضع له كل متمسك بالكتب المتقدمة ممن لم ينقلب على عقبيه كما قال_تبارك وتعالى_: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} [القصص:٥٢، ٥٣].

---

(١) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢) تفسير الطبري:٣٢٨/١٢.
(٣) مفاتيح الغيب:١٨٦/١٤.

فالقرآن هو رسالة الله لجميع الخلق، وقد تكفل_سبحانه:{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] .

ولا يقبل الله من أحد ديناً إلا ما جاء في هذا القرآن العظيم.

قال الشيخ ابن سعدي-رحمه الله-في قوله تعالى: {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}:"أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه"(١).

وخلاصة حديث القرآن حول الكتب السماوية، يمكن إجماله في الآتي:

١-التوراة:

لقد ذكر القرآن الكريم التوراة "١٨" مرة، وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام.

وفيما يأتي خلاصة حديث القرآن حول التوراة:

أولا:- وصف القرآن التوراة بأنها هدى ونور وفرقان، وضياء وذكر، قال تعالى: {إِنَّا أنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}[المائدة، آية: ٤٤].

وقال تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ}[الأنبياء، آية: ٤٨].

ثانيا:- إن التوراة كتاب شامل لكل شيء، قال تعالى: " ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً}[الأنعام، آية: ١٥٤].

ثالثا:- ـ إن الرسالات التي جاءت بعدها مصدقة لها، فلقد قال الكتاب عن عيسى عليه السلام: " وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ... " (المائدة، آية: ٤٦).

رابعا:-إن القرآن تحدث عن بعض الذي جاء في التوراة، ولنأخذ هذين المثالين:

المثال الأول: قال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة، آية: ٤٥](٢).

المثال الثاني: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} [الأعراف، آية: ١٥٧].

خامسا:- ذكر القرآن الذين كلفوا بحمل أمانة "التوراة" منهم من حملها بأمانة، ومنهم من لم يحملها، فقال عن الصالحين منهم { وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [الأعراف، آية: ١٥٩].

---

(١) تفسير السعدي:٢٣٤.
(٢) انظر: المحكم في العقيدة:١٨٣-١٨٤.

سادسا:- أكد القرآن أن التوراة الموجودة الآن بين أيدينا هي ليست التوراة التي أنزلها على موسى ـ عليه السلام ـ وإنما هي محرفة من قبل بني إسرائيل الذين خانوا العهد ونقضوا الميثاق.

ـ قال تعالى:{ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة، آية: ٧٨ ـ ٧٩].

ـ وقال تعالى:{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" [البقرة، آية: ٧٥].

ـ وقال تعالى:" فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ}[المائدة، آية: ١٣].

ويجدر القول بأن لتوراة الموجودة اليوم فهي ما يطلق على الشريعة المكتوبة، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية.

والتوراة الموجودة اليوم تشتمل على خمسة أسفار وهي:

١-سفر التكوين: ويتحدث هذا السفر عن خلق العالم، وظهور الإنسان، وطوفان نوح، وولادة إبراهيم إلى موت يوسف-عليه الصلاة والسلام-.

٢-سفر الخروج: ويتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر، منذ أيام يعقوب إلى خروجهم إلى أرض كنعان مع موسى ويوشع بن نون.

٣-سفر اللاويين: نسبة إلى لاوي بن يعقوب، وفي هذا السفر حديث عن الطهارة، والنجاسة، وتقديم الذبائح، والنذر، وتعظيم هارون وبنيه.

٤-سفر العدد: يحصي قبائل بني إسرائيل منذ يعقوب، وأفرادَهم ومواشيهم.

٥-سفر التثنية: وفيه أحكام، وعبادات، وسياسة، واجتماع، واقتصاد، وثلاثة خطابات لموسى-عليه السلام-.

هذه هي التوراة الموجودة اليوم، وكل عاقل منصف-فضلاً عن المسلم المؤمن-يعلم براءة التوراة التي أنزلها الله على موسى-عليه السلام-مما هو موجود في التوراة اليوم، وذلك لأمور عديدة منها:

١-ما حصل للتوراة من الضياع والنسخ والتحريف والتدمير، فلقد حُرِّف فيها، وبُدِّل، وضاعت، وتعرضت لسبع تدميرات، منذ عهد سليمان-عليه السلام- (٩٤٥) قبل الميلاد إلى أن حصل التدمير السابع عام ٦١٣م مما يدل على ضياعها وانقطاع سندها.

٢-ما تشتمل عليه من عقائد باطلة لا تمت إلى ما جاء به المرسلون بأدنى صلة.

٣-اشتمالها على تنقص الرب-جل وعلا-وتشبيهه بالمخلوقين، ومن ذلك قولهم: إن الله تصارع مع يعقوب ليلة كاملة فصرعه يعقوب+.

ومن ذلك قولهم: إن الله ندم على خلق البشر لما رأى من معاصيهم، وأنه بكى حتى رمد فعادته الملائكة.

تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

٤-اشتمالها على سب الأنبياء والطعن فيهم، ومن ذلك قولهم:=إن نبي الله هارون صنع عجلاً، وعبده مع بني إسرائيل.

وقولهم: إن لوطاً شرب خمراً حتى سكر، ثم قام على ابنتيه فزنى بهما الواحدة تلو الأخرى.

وقولهم: إن سليمان-عليه السلام-ارتد في آخر عمره، وعَبَدَ الأصنام، وبنى لها المعابد، إلى غير ذلك من مخازي إخوان القردة(١).

٥-اشتمالها على المغالطات والمستحيلات والمتناقضات.

٦-أن المعركة التي قامت بين التوراة وحقائق العلم الحديث أثبتت ما في التوراة من الأخطاء العلمية.

ومن تلك الكتب التي تكلمت على هذا الموضوع كتابان هما: (أصل الإنسان) و (التوراة والإنجيل والقرآن) لعالم فرنسي اسمه (موريس بوكاي) حيث أثبت وجود أخطاء علمية في التوراة والإنجيل، وأثبت في الوقت نفسه عدم تعارض القرآن مع العلم الحديث وحقائقه، بل سجل شهادات تفوق سبق القرآنُ فيها العلمَ بألف وأربعمائة عام (٢) .

٢- الإنجيل:

لقد ذكر القرآن الكريم الإنجيل "١٢" مرة ويكاد يكون حديث القرآن عن الإنجيل قريباً عن حديثه عن التوراة، إلا في بعض النقاط، والإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام.

وفيما يأتي خلاصة حديث القرآن حول الإنجيل:

أولا:- وصف القرآن الإنجيل بأنه هدى ونور وموعظة:

قال تعالى:[وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ}[المائدة، آية: ٤٦].

ثانيا:-ومما ورد في القرآن الكريم: أن الإنجيل جاء مكملاً أو معدلاً لما جاء في التوراة من أحكام ولم يصف القرآن الإنجيل بما وصف به التوراة من أنه كتاب شامل يفصل كل شيء، بل على العكس، جاء وكأنه يصفه بمهمة محدودة هي نسخ بعض ما ورد في التوراة من أحكام، لحكمة يعلمها الله، يقول القرآن على لسان عيسى:{ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ}[آل عمران، آية: ٥٠].

ولهذا ربط القرآن بينهما في مهمة عيسى ـ عليه السلام ـ فقال:{ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ] [آل عمران، آية: ٤٨ ـ ٤٩].

ثالثا:- هناك فرق واضح في اهتمام القرآن، فالظاهر اهتمامه برسالة موسى أكثر من الإنجيل ويظهر هذا في عدد المرات التي ذكرت فيها التوراة "١٨" مرة بينما ذكر الإنجيل "١٢" مرة وذكر موسى "١٣٦" مرة بينما لم يذكر عيسى إلا "٢٥" مرة، هناك إشارة ربما تكون أظهر في الدلالة على اهتمام القرآن بالتوراة أكثر من اهتمامه بالإنجيل، وهي قوله تعالى:[وَإِذْ صَرَفْنَا

(١)انظر: الرسل والرسالات، ١٠٤-١٠٥، وللاستزادة انظر: مقارنة بين القرآن والتوراة لمحمد الصوياني.
(٢)انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (لموريس بوكاي) ترجمة الشيخ حسن خالد.

إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الأحقاف، آية: ٢٩ ـ ٣٠][(١)].

رابعا: جاءت في الإنجيل كما في التوراة البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:{ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[الأعراف، آية: ١٥٧].

وقال تعالى:{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ}[الصف، آية: ٦][(٢)].

خامسا:- إن القرآن جاء مصدقاً أيضاً لرسالة عيسى ـ عليه السلام ـ كما هو مصدق لجميع الرسالات السابقة قال تعالى:{ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}[آل عمران، آية: ٨١].

وقال تعالى:{ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[البقرة، آية: ٩٧].

سادسا: ـ وتحدث القرآن عن حملة الإنجيل كما تحدث عن حملة التوراة فقسمهم إلى قسمين: فئة وقفت مع الإنجيل الحق وأخرى كاذبة كافرة خائنة، فقال عن الأولى:{ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[آل عمران، آية: ٥٢ ـ ٥٣].

وأما الثانية فهم:" وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}[المائدة، آية: ١٤].

سابعا: ـ ويخلص القرآن إلى أن الإنجيل الذي بين أيدينا الآن ليس هو كلام الله، بل هو من تحريف المحرفين، قال تعالى:{ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ}[آل عمران، آية: ٧٨ ـ ٧٩].

وتسمى التوراة العهد القديم، وتسمى الأناجيل، ورسائل الرسل العهد الجديد.

فالعهد الجديد-إذاً-هو الذي يشتمل على أناجيلهم، والأناجيل المعتبرة عند النصارى أربعة هي:

١-إنجيل يوحنَّا.

٢-إنجيل مرقُس.

---

(١) انظر: المحكم في العقيدة:١٨٥.
(٢) انظر: العقيدة الإسلامية د. أحمد محمد جلي:١٩٧.

٣-إنجيل مَتَّى.

٤-إنجيل لُوقا.

وهناك أناجيل أخرى مثل إنجيل برنابا، وأناجيل أخرى أهملت.

هذا وقد بيَّن كثير من العلماء المسلمين قديماً وحديثاً ومن علماء النصارى الذين دخلوا في الإسلام، أو المتحررين منهم من ربقة التقليد-عدم صحة هذه الأناجيل الموجودة في أيدي النصارى، ووجهوا إليها انتقادات كثيرة، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-في كتابه: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وابن القيم-رحمه الله تعالى-في كتابه: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

ومن العلماء المحدثين الشيخ رحمة الله الهندي-رحمه الله تعالى-في كتابه: "إظهار الحق"، والشيخ محمد أبو زهرة-رحمه الله تعالى-في كتابه: "محاضرات في النصرانية"، ومن علماء النصارى الذين أسلموا إبراهيم خليل أحمد كما في كتابه: "محاضرات في مقارنة الأديان".

وفيما يلي إجمال لبعض الأمور التي تبين بطلان الأناجيل الموجودة بأيدي النصارى اليوم وعدم صحتها:

١-أن هذه الأناجيل التي بأيدي النصارى لم يُمْلِها عيسى-عليه السلام-ولم تنزل عليه وحياً، ولكنها كتبت بعده.

٢-ما وقع في الأناجيل من تلاعب النساخ، وتبديلهم وتحريفهم.

٣-اشتمالها على المتناقضات، والاختلافات، وقد أحصى الشيخ رحمة الله الهندي-في آخر كتابه إظهار الحق-أكثر من مائة اختلاف بين هذه الأناجيل.

٤-انقطاع السند في نسبتها لكتابها.

٥-اشتمالها على تنقص الرب-جل وعلا-وعلى نسبة القبائح للأنبياء-عليهم السلام-.

٦-اشتمالها على العقائد الباطلة المخالفة للنقل والعقل.

٧-تعارضها مع الحقائق العلمية، كما أثبت ذلك عدد من العلماء؛ منهم موريس بوكاي وقد مر معنا ذلك قريباً.

٨-زد على ذلك أن تلك الأناجيل-وبغض النظر عن كونها محرفة-تخلو من أي تصور محدد لنظام سياسي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو علمي.

والحقيقة فالقرآن لا يفصل في مقدار التحريف الذي ورد على التوراة والإنجيل، وكأن هدفه فقط أن يقول لنا إن هذين الكتابين ليسا مصدر ثقة، لأن الأهواء دخلتهما، أما التفصيل فلا نحتاجه نحن، وأيضاً فإن مقدار التحريف مختلف زماناً ومكاناً ومذاهب، فلم يهتم القرآن إلا بالذي فيه الفائدة للناس(١).

---

(١) انظر: الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية، علي الصلابي:١٦٥ وما بعدها.[الكتاب مرقم آليا] .

ويجدر القول بأنه لا يسوغ لأحد لأحد اتباع التوراة أو الإنجيل بعد نزول القرآن؛ وذلك للاعتبارات السابقة، ولأنهاوعلى فرض صحتها-كانت خاصة لأمة معينة، ولفترة محددة، ولأنها نسخت بالقرآن الكريم.

ومن هنا يتبين بطلان هذه الكتب، وعدم جواز العمل بها إلا ما أقره القرآن، ويتبين لنا ضلال اليهود والنصارى وبطلان مزاعمهم، كيف وقد قال:"لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[(١)].

٣-الزبور:

وهو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على داود عليه السلام، والزبور في اللغة هو الكتاب المزبور أي المكتوب، وجمعه زبر، وكل كتاب يسمى زبوراً، قال تعالى:{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ}[القمر، آية: ٥٢]، أي: مسجل في كتب الملائكة وكتبهم ثم غلب إطلاق لفظ الزبور على ما أنزل على داود عليه السلام، قال تعالى:{وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[النساء، آية: ١٦٣].

وقال تعالى:[وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[النساء، آية: ١٦٣].

وقال تعالى:[وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[الإسراء، آية: ٥٥].

٤-الصحف:

أي: صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام.

وكل الذي جاء في القرآن عنها قوله تعالى:

أ ـ قال تعالى: { ... أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى}[طه، آية: ١٣٣].

ب ـ وقال تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى}[النجم، آية: ٣٦ ـ ٤٢].

جـ ـ قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[الأعلى، آية: ١٤ ـ ١٩].

هذه هي الكتب السابقة التي سماها الله لنا في كتابه إلا أنه توجد كتب أخرى أنزلت ولم تسم لنا، بل ذكرت مجملة، كما في قوله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[الحديد، آية: ٢٥].

فنؤمن بأن الله تعالى أنزل على رسله كتبا، حجة على العالمين ومحجة للعاملين، يعلمونهم بها الحكمة ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتابا، لقوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ}[المائدة:٤٤].

---

(١)رواه مسلم (١٥٣).

وعلينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تسم إجمالاً كما أنه لا يجوز لنا أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه وأخبرنا القرآن الكريم أنه من الكتب التي أنزلها تعالى على رسول من رسله(١).

القرآن
{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)} [الأنعام : ١٥٥]
التفسير:
وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خيره كثير فاتبعوه فيما يأمر به وينهى عنه، واتقوا الله أن تخالفوا له أمرًا; رجاء أن ترحموا فتنجوا من عذابه، وتظفروا بثوابه.
قوله تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام : ١٥٥]، أي:" وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خيره كثير"(٢).
قال قتادة:" وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام (فاتبعوه) ، يقول : فاتبعوا حلاله ، وحرّموا حرامه"(٣).
قال الطبري:أي:" وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم {كتاب أنزلناه مبارك}"(٤).
قال البغوي:" {وهذا} يعني: القرآن"(٥).
قال الزجاج:" «المبارك»: ما يأتي من قبله الخير الكثير، وهو من نعت {كتاب}"(٦).
قال ابن عثيمين:" أي: ذو بركة، فهو مبارك؛ لأنه شفاء لما في الصدور, إذا قرأه الإنسان بتدبر وتفكر؛ فإنه يشفي القلب من المرض, وقد قال الله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء:٨٢].

مبارك في إتباعه؛ إذ به صلاح الأعمال الظاهرة والباطنة.

مبارك في اثاره العظيمة؛ فقد جاهد المسلمون به بلاد الكفر؛ لأن الله يقول: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} [الفرقان:٥٢]، والمسلمون فتحوا مشارق الأرض ومغاربها بهذا القرآن حتى ملكوها, ولو رجعنا إليه؛ لملكنا مشارق الأرض ومغاربها بهذا القرآن حتى ملكوها.

مبارك في أن من قرأه؛ فله بكل حرف عشر حسنات(٧)؛ فكلمة (قال) مثلاً فيها ثلاثون حسنة, وهذا من بركة القرآن؛ فنحن نحصل خيرات كثيرة لا تحصى بقراءة آيات وجيزة من كلام الله عز وجل.

والحاصل: أن القرآن كتاب مبارك؛ فكل أنواع البركة حاصلة بهذا القرآن العظيم، وثبوت نزوله من الله دليل على أنه كلامه "(٨).

قوله تعالى:{فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥]، أي:" فاتبعوه فيما يأمر به وينهى عنه"(١).

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية، أحمد جلي:١٩٨.
(٢) التفسير الميسر:١٤٩.
(٣) أخرجه الطبري(١٤١٧٩):ص٢٣٩/١٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٣٨/١٢.
(٥) تفسير البغوي:٢٠٦/٣.
(٦) معاني القرآن:٣٠٦/٢.
(٧)لما رواه الترمذي (٢٩١٠) واللفظ له، والدارمي (٣١٩٠) , والحاكم (١/ ٥٥٥) وصححه, وأبو نعيم في "الحلية" (٦/ ٢٦٣) , من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها, لا أقول الم حرف, ولكن ألف حرف, ولام حرف, وميم حرف".
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
(٨) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين:٤٣٧/١-٤٣٨.

قال البغوي[2] والقرطبي[3]:يعني: " واعملوا بما فيه".
قال الطبري: يقول: "فاجعلوه إمامًا تتّبعونه وتعملون بما فيه ، أيها الناس "[4].
قوله تعالى:{وَاتَّقُوا} [الأنعام : ١٥٥]، أي:" واتقوا الله أن تخالفوا له أمرًا"[5].
قال البغوي:يعني: "وأطيعوا"[6].
قال الطبري:"يقول: واحذروا الله في أنفسكم ، أن تضيعوا العمل بما فيه ، وتتعدّوا حدودَه ، وتستحلُّوا محارمه"[7].
قال القرطبي:"أي: اتقوا تحريفه"[8].
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام : ١٥٥]، أي:" رجاء أن ترحموا فتنجوا من عذابه، وتظفروا بثوابه"[9].
قال الزجاج:" أي: لتكونوا راجين للرحمة"[10].
قال القرطبي:" أي لتكونوا راجين للرحمة فلا تعذبون"[11].
قال الطبري:" يقول : لترحموا ، فتنجوا من عذاب الله ، وأليم عقابه"[12].

الفوائد

١- الإشادة بالقرآن الكريم، وما أودع الله فيه من البركة والهدى والرحمة والخير، وأن الهداية والصلاح والفلاح لمن اتبع القرآن والسنة وتمسك بذلك.
٢- أن الإيمان بالقرآن يتشعب شعبا:
- أولاها: الإيمان بأنه كلام الله تعالى حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، تكلم الله به قولا وأنزله على نبيه وحيا، وآمن به المؤمنون حقا، فهو وإن خط بالبنان وتلي باللسان وحفظ بالجنان وسمع بالآذان وأبصرته العينان لا يخرجه ذلك عن كونه كلام الرحمن، فالأنامل والمداد والأقلام والأوراق مخلوقة، والمكتوب بها غير مخلوق والألسن والأصوات مخلوقة، والمتلو بها على اختلافها غير مخلوق، والصدور مخلوقة والمحفوظ فيها غير مخلوق، والأسماع مخلوقة والمسموع غير مخلوق، قال الله تعالى:
{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ - فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} [الواقعة: ٧٧ - ٧٨] وقال تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} [العنكبوت: ٤٩] وقال تعالى: {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الكهف: ٢٧] وقال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]،]، فأثبت أن القرآن كلامه.
هذه الآيات الكريمة تفيد أن القرآن المتلو المسموع المكتوب بين دفتي المصحف هو كلام الله على الحقيقة، وليس فقط عبارة أو حكاية عن كلام الله؛ كما تقول الأشعرية، وإضافته إلى الله عز وجل تدل على أنه صفة له قائمة به، وليست كإضافة البيت أو

---

(١) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢) تفسير البغوي:٢٠٦/٣.
(٣) تفسير القرطبي:١٤٣/٧.
(٤) تفسير الطبري:٢٣٨/١٢.
(٥) التفسير الميسر:١٤٩.
(٦) تفسير البغوي:٢٠٦/٣.
(٧) تفسير الطبري:٢٣٩/١٢.
(٨) تفسير القرطبي:١٤٣/٧.
(٩) التفسير الميسر:١٤٩.
(١٠) معاني القرآن:٣٠٦/٢.
(١١) تفسير القرطبي:١٤٣/٧.
(١٢) تفسير الطبري:٢٣٩/١٢.

الناقة؛ فإنها إضافة معنى إلى الذات، تدل على ثبوت المعنى لتلك الذات؛ بخلاف إضافة البيت أو الناقة؛ فإنها إضافة أعيان، وهذا يرد على المعتزلة في قولهم: إنه مخلوق منفصل عن الله.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " أديموا النظر في المصحف "(١).

وروى أبو عبيد بإسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرأه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة"(٢).

وكما أن القرآن كلام الله، فكذلك هو كتابه؛ لأنه كتبه في اللوح المحفوظ، ولأنه مكتوب في المصاحف؛ قال تعالى: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ}[الواقعة:٧٧-٧٨]، وَقَالَ: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}[البروج:٢١-٢٢] .وَقَالَ: {فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس:١٣-١٦].

والقرآن في الأصل مصدر كالقراءة؛ كما في قوله تعالى:: {إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}[الإسراء:٧٨]، ويراد به هنا أن يكون علما على هذا المنزل من عند الله، المكتوب بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه(٣).

وقوله :{ {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} يدل أن ابتداء نزوله من عند الله عز وجل، وأن روح القدس جبريل عليه السلام تلقاه عن الله سبحانه بالكيفية التي يعلمها.

- والثانية: بأن معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يقدرون عليه، قال تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء : ٨٨]. فثبت أن القرآن معجز.
- والثالثة: اعتقاد أن جميع القرآن الذين يوفى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، هو هذا الذي في مصاحف المسلمين، لم يفت منه شيء، ولم يصغ بنسيان ناس، ولا ضلال نجيب ولا موت فادي، ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف(٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما ترك النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا ما بين الدفتين"(٥).

٣- أن الذي يجب التزامه في حق القرآن على جميع الأمة، هو اتباعه ظاهرا وباطنا والتمسك به والقيام بحقه، قال الله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا} [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} [الأعراف: ٣] وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} [الأعراف: ١٧٠] وهي عامة في كل كتاب والآيات في ذلك كثيرة، وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب الله فقال: «فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به»(٦).

---

(١)رواه عبد الرزاق في مصنفه "ح٥٩٨٨" ومن طريقه الطبراني في الكبير "٨٦٩٦" وعزاه صاحب الكنز لابن أبي داود في المصاحف "ح٤١٣٦" ولم أجده عنده في المطبوع. وقال الحافظ: إسناده صحيح "الفتح ٩/ ٧٨".

(٢)فضائل القرآن لأبي عبيد "ابن كثير فضائل القرآن ٧/ ٤٨٩" وسنده ضعيف وضعفه الحافظ في الفتح "٩/ ٧٨" قلت: في سنده معاوية الصدفي وهو ضعيف وبقية وقد عنعن.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطي، للهراس:١٥٣/١-١٥٤.

(٤) انظر: المنهاج في شعب الإيمان:٣١٧/١ وما بعدعا بتصرف.

(٥) صحيح البخاري "٩/ ٦٤-٦٥" في فضائل القرآن، باب من قال: لم يترك النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا ما بين الدفتين..

(٦)رواه مسلم (فضائل الصحابة / ٣٦) ، وأحمد (٤ / ٣٦٦، ٣٦٧).

وفي حديث علي مرفوعا: «إنها ستكون فتن»[١] . «قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: " كتاب الله» . وذكر الحديث.
ومعنى التمسك بالكتاب والقيام بحقه هو حفظه وتلاوته والقيام به آناء الليل والنهار وتدبر آياته وإحلال حلاله وتحريم حرامه والانقياد لأوامره، والانزجار بزواجره والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده، وينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له بكل معانيها والدعوة إلى ذلك على بصيرة[٢].

القرآن

{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦)} [الأنعام : ١٥٦]

التفسير:

وأنزلنا هذا القرآن; لئلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنما أُنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى، وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة.
قوله تعالى:{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} [الأنعام : ١٥٦]، أي:" وأنزلنا هذا القرآن; لئلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنما أُنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى"[٣].
قال القرطبي:أي:" لئلا تقولوا :إنما أنزل التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب"[٤].
عن ابن عباس:"{أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا}، وهم اليهود والنصارى"[٥]. وروي عن قتادة[٦]، والسدي[٧] مثل ذلك.
وعن مجاهد:"{أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا}، اليهود والنصارى يُخاف أن تقوله قريش"[٨].
وفي قوله تعالى:{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} [الأنعام : ١٥٦]، ثلاثة وجوه:
أحدها: معناه: أنزلناه لئلا تقولوا إنما أنزل الكتاب، أي: أنزلناه لتنقطع حجتهم، وإن كانت الحجة لله عز وجل، لأن الكتب التي أنزلت قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - قد كانت فيها الحجة، ولم يكن الله عز وجل: ليترك خلقه سدى بغير حجة، ولكن في تنزيل الكتاب والنبي - صلى الله عليه وسلم - غاية الحجة، والزيادة في الإبانة. وهذا مذهب الكوفيين[٩].
والثاني: أنزل الكتاب كراهة أن يقولوا: - إنما أنزلت الكتب على أصحاب موسى وعيسى. وهذا مذهب البصريين[١٠].

---

(١)(ضعيف) ، رواه أحمد (١ / ٩١) ، والترمذي (٢٩٠٦) ، والدارمي (٣٣٣٤) ، قال الإمام الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف جدا من أجل الحارث الأعور..
(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة(٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية)، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي:ص٤٥.
(٣) التفسير الميسر:١٤٩.
(٤) تفسير القرطبي:١٤٤/٧.[بتصرف بسيط].
(٥) أخرجه الطبري(١٤١٨٠):ص٢٤٠/١٢.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١٨٣):ص٢٤١/١٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٨٤):ص٢٤١/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٤١٨١):ص٢٤١/١٢.
(٩) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣٠٧/٢، وتفسير القرطبي:١٤٤/٧.
(١٠) انظر: معاني القرآن:٣٠٧/٢.

ولا يجيزون إضمار«لا»، لا يقولون: جئت أن أكرمك، أي: لئلا أكرمك، ولكن يجوز: فعلت ذلك أن أكرمك، على إضمار «محبة أن أكرمك»، و«كراهة أن أكرمك»، وتكون الحال تنبئ عن الضمير[1].

والثالث: معناه: فاتقوا أن تقولوا يا أهل مكة. قاله الفراء[2]، والكسائي[3].

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} [الأنعام : ١٥٦]، أي:" وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة"[4].

قال ابن عباس:" ، يقول : وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين"[5].

قال السدي:"يقول : وإن كنا عن قراءتهم لغافلين ، لا نعلم ما هي"[6].

عن قتادة : "{وإن كنا عن دراستهم لغافلين}، أي : عن قراءتهم"[7].

عن ابن وهب قال:" قال ابن زيد في قوله : {وإن كنا عن دراستهم لغافلين}، قال : الدراسة، القراءة والعلم. وقرأ : {وَدَرَسُوا مَا فِيهِ}، [سورة الأعراف : ١٦٩]. قال : علموا ما فيه ، لم يأتوه بجهالة"[8].

قال الزجاج:" المعنى: وما كنا إلا غافلين عن تلاوة كتبهم"[9].

قال ابن قتيبة:" أي: قراءتهم الكتب وعلمهم بها {غافلين}"[10].

قال القرطبي:" أي: عن تلاوة كتبهم وعن لغاتهم. ولم يقل: عن دراستهما، لأن كل طائفة جماعة"[11].

قال الطبري:" فإنه يعني : أن تقولوا : وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتابَ الذي أنزلتُ عليهم «غافلين»، لا ندري ما هي ، ولا نعلم ما يقرؤون وما يقولون ، وما أنزل إليهم في كتابهم ، لأنهم كانوا أهله دوننا ، ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه ، ولا هو بلساننا ، فيتخذوا ذلك حجة . فقطع الله بإنزاله القرآنَ على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك"[12].

الفوائد:

١- قطع حجة المشركين بإنزال الله تعالى كتابه وإرسال رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن أبي هريرة-رضي الله عنه-أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة-يعني أمة الدعوة-يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[13].

---

(١) انظر: معاني القرآن:٣٠٧/٢.
(٢) انظر: معاني القرآن:٣٦٦/١.
(٣) انظر: تفسير القرطبي:١٤٤/٧.
(٤) التفسير الميسر:١٤٩.
(٥) أخرجه الطبري(١٤١٨٥):ص٢٤١/١٢-٢٤٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤١٨٨):ص٢٤٢/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٤١٨٦):ص٢٤٢/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٤١٨٧):ص٢٤٢/١٢.
(٩) معاني القرآن:٣٠٧/٢.
(١٠) غريب القرآن:١٦٣.
(١١) تفسير القرطبي:١٤٤/٧.
(١٢) تفسير الطبري:٢٤١/١٢.
(١٣)رواه مسلم "١/ ١٣٤/ ح١٥٣" في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الناس ونسخ الملل بملة.
وأحمد "٢/ ٣١٧ و٣٥٠" والبغوي في شرح السنة "١/ ١٠٤/ ح٥٦".

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «بعثت إلى الأحمر والأسود» [(1)].يريد العربي والعجمي.

وقال: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»[(2)].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على هذا الأصل الذي لا يرتاب فيه مسلم، وقد تواتر عنه عليه السلام أنه لم يختص بدعوته قوماً دون قوم، وأنه أرسل رسله إلى ملوك الأطراف والنواحي يدعوهم إلى دينه. والتواتر لا سبيل إلى ردّه. فمن صدَّقه عليه السلام في بعض أقواله لزمه تصديقه في جميع أقواله.

٢- ومن فوائد الآية الكريمة: أن الحجة لا تقوم إلا بعد العلم والبيان.

القرآن

{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)} [الأنعام : ١٥٧]

التفسير:

ولئلا تقولوا -أيها المشركون-: لو أنَّا أُنزل علينا كتاب من السماء، كما أُنزل على اليهود والنصارى، لكنَّا أشدَّ استقامة على طريق الحق منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة مِن ربكم وإرشاد إلى طريق الحق، ورحمة لهذه الأمة. فلا أحد أشد ظلمًا وعدوانًا ممن كذَّب بحجج الله تعالى وأعرض عنها!! فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقابًا شديدًا في نار جهنم; بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصدِّهم عن سبيلنا.

سبب النزول:

قال البغوي:" وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك: لو أنا أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم، قال الله تعالى: {فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ}"[(3)].

قوله تعالى:{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" ولئلا تقولوا -أيها المشركون-: لو أنَّا أُنزل علينا كتاب من السماء، كما أُنزل على اليهود والنصارى، لكنَّا أشدَّ استقامة على طريق الحق منهم"[(4)].

قال الطبري:" أو : لئلا يقولوا : لو أنّا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا ، فأمرنا فيه ونُهينا ، وبُيِّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه، لكنا أشدَّ استقامة على طريق الحق ، واتباعًا للكتاب ، وأحسن عملا بما فيه ، من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا"[(5)].

قال الزجاج:" وإنما كانوا يقولون { لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ}، لأنهم كانوا مدلين بالأذهان وحسن الأفهام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم وآثارهم، وهم أميون لا يكتبون"[(6)].

عن قتادة : "{أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم}، فهذا قول كفار العرب"[(1)].

---

(١)أخرجه مسلم ٣٧١/١، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، والبخاري بلفظ: "وكان النبيّ يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة". (ر: فتح الباري ٤٣٥/١، ٤٣٦).

(٢)رواه البخاري، كتاب التيمم، ح ((٣٣٥)) ١٢٦/١، وكتاب الصلاة، باب ((قول النبي صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)) ح ((٤٣٨)) ١٥٨/١، ومسلم في كتاب المساجد ح (٥٢٣):ص ٣٧١/١.

(٣) تفسير البغوي:٢٠٦/٣.

(٤) التفسير الميسر:١٤٩.

(٥) تفسير الطبري:٢٤٢/١٢-٢٤٣.

(٦) معاني القرآن:٣٠٧/٢.

قوله تعالى:{فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة مِن ربكم"[٢].

قال السدي:" يقول:قد جاءكم بينة ، لسانٌ عربي مبين ، حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين ، وحين قلتم : لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم"[٣].

قال الطبري:"يقول: فقد جاءكم كتابٌ بلسانكم عربيٌ مبين ، حجة عليكم واضحة بيّنة من ربكم "[٤].

قال الزجاج:" أي: فقد جاءكم ما فيه البيان وقطع الشبهات عنكم"[٥].

قال القرطبي:" أي: قد زال العذر بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم. و«البينة» و«البيان» واحد، والمراد محمد صلى الله عليه وسلم، سماه سبحانه:«بينة»"[٦].

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" وإرشاد إلى طريق الحق، ورحمة لهذه الأمة"[٧].

قال القرطبي:" أي: لمن أتبعه"[٨].

قال البيضاوي:أي:" لمن تأمل فيه وعمل به"[٩].

قال البغوي:أي:"بيان ونعمة لمن اتبعه"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وبيان للحق ، وفُرْقانٌ بين الصواب والخطأ ، {ورحمة} لمن عمل به واتّبعه"[١١].

قال الصابوني:أي:" وهدى لما في القلوب ورحمة من الله لعبادة"[١٢].

قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" فلا أحد أشد ظلمًا وعدوانًا ممن كذَّب بحجج الله تعالى "[١٣].

قال البيضاوي:أي:" بعد أن عرف صحتها أو تمكن من معرفتها"[١٤].

قال القرطبي:" أي: فإن كذبتم فلا أحد أظلم منكم"[١٥].

قال الطبري:أي:" فمن أخطأ فعلا وأشدّ عدوانًا منكم ، أيها المشركون ، المكذبون بحجج الله وأدلته وهي آياته"[١٦].

قوله تعالى:{وَصَدَفَ عَنْهَا} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" أعرض عن آيات الله"[١٧].

قال ابن عباس:" يقول : أعرض عنها"[١٨]. وروي عن قتادة مثل ذلك[١٩].

عن السدي : "{وصدف عنها}، فصدَّ عنها"[١].

---

(١) أخرجه الطبري(١٤١٩٠):٢٤٣/١٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٩.
(٣) أخرجه الطبري(١٤١٨٩):٢٤٣/١٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٤٣/١٢.
(٥) معاني القرآن:٣٠٧/٢.
(٦) تفسير القرطبي:١٤٤/٧.
(٧) التفسير الميسر:١٤٩.
(٨) تفسير القرطبي:١٤٤/٧.
(٩) تفسير البيضاوي:١٩٠/٢.
(١٠) تفسير البغوي:٢٠٦/٣.
(١١) تفسير الطبري:٢٤٣/١٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٣٩٩/١.
(١٣) التفسير الميسر:١٤٩.
(١٤) تفسير البيضاوي:١٩٠/٢.
(١٥) تفسير القرطبي:١٤٤/٧.
(١٦) تفسير الطبري:٢٤٣/١٢.
(١٧) صفوة التفاسير:٣٩٩/١.
(١٨) أخرجه الطبري(١٤١٩١):٢٤٤/١٢.
(١٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٣):ص٣٤٤/١٢.

عن مجاهد:"{يصدفون عن آياتنا}، يعرضون عنها، و«الصدف»، الإعراض"[٢].
قال الطبري:" يقول : وأعرض عنها بعد ما أتته ، فلم يؤمن بها ، ولم يصدِّق بحقيقتها"[٣].
قال البيضاوي: أي:" أعرض أو صد عنها، فضل أو أضل"[٤].
قال أبو السعود: أي: صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال"[٥].
قوله تعالى:{سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقابًا شديدًا في نار جهنم; بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصدِّهم عن سبيلنا"[٦].
قال الطبري:" يقول : سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ، ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله ، وحقيقة نبوة نبيه ، وصدق ما جاءهم به من عند ربهم {سوء العذاب} ، يقول : شديد العقاب ، وذلك عذاب النار التي أعدَّها الله لكفرة خلقه به {بما كانوا يصدفون}، يقول : يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته في الدنيا ، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم "[٧].
قال الصابوني:" وعيٌ لهم أي سنثيب هؤلاء المعرضين عن آيات الله وحججه الساطعة شديد العقاب بسبب إعراضهم عن آيات الله وتكذيبهم لرسله"[٨].
الفوائد:

١- أن القرآن الكريم حجة على خلقه. وقد دلت عليه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن العظيم من أن الله جل وعلا لا يعذب أحدا إلا بعد الإنذار والإعذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام تصريحه جل وعلا في آيات كثيرة بأن لم يدخل أحدا النار إلا بعد الإعذار والإنذار على ألسنة الرسل.
فمن ذلك قوله جل وعلا: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ(٨) قَالُواْ بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ} [الملك : ٨-٩].
ومعلوم أن قوله جل وعلا: { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ} يعم جميع الأفواج الملقين في النار.
قال أبو حيان:" «وكلما» تدل على عموم أزمان الإلقاء فتعم الملقين"[٩].
٢- ومن فوائد الآية الكريمة: التنديد بالظلم، وبيان جزاء الظالمين المكذبين بآيات الله المعرضين عنها.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الرابع عشر من التفسير ويليه الجزء الخامس عشر بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١٥٨) من سورة «الأنعام».

---

(١) أخرجه الطبري(١٤١٩٤):٢٤٤/١٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٤١٩٢):٢٤٤/١٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٤٣/١٢.
(٤) تفسير البيضاوي:١٩٠/٢.
(٥) تفسير ابي السعود:٢٠٣/٣.
(٦) التفسير الميسر:١٤٩.
(٧) تفسير الطبري:٢٤٤/١٢-٢٤٥.
(٨) صفوة التفاسير:٣٩٩/١.
(٩) البحر المحيط:٢٣/٧.